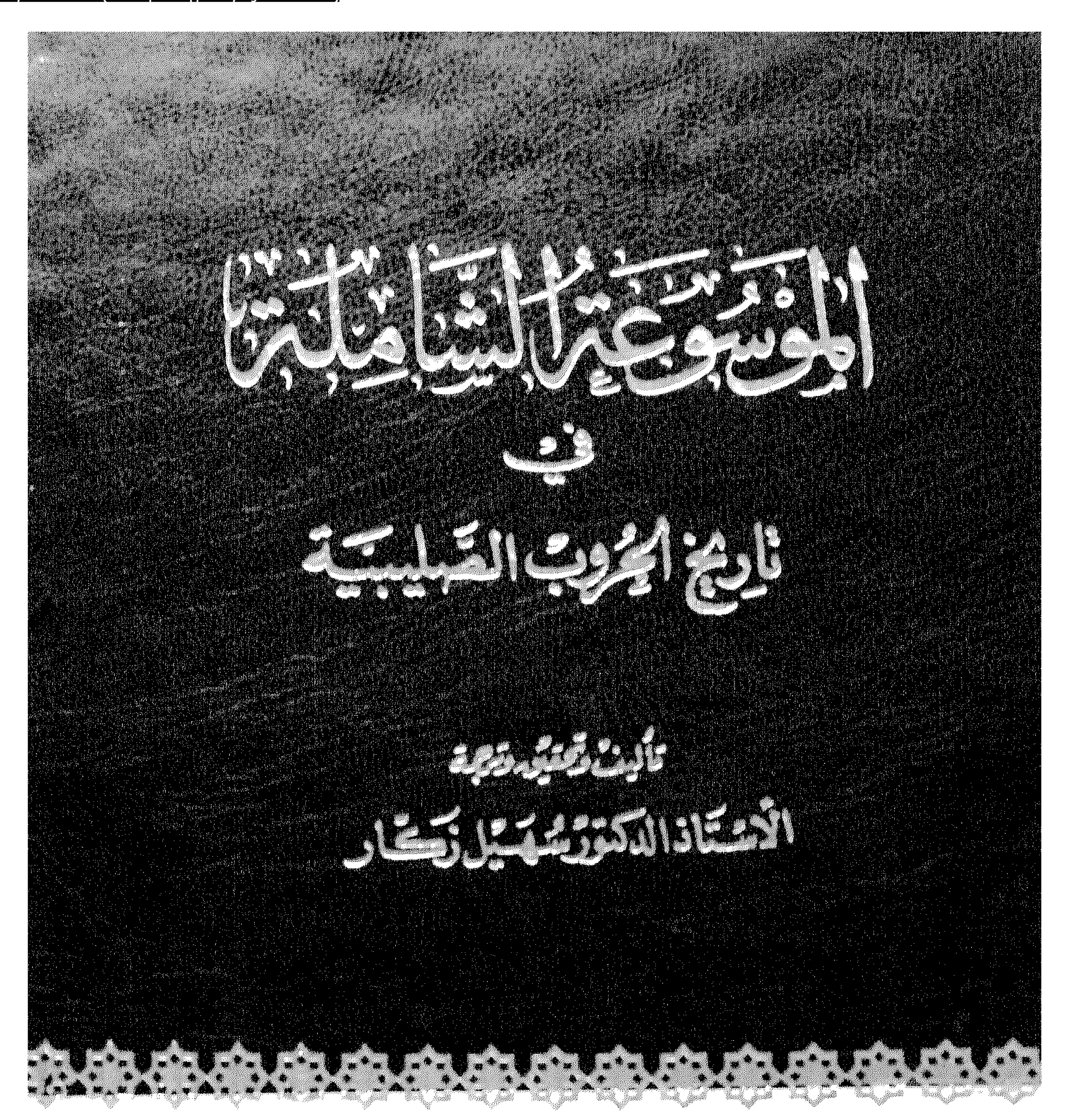


الجزء الثامن

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع







الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

الروايات الأوربية الاغريقية واللاتينية

الحملة الثالثة

١ ـ تاريخ أرنول وذيول تاريخ وليم الصوري
(دراسة)

٢ ـ ذيل تاريخ وليم الصوري (النص)

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الجزء الثامن

دمشق ١٤١٤ / ١٩٩٣



بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

رأينا بشكل واضح في المجلد المتقدم مكانة وليم رئيس اساقفة صور ومعه كتابه الذي ارخ به لأحداث الحروب الصليبية حتى قبيل وفاته في سنة ١١٨٥ م. ومن المؤكد ان نجاح وليم كمؤرخ ، وتميزه عمن تقدمه من اللاتين ، يرجع الى ثقافته العربية وتأثره بطرائق المؤرخين العرب ، وعليه فإن كتاب تاريخ وليم الصوري وإن كتب بالاتينية وبروح صليبية متعصبة ، هو من حيث الطرائق والجغرافيا نتاج شرقي.

وكان وليم قد توفي في وقت عصيب جدا بالنسبة لمستقبل المملكة اللاتينية بالقدس واشؤون صراعاتها ضد المسلمين بقيادة صلاح الدين يوسف بن ايوب ، لقد توفي وليم ايام مقدمات معركة حطين ، وصحيح انه عاصر حطين من رجالات صلاح الدين المؤرخين العماد الاصفهاني والقاضي ابن شداد ، لكن مادوناه لايغطي كامل الصورة من جميع الجوانب ، ولحسن الحظ توفر لاتيني فرنجي آخر من بين فرنجة الشرق ، قام بالتنييل على تاريخ وليم الصوري ، وغطى أخبار معركة حطين وتحرير القدس ثم حوادث ملحمة عكا وما يعرف باسم الحملة الصليبية الثالثة.

وهذا الذيل ، وإن اختلف حول تحديد هوية مصنفة ، على درجة عالية من الأهمية ، وكتب اصلا بالفرنسية القديمة ، التي عدت ناشئة وقتها ، وسلف ان نشر من قبل في القرن الماضي ، ثم قامت عالمة فرنسية في ايامنا هذه بتقديم اطروحة دكتوراه حوله بالانكليزية ، ثم اعادت نشره استنادا الى مخطوطات جديدة ومعطيات حديثة.

ولم يكن من الصعب الحصول على نسخة من النص الفرنسي المحقق جديدا من قبلها ، لكن وجدت صعوبات كبيرة جدا في تحصيل نسخة عن الدراسة الانكليزية ، وبذل اكثر من صديق جهودا مشكورة في انكلترا لرؤية نسخة من الكتاب لتصويرها فلم يفلحوا ، واخيرا تمكن احد الاصدقاء اليابانيين من رؤية نسخة منه في احدى مكتبات المؤسسات العلمية في طوكيو فصورها ، وبعثها لي مشكورا.

لقد انطبق علي في هذه الحال فحوى الوصية النبوية بطلب العلم ولو من الصين ، ودراسة النص ـ كما لاحظت ـ كانت دراسة لغوية المقاصد ولم تكن تاريخية ، ومع هذا هي مفيدة جدا ، لهذا قررت نقلها الى العربية وجعلها تشكل الشطر الاول من مجلد يحويها مع نص الذيل الاصلي.

والصعوبات التي واجهتها في نقل النص الانكليزي الى العربية لاتقارن ابدا بمتاعب النقل من الفرنسية القديمة ، انما من اعتمد على الله كان الله عونه ومرشده فالحمد لله دوما وابدا.

سيجد القارىء العربي فائدة كبيرة في مواد ذيل تاريخ وليم الصوري ، وستغدو صورة الاحداث متكاملة لديه خاصة لدى العودة الى بقية المصادر العربية ، ولااعني هنا ماكتبه كل من العماد الاصفهاني والقاضي ابن شداد فقط بل مارواه غيرهما ووصلنا في مصنفات متأخرة ، نشرتها ضمن موسوعتنا هذه.

من الله استمد العون دوما ومنه التوفيق وله الحمد والشكر ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وأصحابه أجمعين.

دمشق ١١ ـ رجب الفرد ١٤١٥ هـ
١٣ / ١١ / ١٩٩٤ م

سهيل زكار

تنويه

رفعت الرسالة التي تقوم عليها هذه الدراسة الى كلية اللغات الحديثة ولغات القرون الوسطى تحت عنوان « نيول تاريخ وليم رئيس أساقفة صور حتى ١٢٣٢ » ويذهب شكري الأول للمشرف على بحثي البروفسور ت .ب . و . ريد . وهو دين سار بقدر أكثر أن أعترف به حيث أنه قد علم أبي أيضا قبلي ، وبينما كان غائبا لفترة قصيرة في كندا ناب عنه السيد ا . د . كراو ، وقد أعطاني مساعدة بالغة الكرم .

وأثار تكييف بحث كتب من قبل لغوي الى سلسلة تاريخية كل المشكلات المرتبطة بدراسات تمر عبر نظامين ، وأنا مدينة للآنسة باربارا هارفي لمساعدتها الصبورة في عملية التنقيح وللبروفسور سزرن لعدد كبير من الاقتراحات والتعليقات المفيدة ، وكنت ممتنة أيضا لمختلف أنواع المعونة من البروفسور ر . هـ . ل . ديفز والدكتور جاروسلاف فونداء والدكتور ر . س . سميل وأكثر الجميع لزوجي مورغان ر . و. مورغان الذي بدونه لم يكن هذا الكتاب ليكتب بالمرة ، واليه أهديه .

م . ر . مورغان

الرواميز

بابكوك وكري

« تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار » سجلات الحضـــارة ٣٥ نيويورك ١٩٤٣

– هـا.ف .تاريخ آداب فرنسا

م . ل . تاريخ ارنول وبرنارد الخازن ـ تحقيق لويس دي ماس لا تري ، باريس ١٨٧١

ب . ل مؤلفات آبـــاء الكنيســـة اللاتينية ـ تحقيق . ب ميني (٢٢١ مجلدة ، باريس ١٨٤٤ ـ ١٨٦٤)

ر هـ . س راشيل لتواريخ الحروب الصليبية طبع من قبل أعضــاء أكاديمية الآداب والمخـــطوطات بـــاريس ١٨٤١ ـ ١٩٠٦ وإذا مـــا استخدم هذا الرمز لوحده فإنه يشير الى سلسلة راشيل المستخدمة بشكل عام في هذه الدراسة وحددت الاشارة الى مؤرخي الغرب حيث قصد سلسلة أخرى براشيل لويس الاولى .

ريس المخـــطوطات الايطـــالية تحقيق ل . ا مـــــوراتوري ميلان ١٧٢٣ ـ ١٧٥١

رنسمان . س . س رنسمان تاريخ الحروب الصليبية كمبردج ١٩٥١

سميل ر . س ســــيل فـــن الحـــروب لدى الصـــليبيين ١٠٩٧ ـ ١١٩٣ ـ كمبردج ١٩٥٦

جدول المخطوطات

أعطيت حروف الاشارة الاولى في هذا الجدول المخطوطات التـــي اعتمدت في هذه الدارسة ، وتشـــير الاعمـــدة التـــالية الى رقـــم كل مخطوط ، مع الحروف الاولى للمخـــطوطات إن وجـــدت في طبعـــات ماس لا تري وراشـــيل ، ورقـــم المخـــطوط في مـــوجز رانيت

الاحصائي ، مع اشارة مـوجزة لأي نص تضـمه . وفقـط هـي المخطوطات التي ذكرت في هذه الدارسة ، قد وردت في الجدول .

واستخدم تعبير موجز خلال الدراسـة ليعني كل مـن نصي ا و ز معا ، ولسوف ترد أوصاف مفصلة لكل المخطوطات المدرجة في هـذا الجدول في الصفحات (١٢ ـ ١٤) المقبلة.

	م.ل	ر هـ ـ س	رانيت	
ا ـ ب ن ف فر ٢٦٣٤	ـــ	ا	٤٧	ذيل هرقل حتى ١٢٦١ ذيل روسلين من ١٢٤٨ فما بعد
ا ـ أرسنال ٤٧٩٧	ا	٠	٢١	برنارد الخازن مع اسم المؤلف حتى ١٢٣١
ب ـ ب . ن. ف. فر ٢٦٢٨	٠	ب	٦٣	ذيل هرقل حتى ١٢٦٥ ،و يشكل هذا النص (١) ما دعاه ماس لاتري كولبرت فونتينبلو
ب ـ برن ٣٤٠	ب	٠	٢٤	برنارد الخازن مع اسم المؤلف حتى ١٢٣١ سف ا
س ج ـ ب . ن . ف . فر٩٠٨٦	ج	س	٣٤	هرقل حتى ١٢٣١
د ـ ليون ٨٢٨	٠	د	٧١	هرقل حتى ١٢٤٨ مع كون القسم ١١٤٨ ـ ١١٩٧ غريب على هذه المخطوطة
غ ـ ب . ن . ف . فر٩٠٨٢	غ	ج	٦٧	هرقل حتى ١٢٧٥
ز ـ سانت أومر ٧٢٢	٠	٠	١٣	أرنول مع اسم المؤلف حتى ١٢٢٧



مدخل

أن نيول تاريخ وليم الصوري باللغة الفرنسية القديمة والتواريخ المستقلة المتعلقة بها موجودة في تواريخ مرضية حول الحروب الصليبية ، ومن الناحية الشكلية هي أمثلة على الكتابة النثرية الفرنسية القديمة ، وهكذا فإنها قد لفتت في الماضي انتباه كل من المؤرخين واللغويين بصورة جيدة ، ولكنها تبقى بسبب ذلك كله مشكله صعبه ، ومؤرخون من مثل غروسيه ورتشارد ورنسمان وبراور مكتفين فقط بتسمية الاكثر ظهورا ، وهكذا يستخدمون ارنول وهرقل كمصدر رئيس لجزء كبير من تاريخ المملكة اللاتينية لبيت المقدس ، في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، وهم مدركون بشكل جيد وهم يفعلون ذلك أنه لا يعرف بأي درجة من التأكيد ما الذي كتبه أرنول أو أي نوع من النصوص يشكل تاريخ هرقل حقا ، وفيما يتعلق بأرنول فإن اعتمادهم على التاريخ المعروف باسمه يقوم بقدر كبير على افتراض أن ارنول كان مرافقا مقربا لصاحب يبنا (١) وهكذا لا بد أنه كانت لديه المعرفة الأولى بكل ما حدث ، وهذا ـ بصرف النظر عن الحيازة ـ يؤكد كونه شاهد عيان أمرا صحيحا ، وهكذا يبدو من المرغوب فيه أن نعرف ما الذي شهده أرنول بالضبط ، ومثل هذا ، إنه أمر بديهي أن نيول وليم الصوري التي تعرف اجمالا بتاريخ هرقل ، تسمى عادة بتاريخ ارنول وبرنارد الخازن ، وهي ترتبط نوعا ما ببعضها بعضا ، ولكن الطبيعة الدقيقة ومدى تلك العلاقة ، والاهمية التي يمكن أن تكون لها في ترسيخ كلا النصين ولتقويم جدارتهما النسبية كمصادر تاريخية ، لم تحدد مطلقا بشكل واضح .

والاهمية الأدبية للنصوص أيضا برغم أنها معروفة بشكل غامض من قبل أغلب النقاد ومؤلفي التواريخ الأدبية وما يشابههم تختبيء تحت عدد من المشكلات النصية الخطيرة المانعة التي تعوق بشكل

جدي ، إن لم تحل تماما ، دون أي تقـويم واضـح للمقـدرة الأدبية التي استخدمت في صياغة النصوص ، والعقبة الرئيسة أمام الناقـد التاريخي والأدبي على السواء هي حقيقة أن هناك الكثير جدا مـن النصوص ، التي كلها بلا شك ذات كيانات مستقلة ، ولكنها بلا ريب ترتبط ببعضها بعضا بشكل متساوي بأنواع مـن الطـرق الدقيقـة وهذه النصوص هي :

« تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار » لوليم رئيس أساقفة صور ، والترجمات الفـرنسية القـديمة للتـاريخ وعدد مـن النيول الفرنسية القديمة ، ويعرف هؤلاء معـا ويسـميان أجمـالا بـاسم «تاريخ(او كتاب اورمان) هرقل» وهو كتـب بـاللاتينية (٢) وهناك اخيرا عملان لاتدل عناوينهما على اي صلة بالبقية ولكنهما في الواقع مرتبطان بالنيول المكتوبة باللغة الفرنسية القـديمة وهمـا: تـاريخ ارنول وبرنارد الخازن (٣) المتقدم ذكره والعمل غير المنشور المعروف بصورة عامة باسم« تاريخ ماوراء البحار واصل صـلاح الدين (٤) » وهكذا فان المشكلة الرئيسية هـي تـرتيب هـذه النصـوص ومحاولة تحديد علاقتها ببعضها بعضا ، وكان المعروف من قبل من الدراسات المتقدمة أن النوع الأول من النيول ، ذلك الذي ينتهـي في ١٢٣٢ ، قد أوجد المشـكلات المعقـدة والأكثـر أهمية الى حـد بعيد ، وبدا في الواقع أن هذه لو أمكن حلها فإن المشكلات المتعلقـة ببقية النص ستتوقف عن أن تكون مشكلات بالمرة ، وهـو افتـراض أثبت صحته تماما بالنتيجة ، وهذه الدراسة بناء عليه محصـورة في هذا الفرع الأول من النيول والأهداف الرئيسـة وراءهـا الاثنان : توضيح بنيتها وأن يعاد منها ومن النصوص المرتبطة بناء الصـورة الاصلية لتاريخ أرنول المفقود ، وبصرف النظـر عن هـذه المسـائل الرئيسة ، إن هناك أيضا غاية عامة فضفاضة ، أو اثنتان تختلفان عن الدراسات السـالفة ، وتتـطلبان التعـامل معهمـا ، إذا كان للمسائل الرئيسة أن تسوى بصورة مرضية ، ومعظم هـذه النقـاط صغيرة وتظهر بشكل طبيعي تماما في مراحل معينة من الحل على أي حال ، ولكن إحداها أكبـر نوعا وسـتؤخذ بعين الاعتبـار بصـور

مستقلة في الفصل الخامس ، وهويتا المؤلفين المفترضين ارنول وبرنارد وتاريخيهما ستدرسان منفصلتين ، قبل أن تؤخذ جميع النصوص معا وتقارن في محاولة لكشف بيئة النيول وعلاقتها ببعضها بعضا وبالتواريخ القصيرة . وسينشأ عن هذا التحليل إعادة بناء عمل ارنول الأصلي ، وهذا بدوره سيسمح بتحديد بنية ومصادر التاريخ القصير المنسوب الى برنارد بوضوح ، والفصل التاسع موقف على تقويم مكان النصوص بين أدب فترتها ، ويفحص العاشر الطرق التي تؤثر بها نتائج هذه الدراسة في نظرتنا الى قيمتها كبينة تاريخية ، وتبقى مسألة ارتباط مخطوطة النيول بالمؤرخين بالضرورة بالغة التعقيد جزئيا بسبب العدد الكبير من المخطوطات (٥) ، وعلى اي حال أن الاساس قد اتضح الى حد بعيد بفضل عملين هما: عمل ماس لاتري« مبحث التصنيف » (٦) وعمل كونت راينت (٧) « التحليل الاحصائي » الذي مع أنه يدعى بتواضع أنه ليس أكثر من تعديل لتصنيف ماس لاتري ، قد أصبح المرجع المعياري للبحوث التالية في هذا المجال ، وكان نهجه تقسيم النصوص الى فئات بحسب التاريخ الذي تم فيه انجاز نيولها ، وهكذا فإن الفئة الأولى هي مخطوطات وليم الصوري بلانيول ، والفئة الثانية موجز وليم الصوري وتتمته حتى ١٢٢٨ أو ١٢٣١ مع ثلاثة أقسام فرعية ، مع مايسمى « تاريخ ارنول لما وراء البحار وبرنارد الخازن » والفئة الثالثة وليم الصوري مترجم ومكمل حتى ١٢٦١ ، والفئة الخامسة حتى النيول ١٢٧٥ ،وهناك ضعفان واضحان في الطريقة :

الأول والأقل خطورة هو أن كل فئة في الواقع تحوي نصوصا متباينة جدا (حتى أن الفئة الخامسة تحوي ليون ٨٢٨ التي تنتهي في ١٢٤٨ وليس في ١٢٧٥ بالمرة) ثانيا والأكثر خطورة أن الفئات تمضي الى ماوراء أسر المخطوط ، حتى أن المخطوطات التي تتشابه في الواقع في الكثير من أطوالها يمكن ان يفصلها راينت في تصنيفه ببساطة لأن في واحد منها قسما إضافيا ملحقا بنهايته ، ومع ذلك فإن هذا التصنيف يبقى قيما كوسيلة لاختزال حالة معقدة بصورة

متعذرة التجزئة تقريبا الى أحجام أكثر قابلية التعامل معها ، وتمكننا في التمييز - مع أن ذلك قد يكون أحيانا بشكل محدود - بين نص وآخر ، فعمليات جرد رانيت اذا تزودنا بنقطة استدلال في المتاهات النصية ، والمخطوطات الفردية كانت ايضا موصوفة بصورة وافية في القسم الأعظم منها ، وفي بعض الحالات أكثر من مرة ، ويبدو من التكرار الممل أن تكرر كل هذه الأوصاف بطولها ، وقد اقتصرت بناء عليه على أن أصف في الملحق الأول مخطوطين فقط : مخطوط القديس أومر ٧٢٢ الذي لم يوصف بالمرة من قبل وانما ذكر فقط من قبل راينت (رقم ١٣ في قائمته) ومخطوط ليون ٨٢٨ من قبل ٧٣٢ و٨١٥ (راينت رقم ٧١) الذي وصف بشكل غير واف في مصنف راشيل ومحتويات كلا من هذين المخطوطين أساسية في مناقشتي .

وقد بدا من غير المرغوب فيه ابتكار مجموعة رموز جديدة من الحروف الأولى طالما أن هناك من قبل الحروف الأولى التي استعملها ماس لاتري ، وتلك التي استعملت من قبل محققي راشيل التي قد تتوافق جزئيا وتختلف ، وقد اعتاد المؤرخون الذين يستعملون تلك النصوص الاشارة اليها بعبارة « النص :د » وهلم جرا ، ذلك أن تغيير هذه الحروف الرامزة سيؤدي بالتأكيد الى التشوش ، وبدا أن الجواب هو تكييف النظام الموجود دون إضافة الى العدد الوفير من الأسماء والأعداد التي كانت تحيط من قبل بالنصوص ، وهكذا فمن أجل المخطوطات التي تذكر كثيرا جدا في مناقشتي قد استعملت حروف ماس لاتري ومحققي راشيل مميزة بينها حيث أنهم أحيانا يستعملون الحرف نفسه للاشارة الى مخطوطات مختلفة (مثل أوب اللذان يستعملان بصورة مختلفة في الطبعتين بوضع حروف ماس لاتري في صورة حرف كبير (جسم) وحروف راشيل في صورة حرف صغير وهكذا فان آشير الى المخطوط المختار من قبل ماس لاتري « ارسنال ٤٧٩٧ » (من قبل ١٦٧٧ أ) في حين أن (آ) تشير الى ب. ن . ف . فر ٢٦٣٤ مخطوط (أ) من طبعة الأكاديمية ، وفي

حالتين وصف المخطوط من قبل كلا المحققين وفيهما جمعت بين الرموز هكذا غ . ج . س . ج وحيث أن كلا المحققين وصف وأعطى حروفا رامزة المخطوطات التي استعملها قليلا جدا في تحقيقه ، وكذلك لتلك التي لقيت أغلب أهتمامة ، فان كل المخطوطات الرئيسة قد غطيت بهذه الطريقة باستثناء « القديس أومر ٧٢٢ » التي أعطيتها حرف (ز) الذي لم يستعمل حتى الآن الرمز لأي مخطوط .

وبالنسبة للمخطوطات الافرائية نواجه الآن أكثر الأسئلة صعوبة حول كيفية الاشارة الى النصوص ذاتها بطريقة مايجب أن تكون موجزة وواضحة ، طالما أن التعابير المستعملة يجب أن تتكرر في الحقيقة كثيرا جدا في أقسام معينة ، مع ذلك يجب أن لانحكم سلفا على المسائل التي بين أيدينا ، على سبيل المثال إنه من غير المرغوب فيه بوضوح الاشارة الى أي شيء على أنه « تاريخ أرذول » في حين لم يترسخ بعد ماذا كان تاريخ أرذول بالضبط ، وإن كل نص يوجد في مخطوطين على الاقل وعادة أكثر سوى ليون ٨٢٨ هو وحيد ، وبين مخطوطات أي نص يوجد نوع من الاختلافات هي التي تهم ، وتهم المرء الذي يحاول تحقيق اي واحد من النصوص ، ولكن المشكلة موضوع المناقشة في هذه الدراسة تعني مستوى آخر من الاختلاف تماما ، والاختلاف ليس بين المخطوطات العديدة لنص واحد بل بين نص وآخر ، ولهذه الغاية اخترت لكل نص مخطوطا واحدا يمكن أن يؤخذ بشكل موائم على أنه يمثل ذلك النص ، حتى أنه على سبيل المثال عندما تحتوي على النص نفسه مثل س . ج ، وهكذا فإن الاختلافات في القراءة بين مختلف المخطوطات لأي نص تترك جانبا على أنها عديمة الأهمية لغرض هذه الدراسة ، وهو فحص العلاقة بين محتويات كل نص وبين محتويات النصوص الأخرى ، وفي النهاية علاقة كل نص بالتاريخ الأصلي لأرذول .

واختيار هذه النصوص الممثلة كان في بعض الحالات يستوحي

من عمل المحققين المتقدمين ، وفي حـــالات اخــرى أتـــى مـــن تصنيفاتهم ، وهكذا فإن اختيار الخطوطات غ ج ، س ج و ب و ا من قبل محققي الاكاديمية وماس لاتري على انها افضل الخطوطات للنصوص الخاصة بكل منهم يبدو عند الاختيار بأن له ما يســوغه ، وقد احتفظت بها كممثلة لنصوصهم ، ومن اجـل مـا يدعى تـاريخ أرنول » من جانب آخر ، اخترت مخطوط القديس أومر ٧٢٢ الذي لم يكن ماس لاتري يعرفه والذي يبدوا افضل من مخطوطة الاســاس بروكسل١١٤٢ لاسباب مشروحة مطولاً في مكان آخــر (٨) ، ومثـل هذا ان مخطوط ليون« د» برغم انه معروف لدى محققـي الاكاديمية ومطبوع من قبلهم بصــورة متنوعة ، فـانه لم يمنح الشــهرة التــي يستحقها ونصه فريد ، وسوف يعامل هنا كأسرة مستقلة ذات عضو واحد ستصبح اهميته الكبيرة بشكل متدرج .«ولايدخل» تاريخ ماوراء البحار » (راينت فئة ٢ ب) بشــكل عام في الاكثــر تعقيدا مــن الجدول النصي لانه بين كل النصوص هو المخطوط الاقل إحــكاما في الارتبـــاط بغيره ، وعلاوة على هـــذا يتعـــذر وصـــف كل من ب . ن . ف . فـر ٧٧٠ أو ١٢٢. على أنه ممثـــل لهـــذا النص (٩) وهـــكذا فحيثمـــا يذكر فإني أشـــير اليه ببســـاطة ب « تاريخ » .

والمخطوطات موضوع البحث هي .

أ ــ مكتبة آرســـنال في بـــاريس رقـــم ٤٧٩٧ (رقـــم سالف ١٦٧٧) (١٠) مــن القـرن الثـالث عشر لبـروفانسي غير معروف .

تاريخ بــرنارد الخـــازن الذي يســمى في شـــبارة دار النســـخ ف ١٢٨ ــ أ ،ويصـــفه مـــاسي لاتـــري في صـــفحة ٣٦ ، ويســـتعمله كمخـــطوط أســـاسي له للقســـم ١٢٢٩ ــ ١٢٣٢ مــن النص ، أنظــر أيضـــا أدناه ص ٨ ــ ٩ .

آ ـ المكتبة الوطنية في باريس ـ مجموع فرنسيس ٢٦٣٤ من أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الرابع عشر ، يحتمل أنه من شرقي بروفانس (قبرص احتمالا تاريخ هرقل ـ مكمل حتى ١١٦١ مع كون القسم ١٢٣٤ ـ ١٢٦١٠ نيل روسلين .

واستعمل مع ب أدناه كمخطوط أساسي للفرع الأول من النيول من طبعة راشيل ولاجل وصفهم له أنظر راشيل ٢٠ من ١٤ ـ ١٥ وانظر أيضا أدناه ص ١٢ ـ ١٤ .

ب ـ المكتبة الوطنية باريس مجموع فرنسيس ٢٦٢٨ القرن الثالث عشر بروفانس ، ويحتمل أنه شرقي ، تاريخ هرقل مع نيول حتى ١٢٦٤ أنظر (أ) أعلاه راشيل ٢٠ . ب١٤ وانظر أدناه ص ١٢ ـ ١٣ .

س ج ـ المكتبة الوطنية باريس ـ مجموع فرنسيس ٩٠٨٦ (١١) من أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل الرابع عشر ، ربما من شرقي بروفانس ، تاريخ هرقل استكمل حتى ١٢٣١ وصفه ماس لاتري ص ٤١ ولكنه استعمله تحليلا وقد استعمل لاغراض مختلفة من قبل محققي راشيل الذين وصفوه في راشيل ٢٠ ص ١٥ انظر ص ١٦ ـ ١٨ وأيضا ١٩ ـ ٢٠ .

د ـ مكتبة بلدية ليون (من قبل ٨١٥ و ٧٣٢) أواخر القرن الثالث عشر ربما كتب في عكا والمنمنمات هي بالتأكيد من عمل ورشة من عكا ، تاريخ هرقل استكمل حتى ١٢٤٨ وهناك أجزاء طويلة من النص فريدة ، وقد وصفت بشكل غير واف في راشيل ٢٠ ص ١٥ ـ ١٦ ، ومن أجل وصف كامل أنظر أدناه ١٩٢ ـ ١٩٣ .

وهي مطبوعة بأشكال مختلفة في راشيل وكثيرا ما تكون غير مستوفاة . أنظر هوغو بو ختال نقوش المنمنمات في المملكة اللاتينية

لبيت المقدس آ (أكسفورد ١٩٥٧) ص ٨٧ وماتلاها أنظر أيضا أدناه ص ١٣ .

غ ج ـ المكتبة الوطنية في باريس مجموع فرنسيس ٩٠٨٢ كتب في روما ١٢٩٥ ،تاريخ هرقل استكمل حتى ١٢٧٥ طبع في « إ . مارتيني و أو دوراند ـ مخطوطات مختلفة ومذكرات تاريخية وعقائدية ومعذوية ـ مصنفة ومجموعة» . (باريس ١٧٢٤ ـ ١٧٣٣) راشيل ٢. ص ١٩ ـ ٢١ . انظر ما يلي ص (١٧ ـ ٢٧) .

ز ـ سانت أومر مكتبة البلدية ٧٢٢ ـ القرن الثالث عشر من دير القديس برتين ، تاريخ أرذول المذكور في ورقة ٣٢ ظ وصف أدناه في الملحق الأول ص ١٩٠ ـ ١٩٢ انظر ايضا ٨ ـ ٩ .

وبالنسبة للعناوين من مثل « تاريخ أرذول » وماأشبه ذلك التي كثيرا ماتستعمل من قبل المحققين في الاشارة الى النصوص ،فقد استعملت فقط تلك التي لها مرجع لامجال للخطأ فيه ، مثل نيل كوبرت فونتنبلوا ، وليس تلك التي تستعمل بصورة مختلفة ، أو التي لايسوغ استعمالها بما هو معروف عن النص الذي تطبق عليه عادة ، وكان من الضروري اجراء استثناء واحد ، لتغيير الذي استعمله ماس لاتري لوصف النص الذي نشر من قبله وهو ماسمي « تاريخ أرذول وبرنارد الخازن » واتباعا لاجرائه أشرت في كل مكان الى النص بكل الصور التي وجد فيها بالاصطلاح الشامل « الموجز » من جانب ، وعن التاريخ القصير الآخر « تاريخ ماوراء البحار » من جانب آخر . وهذا الاصطلاح هو تعبير لالون له بشكل معقول ، وكان ضروريا بصورة مطلقة أن يكون هناك اسم ما يمكن به الاشارة الى النصين (آ) و (ز) المأخونين معا دوما دون تكرار كلا الرقمين ، ومع تدرج الجدل فإن هذه المشكلة حول كيفية الاشارة الى النصوص تتناقص حيث أن

طبائعها الحقيقية تصبح ظاهرة ، ويمكن إعطاؤها أسـماء موائمة بشكل صحيح وليست مجرد أسماء اعتباطية •

الفصل الأول

النصوص الباقية حتى الآن

مما لا شك فيه أن كتاب « تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار » لوليم الصوري (١) هو بصورة محققة أحد الأعمال الأكثر شهرة لكتابة التاريخ ،في القرون الوسطى ، وبه تلك الصفات من الدقة والتوثيق والموضوعية في الحكم وأناقة الأسلوب التي تعتبر الآن أساسية في كتابة التاريخ ، ولكنها كانت في زمانها غير شائعة بالمرة ، وفيه أيضا الحيوية نفسها التي كانت شائعة في كل التواريخ عدا الأسوأ منها في العصور الوسطى ، وهو الأكثر أهمية بينها بنجاحة المباشر ، لأنه كان موضوعيا ، وكانت هذه الصفة الأخيرة هي التي جعلته موائما ، بشكل بارز للترجمة الى اللغة الدارجة ، وجعلت من هذه اللغة بدورها أساسا لمؤلفات متنوعة كانت الأكثر رواجا في أيامها ، وبقيت شعبية زمانا طويلا بعد ذلك ، وينتهي « التاريخ » بشكل مفاجىء نوعا ما عام ١١٨٤ مع تعيين ريموند صاحب طرابلس وصيا على العرش من قبل بلدوين الرابع وهو على فراش الموت ، ولكن النص الدارج استكمل على مراحل عديدة حتى وصل أخيرا الى عام ١٢٧٧ .

والتاريخ ذاته عمل موحد ودقيق ، ونعرف قدرا كبيرا حول ظروف تأليفه مما ــ يخبرنا به المؤلف نفسه وباستثناء فصل واحد اكتشف حديثا ، وكان مفقودا حتى الآن (٢) ليس هناك غموض حوله ، والعكس هو الصحيح تماما حول الجزء الأساسي من الكتابات الفرنسية المرتبطة به ، وقد أضيفت النيول الفرنسية الى ترجمة التاريخ بشكل تراكمي على فترات طوال القرن الثالث عشر ، والأعمال التي تشكلت هكذا تعرف إجمالا باسم تاريخ

هرقل (أو الكتاب ، أو رومان) ونقرأ في الكلمات الافتتاحية للترجمة : التاريخ القديم للبطل الشهير هرقل حاكم الامبراطورية الرومانية » (٣) .

ومكونات النيول ، وهي أحد موضوعات هذه الدراسة يمكن أن يكون الأفضل وصفها بأنها مشكالية : لأن عددا معينا من العناصر تشكل بشكل مستمر نماذج متبدلة ، وماهو الآن من التفاصيل يصبح في تشكيل آخر سمة رئيسة ، وماهو مركزي ومثار اعجاب في احداها لايظهر بالمرة في أي صورة أخرى ، وأحيانا يظهر عنصر جديد تماما دون إنذار أو تفسير ، وعند مقارنة النصوص الرئيسة للنيول واحدا بالآخر ، يتضح على الفور أن الاصطلاحات مثل « مماثل » و « مخالف » ذات فائدة محدودة في وصف علاقاتها الواحد بالآخر . حيث أن هناك درجات عدة من التماثل والاختلاف ، ومن الضروري التعامل بصورة مستقلة مع كل مستوى من التماثل (مثل مرضي ، صياغة الخ) وبصورة مستقلة ايضا مع كل قسم من النصوص ، طالما أن علاقة خاصة بين اثنين منهما في أحد الأقسام ليست بالضرورة دليلا ، وليست مطلقا ضمانا لعلاقة مماثلة في أي قسم آخر ، وكل هذه النصوص باستثناء وحيد وهو التاريخ نفسه عبارة عن تصنيف وتجميع ويجب أن تعامل هكذا .

ويبين الجدول التالي تنوع التجميع الذي تشكله النصوص ، حيث يمثل كل نص بالمخطوط الذي انتخب في وقت سالف (٤) والمخطوطان « أ » و « ب » هما مايسميهما ماس لاتري نيل كولبرت فونتبلو ، و « د » هو مخطوط ليون الوحيد و س . ج و غ . ج هما نصان « لهرقل » ينتهيان في ١٢٣١ و ١٢٧٥ على التوالي و « فزآ » هو النص المسمى بتاريخ برنارد الخازن ، و « ز » هو الذي يدعى « تاريخ أرنول » وذكر اسمه ، مع اصطلاح « تاريخ » ليشير الى « تاريخ ماوراء البحار » والتواريخ كلها تشير الى محتويات

النصوص ، وليس الى تواريخ تأليفها ، فمثلا « آ » يقوم على أنه انتهى في ١٢٣١ ، لأن هذا هو تاريخ الحدث الأخير المذكور في النص على الرغم من أننا نعرف غ . ج مؤرخ ب ١٢٧٥ وليس ١٢٩٥ وكل قسم قد علم بتاريخ ينتهي فيه نص أو في حالة ١١٨٥ و ١٢١٨ ، وهو تاريخ بدأت فيه نصوص متماثلة في عدم الاتفاق أو نصوص مختلفة في الاتفاق :

١.٩٥ ـ ١١٨٥ تتفق نصوص أ ، ب ، س ج ، غ ج
وتتفق نصوص (آ) و (ز) د ،تاريخ
١١٨٨ ـ ١١٨٧ تتفق أ و ب وتتفق س ج و غ ج ، آ ، ز
د تاريخ
١١٩٧ ـ ١٢١٨ يتفق كل من أ ، ب ، س ج
د ، ج ·· ، (آ) و (ز) جميعا
١٢١٨ ـ ١٢٢٧ تتفق (أ) و (ب) وتتفق س ج
د ، غ ج ، آ
١٢٢٧ ـ ١٢٢٩ ـ١٢٣١ تتفق أ ، ب وتتفق س ج
د ، غ ج ، آ
١٢٢٩ / ١٢٣١ ـ ١٢٤٨ تتفق أ ، ب ، د ، غ ج
١٢٤٨ ـ ١٢٦١ تتفق أ ، ب ، د ، غ ج
١٢٦١ ـ ١٢٦٤ تتفق (ب) و (غ ج)
١٢٦٤ ـ ١٢٧٥ غ ج

ويتضح من هذا أن الفترة الأولى من الذيول أعني حتى ١٢٣١ هي الى حد بعيد الاكثر اشتباكا ، أو حسب كلمة ماس لاتري الاكثر تشويشا ، وبعد ذلك يصبح النص واضحا بشكل جيد ، ومن الممكن التنويه ، وقبل ذلك لم يكن واضحا بالمرة عند النظرة الأولى كيف تم صدور التجمعات المتبدلة ، وأفضل مكان للبدء بمقارنة النصوص الواحد بالآخر من أجل تصنيفها حسب محتواها هو القسم الذي لايوجد فيه العدد الأكبر من المجموعات

أعني ١١٨٥ ـ ١١٩٧ ، وهنا كما يحدث في مكان لخر أيضـا فإن النصين الاكثر قربا كل منهما للآخر هما « آ و ز » .

أرذول : والنص الممثل في هذا الجدول في المخطوط « ز » يعـرف بتاريخ أرذول وذلك من ذكره لاسمه في النص ، ويبدأ : « وسأحدثكم الآن عن ارض القدس ، وعن الصليب المقدس الذي انتزعه المسلمون من المسيحيين » (٥) .

وهو عمل متقلب ديني ثم لاديني واقعي ثم اسطوري جاد ثم عابث بالتناوب ، والقسم المركزي هو ذلك الذي يغطي هـدف المؤلف كمـا ذكر في العبارة الافتتـاحية المثبتـه أعلاه ، ولكن حـول هـذا القلب تتجمع الأشياء ذات العلاقة ، وغير ذات العـلاقة في سـلاسل مـن الاستطراد تبدأ على الفور بعد تلك الجملة الاولى وتمتد الى فصـول عدة ، وهذه تتضمن فقرات توراتية وشبه توراتية ، وأساطير تتعلق بالافاعي التي توجد في فلسطين ، وأوصاف لأجزاء من الجليل كلها مختلطة في تاريخ « موجز المملكة اللاتينية ، مـن بـدايتها حتـى الفترة التي تشـكل مـوضوع المؤلف الحقيقـي ، أعني منتصـف ١١٨٠ وماليها ، فمن هنا ومابعد يخبو التقسيم ويصبح الكتـاب بالغ الجدية ، ورواية تامة جدا عن تلك السنوات العصيبة ، وخـلال رواية قصة معركة الناصرة ، يرد ذكر اسم أرذول الذي ينفرد به هذا النص الذي اشتق منه الاسم المعطى له من مـاس لاتـري ، والذي يستعمل الآن عالميا .

'Dont fist descendre .i. sien vallet qui avoit non
Ce fu cil qui cest conte fist metre en escrit. (٦)

وقبل حصار بيت المقدس في ١١٨٧ هناك وصف تفصيلي للمدينة ويبدو أنه قد استعير من نص أقدم ويبدأ:

'Ainçois que je vous die coment
Salehadins assegei Iherusalem et coment il le prist vous dirai
je l'estat coment Jherusalem siet. (٧)

وهكذا برغم أن الجملة الافتتاحية في « ز » يبدو أنها تشير الى

بداية في *in medias res,* فإن هذا في الواقــع بعيد عن الحقيقة .

ومثل هذا فإن المؤلف لايتوقف عندما يكون قد اتم المهمة التي ندب نفسه لها ، بل يتــابع تــاريخه لبعض الوقـــت مغــطيا الحملتين الصليبيتين الثالثة والرابعة وحملة دمياط وحملة فــريدريك الثــاني الصليبية ، وحربه الخاصة ضد جان دي برين .

ويتوقف التاريخ اخيرا في منتصف هذه الحرب (١٢٢٩ م)

'Quant li empereres fu arivés si i enveia par toute se terre por saisir les maisons dou temple et quanques il avoit d'avoir et fist chacier tous les freres fors de se terre. Aprés s'amassa grant gens et grant ost et ala encontre le roi Jehan. Et manda son fil en Alemaigne.(٨)

وفي المخـــــطوطات الاخـــــرى لهــــــذا النص (مثـــــل بروكسل ١١١٤) تأتي فقرة تبدأب « سنة التجسيد » ثــم تعــدد بعض الاحداث في تاريخ المملكة اللاتينية .

برنارد الخازن

يختلف النص الوارد في المخــطوط « ز » الموصــوف آنفــا عن النص « آ» قليلا جدا والفقرة « سنة التجســيد » ننتقــل هنا الى البداية ، وذكر أرنول يحذف ببســاطة ، وهناك اضــافات صــغيرة وتبديلات مثل تفسير عابر لما يعنيه اصــطلاح « لاتينيون » عندمــا يستعمل لوصف سكان ماوراء البحار (٩)

ومن ناحية أخرى إن « آ » هو من نتاج « ز » حتى نهايته التي

بعدها يتابع « آ » دون توقف (كون المادة الجديدة على مايبدو أصلية) حتى أيلول ١٢٣١ وينتهي .

'Li empereres et li chevaliers de la terre firent volentiers quanque li rois Jehan lor devisa si com il avoient en couvent et li rois atant s'en tint.(١٠)

في المخطوط « آ » وواحد آخر من الأسرة (مخطوط ماس لاتري ب بيرن ٣٤٠.) فيما يلي اشارة الناشر

'Ceste conte de la terre d'outre mer fist faire li tresoriers Bernars de Saint Pierre de Corbie. En la carnation millesimo cc.xxij.'

ومن هذه الاشارة يعرف النص عموما بأنه تاريخ برنارد الخازن ، ولكن حقيقة أنه تقريبا جدا مشابه لما يسمى بتاريخ أرذول كانت مصدرا لغير قليل من التشويش ، وتعني أنه حيثما يذكر ناقد أيا من هذين النصين من الجوهري جدا التأكد مما يشير اليه بالضبط .

وقد نشر ماس لاتري في ١٨٧١ ،بعد أن قارن بدقة هاتين الأسرتين طبعة قامت على مخطوط من الأسرة نفسها مثل « ز » (بروكسل ١١١٤٢) ولكنه اضاف بحروف مائلة الى البداية والنهاية فقرة (سنة التجسيد) ثم قسم ١٢٢٧ ـ ١٢٣١ ـ على التوالي من المخطوط « آ » وأعطى لهذه الطبعة العنوان المركب« تاريخ ارذول وبرنارد الخازن» (١١) وكان هذا الاختيار قابلا للتسويغ ، ولكنه غير موفق ، لأنه جعل عقول القراء تتحيز ضد مسألة تأليف هذين التاريخين وقادهم الى الاعتقاد بصورة معقولة نوعا ما بأن الشخصين المسميين في العنوان هما مؤلفا العمل المعنون المسمى هكذا.

وماس لا ترى نفسه كما يتضح من كل نقده للنصوص ، وبرغم أنه مهيأ للاشارة اليها بهذه الاسماء لأجل القناعة ، اعتبر مسألة التأليف مسألة مفتوحة جدا في الحقيقة .

تاريخ ما وراء البحار : يبدو موائما كثيرا جدا لنصوص « ز » و « آ » التعامل بعد ذلك مع النص الثالث والأخير من النصوص الذي لا يضم ترجمة وليم الصوري ، وهو تاريخ ما وراء البحار . ومن المهم في الفترة التي نشير اليها ١١٨٥ ـ ١١٩٧ أنها تقوم وحدها ويجب أن يضاف أنه حتى إذا بدا أنها تتفق مع نصوص أخرى ، فإن التوافق يكون دائما من النوع التقريبي جدا ، ويسمح بمزيد من الانحراف أكثر من أي توافق آخر بين نصين في كل الجدول وبدقة مطلقة يجب أن يبقي منفردا ، ولكن هذا لن يدل على التشابه الذي ينطوي عليه والذي كثيرا ما يكون محكما تماما في أجزاء متفرقة في نصه ، مع بعض ما في نصوص أخرى ، وبدا هاما اظهار هذا التشابه من الجدول المبين في ص (١٠ ـ ١١) حتى مع انه يجب أن يكون مبينا في وصف النصوص ، والواقع هو أن ال « تاريخ » نص مختلط جدا بالفعل ، وقد عالج مؤلفه مادته بيد أكثر حرية من أي مؤلف آخر لهذه النصوص ، وهكذا خرج المزيج الاكثر بعثرة وتشويشا بصورة لا يمكن تخيلها ، فهو يضع الروايات التاريخية الراسخة إلى جانب الأساطير الفاضحة متنقلا من الجانب الواحد الى الآخر جيئة وذهابا حتى مع كثير من الخفة والتحذير الاقل مما كان يفعله معاصروه ، ومع ذلك منصبه ذو أهمية لأنه يتضح من تلك الاقسام التي لها نظراء في أماكن أخرى أنها قد استخدمت بصورة مستقلة من مصادر قديمة ، وأنها لا تحتفظ فقط بتفاصيل كثيرة لا توجد في مكان آخر بل أيضا بمقاطع كاملة تتعلق بصلاح الدين وملك الكرك أرناط وراؤول دي بمبراك ، والاكثر أهمية من كل شيء هو القسم الاخير من التاريخ الذي يغطي السنوات ١١٩٧ ـ ١٢٣٠ وهو مكثف بشدة بالمقارنة مع « آ » و « ز » ويفتتح ال « تاريخ » شأنه شأن التواريخ الموجزة الأخرى « آ » و« ز » كما يلي : « وسأحدثكم الآن عن أرض القدس وعن خسارتها »(١٢) .

وهو يشبهها دون اختلافات كبيرة حتى وصول ريذو دي شاتيلون الى فلسطين حيث الموضوع دون احتفال

'Mais or se taist ici endroit une piece li contes de lui et dira dont li bons rois Salehadins ki tant fu preudom et renoumés de bien vint et de quel gent il fu estrait. Au tans passé ot un conte en Pontiu ki mout ama chevalerie et le siecle. (١٣)

وجاء اثر ذلك قصة الكونتيسة دي بونثيو وقصة كيف ان صلاح الدين قد تحدر من خلالها من بيت فرنسي نبيل ، والشريحة الرئيسة الأخرى التي توجد فقط في ال « تاريخ » وهي ليست تاريخا ، وتتعلق أيضا بصلاح الدين ،وقد أدخلت بعد معركة مونتغسارت (١٤) وهو نص منثور عن نظام الفروسية معروف جيدا في الشعر ولكنه على ما يبدو غير موجود في مكان آخر نثرا (١٥) والبطل همفري دي تورون في النصوص الأخرى هو هنا هوغ دي تباري ويجب ان يفترض ان الكاتب قد وجد الحروف الاستهلالية هـ د . ت . *prosateur* في الشعر ووسعها لتوائم ذاته ، وفي الواقع إنه من الممكن جدا أنه كان لديه بعض الاهتمام بأن يجعل من بطل القصة عضوا في عائلة التبرياذي لأن العائلة اشتقت من أمراء القديس أومر الفركمبرغز ، ومخطوطا ال « تاريخ »(ب ، ن ، ف ، فر ٧٧٠ و ١٢٢٠) يعرفان من قبل مؤرخي الفن بأنهما قد صورا ، ويحتمل أيضا أنهما نسخا في ورشة في الشمال الشرقي من فرنسا (١٦) ، ويخدم هذان الاستيفاء ان المفترضان هدفا واحدا ، وهما نموذجيا بين كثير من الحكايات الاسطورية أو نصف الاسطورية التي كان المؤرخون الذين يكتبون للقراء الأوروبيين مضطرين للجوء اليها من أجل الخروج من الصعوبات الاخلاقية الكبيرة التي واجهتهم بها شخصية صلاح الدين ، فهو قد كان غير مسيحي ، ولكنه كان أخلاقيا جيدا ، ولم يكن فارسا ومع ذلك كان شهما ، وكان من الممكن أن يوجد حل واحد فقط للمظاهر المتناقضة برغم كل دليل على العكس ، لا بد أن صلاح الدين كان في الواقع مسيحيا ، وفارسا أيضا ، وعليه فإن عددا من القصص قد صدر ليظهر ان هذا الامر كان كذلك ،وهاتان تصوران على التوالي كيف كان صلاح الدين عند الاوروبيين ، بل فوق هذا ايضا من اصل فرنسي ، وكيف انتزع من الاسير فرانك اسرار الفروسية وهذه امثلة ممتازة على النوع (١٧) .

وبالاختصار إن نص ال « تاريخ » يختلف عن « آ » و« ز » بطريقتين رئيستين ، فهو يحتوي على القصتين الموجزتين أعلاه اللتان من السهل تمييزهما ، ولا تتطلبان أي تفسير لوجودهما ، إذ أنهما إقحام بسيط محرف يحتوي أيضا على كمية من الروايات التاريخية بادية الجدية التي لا توجد في مكان آخر ، وهي كالاسطورتين تتمركز حول صلاح الدين وينتهي النص في ١٢٣٠ :

'En celui point s'asemblerent .x. mille Sarrasin et vinrent en Jherusalem et le quidierent prendre. Et cil de la vile les requellirent bien et les ochisent tous et prisent et misent fors y larra cinc [*sic*. B.N.f.fr. 12203: ocisent tous fors .ij.] ke li emperes y avoit laissiés pour garder le sepucre (١٨)

قبل ترك ال « تاريخ » من الضروري ذكر كتاب مطبوع سبب بعض الجدل في الماضي ، ومازال حوله بعض الغموض (١٩) ، ومن الواضح انه نص من ال « تاريخ» ويحمل العنوان نفسه ولكنه كما نشر من قبل ستري دي لاغويت بالفرنسية الحديثة يختلف عن النص في المخطوطين الباقيين من ناحية واحدة يمكن أن تكون هامة جدا ، عندما تعني تثبيت الصدور الاصلية النص ؛ فقد سبق أن لاحظنا أنه في النص الباقي الشريحة التي تغطي السنوات ١١٩٧ ــ ١٢٣٠ مكثفة جدا بالمقارنة مع الشريحة المقابلة في « ز » و« آ » . هذا ونص ستري دي لاغويت ما يزال أكثر تكثيفا ، وفي الحقيقة لن يكون من المبالغة القول إنه ليس هناك في الواقع شيء يمكن للمرء أن يسميه رواية تاريخية بعد وفاة هنري شامبين في ١١٩٧ ، وهناك تفسيران محتملان الاول أن ستري دي لاغويت كان أقل إخلاصا لمخطوطه مما يدعي ، وأنه ببساطة قد كثف هذه الشريحة بنفسه ، والجدل المؤيد لذلك هو أن المخطوط « ب ، ن ، ف ، فر ٧٧٠ » إذا كان هذا هو الذي استعمله ، به الآن ، وربما كانت تنقصه بالتأكيد في حينه أوراق عديدة مفقودة قبل الورقة الأخيرة مباشرة ، وأسرع طريقة للتعامل مع هذا النقص لابد أنها كانت ببساطة معالجة النص من الورقتين الأخيرتين الموجودتين

معا ، حيث يخفي التـــكثيف بفعـــالية ، الثغـــرة التـــي في الرواية ، ومقابل هذا على أي حال يجب أن نوازن الحقيقة التـي لا نزاع فيها وهي أنه في الحقيقة في مكان آخر كثير التـدقيق في تتبـع مصدره ، وأيضا أنه في كل موضع من النص توحي التفاصيل الهامة برغم صغرها بـوجود اختـــلاف بين مخـــطوطه والمخـــطوطات الباقية ، وحتى يحين الوقت الذي يمكن أن يخرج فيه مخطوط جديد مثل الـ« تاريخ » الى النور فإن الافتراض الســليم الوحيد أنه كان هناك آخر في الوجود ، مع شرط أن نص ستري دي لاغويت لا بد أن يكون قد عولج بحذر ، ولم يؤخذ به كاثبـات أكيد على أن مخـــطوطا آخر كان موجودا [٢٠] .

تاريخ هرقل المخطوطان س ج و غ ج

بصرف النظر عن المخطوطات الثلاث « ز » و« آ » واا « تاريخ » فإن كل المخطوطات الأخرى المذكورة في الجدول الوارد في الصفحة ٤ تبدأ بترجمة فرنسية لتاريخ وليم ، يربطون بهـــا نيولا ذات اتســاع أكبر أو اقل ، وعندما نبدأ بمقارنتها مـــع بعضـــها نرى على الفـــور معوقات نهج راينت في التصنيف [٢١] ، فقـــد قســـم النصـــوص الى فئات على معايير التاريخ الذي تنتهي به ، وكان لهذا تـــأثير فصـــل النصوص التي هي في الواقع متماثلة تقريبا في القســـم الأكبـــر مـــن محتواها ، وعلى سبيل المثال يمكن أن يرى في الجـــدول أن س ج و غ ج يظهران دائما في المجمـــوعة نفســـها في كل شريحـــة مـــن نصوصهما ، ولكنهما يوصفان في زمرتين مختلفتين من قبـــل راينت ببساطة لأن نص س ج ينتهي أبكر بنحو ست وأربعين ســـنة مـــن نص غ ج ، ومضمون هذين النصـــين يمـــكن أن يوصـــف ببســـاطة تامة ، والى ١١٨٣ انهما يتـــآلفان مـــن التـــرجمة الفـــرنسية لوليم ، ومن ١١٨٣ الى ١٢٣١ يتوافقان مع الشريحة نفسها في «أ»(ومن أخذ طرابلس [٢٢] حتى نهاية آ) [٢٣] ويتصل الجزءان معا بشريحة وصل من ثـــلاثة فصـــول في س ج وفي غ ج بـــأول الثـــلاثة

فقط ، وبعد ١٢٣ يمضي س ج بالمتابعة نفسها الموجودة في ب الى مدى يصل الى ١٢٦٤ ، ومن ١٢٦٤ الى ١٢٧٥ هناك نيل آخر خاص به في حين ينتهي س ج في الموضع نفسه كما في آ ، وفي الواقع بالكلمات نفسها (فلنراجع أعلاه ص ٩) دون إشارة الناشر بالطبع ، وفي الشريحة من ١١٩٧ ـ ١١٨٣ ، يبدي س ج و غ ج احيانا اختلافات هامة عن نص آ ، ولكن هذه الشريحة هي دائما وبشكل جلي ترجمات مختلفة للنص الاساسي نفسه ، وأيضا من ١٢١٨ الى ١٢٣١ فإن س ج أكثر دقة قليلا من غ ج ، ولكن هذه الدقة تأخذ صورة الاقتصاد في الصياغة وليس أي تكثيف في المادة ، والشيء نفسه في كل التفاصيل في كل مواضع هذه الشريحة ، وهذان النوعان من الاختلاف بين النصوص لا يدعان مجالا للشك في حقيقة أن المخطوطات الثلاث كلها تحوي في نصوصها الخاصة النص الاساسي نفسه للفترة ١١٨٣ ـ ١٢٣١ ، وقبل هذا إنها بالطبع مختلفة تماما حيث في « آ » فصوله التسع والنصوص الاولى مشوشة سواء فيما يتعلق بمادة الموضوع أو طريقة عرضها وفي « س ج » و « غ ج » ترجمة وليم ، وهكذا تبدي مظهرا مهنيا وموحدا أكثر من « آ » كثيرا ، وواضح مع ذلك أن مؤلفي « س ج » و « غ ج » كانوا يعرفون الشريحة القديمة من « آ » وأحدهما يعطي في « غ ج » في وسط معركة حطين رواية انتخاب هركليوس لبطركية بيت المقدس وأسلوبه السيء السمعة (٢٤) في الحياة ، الأمر الذي ذكرته « آ » و « ز » في نقطة مبكرة أكثر ، في ترتيبه الزمني المناسب ، أما الآخرون فيعطي « س ج » مباشرة قبل حصار القدس وصفا للمدينة (٢٥) ، يوجد في المكان نفسه في « آ » ، في حين حذف في « غ ج » ، وهذان النموذجان مثاليان بشكل جيد في نص ال « تاريخ » اجمالا ، في أن فرديتهما لا تأتي من احتواء أي مادة جديدة ، بل من جمع جديد للعناصر الموجودة في مختلف النصوص الاخرى ، حتى أن « س ج » على سبيل المثال لا يشبه أي نص آخر ، ومع ذلك فإن كل من مكوناته على حدة له نظير بالضبط في أي مكان آخر .

تاريخ هرقل والمخطوطات «أ» و«ب»

ويختلف نوعا ما عن «س ج» و «دغ ج» نصان آخران في الهرقل ممثلان في الجدول بالمخطوطين « أ » و « ب » وحتى ١٢٤٨ فإن هذين الاثنين يمكن أن يعتبرا في الواقع كنص واحد ، ولكنهما بعد ذلك يختلفان كليا ، ومثل « س ج » و « غ ج » يبدآن بترجمة اوليم تعقبها الفصول الواصلة الثلاث الموجودة في « س ج » ثم ينتهيان بما يبدو في البداية مثل النيل نفسه كما في « س ج » و « غ ج » ولكن عند الرواية حول معركة حطين يبدءان في تقديم فقرات كثيرة ومطولة لا تشبه أبدا أي شيء في « س ج » و «غ ج » وواضح أنه هنا لا يقتصر الامر على مجرد تنويع في النص نفسه كذلك الذي يلاحظ في مقارنة « س ج » و « غ ج » و « أ » بل شيء ما يجب أن يعتبر تتمة مختلفة بالمرة ، ويستمر نص « أ » و « ب » في الاختلاف بصورة متقطعة عن نص « س ج » و « غ ج » ، حتى وفاة هنري دي شامبين في ١١٩٧ ، ومن هناك تتفق كل النصوص مع بعضها حتى ١٢١٨ (و وفاة أوتو الرابع ، حيث توجد قفزة مفاجئة في الترتيب الزمني وفي مادة الموضوع ، ومنذ الحملة الصليبية الرابعة تعاملت الرواية فقط مع اوروبا والامبراطورية البيزنطية (٢٦) . والآن ينتقل المشهد الى المملكة اللاتينية وتتابع جميع النصوص القصة عند موت عموري ، ولكن برغم أن مادة الموضوع هي نفسها فإن النصوص ليست كذلك ، ومن هنا حتى ١٢٢٩ يختلف « أ » و « ب » مرة أخرى جذريا عن « س ج » و « غ ج » فقط في موضوع واحد زيارة جان دي بريين لاوروبا في عام ١٢٢٢ وزواجه من برنغاريا الكاستليه وحربه ضد فردريك الثاني حيث لا يوجد أي تشابه وسيناقش هذا الاستثناء مفصلا فيما بعد ، والصورة العامة بين « س ج » و « غ ج » من جانب « أ » و « ب » من جانب آخر هي صورة الفترة من : ١١٨٣ ــ ١١٩٧ ، فالمجموعتان متماثلتان جزئيا ولكنهما بشكل عام تختلفان بقدر كبير تماما فهما متماثلتان من ١١٩٧ الى ١٢١٨ ومختلفتان كليا بعد ١٢١٨ .

تاريخ هرقل ، المخطوط د :

والنص الاخير الذي بقي علينا وصفه هو (د) أي مخطوط ليون الذي يبدو أن ماس لاتري قد حول اليه اهتمامه اذا كان الوقت قد سمح له بذلك (٢٧) ، وسوف يعطى مكانا فسيحا في جدول الوقت الراهن ، وهو يقدم نصا يختلف عن أي نص آخر ، وكما يمكن رؤيته في الجدول الذي على صفحة ٧ ـ ٨ فإنه يميل بشكل عام الى الشبه ب (غ ج) عدا في الشريحة ذات الاهمية البالغة ١١٨٣ ـ ١١٩٧ ففي هذه الشريحة ، ليس في « د » نص مختلف بكليته بل إنه ينتشر هنا وهناك بين الفقرات على غرار ما في النصوص الأخرى كثير من الفقرات المسهبة عديمة القيمة ، خاصة ب « د » وحده ، وتكون هذه أحيانا روايات مختلفة عن الاحداث التي سبق لنا معرفتها من الروايات في النصوص الاخرى ، التي يلقي عليها « د » ضوءا جديدا ومختلفا ، وهي تتعلق أحيانا بأحداث لم يسمع بها في مكان آخر بالمرة .

الذيول من عام ١٢٣٢

الآن وقد وصفنا بالخطوط العريضة محتويات كل النصوص في الفترة الاولى للذيول ١١٨٣ ـ ١٢٣٢ ، وهي موضوعنا ، يبدو مفيدا أن نضيف ملاحظة موجزة على الأقسام الباقية من الذيول بعد ١٢٣٢ ، من أجل الحصول على تصور أو رأي كامل عن هذه النصوص التي تتابع في الفترتين الثانية والثالثة ، ولأنه سيصبح ضروريا فيما بعد ، عند مقارنة الذيول في الفترة التي تنتهي في ١٢٣١ ـ ١٢٣٢ ، وضع بعض الاشارات الى الاقسام التي تلي مباشرة .

في ١٢٣١ يتابع « غ ج » و « د » النص نفسه كما في « أ »

و « ب » وهو الذي يبأ في ١٢٢٩ ، مع أن هذا يورطهم في تكرار بعض الأحداث التي سبق لهم ذكرها ، وتستمر النصوص الاربع في الاتفاق حتى ١٢٤٨ حيث ينتهي « د » ويبتعد « أ » عن الاثنين الباقيين لينضم الى نص عائلة روثلين ويستمر المخطوطان « ب » و س ج في اعطاء النص نفسه كل واحد للآخر حتى يتوقف « ب » في ١٢٦٤ التي يتابع بعدها « غ ج » وحده حتى ١٢٧٥ (مجلس ليون البلدي) (٢٨) .

نيل روثلين :

تبدأ الآن عند النقطة نفسها ــ ١٢٣١ ــ مخطوطات أخرى هي التي عرفت حتى الآن ب « س ج » « غ ج » تبدأ بما يعرف باسم نيل روثلين ، ونبع هذا الاسم عن الكاهن روثلين الذي كان أول متملك معروف لمخطوطات هذا النص (٢٩) ، ويبدأ هذا النيل في سنة ١٢٢٩ ويستمر حتى ١٢٦١ ، ويتضمن وصفا للقدس كما فعل « ز » و « أ » و « س ج » (٣٠) وعدة فصول في وصف الأراضي المقدسة ، وأساطير متعلقة بها بعضها مستوحى من الكتاب المقدس ، ومن نصوص الأبوغرافيا ، بينما بعض آخر هو مجرد أساطير كانت رائجة في العصور الوسطى ، وغير معروفة أصولها الأدبية ، ويتضمن نيل روثلين أيضا قطعة غالبا ما تعتمد على تواريخ الحروب الصليبية وتدعى « نبوءات آغاب » وقد فسرت على أنها تتحدث عن بعض حوادث الحروب الصليبية ، مع رسالة موجهة الى انسونت الثالث حول صلاح الدين ، هي موجودة أيضا في كتاب جاك دي فيتري ، وفصول قصيرة عن خليفة بغداد والحشيشية ، وجاء هؤلاء جميعا في بداية النيل حيث قاطعوا رواية أحداث سنة ١٢٢٩ ، وهناك في أماكن أخرى صفحات نقلت بدون تحفظ من كالشين المزيف ولو كان مع أغنيتين ، احداهما شعبية والاخرى معزوفة لفيليب دي ناتويل ، وفيما عدا هذا فالنيل متتابع السرد ، وإن يكن متداخل وهو تاريخ مختصر يستمر حتى سنة ١٢٦١ .

كيف جاء هذا التنوع الكبير في النصوص مع الشبكة المعقدة في العلاقات ؟ وما هي العناصر الاساسية التي ترقد في جذور العملية ، وكيف تطورت هذه الأنواع المختلفة عن الجنس الواحد ؟

منذ البداية الاولى حيث ما كاد الحبر يجف عن آخر مخطوط ، أفسدت دراسات كل هذه الاعمال بسبب واحد أو اثنين من الافتراضات الخاطئة التي لم تعترض ، حتى أنه في زمن قصير أصبحت حالة الدراسات كحالة موضوعها ، وقبل معالجة النصوص من الجوهري في البداية ازالة التشوش الطفيلي بسبب سوء الفهم الذي أحاطتها به أعمال الدارسين ، الذين غالبا ما اعتمد كل واحد منهم جميعا على ملاحظات الآخر غير القابلة للاعتماد عليها .

الفصل الثاني

حالة الدراسات

بحلول نهاية القرن الثالث عشر كانت النصوص التي يمكن القول بدقة انها تعود الى مجموعة وليم الصوري قد استقرت ووجدت في صورها النهائية وبعد هذا ليس هناك مزيد من الامتداد ، ولامزيد من اعادة التجميع ، ولامزيد من التفصيل من النوع ذي الاهمية ،وفي القرن التالي بقيت شعبية التواريخ بلا نقص ، والحكم من عدد النسخ الصادرة في حينه والتي بقيت حتى الوقت الراهن ، وفي هذا القرن ايضا ظهر في الوقت نفسه تقريبا اول عمل استعمل النيول كمصدر مع اول ترجمة لها .

ويعد كتاب « تحرير الاراضي المقدسة من قبل الصليبيين » تأليف ماريذوس سانيودس تورسيلي ، وهو رجل بارز من البندقية بين ١٣٠٥ و ١٣٠٧ (١) اول عمل مطول عالج نواح عديدة من الحروب الصليبية ، ويدل عنوانه الفرعي بدرجة كافية على مجاله :

scope: '. . . qui est tam pro conservatione fidelium quam pro conversione et consumptione Infidelium: quanquam etiam propter acquirandam et tenendam Terram Sanctam, et alias multas terras in bono statu pacifico et quieto'.

وعليه فهو تاريخي جزئيا ، وجغرافي جزئيا ، ولكنه يتكون في معظمه من بحث في كيف يمكن استعادة الارض المقدسة بأفضل طريقة ، والكتاب رقم ٣ تاريخ للارض المقدسة من ازمنة العهد القديم حتى الوقت الحاضر ، ويحتل منه تاريخ المملكة اللاتينية في بيت المقدس الاجزاء ٤ الى ١٢ ، وهذا مستمد من تاريخ هرقل مبتدئا من ١ / ٢ مع حرية نوعا ما في التكيف والايجاز ، حتى انه

يعتبر استخلاصا حرا من تاريخ هرقل ، وليس من نسخة التاريخ اللاتينية الاصلية ، وهذا يتضح من حقيقة انه في كل الفروق الدقيقة بين وليم ومترجمه كان سانيوتس يحتفظ دائما بنص المترجم ، وهو ايضا كثيرا مايبقي اسماء الاعلام بالفرنسية في حين انه في غير ذلك ابتكر صورا جديدة وغريبة تخالف تماما تلك التي اعطاها وليم (٢) ولايمكن ان يكون هناك شك انه لدينا هنا للمرة الاولى مؤرخ يستعمل النص الفرنسي وليس اللاتيني كمصدر له ، واستعمال سانيوتس لتاريخ هرقل ليس حصرا ولامستمرا ، ولكن هناك بعض الفقرات التي ليست شيئا اقل من ان تكون ترجمات دقيقة لاجزاء من تاريخ هرقل ، ويتضح ذلك في نص كولبرت فونتنبلو .

(اعني نص ا و ب) (٣) فانه من المتعذر لسوء الحظ ان يقال بدقة ماذا كان اتساع النص الذي استعمله سانتوتس ومحتواه واختصاراته تجعل الترتيب التاريخي يتداخل ، وكثيرا ماهضمت فصولا عديدة فجعلت منها فصلا واحدا بحيث لم تسمح لنا باكثر من التقاط شرائح اما مترجمة من تاريخ هرقل ، او مكيفة عنه كما يبدو ، ومايمكن ان نقوله بالتأكيد انه في العقد الاول من القرن الرابع عشر ، كان تاريخ هرقل على مايبدو يعتبر مصدرا موثوقا لمؤلف اظهر عمله درجة غير صغيرة من الجد .

وليس طويلا بعد نشر عمل سانتوتس وفي عام ١٣٢٠ على وجه الدقة ، وايضا في ايطاليا اتم فرنسيسكو بيبنو وهو راهب دومينيكي من بولونيا كتابه *magnum opus.* وهذا العمل غير معنون ويشار اليه بشكل عام ببساطة باسم « التاريخ » وهو تاريخ عام نموذجي نوعا ما بين جنسه ، لانه يغطي مساحة واسعة وفترة طويلة ، وليس فيه ادعاءات بالاصالة ، والكتاب الخامس والعشرون منه هو الذي يعنينا هنا وهو في الاساس ترجمة الى اللاتينية لجزء من الترجمة الفرنسية لوليم ، وجزء من الموجز ، والمقارنة الاكثر ايجازا او سطحية بين عمل بيبنو ووليم تكفي لبيان تجاهل مهمة بيبنو ، وبالنسبة لتأثير تاريخه على الدراسات التالية فانه كان

-٣٥٥٦-

مفجعا ، وهو اقل من خلال اخطائه الذاتية منه من خلال خطأ محققه موراتوري الذي نشر اجزاء منه ، وبرغم انه ليس كامل تاريخ ببيذو في مجموعته الحاملة لعذوان « الكتابات الايطالية الوسيطة » وفي المجلد السابع المنشور في ١٧٢٥ طبع موراتوري كامل كتاب ببيذو الخامس والعشرين ومنحه عنوان « كتاب برنارد الخازن - الاستيلاء على الاراضي المقدسة » (٤) .

وقد حصل موراتوري على هذه الفكرة من ذكر ببيذو لبرنارد مرتين في عمله.

Haec ex Historia Damiatae sumta sunt. Sed de discessu Regis Johannis, et qualiter Christiani Damiatam Soldano reddiderunt, et nonnulla quae sequuta sunt, sic scribit Bernardus Thesaurarius. (٥)

Haec de gestis Regis Johannis sumta sunt ex Historia Bernardi Thesaurarii. Qualis autem fuerit exitus non inveni, vel quod Historiam non compleverit, vel quod codex, unde sumsi, fuit imperfectus.(٦)

وبطريقة ما أو بأخرى اخذ موراتوري هذه المراجع وخاصة الثاني ، الذي يرد ذكره في الفصل قبل الاخير ، ليعني ان كامل الكتاب الخامس والعشرين مأخوذ من برنارد ، وبناء عليه اعطي الكتاب الخامس والعشرين العذوان الذي يحمله في طبعته ، وادى هذا بالدارسين وكتاب التراجم على السواء الى ان ينسبوا الى برنارد اصل كامل الكتاب الخامس والعشرين ، على الرغم من حقيقة ان اسم برنارد موجود فقط في مخطوطين لتاريخ قصير ، ويحتمل انه لم يتمكن من تقديم كل المادة ولايرتبط مطلقا باي مخطوط لتاريخ هرقل الذي امكنه وحده ان يقدم الاجزاء الاولى من الكتاب ، وقد استمر هذا الخطأ حتى ١٨٧١ ، وعندما صححه ماس لاتري اخيرا في طبعته عن برنارد ، وحتى في حينه اقتصر ماس لاتري علي بيان كيف ولماذا اخطأ موراتوري وكل اولئك الذين ضللوا بطبعته (٧) .

وهكذا شغل على مايبدو بالتخلص من الخطأ ، حتى وقف عاجزا تماما عن تفحص بينة ان عمل ببيذو قد اعطانا حقا بينة على تاريخ برنارد سوف تدرس مفصلة فيما بعد فيما يتعلق بمسألة التأليف ، وفي الوقت الراهن فان سمات عمل ببيذو التي تبدو هامة هي انه مثل سانيوتوس لم يكن يعرف « التاريخ » بل ترجمة باللغة الدارجة له حتى انه مرة اخرى مثل سانيوتوس يتقبلها كمرجع ، وانه الاول الذي يذكر برنارد الخازن كمؤلف للتاريخ ، وهذه نقطة علام في تطور النيول ،لأنه للمرة الاولى تستعمل النصوص العامية على نطاق واسع كمصدر (ان استعمال سانيوتوس لتاريخ هرقل شيء صغير بالمقارنة ، وهو لم يكن يعرف برنارد بالمرة) وبهذا ارسى الاساس لاكثر الاخطاء تشويشا ، وبعدا عن الادراك ، لافساد الدراسات التالية للنصوص .

ويقدم دخول الطباعة في القرن الخامس عشر دلالة مفيدة على الاذواق الادبية في ذلك العصر : اي كتب كانوا يرونها تستحق الطبع ، ومما له مغزى ان تاريخ هرقل او على اي حال اي جزء منه كان احدها ، وكانت مخطوطات منه بالطبع مازالت تستنسخ ، وعلى سبيل المثال تلك النسخة فاخرة التزيين المعدة من اجل البلاط الانكليزي ، وهي الان في المتحف البريطاني (٨) ، ويرجع تاريخها الى هذه الفترة ، وفي ١٤٨١ نشر وليم كالستون تاريخ غودفري البوليوني وفتح بيت المقدس وهووترجمة كالستون الخاصة للكتب التسع الاولى من تاريخ هرقل ، اعني التي تغطي حياة غودفري البوليوني مع مقدمة قصيرة وخاتمة من تاليف كالستون نفسه ، وقد حرف كالستون العمل كما تبين من عنوانه ، وتذكر مقدمته كأبطال ثلاث عظام آرثر وشارلمان وغودفري ، والكتاب هكذا سيره ذاتية لغودفري اكثر منه تاريخ للحروب الصليبية ، وهنا نرى النص العامي يستعمل مرة اخرى وهذه المرة لاكمصدر تاريخي كما استعمله ببيذو ولكن كجزء من سيرة ادبية راسخة وقابلة للمقارنة بالسير المحيطة بارثر وشارلمان ، وهي في الواقع ليست اقل من مادة جديدة وقد اعيد نشر كتاب كالستون في ١٨٩٣ من قبل وليم

موريس الذي اعاد في مطبعة كلمسكوت . طبع الطبعة الأولى (٩) من كتاب كاكستون ، وفي السنة نفسها نشرت جمعية النصوص الانكليزية القديمة طبعة من عمل كاكستون بواسطة ماري كولفن (١٠) ، ولسوء الحظ أنه الى الحد الذي يعني مصادر كاكستون ، فإن مقدمة الآنسة كولفن ثانوية تماما ومضللة بدرجة كبيرة وهي لاتقصر نفسها على تاريخ وليم وترجمته الفرنسية ولكنها تضع تعليقات واسعة نوعا ما على أرذول وبرنارد وكلها قائمة على البحوث المختلفة لماس لاتري المنشورة في الفترة التي سبقت طبعتها مباشرة ، ولكن هذه لاتمثل دائما مكتشفات ماس لاتري بدقة ، ولحسن الحظ أن تأثير هذه الطبعة على الدراسات التالية يبدو أنه معدوم ، وبعد منشورات كاكستون ١٤٨١ فان النيول وكل النصوص المرتبطة بها يبدو أنها نسيت لنحو ٢٠٠ سنة ، وليس حتى ١٦٧٩ أن ظهر أي عمل جديد على النصوص وقد قدمت في حينه بصورة غير متقنة جدا ، وبحيث لم تثر بين النقاد سوى الشك في مصداقيتها ، وكان مؤلف العمل صمويل دي بروويه ـ صاحب «سيرتي دي لي غوتتة» الذي ادعى أنه قد ترجم الى الفرنسية الحديثة « مخطوطا قديما جدا » وفي مقدمته أكد مطولا على اخلاصه الكلي للنص (١١) وفي الواقع أنه كان بشكل عام يعتبر أنه قد أكد كثيرا وأكثر من اللازم وكانت العقبة ان لااحد سواه رأى المخطوط الذي زعم بأنه أعطي له من قبل كبارت دي فيلرمونت كما أنه لم يعرف في الواقع حتى اليوم ، وهذا الظرف مجتمعا مع الاختلافات بين تاريخه والحقائق المعروفة آنذاك حول الحروب الصليبية جلب له عدم التصديق الاجتماعي في نقاد الأدب ،وتعطيه « دورية العلوم » نوعا ما من جوائز الترضية لكونه من السائغ القراءة فيه ، وغير ذلك فانها لم تزعج نفسها بالتحري عن مصدره (١٢) . ولكن الرواية التي حواها كتاب دي برويه هي بشكل واضح تماما نسخة معدلة من النص الذي نعرفه الآن باسم « تاريخ ماوراء البحار » الموجود في مخطوطين ف . فر ٧٧٠ و١٢٢٠٣ في المكتبة الوطنية ، وكما ذكر سابقا في استعراض النصوص المتبقية (١٣) هناك فروق بين الكتاب المطبوع

والمخطوطين الباقيين تكفي للايحاء بأن مخطوط دي بـرروويه لم يكن أيا منها ، ولكن لايوجد أي ظل محتمل للشك في أنه استعمل مخطوط آخر للنص نفسه ، هـذا وأن نص دي بـرروويه مصـان ، ويبقـى اكتشاف اذا ماكان المخطوط الذي استعمله دون شك مايزال بـاقيا.

واخيرا ظهـرت في ١٧٢٩ أول طبعـة حقيقية للنيول ففـي مجلد (٥) من كتابهما « المصنف المجموع » لكل مـن مـارتيني وديوارند نشرا نيل تاريخ وليم الصوري ، اعتمـادا على مخـطوطة امتلكها غاستون دي نوللي (١٤) وذلك بعنوان :« نيل تـاريخ وليم رئيس اساقفة صور » ولم يذكرا اسم المؤلف (١٥) .

وشعرا أن من الضروري أن يضـيفا الى هـذا مسردا للكلمـات الفرنسية القديمة العسرة ، وشروحها التي لايمكن معرفتها بسهولة من قبل قراء تقتصر معرفتهم على اللغة الفرنسية الحديثة، ولكنهمـا لم يوفرا اي جهاز نقدي ، والمقدمة تحـوي ببسـاطة مـديحا لوليم وبعض الملاحظات على الصـعوبة اللغـوية للتـكملة وتـاريخ تأليفها ، ولكن طبعتهما قد أدت مع ذلك الهدف الضروري جدا وهـو توفير نص واحد من التكملة بصـورة مـطبوعة ، وتقـديم نقـطة ماالمقارنة بطبعة موراتوري في الكتـاب ٢٥ لتـاريخ ببينو ، وقـد لوحظ التماثل بين النصين للمره الاولى من قبـل مـانسي في طبعتـه لحوليات رانيالدي ، ويجدر حكمه بالاقتباس الكامـل لانه يبين كيف ان خطأموورتواري ، مع كونه فرضية لم يعترض عليها ، بل ايضـا غير مثبتة ببينة من نوع رديء تدعمه ، أصبح نبـنه اكثـر صـعوبة بكثير ، وبعد اقتباس فقرات من النصـوص المنشـورة مـن قبـل موراتوري ومارتيني ويوراند خلص الى مايلي :

Ex his patere arbitror Gallicum Latinumque scriptum unum idemque esse opus Bernardo Thesaurario tribuendum, quod a doctissimis Gallici editoribus ignoratum fuit. Discimus pariter F. Pippinum mutilum codicem Gallicum nactum fuisse, cum Latinam Historiam nonnisi ad annum 1230 circiter perduxerit. ... Continuavit utique Thesaurarius historiam suam usque ad annum 1274 quo Lugdunense I Concilium celebratum fuit; ejusdem enim in fine historiae suae meminit. Hinc etiam de aetate Bernardi Thesaurarii, quam Muratorius ex conjectura tantummodo subodoratur argumentum capere licet. (١٦)

ومحور جدل ماذسي وأساسه ان نص مارتيني وديوراند ومصدر نص موراتوري كانا واحدا ، وكان واضح الصواب جدا حتى أن أحدا لم يتمكن بأي حال من دحضه ، وقد حمل معه بقية تأكيداته وتعريفه للتاريخ بنص المخطوط غ . ج مع الذيل حتى ١٤٧٥ كمصدر لتاريخ ببيذو حتى ١٢٣. بدا معقولا تماما ، ألم يشك ببيذو نفسه بأن المخطوط الذي كان يستعمله كان ناقصا ؟

وهكذا كان موراتوري مبرأ ، وهكذا بدا ، وكان هناك مع ذلك تيار رأي منافس ينسب التتمة الى رجل يدعى هوغ بلاغون ، وبينما كان من السهل رؤية كيف ولماذا ظهر خطأ موراتوري بدا أن هوغ بلاغون قد أوجد من لاشيء فاسمه لايظهر في أي مخطوط الذيول ، أو النصوص المتعلقة بها ، ولكنه يذكر للمرة الاولى من قبل دو كانج في مسرد شروح ١٦٧٨ في قائمة المؤلفين باللغة الدارجة ، الذين تم الرجوع اليهم من قبل هوغ بلاغون في نص وليم الصوري ، فهذا ماجاء في مقدمة المسرد (١٧) ، فقد نسب دوكانج الى بلاغون ترجمة التاريخ ، ولكن دوم كاربينير محقق كتاب دوكانج أضاف الى هذه الطبعة في ١٧٦٦ اشارة الى نص مارتيني وديوراند وهكذا نسب الى بلاغون التتمة كما نشرت في كتابهما المصنف المجموع (١٨) ومنذ ذلك الحين فصاعدا تتنافس هاتان النسبتان المتساويتا الزيف بعزو الذيل الى برنارد من جانب وهوغ بلاغون من جانب آخر ، تتنافسان مع بعضهما بعضا ، وقد تبع فيفريت دي فونت وهو محقق كتاب ليونغ « مصادر التاريخ الفرنسي » في ١٧٦٩ كاربنتير ، كما فعل ميوسيل في مراجعته لكتاب ستروفيوس « مصادر تاريخية » في ١٧٨٦ (١٩) ومع ذلك فان

ميشو قد تبع ماذسي في طبعة ١٨٢٢ من كتابه « مصادر الحروب الصليبية » وقد ترجم ملاحظته مزودا أياها بمقارنات اضافية بين طبعتي موراتوري ومارتيني ليدعم استنتاجات ماذسي [٢٠] .

وأخيرا وأكثر اهمية فان غويزو وقد لاحظ أنه لاتوجد مدرستان للفكر في الموضوع اثر رأي ماذسي وقد نشر مجموعة مذكراته المتعلقة بتاريخ فرنسا « مجموعة مذكرات متعلقة بتاريخ فرنسا » في ٣٠ مجلدا خلال السنوات ١٨٢٣ ـ ١٨٣٥ ، والمجلد ١٩ يحتوي على مايسميه تاريخ برنارد الخازن وهو في الواقع الترجمة الفرنسية لوليم مع نيل مارتيني وبيوراند بعدها ، و في الواقع ان معرفته بالنصوص بالكاد يختلف عن معرفتهما ، ومقدمته تعيد اخراج كل رصيد الملاحظات على مايمكن الآن ان يسمى تقليد ماذسي ، ولكن غويزو اتخذ خطوة واحدةهامة الى الأمام فهو قد بين أنه بينمايكمل نص مارتيني وبيوراند حتى ١٢٧٤ فان مخطوط ببيذو عن برنارد على مايبدو توقف عند ١٢٣٠ ، ونسي على مايظهر ادعاء ببيذو بأن مخطوطه كان على أي حال ناقصا ويقدم غويزو الآن النظرية المفيدة ، والتي هي اتفاقا صحيحة ، ان نيل تاريخ وليم الصوري في الواقع ليس واحدا بل سلسلة من النيول ، وبصرف النظر عن هذا فان طبعته غير جديرة بالملاحظة فهي نص معروف من قبل مع ترجمة فرنسية حديثة على الصفحة المقابلة ، مع حواشٍ نيلية بشكل رئيس ذات أهمية تاريخية وليست متعلقة بالنص .

وبدأ الاسهام في حقل الدراسة يلي بعضه بعضا كثيفا وسريعا ، واول ماظهر بأكثر من معنى واحد ، وهو الأكثر وزنا كان الطبعة التي أخرجها أعضاء أكاديمية النحت عن تاريخ وليم بالنص اللاتيني مع الترجمة الفرنسية مع النيول بأربع روايات [٢١] اضافة الى تكملة روثلين وقد نشرت هذه في مصنف راشيل «مؤرخو الحروب الصليبية» ،كمجلد (١) ومجلد (٢) من سلسله المؤرخين الغربيين ،وظهر المجلد الاول من جزأين في ١٨٤٤ ويتألف من « التاريخ » الصحيح مع الترجمة الفرنسية

تحته في حين أن المجلد الثاني الذي نشر في ١٨٥٩ يقدم كل النيول ، وهو عمل دال على البراعة الحقيقية ، وبالطريقة التي اختارها المحققون هي اخذ نيل واحد ونيل « أ و ب » اي نص كولبرت فونتنبلو كنص رئيسي حتى نهاية الكتاب ٣٣ (١٢٤٧ م) ثم طباعة منوعات ع . ج و س . ج و د في حواشي نيلية ، أو في حالة الفقرات الموسعة ، كنص مستقل في نيل الصفحة ونص روثلين (٢٢) مطبوع بصورة مستقلة في النهاية ، وطبعتهم هكذا لايمكن تثمينها لأي دراسة للنيول فهي تقدم كما تفعل كل الروايات الرئيسية في صورة تسمح بسهولة المقارنة .

وهناك عقبة واحدة كبيرة مع ذلك ، أعني الاغراء بالسماح لصورة الطبعة المختارة من قبل المحققين بأن تحكم مسبقا للقارىء في قضية أولوية احد النيول على الآخر ، وأن تقود وبغير وعي الى قبول أفضليته على « أ وب » وحتى الى اعتبار كل النصوص الأخرى صورا مختلفة لهذين الاثنين ببساطة لانهما طبعا هكذا ، وللتأكد هناك حجة تتخذ لعمل ذلك بالضبط ، ففي الواقع إن ماس لاتري سيمضي فيما بعد بعيدا الى حد تأكيد أن نص « أ و ب » هو الأقرب للتاريخ الأصلي لأرنول : ولكن هذا ليس بأي وسيلة مسألة مطروحة ومنتهية واحدى الحجج الرئيسية حول هذه الدراسة ستكون ان الادعاء القائم هكذا حول نصد أ و ب» ليس مسوغا.

ومقدمة المحققين النيول في المجلد الثاني هي خليط غريب لاستنتاجات مستخرجة بدقة ، وحدس فج والمثال على الاول هو الفقرة (٢٣) حول أصل المخطوط « د » في حين ان كل المادة حول أرنول وبرنارد يجب ان تنقل الى الفئة الثانية ، وقد يكون المحققون محقين في استنتاج ان التواريخ القصيرة التي تحمل هذه الأسماء لا يمكن ان تصنف على نحو يتوافق مع نيول وليم الصوري بغرض تحقيقها ، ولكن الاقتراحات التي في مقدمتهم تؤدي الى هذه النتيجة ويجب ان ترفض تماما فليس لديهم على سبيل المثال أسس كافية

حتى للافتراض (٢٤) بأن أرذول وبرنارد كلاهما مخلصين للأعمال السالفة أكثر منهما مؤلفين بحق ، أو نقطة ضعيفة أخرى في المقدمة ، برغم أن هذا ليس تأكيدا زائفا بقدر ماهو تأكيد مضلل هي تحليلهم (٢٥) للذيول الدقيقة بين الاثنين الفترة ١١٨٣ ــ ١٢٢٩ قائلين ببساطة بأن في هذا القسم يتكون التذقيح الغربي من الذيل الشرقي في صورة موجزة .

ويبدو هذا في البداية نقطة صغيرة ، ولكن بأخذها بقيمتها الظاهرة فإنها تفسر منذ البداية اي دراسة للعلاقات بين الذيول ، والمقارنة الدقيقة للنصوص تظهر انه في المقام الاول أن الصلة بين الاثنين أكثر دقة مما يوحون وأنها في الواقع من نوع مختلف بالمرة ، وفي المقام الثاني فانه يصبح ظاهرا بسرعة ان مثل هذا التقسيم الصارم للنصوص في نسختين منفتحتين غير واقعي تماما ، وإجمالا فان طبعة الاكاديمية للذيول تبعث على الاعجاب في كل مايتعلق بالنصوص ولكن المقدمة يجب ان تعالج بحذر في الاقسام المتعلقة بالذيول ، في حين ان الفقرات حول ارذول وبرنارد من الافضل اغفالها تماما ، ونشر هذه الطبعة يدخل فيما يمكن أن يوصف بالعصر العظيم لدراسات وليم الصوري ، وفي سنة ١٨٦٠ السنة التي نشر المجلد الثاني نشر لويس دي ماس لاتري كتابه « دراسة تصنيفية لذيول تاريخ الحروب الصليبية لوليم الصوري » (٢٦) ، في ١٠٢ صفحة ، حيث قام بهجوم مباشر على المشكلة الرئيسية التي لم تمس حتى حينه حول أصل تنوع الذيول المتبقية ، استهدفت حركته الأولى ، محاولة اختزال الظاهرة في تعابير قابلة للفهم ولترسيخ خمس فئات من المخطوطات ، وكان المعيار الوحيد هو الزمن الذي وصل اليه التأريخ ، وهذا النهج مضلل الى حد ما ، لأنه يحجب الحقيقة (التي كان ماس لاتري بالطبع مدركا لها بشكل جيد جدا) وهي أن المخطوطات التي تتبع فئات مختلفة قد تكون متشابهة لبعضها بعضا في أقسام معينة من نصها على سبيل المثال « س ج وغ ج و د » في الجدول الذي على صفحة ٧ ــ ٨ كلها تتوقف عند تواريخ مختلفة ، وهي توضع بناء

عليه من قبل ماس لاتري في فئات مختلفة ، ولكنها جميعا تعطي النص نفسه (انظر الجدول) للفترة ١١٩٧ ـ ١٢٣١ وبكلمات اخرى فان فئات ماس لاتري تمضي الى ماوراء حدود عائلات المخطوط ، هذا وإن « الدراسة » ايضا مكتوبة بتركيز شديد حتى انها مشوشة أحيانا ، ومع ذلك فانه أول رسم المشكلة بتعابير عامة هو أول محاولة ناجحة لتقويم المعتقدات الموجودة حول مجموعة وليم الصوري ، والتمييز بين الحقيقة والخيال والتخمين ، وعلاوة على أن تصنيف ماس لاتري للمخطوطات وفر الاطار ليس فقط من أجل أبحاثه الخاصة التالية ، بل من أجل كل الذين تلوه في هذا الميدان حتى الوقت الحاضر .

وبصرف النظر عن تصنيفه المخطوطات المعروفة له ، فان ماس لاتري عالج ايضا العديد من المشكلات ذات العلاقة وأبرزها هوية برنارد وايضا هوية أرنول الذي شد الاهتمام الآن للمرة الأولى ، وحتى هذه النقطة لم يبذل اي اهتمام بمخطوطات التواريخ القصيرة التي تحمل اسماءها ، الا من قبل محققي الأكاديمية الذين اتوا على ذكرها فقط ليستعبدوها .(٢٧) وقد ترجم سيرتي دي لي غوتيه « التواريخ » وقد عالجت كل الدراسات الأخرى اما « التاريخ » أو الذيول الحقيقية ، مع أن كثيرا منها كما رأينا نسبتها جزئيا أو كليا لبرنارد ، والآن صنف ماس لاتري أخيرا كل المخطوطات المعروفة من قبله ، سواء للذيول أو للتواريخ القصيرة فتعامل معها كأنواع مختلفة من جنس أو أصل واحد وبين هذا في حد ذاته أنها كما لو كانت بطريقة غير مصنفة بعد ، ومرتبطة ببعضها بعضا ،أما كيف تترابط بالضبط ، هي المسألة التي شغلته والتي مضى شوطا مانحو تحديدها، وأشار عمله بالنهاية الى حل ، لكنه لم يتوصل الى هذا الحل ، وكانت الفرضية التي طورها أن الذيول المرتبطة بالنص الفرنسي لوليم تتكون جزئيا من تواريخ مستقلة كتبت في أوروبا وفي بلاد ماوراء البحار ، قبل اجراء الترجمة ثم تكيفت فيما بعد من أجل الاستعمال كذيول ، وقد استنتج ان تواريخ أرنول

وبرنارد كانا اثنين من النوع الاخير ، وفيما يتعلق بارنول اقترح ماس لاتري ايضا ان النص الذي ذكر فيه اسمه وهو « المختصر » ، رواية ١٢٢٩ ليس في الحقيقة أفضل رواية محفوظة من عمله بل ان نيل كولبرت فونتبلو (أ وب) التي كثيرا ماتعطي رواية أكمل كثيرا القصة الاساسية نفسها ، هي أكثر انتاجه صحة ، وهذا الايحاء يبدو أنه فقد تماما من قبل المؤرخين الحديثين الذين عندما يشيرون الى أرنول يعنون بصورة لاتتغير بذلك التاريخ الذي يسميه كما نشره ماس لاتري ، والايحاء الآخر لماس لاتري هو أنه اعتقد أنه من الممكن رغم عدم البرهنة على ذلك ان التاريخ الأصلي لأرنول قد توقف ابكر من ١٢٢٧ (النهاية هي جزء النص الذي يحوي اسمه) جزئيا لأنه بدا أن هناك تبدلا في تنقيح عن أو حول وفاة هنري دي شامبين في ١١٩٧ ، وجزئيا بسبب تلميح من قبل رالف الكوغشالي الى تاريخ فرنسي هو ترجمة من قبل رتشارد رئيس دير رهبان الثالوث المقدس في لندن اعتقد ماس لاتري انه يمكن أن يكون تاريخ أرنول [٢٨] ، فاذا كان كذلك اذا فلابد أنه قد وجدت في حينه رواية لهذا النص متوقفة في ١٢٢٠ أو قبلها عندما ألمع اليها رالف ، ولكن ماس لاتري غامضا حول الطبيعة الصحيحة ، وكذلك حول اتساع عمل ارنول مشيرا الى القسم المتقدم على ١١٩٧ من التاريخ مع اسمه كأنه لم يكن هذا هو التاريخ الأصلي لأرنول بل إنه على الاقل تاريخ سالف استعمل من قبل ارنول وأن ارنول نفسه منقح [٢٩] أولي أو مصنف واجمالا لابد أن شيئا مايمكن قد توقف عند ١١٩٧ لكن ماهو ؟

وهل ألف ارنول أم انه قام بمجرد جمع ؟ وكل هذه الاسئلة المتروكة دون حل من قبل ماس لاتري ، سوف يتم التعامل معها في فصول تالية ،و بالنسبة لتاريخ برنارد الخازن بين تماما ماس لاتري أخيرا خطأ موراتوري ، وأكد أن برنارد لم يترجم وليم بل إن عمله كان مستقلا تماما عن « التاريخ » الذي يمكن أولا يمكن أن يكون برنارد على معرفة به ، وعند هذه النقطة يزحف بعض التشويش

على حجة ماس لاتري ، فهو يذكر بوضوح من جانب أن برنارد الف تاريخه (أ في الجدول الموجود في ص ١٠ - ١١) باستنساخ التاريخ القصير وفيه اسم أرذول (ز) ومضيفا تكملة قصيرة أصلية حتى يوصله الى ١٢٣١ وأيضا البداية التي مطلعها « سنة التجسيد »

ولكنه من جانب آخر يورد بيانات حول برنارد لايمكن بحال أن نستنتج من الأقسام الصغيرة لكامل النص « د » (٣٠) وهذا الاخفاق في التمييز بدقة كافية ، وبصورة متساوية ومتماسكة بين عمل برنارد الخاص ومصدره ، مع أن المرء يقدر تماما صعوبة القيام بذلك في متاهة النصوص المتنوعة ، وهذه احدى السمات الأكثر ارباكا في « الدراسة » ومن الضروري الاشارة باستمرار رجوعا الى بيانات ماس لاتري المحددة لرأيه في برنارد وقراءة كل مادته الأخرى عن برنارد في ضوء ذلك (٣١) وأخيرا يستنتج ماس لاتري من استخدام ببينو لبرنارد ، أنه في الزمن الذي كان يكتب فيه ببينو في ١٣٢٠ كان تاريخ برنارد قد امتص تماما من الذيول ، وفحص جديد لببينو سوف يظهر في فصل تال أنه بينما كان يوجد بالتأكيد بحلول ١٣٢٠ روايات عن « الهرقليات » تتضمن أجزاء من التاريخ المنسوب الى برنارد ، لم يكن هكذا ان ببينو قد عرف برنارد ، ولكن كعمل تام ومستقل ، متماثل وأن يكن غير مشابه للعمل الذي نملكه الآن في نص « أ » أو بينما يبين ماس لاتري ويصحح خطأ موراتوري فان شبحه مايزال مستحوذا عليه ، ثم يمضي ماس لاتري بعد ذلك في القسم الثاني من « الدراسة » ليدرس الذيول الحقيقية في فترتها الأولى ، أعني حتى ١١٣٢ ، وهي أيضا مجال هذه الدراسة ، ويبدأ بملخص مفيد للنتائج التي قاده اليها القسم الأول بادئا بواحدة يناقض فيها نفسه ،أكد أنه هناك ترجمات لوليم تقدم عمل برنارد نفسه ، وفي وقت أسبق كان يهاجم فيه فكرة ان برنارد لم يكن يعرف عمل وليم ، أكد أنه هناك ترجمات لوليم تقدم عمل برنارد نفسه وأنه بناء عليه كان ممكنا تماما لبرنارد أن يعرف « التاريخ » في ترجمة

فرنسية (٣٢) وهـو يعلن (٣٣) الآن كنتيجة رئيسية أن أرذول وبرنارد كلاهما قد كتبا تاريخهما قبل أن تجري أي ترجمة لوليم وفي وقت متأخر مع ذلك (٣٤) رجع الى فكرته الأولى مرة أخرى وأعلن متذمرا نوعا ما :« يبدو لي مرة ثانية ، من خلال التاريخ أنه (أي برنارد) كان لايعرف بوجود ترجمة فرنسية للتاريخ العظيم للحروب الصليبية » .

ومن بقية هذا القسم تخرج أفكار جديدة عديدة برغم أنها تخمينات حول دور ماس لاتري أكثر منها استنتاج من البينات ، فهي بين أكثر اسهاماته قيمة ، وليس غير كثير أن الفحص الدقيق النصوص الباقية حتى الآن ، يشمل مخطوطا هاما واحدا لم يكن ماس لاتري يعرفه (٣٥) والعديد مما لم يوليه اهتماما حقيقيا ، يؤدي إلى نتيجة منطقية كان قد سبق له أن قدمها كفرضية متخيلة ، وكثيرا مايكون مصيبا ، ولكنه غير قادر على عرضها بصورة مقنعة ، وهذه المعالم يقدمها ليرشد إلى طريق لم يكن هو نفسه قادرا على اتباعه حتى نهايته ، وهو على الأقل بقيمة النتائج نفسها التي توصل إليها بالفعل وأحيانا أكثر .

لقد أحدثت « الدراسة » ثورة في دراسة الذيول ، ولسوء الحظ إن الأثر لم يكن محسوسا على الفور ، إذ في شباط ١٨٦١ ظهرت دراسة للودويغ ستريت لم تأخذ الدراسة في الحسبان بالمرة ، وحيث أن ستريت يشير إلى عمل ماس لاتري حول ارذول مجسدا في كتابه « تاريخ جزيرة قبرص » فإنه من المعقول افتراض أنه كان لابد أيضا أن يشير إلى « الدراسة » لو أنه كان يعرفها إذ أنه لابد أنه كان مكبا على كتابة بحثه الخاص ، والحكم من تاريخ النشر الفعلي في الوقت نفسه الذي كان فيه ماس لاتري يكتب « الدراسة » والمفروض أن يكون قد وصلت إليه متأخرة جدا ، وعلى كل الأحوال ففي كتابه « ذيل تاريخ ماوراء البحار لوليم الصوري باستثناء مواد غاليكو » (٣٦)

(واخفق الأسلوب الواعد بشكل مؤسف في كل صفحة)

ونسخ استريت إلى حد ما العمل الذي قدمه ماس لاتري في « الدراسة » ولكن أيضا غطى بعض الجوانب الجديدة التي لم يمسها ماس لاتري ، وهذا يجعل من المستحق الاحاطة بإيجاز بمضمون ما أسماه « لباوس » وهو يعرض بنفسه خطة عمله بقوله :

> Itaque ab initio, quo melius disputatio procedat, breviter superiorum sententias recensebo . . . , tum ad ipsam caussam [*sic*] ita aggrediar, ut primum de totius corporis transmarini compositione disseram . . . , deinde narrationis, quae primae continuationis loco habetur, originem et propagationem investigare studeam . . . , denique scrutari incipiam, num certa quaedam illi cum Guilelmi Tyrii historia intercedat condicio quidve auctor secutus sit.(٣٧)

هذه أربعة أهداف من أجل « لباوس » في نحو ٧٠ صفحة ، وهذا هو العناء الرئيس في بحث استريت فالاقتصاد يتجه نحو التردي وإلى السطحية ، ومع ذلك فإن لديه شيئا ما ليقوله حول كل هذه الموضوعات تاركا جانبا غير الأصلي والواضح ، ويمكن أن نلخص إسهامه هكذا فهو ينبذ (٣٨) التمييز الذي قام به محققو الأكاديمية بين التنقيح الغربي والشرقي مبينا أن هناك ارتباطات متقاطعة بين الاثنين ، وهو مع ذلك لايصل إلى فكرة تقاطع مشتركة لمصدر المادة ، ولكنه فيما بعد يعطي فهرسا مساعدا ، وإن كان سطحيا وناقصا لمختلف الشرائح التي ترد في أكثر من نص واحد ، وهو أيضا ينتقد محققي الأكاديمية لوضعهم ثقتهم في نص المخطوطين « أ و ب » ولكن حججه في هذه النقطة ليست مقنعة في الواقع ، وهو يعطي (٣٩) أمثلة على القراءات السيئة في هذين المخطوطين ، وهذا في الواقع حجة القول بأنهما ليسا مخطوطين جيدين للنص الذي يعطيانه ، ولكن هذا ليس ما ادعاه محققوا الأكاديمية في المقام الاول ، والأحرى أنهم أكدوا أنه حيث يختلف نص هذين المخطوطين جذريا عن ذلك الذي تعطيه الروايات الأخرى عن الذيول في المحتوى وليس في مجرد الصياغة ، فإن رواية « أ و ب » هي التي تعتبر النص الأقدم ، ويبدو أن ستريت قد خلط نوعا ما بين المخطوط والنص ، وعلى أي حال فإن الحجج التي يعطيها (٤٠) حول أولوية

س . ج على كل الروايات الأخرى مقنعة بصورة ضئيلة ، وأكثر الأجزاء أهمية في عمله هو الفصل القصير الأخير حول أرذول ، فاستريت يظهر أرذول مؤهلا بشكل يعيد إليه اعتباره ، وكان مجردا حتى الآن من المعرفة لأن الكل قد نسبوا إلى برنارد ما يعتقد ستريت أنه من عمل أرذول ، أعني التاريخ القديم الممثل أعلاه على صفحة ٧ ـ ٨ بحرف « ز » ويجب تذكر أن ستريت يعتقد أنه أصلي جدا في إيراد هذه النقطة لأنه لم يقرأ « دراسة » ماس لاتري وهو يشير إلى فرض أرذول كموافق لباليان دي ابلين في الحصول على معلومات عسكرية صحيحة ، ويتفق مع الرأي القائل بالاعتراف بأنه من عمل أرذول الذي لاينازع ذلك الجزء من التاريخ الذي يشكل العمل الأكثر تكاملا مع تاريخ ابلين .

وهو يعتقد مع ذلك بأن أرذول قد مضى بعيدا إلى ماوراء الهدف الذي وضعه هو نفسه في جملته الافتتاحية مكملا تاريخ فلسطين لنحو ٤٠ سنة بعد فقدان بيت المقدس ، وبكلمات أخرى لايقبل ستريت نظرية أن أرذول قد توقف في أ قبل ١٢٢٧ ، بل إنه يعتقد أن عمل أرذول كما هو الآن مجزأ ، (٤١) فالأوهام التاريخية ينبذها كسمة لطريقة أرذول ويعتبرها إضافات أجنبية ألحقت بالذيل (٤٢) ومرة أخرى يكرر تفضيله لرواية س . ج ، وبالنسبة للسؤال إذا ماكان أرذول قد استمد من « التاريخ » من أجل الجزء الأول من تاريخه ، يصل ستريت إلى النتيجة الغريبة أنه قد فعل ، ولكنه كثيرا لايتفق مع وليم وهما كما لاحظ سابقا مؤلفان مختلفين جدا .

ثم يثير ستريت بعض النقاط الصغيرة ، ولكنه لايخطو أي خطوة كبيرة قدما ، وكانت هناك عشر سنوات أخرى قبل ظهور عمل آخر ملموس . هذه المرة في صورة طبعة نقدية من قبل ماس لاتري لما عنونه باسم « تاريخ أرذول وبرنارد الخازن (٤٣) » وكانت هذه طبعة النصوص ، سمت المؤلفين ، هي التي مثلت في الجدول الذي على صفحة ٧ ـ ٨ بحرف « ز و أ » على التوالي ، وقد تم تبني مخطوط من العائلة نفسها مثل « ز » هو بروكسل ١١١٤

كأساس ، والاشكال المختلفة لما سمي بمخطوطات (٤٤) برنارد أعطيت في الحواشي النيلية ، وإضافة إلى ذلك فإن الاقسام المميزة لعائلة « أ » المنسوبة من قبل ماس لاتري إلى برنارد نفسه . أعني المقدمة التي تبدأ بعبارة « سنة التجسيد » والقسم الأخير الذي يغطي السنوات ١٢٢٧ – ١٢٣١ طبعت بالحروف المائلة في البداية والنهاية ، وأعيد طبع « الدراسة » لعام ١٨٦٠ كملحق بالطبعة ، وأضاف ماس لاتري أيضا مدخلا جديدا انسجاما بين طبعته وطبعات موراتوري ومارتين وغويزوت والاكاديمية ، ومع النيول ، وكذلك أضاف أخيرا ، أوصافا للمخطوطات وللطبعات السابقة التي استعملها .

وفي المدخل تطورت آراء ماس لاتري كما يتوقع المرء عن تلك التي عبر عنها في « الدراسة » قبل ذلك بأحد عشر عاما ، والتغيير الاكثر قابلية للملاحظة هو أنه الآن يشد الانتباه إلى القيمة المحتملة لمخطوط ليون (د) (٤٥). دون التخلي مع ذلك عن رأيه السابق بأن نص كولبرت فونتنبلو (أ و ب) هو الاقدم والاكثر قيمة بين الجميع ، ومخطوط آخر أيضا هو بروكسل ١١١٤ قد أدركه اهتمامه حديثا فقط ، وفي الواقع إنه قد أعد طبعته بدونه ، وقد انتهى تقريبا عندما لفت كيرشن دي لتنهوف انتباهه إلى المخطوط ١١١٤ من المكتبة الملكية ببروكسل الذي هلل له ماس لاتري الآن على أنه « نص أعطى فرصة إضافية لتقرير مصنف نص أرنول » (٤٦) .

وقد بدأ مرة أخرى باستعماله بصورة شاملة كأساس لطبعته ، وكان مايزال لايعرف والواقع أنه لم يعرف مطلقا ، مخطوطا كان من الممكن جدا أن يفضله حتى أكثر من مخطوط بروكسل ، هو مخطوط القديس أومر ٧٢٢ (مخطوط ز) ويبقى من المدهش أن ماس لاتري وقد أخذ كما كان باكتشاف مخطوط بروكسل ، لم يدرك أنه كان حريا أن يغير آراءه حول تأليف شريحة « سنة التجسيد » الى

آخره التي مازال يسميها تـوطئة بـرنارد والتـي طبعهـا بناء عليه بحروف مائلة في بداية العمل ، وسـوف نرى فيمـا بعـد أن هـذه الشريحة كانت في الأصل غير مرتبطة كليا بالتاريخ الذي يرتبط بـه الآن ، لأنها لم تكن توطئة ، ولأنها لم تكتب من قبل برنارد (٤٧) .

وغير ذلك فإن المدخل يتعامل على نحو واسع مع ببيذو ، متعقبـا تاريخ خطأ موراتوري ، ومرة أخرى إنه لغريب أن ماس لاتـري لم يستثمر بأي حال بشكل كامل البينة التي يقدمها ببيذو لنا حول عمل برنارد ، بل إنه نبذ مسألة أي نص بالضبط هو ماظن ببيذو أنه مـن عمل برنارد على أنها غير ذات أهمية (٤٨) ، بالتأكيد لأن نبذ سـوء تفسير موراتوري لبينة ببيذو حيوي ، ولكنه ليس أقل جوهرية النظر إلى لما قاله ببيذو حقا حول مصدره ، وقد وجدت الآن طبعات يمـكن استعمالها برغم أنها غير دقيقة للنص اللاتيني وللذيول الفـرنسية ، وللتواريخ القصيرة المنسوبة إلى أرذول وبرنارد ، وبقيت ترجمة وليم محققة بصورة غير وافية نوعا ما لأنها في مصنف راشـيل كانت قـد أعطيت منزلة حاشية نيلية ، ويبدو أن جهدا استثنائيا أقـل نسـبيا مما بذل للنص نفسه قد بـذل في سـبيله ، وبناء عليه اقتـرح بـولن باريس إخراج طبعة من « الهرقليات » أي التـرجمة والذيول معـا قائمة على المخطوطات التي تخص امبرواز فيرمين ـ ديدو ، وظهر المجلدان ١ و ٢ من هذا العمل المخطط له ، وهما يحويان الترجمة مع أوصـاف بيت المقـدس والجليل مـن النص الذي نشره مـاس لاتـري ، وقـداضيفت كملحـق للمجلد الثـاني في ١٨٧٩ و ١٨٨٠ (٤٩) وكانا مـزودين بحـواش نيلية ومسرد للكلمات الصعبة وخرائط لونيون ، وهـذان المجلدان يجعـلان المرء يأسف كثيرا في الحقيقة لأن البقية لم تظهر (٥٠) .

ومن ذلك الحين لم تنشر سوى قطعة كبيرة واحدة من العمل وهي تتعلق بالذيول كما تتعارض مع وليم نفسه ، وترجمة وليم هذه هـي « المصنف المجموع» (٥١) لراينت ، ونشر في ارشيف الشرق اللاتيني لعام ١٨٨٠ ـ ١٨٨١ وهو فهـرس لكل المخـطوطات المعـروفة لكل

النصوص سواء « الهرقليات » أو التواريخ القصيرة وهو تحسين لتصنيف ماس لاتري على الرغم من أنه قائم على الأسس نفسها ويبقى القائمة المعيارية حتى يومنا هذا (٥٢) .

وقد أوقفت كل البحوث من زمن راينت على نصوص أخرى من المجموعة سواء « التاريخ » نفسه أو النيل اللاتيني أو الترجمة الفرنسية ، ولم يوقف منها شيء للنيول الفرنسية أو التواريخ القصيرة وكل هذا سوف يوجد مدرجا في ثبت المراجع ، ويبدو ذا علاقة هنا أن يذكر فقط تلك التي رغم أنها لاتتعلق بالنصوص التي تشكل موضوع هذه الدراسة أعني النيول والتواريخ القصيرة ، فإن لها بعض الصلة بالمسألة التي بين أيدينا ، وقد حقق ماريان سالوخ في ١٩٣٤ التكملة اللاتينية التي وجدت ملحقة « بالتاريخ » في التحف البريطاني المخطوط Reg. 14.c.x., (٥٣) وفي ١٩٤٣ نشرت اميلي بابكوك و م . س كراي ترجمه انكليزية للتاريخ تحت عنوان «الاعمال المنجزة فيما وراء البحار» (٥٤) وفي سنوات حديثه نشر ر . س . ب هو ينجز العديد من المواد العالية القيمة عن وليم تتضمن طبعة من فصل السيرة الذاتية المفقود من « التاريخ » (٥٥) وهو يعد الآن مع هـ . ي ماير طبعة جديدة من « التاريخ » (٥٦) .

ماالذي يبقى إذا ليفعل ؟! أي دراسة للنيول الفرنسية والتواريخ البسيطة مفيدة الى حد ما بأن تأخذ كنقطة انطلاق عمل ماس لاتري الذي يشكل في التحليل الأخير العمل النقدي الوحيد للنيول الذي يستحق أن يؤخذ بجدية كبيرة ، والوحيد الذي من المعقول أن توضع عليه أي درجة من الاعتماد ، ويصف ماس لاتري بوضوح بعض العمل الذي تركه ليعمل بعده « هو انهاء الفوضى الأساسية المتعلقة بتصنيف نيول تاريخ وليم الصوري » (٥٧) .

وسيكون هذا هو الهدف العريض للدراسة الراهنة ، وضمن ذلك

الهدف الأكثر دقة وهو إعادة بناء تاريخ أرذول على الاقل في خطوطه العريضة حيث لاتسمح بما هو أكثر وحيث يكون ممكنا بالتفصيل .

ومن جانب آخر إن استنتاجات ماس لاتري عندما تفحص بإمعان تنقلب احيانا لتصبح أقل من محكمة ، وطريقته الكاملة في تحليل النصوص تستدعي عددا من الاسئلة على سبيل المثال القول عند إحدى النقاط في تتمة فونتبلو « أ و ب » وعند نقطة من بروكسل ١١١٤ (٥٨) بأنها تشكل أقرب من تاريخ أرذول الأصلي ، وهو يفترض أنه سوف يوجد نص واحد يكون أقرب من النصوص الأخرى كلها من الأصل ، في كل قسم منه (٥٩) . وفيما يتعلق بالطبيعة المركبة لكل النصوص ، فإنه من الواضح أن هذا ليس يقينا يمكن الاعتماد عليه ، وهويميل أيضا بالاشتراك مع كل عمل في النصوص لأن يتعامل مع كل منها ككل ، وبرغم أنه يعرف أن كل منها هو مجموعة من الأجزاء التي كانت يوما مستقلة عن بعضها بعضا فإنه لايعالج الأجزاء المنفصلة ، والاسئلة التي يسألها حول النص تنطبق دائما على الكل مع أنها يمكن أن تكون بطبيعتها الذاتية مرتبطة بمرحلة مبكرة من تطور التصنيف حتى أن النصوص التي لدينا لايمكن بأي حال أن تعطي أي جواب ذي معنى .

فعلى سبيل المثال بسؤال الى أي مدى كان تأليف معين قريبا لارذول الأصلي ، من الجوهري السماح على الاقل بإمكانية أن مراحل جديدة من التطور تفصل الاثنين ، وأن بعض أجزاء من النص يمكن أن تكون قد عانت تماما تغييرا أكثر من أخرى في العملية ، ويبدو أكثر منطقية وكذلك أكثر ربحا بقوة جعل الوحدات التي في التجمعات دائمة التغيير تذهب دائما الى تنظيم النصوص ، وليس هذا صعب العمل فيما يتعلق بالعدد الكبير نسبيا من النصوص التي نجدها في المتناول المقارنة .

وسوف نبدأ ، اذا بدراسة مقدار ماهو معروف عن هويات شخصيتين ضبابيتين يجب أن توجه اليهما إشارات دائمة في دراسة

النصوص وهما أرنول وبــرنارد ومــا الذي كتبــاه قبــل فحص بنية مختلف الروايات في « الهرقليات » .

الفصل الثالث

المؤلفون المفترضون

أرنول وبرنارد

١ـ أرنول

في نيسان ١١٨٧ أرسل غي لوزنغنان الى تابعة المتعب ريموند صاحب طرابلس وفدا يتألف من رئيس اساقفة صور مع مقدم الداوية والاسبتارية وريذو صاحب صيدا ، وبالين دي ابلين ، وانشقت الجماعة في نابلس حيث تخلف بالين في المدينة بينما تابع الآخرون رحلتهم متفاهمين على أن عليه أن يلحق بهم في اليوم التالي عند قلعة الفولة ، وبذلك لم يكن حاضرا عند الاشتباك المفجع والسيء التخطيط ، والذي وقع بين فرسان المعبد ومجموعة الاستطلاع بقيادة الافضل بن صلاح الدين وهو الاشتباك الذي يسمى احيانا بمعركة الناصرة ، وعندما وصل بالين الى الفولة ، في اليوم التالي وجد المكان على مايبدو مهجورا « وبناء عليه بعث خادمه أرنول إلى الداخل ليسأل من يجده فيه » مخطوط ز ـ ورقة ٣٢ ظ ـ العمود (١) .

إن هذه هي صياغة أربعة مخطوطات الاولى منها هي برن ٤١ ، وبرن ١١٥ ، وبروكسل ١١١٤ (١) وكل المخطوطات الاخرى من الموجز ومعظم تلك الهرقليات، وتروى الحادثة بالطريقة نفسها بالضبط مع مجرد حذف اسم خادم بالين (٢) ويقوم على هذا الذكر القصير أساسا اي ارتباط باسم أرنول بأي من النصوص وهذه بينة ضعيفة ربما بذاتها ، ولكنها ليست بلا سند

قوي من مصادر أخرى وللبـــداية بتعـــابير عامـــــة ، ان جـــزء المختصر ، الذي يرد فيه ذكر اسم ارنول هو بقوة وبصورة مــوحدة مؤيد لموقف ابلين ، ويتعارض في تخمينه لشخصية باليان ومقاصده مع تواريخ معاصرة أخرى ، وهناك على سبيل المثال مسألة علاقــة بالين بصلاح الدين ، ويذكر كاتب المختصر بشكل واضح انهما كانا صديقين مقربين تماما ، ولكنه يرجع ذلك الى شرف بـــالين ، كمـــا يظهر جيدا بشكل خاص في روايته حول مفاوضات بالين مع صـــلاح الدين من أجل افتداء فقراء بيت المقدس بعـــد أن ســـقطت المدينة في أيدي العرب المسلمين في ١١٨٧ وطبقـــا للمختصر اســـتخدم بـــالين نفوذه لدى صلاح الدين لتخفيض المبلغ المطلوب الى نسب معقـــولة ، ثم طالب علاوة على ذلك بتحـــرير ٥٠٠ مـــن الناس بـــدون فـــدية ، كمعروف شخصي له ، وأن صـــلاح الدين وافـــق على هـــذه الشروط مراعاة لصداقته مع بـــالين ، وليس ببســـاطة كحصـــيلة للمســـاومة الدبلوماسية المعتادة والبعيدة عن الشك .

: ‘Lors s’amolia Salehadins, et dist que, pour Diu, avant, et pour l’amor de lui qui l’em prioit, metroit le raençon a raison, si qu’il i poroient avenir. (٣)

وفي مكان آخر يشار الى بالين وأخيه بولدوين . صـــاحب الرملة على أنهما البارونان الفرنجيان الوحيدان في بلاد مـــا وراء البحـــار اللذان كان العرب المســـلمون يخشـــونهم حقـــا وعند ارتقـــاء غي لوزنغنان سدة الحـــكم في ١١٨٦ رفض بلدوين تقـــديم الولاء له لأنه كان يعتقد أن غي وزوجته سيبل ، التي أدعى بـــأحقيته بـــالملك مـــن خلالها ، قد توجا بصورة غير مشروعة ، وقد عهد بأراضيه وبـــابنه الصغير توماس الى أخيه بـــالين ، وتـــرك مملكة بيت المقـــدس الى انطاكية حيث دخل في خدمة بوهموند ويقول المختصر :

‘Quant Bauduins de Rames ot ensi fait, si vint a Balyan de Belin sen frere, se li carja son fil et sa tiere a garder, et prist congiet, si s’en ala. Dont che fu mout grans duels et grans domages a le tiere, et dont Sarrasin furent mout lié, car il ne douterent puis homme qui fust en le tiere, fors Balyan son frere seulement, qui demoura. (٤)

وقد أدخلت الحادثة بالتأكيد البهجة الى معسكر العرب المسلمين لأن المعارضة لغي كانت واسعة الانتشار ولم يكن بولدوين اللورد الوحيد الذي ترك المملكة عند ارتقائه العرش .

وثار انشقاق ونزاع عام بين بارونات الفرنجة وسرعان ما انشقت البلاد الى معسكرين منهم الموالون لغي وخصومه الذين اعتبروا ريموند صاحب طرابلس رئيسهم غير الرسمي ، وكان انقساما عجزت الدولة الصغيرة عن احتماله وكان اليه يعزى بالاجماع سقوطها ولكن « المختصر » . يتخذ رأيا مختلفا تماما من الحادثة المقتبسة أعلاه ، فهو يجعلها لا تصور الحالة العامة للاضطرابات السياسية السائدة في المملكة بل أهمية رجل واحد هو بلدوين صاحب الرملة ، وهذا نموذج لكامل معالجة « المختصر » والنصوص الاخرى حيث تتفق مع المختصر ، تعطى أهمية أكبر لأسرة أبلين مما كان لها حقيقة ، ومما كان لها هذا من قبل بشكل كبير .

علاوة على أن التواريخ الاخرى رغم معرفتها جيدا بعلاقات أبلين الوثيقة بصلاح الدين تضع تفسيرا أكثر اثارة للشك وحتى ازدرائيا صريحا لها وهي ليست مادحة جدا في وصف الطبائع الاخلاقية لباليان ، ومؤلف المدخل التمهيدي ، الذي على نحو لا يمكن انكاره يمثل القسم المتطرف من نقاد أبلين إلا أنه ليس منفردا بآرائه فهو يعطى هاتين الاشارتين الى أبلين .

Porro Balisantus, mortuo rege Amalrico, matrem puellae duxerat uxorem, quae Graia faece a cunis imbuta, virum moribus suis habebat conformem, saevum impia, levem mobilis, perfidum fraudulenta.(٥)

. . . contigit Stephanum de Torneham, ipsis obviare exeuntibus a Salahadino de Jerusalem, quorum nomina tunc temporis ob notam infamiae satis erant notoria. Unus eorum vocabatur Balianus de Ybelino, alter Reginaldus de Sydone.(٦)

وبكلمات أخرى إن شهرة ومقاصد أسرة أبلين . لم تكن بالمرة أمرا محددا فهل كانوا يا ترى الفرنجة الذين استخدموا نفوذهم الشخصي من أجل خير بلادهم أو كانوا ببساطة متعاونين ، أو ماكرين أو خونة ؟ مشهورين أي سيئي السمعة ؟ إن « المختصر » بلا تردد في جانب الابلينيين .

وبدقة أكثر إن التأكيد بأن مؤلف هذا الجزء من النص كان تابع بالين دي أبلين قد تأيد أيضا بواسطة الرواية ، ومن وصفه لمعركة حطين حيث من المؤكد أنه هو نفسه قد اشترك فيها ، وهو يصف المعركة من وجهة نظر جنود المؤخرة ، وفي هذا النص وتلك النصوص المرتبطة به عند هذه النقطة وليس في أي تاريخ آخر ، نقرأ قصة الساحرة العربية التي وجدت من قبل سرجندي من قوات المؤخرة وهي تلقي التعاويذ (٧) ، وبعد ذلك كل الرواية هي في المقام الأول عن عمل جند المؤخرة ، ومن المعروف جيدا من مصادر أخرى ان جند المؤخرة كانوا تحت قيادة بالين دي أبلين في ذلك اليوم ، علاوة على ذلك بعد المعركة يمضي المختصر في وصف هرب بالين ، مع واحد أو اثنين حيث كانت رحلته الى بيت المقدس ، وادارته للمفاوضات لتسليمها قد وصفت سابقا أعلاه ، وهذه الرواية برغم انها ليست بدون الضعف والانحياز الذي سبق لنا ملاحظته كسمة لها ، هي في الأساس دقيقة تاريخيا ، أي أنه لا يبدو ، عند مقارنتها مع مصادر أخرى بأنها قد حرفت الحقائق ، بل إنها فقط قد قدمت تفسيرا غريبا لها ، وكامل النص الذي تفحصناه للتو ، من معركة الناصرة الى استسلام بيت المقدس هو أحد أجزاء هذه التواريخ الاكثر قيمة ، والتي يستعملها المؤرخون الحديثون ، ولا يبدو إذا أن هناك سبب لعدم تصديق البيان المعطى في المختصر ، بأنه كان ارنول خادم بالين دي أبلين « الذي كان له الفضل في الكتابة » .

ان المعنى الصحيح المعزو الى تلك الكلمات مسألة كبيرة وحيوية ، وفي الوقت الراهن فإن هوية الرجل المسمى هي المسألة

التي في أيبينا ، وهناك ثلاث قطع من البينات خارج النص يفترض أنه قد كتبها تلقي مزيدا من الضوء عليها .

اكتشفت الاولى واختيرت من قبل ماس لاتري في كتابه « تاريخ جزيرة قبرص » وهي وثيقة قبرصية ، معاهدة حلف هجومي دفاعي مدته خمس سنوات بين قبرص وجنوة ، أبرمت في نيقوسيا ومؤرخة في ٢ كانون أول ١٢٣٣ (٨) وبين أسماء الشهود اسم ارنايكس دي غيبلتو ويذكر المحقق أن هجائيات رسم أخرى للكلمات توجد في أماكن أخرى ، ولكنه لا يعطي أي مراجع ، وكما يبين ماس لاتري إنه بالطبع ليس مؤكدا أن هذا الرجل والرجل المشار اليه في « المختصر » واحد ، وهو نفسه ، ويحتمل أنه لا يمكن اثبات ذلك بطريقة أو بأخرى ، ولكنه احتمال واحتمال قوي عندما يتذكر المرء أنه كانت هناك صلة وثيقة بين عائلتي أبلين وغيبليت ، وفيما بعد عند فحص النيول سوف نجد مثالا واضحا حول طفل غيبليتي كان يربى في أسرة أبلين (٩) وأنه على الاقل يحتمل جدا أن أرذول الذي كان في ١١٨٧ يتعلم مهنة السلاح كتابع لبالين دي أبلين كان هو أرذول دي غيبلت نفسه الذي في ١٢٣٢ كان رجلا ذا أهمية كافية في قبرص ليشهد على معاهدة ذات أهمية وطنية ، وكانت قبرص في ذلك الوقت محكومة بفعالية من قبل الايبلينيين الذين كانوا هكذا في وضع يمكنهم من المكافأة بمنصب رفيع ، وهو اخلاص ظهر أثره على كل صفحة من المختصر ، وقصة أن أرذول التابع كما يدعى أدت الى تسجيلها كتابة ، والاشارة الثانية الى أرذول سجلها فيليب النوفاري في قائمة لمشاهير المحامين والقانونيين الذين تلقى منهم تعليمه القانوني الكامل ولو أنه غير رسمي .

Apres fui moult acointé de monseignor de Saeste a Baruth et a Acre et en Chypre; et moult de chozes m'aprist la soie merci volentiers. Et apres tout ces grans seignors et sages usai moult en cort entor messire Guillaume vesconte et messire Harneis et messire Guillaume de Rivet le joune, qui moult estoient grans plaideors. Et au reaume de Jerusalem fui je moult acointé de messire Nicole Anteaume et de sire Phelippe de Baisdoin, qui estoient grans plaideors en cort et hors court. (١٠)

ولسوء الحظ لا يخبرنا فيليب أين عرف ارنيس وكما يمكن أن يرى من هذا الاقتباس فقد سافر كثيرا ولكنه يقرن اسم أرنيس باسم وليم دي ريفت الذي نعرف أنه كان في قبرص في الفترة موضوع البحث ، أعني في ١٢٢٠ حتى قبيل وفاته ١٢٣٠ .

وترد آخر اشارةالى أرنول في الهرقليات ، مع أن ذلك ليس في القسم الذي تتعلق به هذه الدراسة ، وفي صيف ١٢٣٢ نجد أرنيس دي غيبلت محاصرا في قلعة إله الحب من قبل قوات ريتشارد فيلا نجيري

Or retornerons a Richart le mareschal. Apres ce que il ot fait l'eschec a Casal Ymbert, il envoia en Chypre les Chypreis qui o lui estoient, et de la soe gent ausi. Quant cil furent venus en Chypre, si firent ensi que il orent le chastel et la vile de Cherines et la Candare, et la tor de Famagoste, et assegerent Deu d'Amors. Dedens le chastel de Deu d'Amors estoient . ii. serors dou roi, damoiseles Marie et Ysabel; et si y avoient chastelein Felipe de Cafran, et y estoit Arneis de Gybelet, que li sires de Barut avoit laissé cheveteine de la terre, qui moult poi y mist de conroi, si que neis le chastel ou les serors dou roi estoient, et il meismes ne garni il mie; ains dut estre perdu par soffraite de viande; et a grant mesaise et a grant meschief se tindrent tant que il furent rescos.(١١)

ومن هذه الاشارات الثلاثة يمكننا أن نبني صورة تخطيطية ، إلا أنها مساعدة تماما لارنيس دي غيلبت وهو رجل له اهمية كبيرة في الحقلين القانوني والسياسي ، وهو في الدول الصليبية كان معقدا أكثر من المعتاد في أغلب الأوقات وفي معظم الاماكن ، وحياته يبدو أنها قد أمضيت في بطانه أسرة أبلين الحاكمة والتي في أواخر ١٢٢٠ وأوائل ١٢٣٠ كان حكمها قد تأسس بإحكام في قبرص ، وكل هذه العوامل ستؤخذ بالاعتبار في تعيين ما الذي أمكنه وما لم يمكن أن يكتب بالضبط من مجموعة التواريخ التي هي موضوعنا ، وقد آن الآن الوقت للتحول الى الشخصية التي خلف الاسم الوحيد الآخر الذي تحفظه التواريخ لنا وهي شخصية برنارد الخازن .

برنارد الخازن

حالما نبدأ بدراسة برنارد الخازن نواجه بعبارة ظاهرة التناقض ، كما رأينا عند استعراضنا لحالة الدراسات ، لقد كان ينسب اليه تأليف أقسام كبيرة مختلفة من التواريخ سواء المختصر أو النيول أو ترجمة « التاريخ » حتى طبعه ماس لاتري في ١٨٧١ ، ومع ذلك فإن بينة المخطوط في ربط اسمه بالتواريخ هي في الحد الأدنى بالمرة ، وملحق بنهاية المخطوطين برن ٣٤٠ وارسنال ٤٧٩٧ هذه الاشارة للناشر « أعمال ما جرى في بلاد ما وراء البحار للراهب برنارد الخازن من رهبانية القديس بطرس غوربي — المجموع ٢٣١ (١٢) » هذا كل شيء ، إن برنارد مسمى في مخطوطين فقط من عائلة من خمسة مخطوطات تحتوي النص نفسه ، ثم في اشارة نشر فقط ، وليس مثل ارنول في صلب النص ، ومع ذلك فلكل هذا يكون من غير المعقول التخلي بخفة عن صلة التاريخ هذه بغوربي ، إذ أن دير الرهبان كانت له شهرة عالية كمركز للدراسة واستنساخ المخطوطات ، وكان مكانا عاليا على الأرجح لتأليف الروايات باللغة الدارجة عن الحروب الصليبية.

وقد تمتع دير القديس بطرس منذ تأسيسه بثروة طيبة فريدة ، ففي ما بين ٦٥٧ — ٦٦١ حولت باتيلدا أرملة كلوفيس الثاني مقر مستعمرة رهبانيه لوكسيل الى غوربي ، حيث منحت الطائفة الجديدة الأرض والماء بسخاء ، وقد تويعت رعاية هذه الطائفة من قبل ستة ملوك ميروفنجيين هم : كلوثير الثالث شيلدريك الثاني ثيري الثالث كلوفيس الثالث شيلدريك الثالث وداغوبرت الثالث ومن قبل ببين القصير وشارلمان ،حتى أن مزايا الدير عندما قدمت للتأكيد عليها من قبل راعي الدير ليوتشر بين ٧٥١ و ٧٦٨ ، ذكر أن الدير يملك أملاكا واسعة في

والميزة الأخرى لغوربي كانت الميزة الطبيعية لموقعه ، على بعد ١٢,٥ ميلا فقط من المركز الرئيسي لأميين على تقاطع الطرق الرئيسية من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب عاملا ذا اهمية خاصة في فترة الحروب الصليبية ، مما أوجد حركة أكثر من المعتاد بين معظم أقسام المجتمع ، وفي كل الاوقات كانت غوربي في تماس مباشر مع مجيء التجار ونهابهم ، وكذلك الحجاج سواء من الاكليروس أو عامة الناس والمبشرين والجنود ، وكثير من مثل هؤلاء الناس لا بد أنهم قد لقوا الحفاوة حتى في الدير نفسه ، وقد أسهم هذان العاملان بدرجة كبيرة في النمو السريع لفرقة النسخ ومدرسة غوربي ، وعبر عن احتلاله لمكانته العلمية وانشغاله بالبحث في الاجراء الذي اتخذه اولهارد الاكبر في ٨٢٢ (١٣) من اجل حصر استخدام ورق البردي من قبل الدير ، وقد أصبحت مخطوطات غوربي شهيرة جدا في الواقع ، وكان على المرء فقط أن ينظر الى كتاب مابلون « الدبلوماسية الملكية » (١٤) ليرى أي عدد متفاوت من صوره مأخوذه من مخطوطات غوربي ، وكان لغوربي تأثير كبير على المدارس الرهبانية الاخرى وعلى الشؤون غير الرهبانية أيضا ، وكان رهبانه يتجولون في كل أنحاء أوروبا لهدف أو لآخر ، وقد جاء كل من هاربرت راعي دير لوبس ويودس أسقف بوفيه وباسكارس رادبرتس ومنافسه راترمنوس ودروثمار اللغوي الذي درس في مدارس ستيفلوت وماليدي، وأخيرا الراهب يوحنا الذي ساعد في تأسيس مدرسة قصر الفريد في وينشستر جميعا في الاصل من غوربي ، واستمرت شهرة الدير طويلا في الفترة التي تهمنا ، وذلك اعتمادا على الروايات المتوفرة حول مكتبته والفهارس الموضوعة لعام ١٢٢٠(١٥)وما بعده ، واجمالا كان غوربي في اوائل القرن الثالث مكانا مثاليا لتأليف التاريخ الصليبي ، فقد كان لديه كل التسهيلات الضرورية لمثل هذه المهمة : غرف النسخ ومكتبته وشهود عيان من الصليبيين العائدين ، وموارد مالية ووسائل لنشر العمل الناتج، وعليه فليس مما يدهش أن نقرأ في اشارة الناشر المقتبسة أن التاريخ قد صنع (بأي معنى صنع مسألة تالية) من قبل برنارد

الخازن من دير الرهبان ، وكان قدرا معينا من النقاش حول ما إذا كان برنارد هذا راهبا أم لا قد تركز على بينتين ، توحي الاولى بأنه كانت له أملاكه الخاصة والثانية بأنه في الوقت المتعلق بـذلك لم يكن هناك راهب بهذا الاسم في غوربي (١٦) ، وقد عولجت الاولى من قبل بولين باريس الذي اقتبس ما يلي من سجلات الدير:

' . . . sous la date de 1203, une charte de l'abbé, confirmant à notre trésorier la propriété de ce qu'il avait acheté d'un chevalier nommé Bernard de Moreuil, antérieurement à la donation que ce chevalier avait fait de ses biens à la même abbaye (١٧)

والآن فإن حكم س . بنديكت لافت للنظر حول مسألة الاملاك الشخصية من كل الانواع (١٨) ، فمع ان هناك ظروفا في ظلها كان المرء يمكن ان يجد راهبا بندكتينيا مشغولا بمعاملات تتعلق بالممتلكات فإن ايا منها لايوائم الحالة الموصوفة هنا ، وعلى سبيل المثال لابد انه كان ممكنا افتراض ان راعي الدير كان يعطي الخازن الممتلكات موضوع البحث لاستعمالها ضمن البنية المالية العامة للدير ، ويذكر النظام الاساسي لادلهارد بشكل خاص مثل هذه الطرق على انهـــ

مرغوبة وفعالة ومرة أخرى نجد الخازن يشتري أملاكا وليس هذا مدهشا : ويجب أن نفترض أنه كان يعمل نيابة عن الطائفة ولكن هنا فإن راعي الدير هو الذي يؤكد أملاك الخازن بمعنى انه كان يقصد أن تكون له شخصيا ، وفي الواقع ان هدف هذا المرسوم كان كما يبدو التمييز بدقة بين جزئي أملاك برنارد دي موراي والجزء الذي باعه للخازن وهو ما يؤكد راعي الدير هنا أنه ملك للخازن ، والجزء الذي وهبه بالتالي للدير كرهبانية ، واجمالا إن التفسير الذي لا يمكن تفاديه للمرسوم يبدو في كون خازن غوربي في ١٢٠٣ كانت له ممتلكات خاصة ، وعلى هذا الاساس وحده يجب أن نؤكد أنه لم يكن راهبا محترفا . وليس مؤكدا بالطبع أن الخازن في ١٢٠٣ والخازن في ١٢٤٢ كانا واحدا والشخص نفسه مع أن بولين باريس كما يبدو اعتقد أنهما كذلك ، وهناك مع ذلك صعوبة

اخرى حول برنارد الخازن أعني أن سجلات الدير حول عام ١٢٣٢ لا تذكر أحداًبهذا الاسم ، وهذا ظرف اقترح ماس لاتري أنه يمكن أن يفسر بغياب برنارد الطويل على سبيل المثال في الحج (١٩) وهذا يعني ان عمله لم يكن في الواقع يتم في غوربي وانما يعني فقط انه جاء اصلا من دير القديس بطرس في غوربي ، واقوى اعتراض على هذه النظرية (التي هي بالطبع على أي حال فرضية صرفة) هو ارتباط العمل الذي لا جدال فيه بشمال شرق فرنسا ، وهذه الصلة سوف تصبح أبدا أكثر ظهورا كلما تقدم فحص مصادره وتآليفه ، والاحتمال البديل بأن برنارد كان ينتمي الدير دون أن يكون راهبا ، وهو بالتضاد مقبول بشكل تام،ففي أي دير في العصور الوسطى كان هناك دائما تقريبا عدد من عامة الناس يعملون في وظيفة أو أخرى ، وفي دير له حجم وأهمية غوربي يحتمل أن العدد كان كبيرا تماما (٢٠) ، وفي الواقع ان وجود مثل هؤلاء الناس في المجتمعات الرهبانية اصبح مشكلا نوعا ما ، وكانت اصلاحات هيرشو مصممة لاختزال اعدادهم وتأثيرهم على حياة الطائفة ، وكان بعضهم مرتبطا بوظيفة رسمية على سبيل المثال كخدم منازل أو كتذفيليين ممن يمكن أن يشغلوا مناصب ذات أهمية ، دون أن تكون دينية ، وكلا النوعين يمكن أن يعتبر كأعضاء في العائلة الرهبانية ولكنهم أعضاء من العامة ، وبصرف النظر عن هؤلاء مع ذلك كانت هناك فئة كبيرة من الناس ، قدم لها الدير النوع الوحيد لسياسة التأمين المتوفرة ، وكانت مشتركة للأفراد ، وأحيانا لعائلات كاملة حيث كانوا يدخلون الدير حاملين كل ممتلكاتهم للطائفة ، مع أن هذا عادة يكون مع الاحتفاظ بحق الانتفاع لأنفسهم مدى الحياة ، وهكذا يعطيهم ضمانا لايمكن للدنيا ان تعطيه (٢١) في الأزمنة المضطربة سياسيا ، ومثل هؤلاء المنذورين ، كما كانوا يسمون كانوا يعدون بطاعة راعي الدير في الأمور التي ترتبط مباشرة بحياتهم في الدير،ولكنهم كانوا يحتفظون بحقوقهم الشرعية التي لايحتفظ بها الرهبان المنذورين ، وكان هذا الترتيب واضح النفع لكلا الطرفين ، فكان الامن سلعة قيمة للواحد ، والثروة للاخر ،

وكان هناك ايضا كثير من الناس ممن لجأوا الى احد الاديرة في سن متأخرة ، وطبقا للبروفسور ليغ كان هذا مــا فعله دينيس بيرامس ، وكما بينت فإن ديرا مزدحما مثل دير القديس ادموند من غير المحتمل ان يدع موهوبيه يمضون دون الافادة منهم (٢٢) وبلا شك ان غوربي قد استثمر ايضا العباقرة من عامة الناس استثمارا كامــلا ،وقــد اظهر برناردنفسه موهوبا كمصنف للتــواريخ فقــد اعطيت لحــريته العنان في بيت كان بحق فخورا بمكتبته .

واجمالا ، كانت هناك طرق عديدة كان يمــكن فيهــا لرجــل مــن العامة ان يجد نفسه في عام ١٢٣٢ خازنا في دير بند كتي كبير ، وفي وضع يمكنه من ان يكون له كتاب معــد لمكتبتــه وليس كبير الاهمية لفحصنا لتاريخه معرفة اذا ماكان برنارد راهبــا او مــن العــامة ، وماهو مؤكد انه كان مرتبطا بغوربي وان عمله سوف يحمل اثارا من تأثير الوسط الديري ، على الرغم من ان منزلته الخاصة بــالضبط في الطائفة ، وهكذا ففي ارنول وبرنارد لدينا رجلان كانا بــطريقتين مختلفتين مشغولين بشكل رائع بتأليف مثل هذه التواريخ مثل تأليف الموجز والنيول فكل من اســميهما مــرتبط بــالموجز ، فمــاذا كانت بالضبط اسهاماتهما المتعلقة بهذه النصوص ؟

الفصل الرابع

عمل برنارد الخازن

الظروف التي سمي تحتها ارذول وبرنارد مبينة في روايتي الموجز (١) ـ وهي تختلف بطريقة تعطينا بذاتها بعض الادلة على الاختلاف في اسهامهما في هذا التاليف ، وارذول مذكور بالمناسبة بطريقة لاتعطينا اي دلالة حقيقية بالمرة عن مقدار ماهو مؤهل له ، دع عنك مقدار ماهو في الحقيقة مقدار حصافته ، ولكن اسم برنارد يضاف رسميا الى عمل تام ، أما ما الذي كانت وظيفته بالضبط لانعرف بعد ، ولكن من الواضح انه بطريقة ما او باخرى كان مسؤولا عن العمل بكلتيه في الصورة التي لدينا الان في المخطوطات المسماة برن ٣٤٠ وارسنال ٤٧٩٧ (٢) .

واول شخص ذكر صلة برنارد بالتواريخ كان بالطبع فرانسسكو بيبنو التي وصفت من قبل اشارته الى برنارد في استعراض حالات الدراسات (٣) وكما رأينا يبدو ان بيبنو لم يقصد ان ينسب الى برنارد مادة كامل الكتاب التي يذكره فيها كمصدر ، بل فقط اجزاء خاصة منها ، وفي الواقع انه يسمي في اماكن اخرى مصادر اخرى مثل كتاب اوليفر البادر بورني « تاريخ دمياط » وفنسنت البرفيزي (٤) وبروكاردوس التي بذاتها كانت كافية لمنع الخطأ الذي ارتكبه موراتوري في عنونة كامل الكتاب « الاستيلاء على الاراضي المقدسة »

وكان زيف هذا العنوان مصورا بقوة من قبل ماس لاتري الذي بين ان برنارد لم يكتب شيئا زيادة عما هو مضمن في المخطوطات التي تحمل اسمه ، ولكن ماس لاتري ، استبعد مسألة ماالذي كان يحويه بالضبط مصدر بيبنو على انه غير هام ، واذا ماكان قد

استعمل مخطوطا من ترجمة وليم الصوري مع الذيول الى عام(١٢٣٠)او مخطوطين منفصلين واحد للترجمة وواحد لتاريخ برنارد كما هو لدينا الان في المخطوطات مع اشارة الناشر (٥) ، وهذا الاستبعاد يبدو نوعا ما قاطعا ، اذ انه في اي حال فان المعلومات سوف تؤثر بشكل خطير تماما في رأينا عن برنارد فيما يتصل بالذيول ككل ، فاذا كان البديل الاول صحيحا فان ببيذو اذا كان لديه مخطوط من الاثر المنقح للهرقليات ينتهي في عام(١٢٣٠)، وهو غير باق حتى الان في اي مخطوط علاوة على انه كان معلما عند نقطة ما باسم برنارد ، وهذا يوحي بانه يحتمل على الاقل ان اهتمام برنارد الاصلي كان ان يكتب نيلا للرواية الفرنسية للتاريخ التي بدورها تعني ان مايسمى حاليا بتاريخ برنارد لابد انه من نوع مامن الاختصار واعادة العمل في ذلك الاصل.

والبديل من ذلك يمكن ان يكون قد فسر على انه يعني ان مصنفي تلك الرواية المفقودة لعام ١٢٣٠ من الهرقليات قد استمدوا من عمل برنارد للسنوات التي سبقت ١٢٣٠ وان اسهامه بناء عليه لايمكن ان ينحصر في قسم ١٢٢٩ ـ ١٢٣١ الموجود فقط في روايته عن المختصر ، وليس في الرواية التي تذكر ارنول . واذا كان جانبا اخر يمكن بيان ان ببيذو قد استعمل مخطوطين وان نسخته من تاريخ برنارد كانت اقصر من اي نسخة نعرفها الان ، ففي تلك الحالة يثار مرة اخرى السؤال : بأي مقدار يكون برنارد المؤلف الاصلي ؟ اليس من الممكن انه بقدر مايكون مخطوط برن ١١٣ نسخة من تاريخ برنارد المعروف ، بدون اسم المؤلف (الذي كما رأينا نعرفه فقط من مخطوطين اخرين للنص المماثل)(٦) فان بروكسل ١١١٤ هو نسخة من التنقيح الاول لعمل برنارد ، الذي يسمى على انه له هنا ، ولكنه قد سمي هكذا في المخطوط الذي عرفه ببيذو ؟ وقد حددنا ماالذي لم تدعيه .

وفي الواقع ان ببيذو يبدأ كتابه الخامس والعشرين بترجمة دقيقة نوعا ما ، للرواية الفرنسية « للتاريخ » مرجعا اياها للاتينية ،

مختصراً هنا ومسهبا هناك ومضيفا مادة من مصادر اخرى ، وهـو يتابع هذه الترجمة حتى الفصل الاول مـن الكتـاب الرابـع مـن الهرقليات (تسلم فولك اوف انجو ملكا لبيت المقدس) حيث يتخلى عنه فجأة لصالح المختصر الذي يستعمله كمصدر اساسي له مـن تلك النقطة ومابعدها ، دون اعتبار تماما لما اذا كان اكثر معلومات مـن الهرقليات وهـو ماليس كذلك دائما تقريبا ، وفي هذه الناحية كمـا في نواح اخرى كثيرة ان طرق بيبنو غامضة ، وليست مشكورة بالمرة ، وهـو غير مؤرخ ، فعلى سبيل المثال في فصـله ١٢٦ ينقـل المعلومـة الخاطئة تماما التي يعطيها الموجز عن الحصار المفترض لعسـقلان من قبل فولك اوف انجو ولويس السابع وكونراد الذي يعطي تـاريخ هرقل عنه رواية دقيقة وعرضا اكثر اهمية بكثير من الكتاب السابع عشر ، تحت حكم بلدوين الثالث (٧) ولكن يمكن ان لايكون هناك شك حول اي نص استعمله بيبنو كمصدر له.

إنه في ذلك الجزء المبكر من الموجز الذي يوجد في الرواية المنسوبة لبرنارد ، وفي الرواية الاقصر التي تذكر برنارد ، ولكنه غير مـوجود في اي رواية من تاريخ هرقل(٨) ، وهـو غير ضروري فيه لأن ترجمة وليم تغطي الموضوع نفسـه ، وكان بيبنو بـالتأكيد يملك ويسـتعمل نصين احدهما نسخة من تاريخ هرقل والثاني تاريخ منسوب لبرنارد

ما الذي يحويه هذا النص الثاني ؟ إنه بـالتأكيد لا يتـطابق مـع المخطوطات التي لدينا الآن ، لأن هذه تمضي بعد النقطة التي ينتهـي عندهـا مصدر بيبنو ، ويقول :

> 'Haec de gestis Regis Johannis sumta sunt ex Historia Bernardi Thesaurarii. Qualis autem fuerit exitus non inveni, vel quod historiam non compleverit, vel quod codex, unde sumsi, fuit imperfectus. (٩)

هكذا كان ما وصل اليه نص بيبنو ولا يمـكن تشـبيهه بـالرواية القصيرة في الموجز(١٠) حيث أنه يمضي بعد أن يتوقف هذا النص ، ولا

بالرواية الأطول ، ونحن مضطرون لا ستنتاج انه كان يوجد هناك مع ذلك رواية أخرى للنص نفسه وهي التي ينسبها بيينو الى برنارد ، ومع ذلك من حقيقة أن تكيف بيينو يتطابق بدقة مع تاريخ برنارد الباقي حتى الآن ، يمكننا أن نستنتج أن هذه الرواية الأقصر له قد اختلفت فقط في الطول ، وحقيقة أن بيينو كان يعرف أن برنارد كان المؤلف برغم أن مخطوطه كان كما كان يعتقد ناقصا يوحي بشيء أبعد حول نصه ، أعني أن برنارد كان مذكورا بصورة مختلفة عما في اشارة الناشر في النهاية ، أو أن بيينو لا يمكن أن يكون كثير الشك في اكتمال مخطوطه وهكذا بدأ ماس لاتري ، فقد ادعى لنفسه أثرين منقحين من تاريخ برنارد ، وواضح الآن أنه كان محقا في ذلك (١١) ولكن يجب اضافة أن الأول يمكن ببساطة كما يوحي ، اعادة العمل في المادة الموجودة في الموجز الأقصر الى عام ١٢٢٧ ، لأن مصدر بيينو يتوقف فقط عند ١٢٣٠ ، والأحرى أن يبدو بناء عليه أن برنارد قد أخرج أولا تاريخا مشابها للتاريخ الباقي في ذلك الحين في كل الوجوه سوى أنه انتهى في ١٢٣٠ (وهو عمل يمكن أن نسميه ب ١) ثم أضاف قسما اضافيا موصلا اياه الى ١٢٣١ ، وهكذا أصدر الرواية الباقية حتى الآن (ب ٢) .

ويبقى هذا السؤال قائما فيما اذا كان برنارد مؤلفا أصليا بالمرة ، وهو سؤال تنقسم حوله المراجع تماما ، وتتجه الى تفسير كلمات اشارة دار النشر الصحيح ، وقد أيد بولين باريس الرأي القائل بأن برنارد أعد الكتاب ، ربما مستمدا كل المادة من مختلف المصادر المكتوبة ، بينما كان ماس لاتري واثقا بالقدر نفسه من أن برنارد كان مؤلف أجزاء على الأقل من النص ، وأن ما لم يفعله كان عدم تحرير الكتاب واخراجه فعلا بنفسه ، وكل البينات المتوفرة في جانب باريس .

والمادتان حول المكتبة وحجرة النساخ في كوربي من قبل دي ليسل وجونز (١٢) تعطي مجموعة مختارة من اشارات الناشرين ، ومع أن هذه كلها مأخوذة من مخطوطات كوربي فانها نموذجية نوعا ما ،

بالنسبة لمخطوطات العصور الوسطى بشكل عام ، وقد ألقت قدرا كبيرا من الضوء على ذلك في برن ٣٤٠ ويمكن تلخيصها كنماذج عديدة مميزة كما يلي:

(a) Ego Audoinus scripsi. (B.N lat. 13351)

(b) Hic codex Hero insula scriptus fuit, jubente sancto patre Adalhardo, dum exularet ibi. (Leningrad F.v.I.11)

(c) Isaac, indignus monachus, propter Dei amorem et propter compendium legentium hoc volumen fieri jussit. Quicumque hunc librum legerit, Domini misericordiam pro eo exoret. (B.N. lat. 17234. A

نسخة من القرن العاشر من الرسائل الانجيلية للقديس بول .

(d) Ad honorem tocius Trinitatis et perpetue ac gloriose virginis Marie et beatorum apostolorum Petri et Pauli et omnium sanctorum quorum corpora et reliquie in hac Corbeiensi ecclesia continentur, compositus est liber iste a fratre Iohanne de Flissicuria, anno ab incarnatione Domini MCCLXXV. (B.N. lat. 13222.

مجموعة طقسية دينية أعدت في ١٢٧٥.

(e) Amalarius: *De Divinis Officiis.* (B.N. lat. 11580).

وفي بداية هذا المخطوط لوحة كبيرة من القرن الثاني عشر تظهر القديسين بطرس واندروز وليونارد ، وأسقف أمالاريوس ، والراهب هربرت يقدمون كتابا والراهب روبرت ينسخ كتابا .

وتميز هذه النقوش بين مختلف العناصر في اعداد كتاب : التاليف ، التصنيف ، قرار أنه يجب أن ينسخ ، الفعل البدني الفعلي الكتابي .

وتدل الاشارة (أ) ببساطة على الناسخ : فقد كتب أودانوس المخطوط ، دون أن يكون له أي دور في تأليف محتوياته ، وفي (ب) و (س) يسمى الراعي ، وهو الشخص الذي بمبادرة منه أعد المخطوط وفي (ب) هو رجل له بعض المكانة ، أدلهارد نفسه الذي

عند عودته من المنفى وضع النظام الداخلي لدير غوربي ولكن في (س) هو راهب بسيط وفي (س) لا يحتمل أن اسحق يمكن أن يدعي بأنه كان له أي دور في تأليف الرسائل البولينية ، ولكن يقال بأنه قد تعهد اعداد الكتاب ، وفي (د) نصبح مسؤولين عن مجموعة طقوسية دينية مصنفة – من قبل جيان دي فليكسكورت الذي لم يقم بمجرد الاشراف على العمل ، بل إنه في الواقع اختار العناصر وجمعها بنفسه ، ومع ذلك فهو ليس المؤلف الاصلي ، والاكثر أهمية بين الجميع هو (إ) التي تصور كامل العملية ، وشرح جون للنصوص(١٣) ، هو الاوضح: الف امالا ريوس الكتاب بنفسه ، أعني أنه المؤلف الأصلي ، وتعهد (هربرت بنسخه) ونسخه روبرت .

أي من هذه الادوار مبين في اشارة دار النشر لبرن ٣٤٠ ؟ ليس هناك مجال للشك في أن برنارد كان هو الكاتب ، وبسبب وجود الرواية الاقصر من الموجز التي منها كانت روايته بلا منازع تكييفا وتوسيعا ، فنحن نعرف أنه لم يكن المؤلف الاصلي للمجموع بالمعنى الذي كان (أمالا ريوس) المؤلف « للديوان المقدس » فإما أنه كان مثل جيان دي فليكسكورت قد جمع التاريخ من مصادر عديدة ، وكانت الرواية القصيرة للموجز هي العنصر الرئيسي ، أو أنه كان مثل اسحق وهربرت ، أي أنه ببساطة قد أمر باعداد نسخة من أجل مكتبة الدير من العمل الذي كان موجودا بالفعل في صورته الكاملة ، وأقوى اعتراض على هذا الحل الأخير هو عنصر الوقت ، فقد أعطينا أن مخطوط برنارد قد استنسخ كما تعلمنا اشارة الناشر في ١٢٣٢ ، وأن آخر حدث مروي وقع في أيلول ١٢٣١ في القسطنطينية ، فهناك بالكاد وقت يكفي لكي تنتقل الاخبار الى فرنسا ، ثم تدمج في تاريخ حديث التأليف ، ثم يعاد نسخها في غوربي كل ذلك بين ربيع ١٢٣٢ (أول إبحار ممكن الى أوروبا) ونهاية السنة ، وهناك أيضا حقيقة الوجود الواضح لتاريخين لبرنارد مستكملين الى نقاط مختلفة ، فمن غير المحتمل أنه قد وجد مصدر مكتوب موافق بالضبط لمله الثغرة بين ب ١ و ب ٢ ،

والاكثر احتمالا بكثير هو الفرضية البديلة أن الرواية القصيرة للموجز كانت متوفرة في مكتبة غوربي ، وأن القطعتين المتواليتين اللتين أضافهما برنارد اليه كانتا من تأليفه الخاص ، ويحتمل أنهما قامتا على روايات شفوية للاحداث من قبل المحاربين الصليبيين العائدين .

اضافة الى الاستيفاءات التي تمت في كل مواضع الموجز من قبل برنارد ، وآخر قسم من تاريخه ، نسب اليه ماس لاتري أيضا على أنه عمله الاصلي الخاص ، المقدمة التي يستهل بها بداية تاريخه « سنة التجسيد » (١٤) . ولكن ماس لاتري كان حينئذ يلقى صعوبة في شرح حقيقة أن هذه المقدمة موجودة أيضا في مخطوطين من الرواية القصيرة للموجز (بروكسل ١١١٤٢ و ب ن ف فر ٧٨١) طالما أنه يفترض من جانب أن نص هذه المخطوطات لا سيما نص بروكسل ١١١٤٢ ، الذي يستعمله كأساس له ، يسبق تأليف تاريخ برنارد ، ومن جانب آخر فإن المقدمة هي عمل برنارد الاصلي وقد دفع الى نتيجة (١٥)هي أن ناسخ هذه المخطوطات كان عليه أن يسلم كلا من الموجز القصير دون مقدمة ، وأيضا رواية برنارد الاطول ، وأنه أثناء نسخ مقدمة برنارد وفي نهاية عمله فضل من أجل التاريخ نفسه الالتزام بالرواية الاقصر ، بدلا من تضمين استيفاءات برنارد وقسمه لاعوام ١٢٢٩ ــ ١٢٣١ ، وقد اعترف ماس لاتري نفسه كيف كان هذا التفسير غير مرض ، وهو يتعارض مع كل شيء معروف حول الطريق الذي سلكه المصنفون فيما يتعلق بعملهم ، وبصرف النظر عن أشخاص غريبي الاطوار مثل بيبنو ، فإنهم لم يكونوا عادة ميالين لتسويغ مادة جيدة ، ومع أنه يعلن أن استيفاءات برنارد هي مجرد تجميع تفصيل ناقص ، ويضيف كثير منها قدرا كبيرا من الوضوح على القصة ، والقسم النهائي المغطي للسنوات ١٢٢٩ ــ ١٢٣١ هو بالطبع معلومات جديدة ، فهل علينا ان نصدق ان مصنف بروكسل ١١١٤٢ قد اختار عمدا ان يحذف كل تلك المادة المفيدة والهامة ، في حين انه في الوقت نفسه ادخل المقدمة

السطحية المهلهلة ذات النقص الواضح ، واضاف لها علاوة على ذلك من نهاية العمل ؟ان هذا يبدو صعب التصديق ، ويجب علينا بوضوح ان نأخذ في الاعتبار على الاقل ، الاحتمال المعاكس ، وهناك بينتان تساعدان هنا : الاولى هي صورة المقدمة (او الخاتمة حسبما تكون الحالة) نفسها ، وهذه القطعة في جوهرها مخطط موجز للاحداث ، في المملكة اللاتينية في بيت المقدس مابين وفاة غودفري دي بوليون في ١١٠٠ وتسلم عموري للعرش في ١١٦٢ ــ ١١٦٣ ، او تتعلق بتلك الاحداث ، وهذه نقطة اعتباطية للتوقف عندها ، مالم يكن على تلك القطعة ان تعمل كمدخل لتاريخ يبدأ في حينه ، وهو ماليس لدينا بالطبع بينة عليه بالمرة ، ومرة اخرى ، ان الحوادث المفصلة على مايبدو اختيرت اعتباطيا تماما ، وبصرف النظر عن الحملة الصليبية الثانية المفجعة ، فان الكاتب يلقي فجأة بعض الضوء على الرها ، بصورة شديدة المبالغة في التبسيط ، فضلا عن انه اضفى عليها الخيال ، والحملة الفلمنكية تحت قيادة شحنة دكسمود (قائد قلعتها) ، والتي استولت على اشبونة في ١١٤٧ وكذلك وفاة روجر صاحب انطاكية التي ربطها بتعليق كثير الميل النقد حول حياته ، وبكلمات اخرى ، ان الاشارة الوحيدة المحلية بشكل خاص هي الى شحنة ديكسمود ، وهي ليست اكثر من تكرار عما كان بالفعل شديد الوضوح من مصدر المخطوطات في ان كل واحدة من روايتي الموجز مرتبطة ارتباطا وثيقا بشمال شرق فرنسا وفلاندرز

وباختصار فان الفاتحة ، كما يبدو قطعة ناقصة لم تكتمل ، وتبدو كما لو كانت بداية لشيء جديد بدلا من ان تكون نهاية للنص الذي يسبقها ، وهذا يدفعنا للسؤال عما اذا كانت في الحقيقة مرتبطة بالمرة بالموجز ، والجواب يقدمه مخطوط لم يكن معروفا لماس لاتري ، حيث يحوي مخطوط القديس اومر ٧٢٢ الرواية نفسها الموجودة في الموجز مثل بروكسل ١١١٤٢. ولكنه لايتضمن تلك الشريحة بالمرة سواء في المقدمة او الخاتمة ، وهو النسخة الوحيدة لموجز عام ١٢٢٩ التي لاتغفل ذلك ، ونرى للمرة الاولى الموجز في هذه الرواية منفصلا تماما عن هذه الشريحة .

ويمكننا الان ان نرى لماذا كانت الشريحة - قطعة من نص غير مرتبط تماما بالموجز باي طريقة ، حيث اعتقد ناسخ ما لاحدى المخطوطات - مثل بروكسل ١١١٤٢ - ان من المناسب استنساخها ، وكما تصادف فانه بدأ بها بعد ان اتم موجز عام ١٢٢٩ ، الذي يفترض انه اخذه من مخطوط وجد فيه وحده ، كما في مخطوط القديس اومر ٧٢٢ ، واعتقد النساخون المتاخرون مثل نساخ « ب.ن.ف.فر ٧٨١ » خطأ ان الشريحة تتبع النص الذي اتت بعده ، وافترض برنارد ايضا ، وقد استمد الموجز من مخطوط كهذين الاثنين ، وجود صلة ، ولكنه بمزيد من روح المبادرة نقل الشريحة الى بداية العمل. وهذا يحده ، لاكما يقول ماس لاتري مكانه الحقيقي (١٦) ؛ ولكنه من المؤكد المكان الاكثر منطقية ، لانه اذا كانت له اي قيمة بالمرة فهو تمهيد ، ونقل برنارد له يشكل تحسينا لا شك فيه .

ثم باستنساخ هيكل العمل ، طامسا اسم ارنول ، مضيفا تفاصيل هنا وهناك ، ينهيه برنارد بروايته الخاصة لحوادث ١٢٢٩ - ١٢٣٠ ليقوم بتحديثه . وهكذا يخرج تاريخه في روايته الاولى (ب ١) ، التي لم تعد موجودة الان . ثم يعود فيما بعد (ب ٢) ، وهو نسخة من (ب ١) مع قسم اضافي ١٢٣٠ - ١٢٣١ ، وهذه النظرية هي بطرق عديدة تفسير مرض جدا لاصل تاريخ برنارد كما يبدو الان في المخطوطين ؛ برن ٣٤٠ وارسنال ٤٧٩٧ وهي تفسير لماذا كانت المقدمة هناك اساسا : ان برنارد لم يحذف تلك القطعة الغامضة تماما تقريبا لمجرد ، كما افترض ، اضافة شيء من عنده ، حتى لو كلف ذلك اخراج عمل ادنى من الاصل ، بل وانه في الواقع محسن ، على مصدره . والشيء الذي اضافه ، ومما لا وجود له في ذلك المصدر ، اعني قسم ١٢٢٩ - ١٢٣١ كان في صميم الموضوع تماما ويشكل ايضا تحسينا . واخيرا فان هذا التنقيح وهذا التوسع من جانب يسوغ بقوة ويفي بالضبط بادعاء اشارة الناشر : « كتاب برنارد الصحيح »

لقد صنف برنارد الخازن اذا ، التاريخ الذي تحتويه المخطوطات الممثلة بحرف (ا) في الجدول على ص ١٠ ـ ١١ ، باستنساخ رواية المخطوط (ز) محولا الشريحة المضافة في النهاية الى البداية ، ومضيفا مختلف الاستيفاءات القصيرة الخاصة به ، وحكاية اضافية (وهي لعدم وجود البينة على العكس يجب ان نفترض انها الاصل ، ولكننا لانستطيع ان نبرهن انها كذلك) ، لايصال التاريخ الى ١٢٣٠ ،وفي رواية اخرى الى ١٢٣١ . واسهامه كمؤلف اصلي هكذا صغير جدا ،ولكنه مصنف موجز ١٢٣٢ ، وان اسمه ، وليس اسم ارنول ، هو الذي يجب ان يوضع على رأس العمل ، لان اسم ارنول مرتبط فقط بحادثة واحدة ، موجودة في اعمال عديدة واحد منها من اعمال برنارد ، ويعود الى برنارد ، عمل الجماعة .

الفصل الخامس

عمل ارذول

بينة رالف الكوغشالي

مع برنارد الخازن المشكلة هي ان يحدد دوره بالضبط في ايجاد نص خاص واحد ، هو رواية ١٢٣٢ للموجز الذي يحمل اسمه ، وقد تم فعل ذلك بمقارنة النص المنسوب اليه بالنصوص الاخرى ذات العلاقة ، وقد ظهر كمصنف لموجز ١٢٣٢ ، ولرواية اخرى سابقة مفقودة تنتهي في ١٢٣٠ ، وقد قدم الى مادة تواريخه على اقصى حد اسهاما محددا ولكن « النيل » له وحده . وفي حالة ارذول على اي حال ، فان المشكلة ذات نظام مختلف تماما ، فالذكر الوحيد لاسمه الذي بقي لدينا في مخطوط جاء عرضا ، والاشارة اليه حتى اكثر غموضا من تلك الموجهة الى برنارد ، واسوأ من كل هذا ان المعنى الواضح للبيان المعطى حوله سرعان ماروئي بانه ليس المعنى الحقيقي .

بمعنى اننا حين نقرأ في موجز ١٢٢٧:

'Ce fu cil qui cest conte fist metre en escrit',(١)

من الطبيعي جدا ان نستنتج ان ارذول هو مؤلف نص ذلك ، والمعلومات التي يستطيع المرء ان يجمعها او يستخرجها حول هويته تميل الى تأكيد هذا الرأي ، فلديه وسائل للحصول على المعلومات بصورة مباشرة حول مادة الموضوع ، والاراء المطروحة تتفق مع مايجب ان نتوقعه من تابع لابلين ، وباختصار فان كل شيء يدعونا لان نعطي الكلمات القيمة نفسها مثل مالها في تاريخ روبرت دي كلاري ، وان نرى في موجز ١٢٢٧ التاريخ الاصلي لارذول . وهذه الفرضية تنقلب لتصبح جيدة اكثر مما ينبغي ، ولتكون

صحيحة ،وعندما نفحص بعض نيول وليم الصوري يتضح لنا بسرعة أنها تضم كثيرا من المادة نفسها التي في موجز ١٢٢٧ ولكن بصورة أكمل كثيرا ، وتماثل أجزاء النصين ، أكبر مما ينبغي لهما ، لتصور أنهما مستقلين عن بعضهما بعضا . ومع أن الموجز ليس ببساطة صورة مختزلة من النيول ، هو بالتأكيد مكثف عن مصادرها المشتركة ، وأكثر من هذا ، إن الاقسام الخاصة بالموجز وحده ، وهي التي يمكن أن تكون من عمل أرنول ، ليست بالضبط الاجزاء التي يجب أن نتوقع أنه كتبها ، باستثناء المواد المتنوعة التي في الفصول العشر الأولى ، ومن الأجزاء المركزية قصة الفترة من نحو ١١٨٦ وما بعدها ، هي المشتركة بين النصوص ، وهي التي يسمى فيها أرنول ، والرواية المدعى أنها هي بشكل واضح ليست الأكمل أو الأقدم ، وإنما هي اشتقاق من مصادر مكتوبة استعملت أيضا من قبل مصنفي مختلف الروايات الهرقليات .

وقد اضطرت هذه الحالة محققي « راشيل » الى استنتاج غريب جدا في الواقع : إن ارنول مع كونه شاهد عيان لمعركة حطين ، واستسلام بيت المقدس ، وللأحداث الأخرى الرئيسية المحكية في النصوص ، لم يكتب برغم ذلك رواية أصلية مباشرة عن تلك الفترة ، بل أخذ تاريخا من عمل شخص ما آخر وكثفه ، ذلك انه كان طويلا أكثر مما ينبغي ليتوافق مع أذواقه العسكرية (٢) ، وهذا بالتأكيد تفسير معقول للكلمات .

'cest conte fist metre en escrit',

وهذا تقريبا كل ما يمكن للمرء أن يقوله في هذه النظرية ، تاركين جانبا حقيقة أن الاجراء الذي يقترحونه بالكاد يمكن تصديقه ، وهو لا يتوازن مع محتويات النيول أيضا ، فلو أن ارنول كان مجرد مختصر كما يوحون ، لثار السؤال : من الذي كتب التاريخ الاصلي الذي أخذ عنه هو والمصنفون الآخرون ؟

وكما سنرى عند فحص محتويات النصوص العديدة ، إن أجزاء

منها على الاقل يصعب أن تكون قد كتبت إلا من قبل شـخص يتفـق بالضبط مع وصف أرنول .

وعليه لا يمكننا ان نقبل سـواء أن مـوجز ١٢٢٧ كمـا هــو عليه ، هـو عمـل ارنول الاصـلي أو ان ارنول قـد صـنفه بتلخيص المصادر التي استخدمتها أيضا مصـنفوا الهـرقليات ، ويجـب أن نفحص الآن فرضية اقترحها مـاس لاتـري ، ولكنهـا لم تختبـر مطلقا ، وقد اثيرت باشارته في « دراسة تصنيفية » الى عمـل رالف الكوغشالي ، وظنه بأن رالف يمكن أن يكون قد عرف ترجمة لاتينية لأرنول(٣) .

وحقائق هذه الحالة هي : كتـب رالف الكوغشـالي حـوالي عام ١٢٢٠ « تاريخ الاراضي المقدسة » وفي هذا التاريخ عندما كان يحكي عن رحلة رتشارد ، وفيليب اغسطس الى الارض المقدسة ، أحـال قارئه من أجل رواية أكمل لهذه الاحداث الى تاريخ آخر :

Post Pascha anno ab Incarnatione Domini MCXCI, rex Franciae PHILIPPUS applicuit apud Achon et non multo post, scilicet circa Pentecosten, venit rex Anglorum RICHARDUS: quorum seriem itineris et quae in itinere gesserunt, seu ex qua occasione rex Philippus repatriavit, si quis plenius scire desiderat, legat librum quem dominus prior Sanctae *Trinitatis* de Londoniis ex gallica lingua in latinum tam eleganti quam veraci stilo transferri fecit.(٤)

ويكشف هذا الالماع عددا من المشكلات وهـي تقـريبا بـالتعقيد نفسه مثل تلك التي تطرحها نيول وليم ذاتها ، والعمل الذي يشـير اليه رالف هو بالتأكيد ذلك المعروف الآن باسم : « رحلة حج وأعمال الملك رتشارد وقد رفض محققه الاول ، استبس (٥) ، تماما فـكرة انه كان ترجمة لعمل فرنسي ، وفسر اشارة رالف بالقول بأنه لابد أن يكون قد سمع بكل من « رحلة » وتاريخ « ماوراء البحار » (وهـذا هو الموجـز) وافتـرض دون مسـوغ أن يكون الاول تـرجمة للثاني ، وهو الاكثر قـابلية للفهـم طـالما أن كليهمـا كانا في الجوهر ، إن لم يكن في الهدف ، نيولا لعمل وليم الصوري .

ولا يبدو أن ماس لاتري كان مطلعا على مقدمة استبس هذه ، ولكن الغريب أنه أيضا يوحي بوجود صلة بين « الرحلة » و « المختصر » إلا أنه خلافا لاستبس يعتقد بأن الصلة يمكن أن تكون حقيقية وليست ملفقة من خيال رالف ، وهي مقتبسة من الفقرة نفسها من تاريخ رالف ، وبين أن مسألة أي تاريخ أشار اليه رالف وماذا كان أصله الفرنسي ، ليست تخمينا تافها ، لأنه إذا أمكن أن يظهر أن التاريخ الفرنسي كان من عمل ارنول ، لوجب إذا أن نعرف بالتأكيد أن عمل ارنول قد أنجز واصبح قيد التداول قبل ١٢٢٠ وهو التاريخ الذي فيه أو حواليه كتب رالف تاريخه (٦) ، وهذا بدوره يخبرنا بعدد لا بأس به من الأشياء حول عمل أرنول كما رؤي بعيون معاصريه : إنه كان مقدرا بدرجة كبيرة حتى كان متداولا على نطاق واسع امتد الى انكلترا ، وبأنه على سبيل المثال ترجم الى اللاتينية ، بدرجة عالية نوعا ما من الدقة ، ويجب أيضا أن نتمكن من استنتاج أنه قد توقف باقتضاب في ١٢٢٠ على أقصى حد ، وربما قبله بقليل ، وبناء عليه فإن الموجز بعد ١٢٢٠ لا يعتمد على أرنول ، وبكلمات أخرى ، يجب أن نكون واثقين بأن الموجز كان من تأليف ثنائي على الأقل ، ولا يشير ماس لاتري الى حقيقة أخرى ، يمكن أن تستنبط من كلمات رالف هي : إن التاريخ الفرنسي الأصلي ، وكذلك الترجمة اللاتينية لا بد أنهما كانا معروفين لديه ، طالما أنه كان قادرا على الحكم ليس فقط على اناقة اسلوب الترجمة ، بل أيضا على مطابقتها للأصل ، فلم تكن بناء عليه مسألة مثال واحد مستقل على كون التاريخ الفرنسي معروفا في انكلترا ، فقد كان يقرأ في ديرين مستقلين على الأقل هما : الثالوث المقدس في لندن ، وبيت رالف في اسكس ، وباختصار إذا ثبتت صحة فرضية ماس لاتري ، فإن جزءا كبيرا من الغموض المحيط بأرنول والموجز سيتضح ، وسيكون ممكنا تحديد تقسيم في الموجز بين أقسام ما قبل ١٢٢٠ وما بعد ١٢٢٠ ، وهذا بدوره سوف يؤثر على معالجتنا لمسألة علاقة الموجز بالهرقليات ، ويحتمل أن يصبح ممكنا أن نقول شيئا أكثر مصداقية حول الصورة الأصلية لعمل ارنول الخاص ، المبعثر جدا الآن بين مختلف روايات هذه الفترة من

النيول . وهناك سؤالان يتطلبان الاجـابة : هـل « الرحلة » حقـا ترجمة لتاريخ فـرنسي ؟ وإذا كانت كذلك ، هـل التـاريخ الفـرنسي موضوع البحث هـو صورة ما من عمل ارنول ؟ وقد نوقش أول هذين السؤالين كثيرا . واعتقد غاستون بـاريس في طبعتـه عن « تـاريخ الأراضي المقدسة » المنشور في وقت يرجع الى عام ١٨٩٧ ، انه قـد بت في الأمر ، ولكنه في الحقيقة فتح باب المناقشة التي كان لهـا أن تستمر زمنا طويلا (٧) ، فالتاريخ الذي حققه هـو رواية حول الحملة الصليبية الثالثة في مقاطع ثمانية ، كل مقطع فيهـا مـن بيتين مـن الشعر المقفى من نظم أمبرواز وهـو شـاعر نورمـاندي جـوال كان يدعى أنه اشترك في الحملة التـي قـادها ريتشـارد قلب الاسـد ، ومقارنة باريس المفصلة لهذا النص بنص « الرحلة » تثبـت بمـا لا يدع مجالا للشك وجود صلة وثيقة ، وليست بالمادة فقط بـل أيضـا بالكثير من التعابير في الجزء الاول مـن التـاريخ ، التـي تتـوافق بالضبط مع تلك التي في الرحلة ، وقد أكد باريس أن العـلاقة كانت علاقة أصل فرنسي وترجمة لاتينية ، ومثل هـذه النتيجـة تسـتبعد بالطبع من المسألة بالمرة ، ولكن في وقـت أكثـر حـداثة ناقضـت دراستان عن امبرواز ، واحدة تـأليف ج.غ ادا وردز (٨) والأخـرى تأليف ج.ل لامونت وح هيوبرت (٩) ، بـاريس واسـتبدلت نظـريته بصورة مقنعه ، بنظرية ذات أصل مشترك مفقود ، وهذا الأصل كما يقولون يحتمل أنه كان بالفرنسية المذثورة ، وهـو وصف يضع أرنول مرة أخرى وسط الدوامة القوية .

وفي ١٩٦٢ ، ظهـرت طبعـة جـديدة مـن « الرحلة » ل هـ . ي ماير (١٠) . الذي قدم الكثير مـن البـراهين الجـديدة ، وبالتالي الكثير جدا من النظريات الجديدة ، وهـذه ليسـت مجـرد أجوبة على أسئلتنا ، بل إن الأسئلة نفسها يجب أن تعاد صـياغتها كليا .

وبشكل أساسي يؤكد مـاير أنه ليسـت هناك رواية واحـدة بـل روايتان باقيتان من « الرحلة » يسميها ي ب ١ و ي ب ٢ . وتنتهي

- ٣٦٠١ -
ال « ي ب ١ » في تشرين الثاني ١١٩٠ ، وتقابل الكتاب (أ) من نص استبس إلى نهاية ال غ ، باستثناء الفصل ٦٥ . وال « ي ب ١ » هو التاريخ الكامل كما حققه استبس ، ويؤكد ماير دون إثبات مطلق ، ولكن بحجة مقنعة بشكل معقول ، أن ال « ي ب ١ » كتب حوالي ١١٩٢ في صدور من قبل داوي انكليزي ، كان قسيسا أكثر منه فارسا ، وأنه كان في جوهره عملا أصيلا ، ولكن استمد من أجل حملة بربروسا الصليبية من رواية المانية مستقلة .وريتشارد « الثالوث المقدس » الذي كان يعتبر قبل نشر طبعات ماير بشكل عام مؤلف الرحلة ، أخذ في حينه ال « ي ب ١ » طبقا لماير ، وباستعمال تاريخ امبرواز للاسهاب والتوسع فيه آخر ال « ي . ب ٢ » .

والفرضية المقدمة هكذا من قبل ماير لديها الكثير مما يزكيها ، فهي تنهي التأكيدات بأن كتاب الرحلة كان ، أولم يكن ، مترجما عن الفرنسية ، ولكنها فرضيه ليست مرضية تماما . فعلى سبيل المثال هناك فقرات أساسية مشتركة في « ي ب ٢ » وامبرواز وهي موجودة أيضا في « ي ب ٢ » ولم يستعرها مصنف ال « ي . ب ٢ » من امبرواز ليدخلها في « ي . ب ١» :

فهي موجودة من قبل في ال « ي ب ١ » طبقا لنظرية ماير قبل أن يبدأ عمله في التصنيف . وبكلمات أخرى ، من الواضح أن هناك بعض الصلة بين امبرواز و « ي ب ١ » ، منفصلة تماما عن « ي ب ٢ » ومصنفها . وأدق نقط هذه العلاقة هي مع ذلك غير جوهرية بالنسبة للمناقشة الجارية ، وكل مانحتاج لقبوله حاليا ، هو أنه بينما يمكن أن يكون لدينا بعض التحفظ حول نظرية ماير عن تأليف « الرحلة » ، والذيول فإنها تسمح لنا بأن نأخذ « تاريخ » امبرواز على أنه لايحوي شيئا ماديا ليس موجود أيضا في « كتاب الرحلة » كما حققه استبس .

وليس معنى هذا القول أن « التاريخ والرحلة » دائما في توافق

كامل ومفصل ، بل إنهما يتفقان على العموم في الخطوط الخــارجية العريضة .

ومن البداية الأولى حتى لمقارنة سريعة لكتــاب الرحلة مــع نيول وليم ، فإن عاملا واحدا يصــبح واضــحا : أن تعــاطف مــؤلفيهما يتعارض فعليا تماما حــول كل شيء ، وكل انســان ، فــالشرير لدى أحدهما بطل لدى الآخر والعكس بالعكس ، وبلا شــك إن الحقــائق التاريخية ، إذا كان مــن الممــكن إخــراجها مـــن شراك الروايات المتحيزة بقدر متساو برغم أنه مختلف ، تقع في مكان مــا بينهمــا ، ولكن الوضوعية الجامدة ليست مخزون هذه التــواريخ ، وبقــراءة الوجز يقتنع المرء بأنه ماأن ترك ريموند صــاحب طــرابلس ليرتــب الامور دبلوماسيا مع صــلاح الدين لم تعــد هناك حــاجة لحــروب مأساوية ولافقدان للأرواح ، ولكن أعمال النهب غير الذكية من قبــل غي لوزنغنان بتشجيع من مقدم الداوية الغادر جيرار أوف ردفورد ، جلبت الخراب الكامل للمملكة اللاتينية (١١) ولدى رتشارد الثــالوث المقدس من جانب آخر كان ريموند هو الحية المختبئة بين الأعشاب ، والمتعاون الذي كان اهتمامه غير الوطني بالذات يجعل الأشياء بالغة الصعوبة عند الملك النبيل الصالح ويعجل قطار الأحداث الذي تــوفي على مساره جيرارد نفسه ميتة الشهداء (١٢) .

إنه بناء عليه أمر ملح أن يكون المرء أكثر حــذرا مــن المعتــاد في فصل الحقيقة ، أو بالأحرى مايقدمه المؤلفون على أنه حقيقة ، عمــا لايمكن أن يكون شيئا سوى رأي ، إنه برغم كل شيء ليس مستحيلا على مصنفين اثنين أن يكيفا المادة نفسها جــذريا ليجعــلا التــاريخ متوازنا مع ولاءاتهما الخاصة ، والاختلافات في التفسير لاتســتبعد إمكانية وجــود مصــدر وحيد مشــترك للمعلومــات الحقيقية ، لكن بالنسبة للحقائق نفسها ، أي المعلومــات الأســاسية هناك اتفــاقا معينا ، لكنه لايدل بالضرورة على اعتمــاد الروايتين على بعضــهما بعضا أو على مصدر مشترك ، ومع القصص التاريخية خلافا للأدب القصصي ، هناك دائما احتمال الدقــة المســتقلة ، ولكن الاختــلاف

الواضح حول المواد الواضحة المباشرة للحقيقة ، التي لايمكن لأي من الجانبين أن يكون له أي اهتمام بتزييفها ، يمكن أن يدل على الاستقلال .

وكما سوف نرى فإن مقارنة الرحلة وتاريخ امبرواز والموجز والذيول تقدم أمثلة على التماثل والاختلاف ، ليست بدون اهتمام ، مع أن النتائج التي تستمد ليست مايمكن أن نكون قد توقعناه عند الابتداء .

إن مادة موضوع الرحلة كما يدل عنوانها هي رحلة رتشارد والحجاج الذين تبعوه في الأرض المقدسة ، والأعمال التي قام بها هناك ، ولكن الكتاب (أ) قائم مع مخطط خلفي للأحداث التي سبقت مباشرة ثم تتزامن مع حملة الصليبيين ، لاسيما حصار عكا (١٣) . ويضع امبرواز معلومات الخلفية نفسها من استطراده (١٤) ويبين أنه امتلك مصدرا مكتوبا لهذه المعلومات :

Si velt Ambroises faire entendre
E saveir a cels qui aprendre
Le voldront, par com faite enprise
La citié d'Acre fud assise;
Kar il n'en aveit rien veu,
Fors tant come il en a leu.(١٥)

وتلك الفترة أي السنوات الخمس أو الست التي تنتهي في ١١٩٢ ، هي المعالجة إلى حد بعيد بأكثر كثافة في الموجز ، وتلقت أيضا معالجة مفصلة في كل روايات الذيول ، ولكنها في امبرواز والرحلة تستعرض سريعا ، حتى أن أي مصدر تقريبا كان يمكن أن يفيد ، ومعركة حطين ، على سبيل المثال التي يمكن أن تعتبر بحق قطعة الانطلاق في الموجز ، والتي أوقفت الذيول حتى تلك التي لاتتفق كلية مع الموجز ـ عليها مساحة أكبر مما أوقفته على أي حدث آخر ، هي بالكاد مذكورة من قبل امبرواز . (١٦) ويضيف رتشارد في رواية الرحلة العديد من الاقتباسات التوراتية الملائمة ، وبعض الملاحظات الأخلاقية الباعثة على الفضيلة الخاصة به . ولكن ليس لديه مادة أكثر واقعية من امبرواز . (١٧) ومرة أخرى حول حصار

واستلام بيت المقدس ، هذه واقعة اخرى قد رويت كاملة في الموجز وفي النيول ، بينما يقول امبرواز ببساطة ان صلاح الدين استولى على المدينة .(١٨) وهنا يعطي رتشارد قدرا معينا من التفصيل مع انه ليس بقدر النصوص المتعلقة بأرنول ، وهو يضع لمحة مختلفة على كامل الرواية .(١٩) وكمناهض معلن لابلين لايمكن بالطبع أن يتوقع منه أن يذكر الدور الذي شغله ، بالين دي ابلين ، في افتداء فقراء بيت المقدس . ومبالغ الفدية التي يعطيها هي نفسها التي في الموجز : عشرة دنانير عن الرجل ، وخمسة للمرأة وواحد للطفل ، ولكنه أكد أن الذين كانوا لايستطيعون الدفع لشراء حريتهم كانوا يقعون في الأسر ، وفي الموجز والنيل من جانب آخر ذكرا أن بالين دي ابلين وبطريرك بيت المقدس قد نظما بعناية سكان المدينة ، واجبرا كل واحد على أن يصرح بأي ثروة كان يملكها فوق الكمية الضرورية لافتداء نفسه ، ونظما سجلا لغير القادرين على افتداء أنفسهم .(٢٠) ، وبعد هذا تتخلى القصة عن الحقيقة الباردة لأجل مديح فوق الخيال ، وتفاصيل الترحيل السليم للمسيحيين المفتدين يختلف أيضا في النصين : ولاتوفر النصوص المنسوبة لأرنول تفاصيل المعاملة المخزية التي عانى منها اللاجئون على أيدي أبناء جلدتهم ودينهم المسيحيين ، سواء في طرابلس أو في الاسكندرية ، وهي تفاصيل بالكاد تتضمنها « شريعة الثالوث المقدس » ، في تاريخها ، حتى لو كان يعرفها . ولكن رتشارد يقول أيضا ، وهنا لايمكن للمرء أن يرى باعثا على التزييف ، أنه قد سمح لهم باختيار أنطاكية أو الاسكندرية كمقصد لهم ، بينما يقول الموجز والنيول إن بعضهم أيضا قد ذهب إلى طرابلس وبعضهم الآخر إلى أرمينية .

وكان إطلاق سراح غي افتراضا قليل الاهمية عند أرنول ، فهو يحسمه في فقرتين ، (٢١) ولكن امبرواز يعتبر غي موضوعه الحقيقي ، ويهمل حصار صور الاكثر اهمية سياسيا ، ليعطينا صورة مؤثرة ، أو ما يعني به بوضوح أن يكون صورة مؤثرة للملك وهو يبكي أرضه الضائعة ، (٢٢) وحول حصار صور فإنه حكاية الرحلة هي مرة اخرى اقرب للموجز : فكلاهما لديه قصة كونراد

اوف مونتفرات الذي عرضت عليه حياة ابيه مقابل صـور ورفض ، وكلاهما يعطي قدرا معينا من التفصيل حول دفاع كونراد عن المدينة (٢٣) وكلاهما ايضا يذكر الاموال التي ارسلت الى ماوراء البحار من قبل هنري الثاني الانكليزي ، ولكن في سياقات مختلفة ، ووصف بواعث مختلفة ــ وفي الموجز التكفير عن موت توماس بيكيت ، والاعداد لحملة الى فلسطين ككفارة ، وهي في الرحلة كرم صرف ، ورتشارد كرجل دين ليس لديه سبب لتبيض مقاصد هنري ، وفي الواقع احرى بان يكون ميالا لانتهاز الفرصة لتذكير قرائه بشهادة بيكيت .

وطبقا للموجز استعمل المال للدفاع عن مملكة بيت المقدس . قبل حطين ولافتداء فقراء بيت المقدس بعد سقوط المدينة ، وطبقا لرتشارد انفقه كله في الدفاع عن صور في ١١٨٨ (٢٤) ولايذكر امبرواز المال بالمرة. وهو ايضا يحذف تماما خبر التعزيزات التي ارسلها وليم الصقلي باستثناء اشارة عابرة في مكان اخر ، وفيما يتعلق بوفاة وليم يعطي الموجز والرحلة كلاهما معا التفاصيل عن الموضوع (٢٥) ،ويتفقان حول اعداد القوات المرسلة ٥٠٠ فارس مع ان الموجز يقسمهم الى جماعة من ٢٠٠ في اذار وقوة اخرى من ٣٠٠ في اب التالي ، ويضيف رتشارد اسم قائد الاسطول وهو مرغريت بينما يتوسع الموجز حول المعونة التي قدمها وليم الصقلي الى رئيس اساقفة صور عندما مر عبر صقلية في طريقه الى اوروبا حاملا نبأ سقوط بيت المقدس ، وفي شأن طلاق ايزابيل صاحبة القدس من هنفري صاحب تيرون ثم زواجها من كونراد اوف مونتفرات فان النقاط العامة والدينية في الموجز والرحلة على التوالي تصبح طفيلية جدا لدرجة تعوق اي مقارنة صحيحة بالمرة ، ويشعر رتشارد انه من الضروري ان يضفي صفات اخلاقية بشكل واسع ، مؤيدا لقضية الحزب المناهض لكونراد ، ومشوها اخلاق مؤيدي كونراد . وهذه هي الفرصة لوصف ريتشارد المشوه للسمعة لبالين دي ابلين الذي سبق اقتباسه في مكان آخر (٢٦) .

ويكتفي الموجز بالقول :

'Teus i ot qui s'acorderent al departir, et tels i ot qui dist qu'il ne pooit estre'(٢٧)

وروايات الهرقليات التي لاتتماثل مع نص الموجز عند هذه النقطة ، لديها اهم وابرع رواية عن الاحداث ، مبينة البواعث الخفية من جانب مختلف الزعماء ، وكيف شغلت العداوات الشخصية دورا بحجم الاعتبارات السياسية نفسها وتنتهي هذه الرواية نهاية مشؤومة .

'Encores deit l'on douter que li roiaumes de Jerusalem ne soit alé perillant et amenuisant par icestui fait.(٢٨)

وتشمل ايضا كما تفعل رواية الرحلة ، التأكيد بان كونراد رشا رجالا ليأخذوا مكانه ، واشارة الى غي دي سنليس تختلف على اي حال بشكل غريب عن الرواية الواردة في الرحلة ، ففي الرحلة اسر غي من قبل الاتراك في يوم زفاف ايزابيل من كونراد ، ولم ير ثانية فيه ، بينما يقدمه تاريخ هرقل كبطل لايزابيل متحديا منفري وفي كل هذه الروايات المختلفة حول الطلاق ، هناك من التناقض اكثر من التشابه ، ولكن في هذا الحدث تبدأ حقيقة واحدة في الظهور بصورة باهتة ، سوف تصبح اكثر وضوحا واهمية كلما تقدمت مقارنته للنصوص ، ويحدث هذا عندما يكون هناك اي تماثل واضح نوعا ما بين نصوص امبرواز او نصوص الرحلة مع نصوص الموجز او الهرقليات ، والرابطة دائما تقريبا بين الرحلة وتلك الروايات في الهرقليات هي الاقل شبها بالموجز ، وهذه هي رواية «ا و ب» عادة ، ومن حين لاخر ايضا « د » ، عندما يكون نص « د » متفقا مع «ا و ب» واعطي حصار عكا قبل وصول ريتشارد قلب الاسد اهتماما قليلا نسبيا في كل من الموجز او تاريخ هرقل ، في حين ان امبرواز والرحلة تحشوان كل التفاصيل الممكنة ، طالما ان هذه العملية التي سوف تشكل اول اهتمام للجيش الانكليزي والفرنسي عندما ينزلون من المراكب (٢٩) ، واي اقتراح بان يوميات الحصار التي يفترض انهم قد استمدوا منها مادتهم يمكن ان تكون هي ارذول

الاصلي ، او نصا مستمدا منه ، لايمكن تأييده طويلا بشكل جدي ، ولا يمكننا حتى الافتراض انه كان رواية مستقلة اكمل اخذ منها الموجز كما اخذت النيول ايضا ، لانهم عندما يلمسون الموضوع نفسه كما يفعل امبرواز ورتشارد تكون هناك فروق بينهم لايمكن حقيقة تفسيرها بعيدا على انها حتى خلافات جذرية جدا في التكيف ، والمثال واحد عندما يعالجون جميعا موضوعا متحررا نسبيا عن مضمون سياسي ، حيث ان أي واحد منهم ليس لديه أي اهتمام ملموس بتشويه الحقائق ، ولكن عندما يتدبرون مع ذلك الاختلاف حول الامور غير التفسيرية بل مجرد المعلوماتية ، ووصف المجاعة التي عانى منها الجيش المحاصر لعكا ، الاسعار التي كانت تباع بها مختلف السلع في أوج المجاعة ، فانها لاتكون واحدة في الفقرات الاكثر جمالا فنيا أو أخذا من التواريخ ، وفي الواقع يكون معقولا ان توصف على انها عادية مبتذلة وحتى مملة ، ولكن من اجل هذه الاسباب بالذات فانها تعرض مقارنة جيدة : وهناك قليل جدا فيها ، باستثناء المعلومات الجافة ، وهذا برغم كل شيء مانريد مقارنته في الروايات المختلفة .

Mult ert li muis de blé pesanz
Qui costeit en l'ost cent besanz
Que uns hom portast soz s'aissele
Mult aveit ci freide novele.
Chiers i esteit blez e farine,
Doze solz valeit la geline
E l'oef vendeit l'om sis deners,
Tant esteit li tens pautoners.

(*Estoire*, vv. 4217-4324.)

Quid plura? modii tritici, mensura modica quam videlicet quis facile portaret sub ascella, centum aureis vendebatur: gallina quoque solidis duodecim, ovum sex denariis. (*Itinerarium*, i. 66)

Grant cherté avoit en l'ost, si que li muis dou blé valoit .xx. besanz Sarrasinas; une geline valeit .lx. solz; de buef ne de moton ne troveit l'en point; un huef valoit .xij. deniers. La meaudre char que les gens de l'ost manjassent, si estoit char de cheval ou de mule ou de asne. La mesaise estoit si grant que, quant les povres gens poent trover aucune beste morte il la mangeent a grant deintié. (*Eracles*, *a-b* and *d. RHC* ii. 150.)

Or vous di jou qu'il ot si grant ciertć en l'ost des Crestiiens qu'il fu tele eure c'on vendi le mui de forment .lx. besans et le mui de ferine .lxx. Or vous dirai conbien li muys est: çou c'uns porteres porte a son col est li muis de le tiere. Et .i. oef vendoit on .xii. deniers; et une geline

-٣٦٠٨-

.xx. sols; et une pume .vi. deniers. Vins et cars parestoit si ciers c'on n'en pooit avoir, se de ceval non, quant il moroit. (Abrégé, M-L p. 266.)

Lors ot tel foiz, fu si grant chierté en l'ost des Crestiens que l'en vendi le mui de froment .lx. besanz et le mui de farine .lxx. Et le mui est ce que un home puet porter a son col. Et vendoit l'en un oef. xii. deniers et une geline .xx. solz; et une pome .vi. deniers. Vin et char par estoit si chier que l'en n'en pooit point avoir, fors char de cheval, quant il moroit.
(*Eracles cJ. RHC* ii. 151-2.)

Une si grant chierté fu en l'ost aucune foiz c'om vendoit .i. mui de forment .l. besanz, et le mui de farine .lx. Le mui de la terre est tant com .i. porteor porte a son col a une foiz. L'en vendoit .i. oef .xx. deniers, une geline .x. solz, une pome .vi. deniers. Vin et char par estoit si chier c'om n'en pooit avoir se de cheval non, quant il moroit.
• (*Eracles gG. RHC* ii. 152-3.)

وهنا النموذج الذي رأيناه بغموض كبينة في روايات طلاق ايزابيل يظهر بوضوح اكثر ، وتتفق روايات الموجــز وال س.ج وال غ.ج من الهرقليات فعليا كلمة بكلمة ، والارقام التــي اعطــاها غ.ج ليست الشيء نفسه دائما ، ولكن نسخ الارقـــام الرومـــانية بشـــكل خاص معرض للخــــطأ وهنا عندنا رقـــــم واحــــد هـــــــو نفسه —vi— و— × × مقابل xii, خطأ قابل للفهم ، وال × الاخيرة محذوفة من الثلاثة الاخرى ، وبصرف النظـــر عن هذا فان الموجز و« س.ج و غ.ج » متفقين تماما . وهذه الحالة كثيرة جدا في كل اجزاء الذيول . وليس فقط في هـــذا القســـم ، كمـــا سوف نرى بوضوح فيما بعد . وبالمثل يتفق التاريخ والرحلة بالضبط مع بعضهما بعضا على الاسعار ، كما يجب ان نتوقع ، وايضا على تحديد معيار ، مثل ، الكمية التي يمكن للانسان ان يحملهـــا تحـــت ذراعه ، بينما تقول كل النصوص الاخرى فوق كتفيه . وبين هـــاتين المجموعتين «التاريخ» و«الرحلة» من جـــانب ، والموجـــز و « س.ج» و« غ.ج » من الجانب الاخر ، تقف الرواية الباقية من الهرقليات اي من « اوب » وهو النص الرئيسي من طبعة را شيل التي حدث واتفقت معها هنا رواية « د » مع ان هذه ليست باي حال الحـــالة المعتـــادة للامور كما سوف نرى ، (٣٠) ان هذه الرواية لاتشبه تماما ايا من الروايات الاخرى ، والسلع التي تختارها كأمثلة موضحة هـــي تلك المختارة ايضا من قبل امبـــرواز ورتشـــارد ــ ومثلهمـــا ــ وخـــلافا

للموجز « و.س . ج ».و« غ .ج » ، فانها لاتـذكر التفـاح او النبيذ غير المتوفر الحصول عليه واللحم ـ ولكنهـا في خـلاف كامـل مـع امبرواز ورتشارد حول الاسعار ، ويبقى صحيحا مع ذلك انها تتفق معهما في بعض المعايير ، مع انهـا صـغيرة ، وانهـا الوحيدة مـن نصوص الهرقليات التي تفعل ذلك •

ومن اجل كامل حكاية الحملة الصليبية الثالثة ، فـان نصـوص النيول موجودة في هاتين المجوعتين ، حيث يتفق الموجز مع « س ج و غ ج » ضد « أ ـ ب » ورواية « د » هنا كما في أحوال كثيرة في زمرة لوحدها ، متفقة مرات عديدة مع « أ ـ ب » ، ولكنها تمثل في أحوال كثيرة نصا خاصا بها ، ومن أجل المقارنة مـع الرحلة وهـو النص الرئيس في مصنف راشـيل ، فـان رواية « أ ـ ب » هـي الأكبـر اهمية كثيرا ، وهــذه الرواية تتفــق أحيانا مــع الموجز « وس ج » و « غ ج » حول نقاط الحقيقة ، ولكن لايوجـد مطلقا التماثل النصي نفسه كما يوجد بين هذه النصوص الثلاث فيما بينها فعلى سبيل المثال ، هناك رواية رتشـارد قلب الأسـد عندمـا يلتقي بـز وجته المقبلة ، بيرنغـاريا النافـارية (٣١) فـطبقا للرحلة ، ذهب رتشارد الى ريغيو ليلتقـي بـأمه اليانور ، وأختـه جوانا صاحبه صقلية ، وبيرنغاريا ، وأرسل جوانا وبيرنغاريا قدما متقدمتين عليه في سفينتهما ، وتتفـق كل روايات النيول والموجـز ، رغم أنها تروي القصة بشكل مختلف ، أن اليانور وبيرنغاريا وصلتا الى مسينا عندما كان رتشارد قد سبق له المغادرة ، ولكنهما وجـدتا سفينة جوانا على وشك الابحار ، وانضمت اليها بيرنغاريا ، وعند وصول الملكتين خارج شاطىء قبرص ، كل النصـوص لديهـا بعض الروايات عن المتاعب مع اسحق كومنيوس ولكن التفاصيل تختلف ، ففي الرحلة أرسل اسـحق هـدايا الى الملكتين اللتـان سـايرتا موافقتين على النزول من السفينة في اليوم التـالي ، ولكن قبـل أن يصــبح ذلك ضروريا وصــل رتشــارد ، وفي الهــرقليات والروايات « أ ـ ب » و « د » رفض اسحق طلب الملكتين تجـديد تموينهما من الماء وأرسل سفنا لمطاردتهما ، وقـد رفعتـا الرسـالة

وهربتا وقابلتا اسطول رتشارد في أعالي البحر في اليوم التالي ، وفي الموجز ، وفي المختصر و « الهرقليات و س ج و غ ج » وهما هنا مرة أخرى على اتفاق تام أمر اسحق جوانا بالنزول من السفينة فرفضت فلاحقها من قبل سفنة ، ولكنها التقت بسفينة رتشارد على الفور تقريبا ، وتدعى هنا حاشية نيليه في مصنف راشيل . بتهور نوعا ما بأن روايات « أ ـ ب » و « د » والرحلة متماثلة والخلافات لفظية فقط (٣٢) ولكن الفروق في الواقع كبيرة تماما ، وتقريبا بالحجم نفسه لتلك التي تفصل الرحلة عن الروايات الأخرى في النيول وعن الموجز .

وإنه مع وصول جيش رتشارد الى فلسطين ، فإن التماثل بين « أ ـ ب » والرحلة والتاريخ يصبح واضحا حقيقة المرة الاولى ، وحادثة الشيني الكبير على سبيل المثال تتفق بالتفصيل (٣٣) : وكانت السفينة تحمل تعزيزات من القوات وأسلحة ، وأفاعي ، وقوارير من النار اليونانية ، وليس بدعة أنه يمكن أن يعثر عليها بسهولة مصادفة من قبل مؤلف يخترع تفاصيله الخيالية كما هو مطلوب ، وجاء في كلا التاريخين بأن السفينة قد غرقت خارج عكا ، بعد اشتباك مع سفن رتشارد الكبيرة ، والفرق الصغير الوحيد هو في مصير البحارة : ففي الهرقليات غرقوا جميعا ، بينما في الرحلة أخذ بعضهم أسرى ، وليس هناك مسألة اعتماد مباشر من رواية على الأخرى ، إذ أن كلا منهما تعطي تفاصيل تحذفها الأخرى .

وعلى سبيل المثال سمي القبطان في الهرقليات ، ولكن لم يذكر اسمه في الرحلة ، بينما الأخيرة لديها تفاصيل أكثر حول المناوشة ، ولكن الاتفاقات هنا لاتتحمل إمكان تفسيرها على أنها مصادفة .

والاستيلاء على عكا من جانب آخر ، غير متماثل في النصين ، مع أن الفروق ليست كبيرة جدا بحيث تتوفر إمكانية

وجود تكييفين مختلفين للنص نفسه (٣٤) والاختلاف الرئيس هو أنه في قصة الهرقليات يهاجم الملك الفرنسي والانكليزي معا ، ثم رتشارد وحده ، ثم الاتفاق معا مرة أخرى بينما في الرحلة يكون رتشارد مريضا ، وفيليب أغسطس هو الذي هاجم وحده ، وأعطيت بنود المعاهدة أيضا مختلفة نوعا ما ، ولكن في هذه الحالة إن الاختلاف في التشديد أو التوكيد ، أكثر منه في الحقيقة ، فنص الرحلة دقيق جدا حول أعداد الأسرى المأخونين ، وأعطى أولا الاقتراحات المقدمة من قادة المسلمين ، ثم البنود المتفق عليها أخيرا بعد التفاوض . ولدى كتاب هرقل نفذ الاستسلام كله على يد قائد مسلم واحد هو قراقوش الذي كان قائدا لعكا في غياب صلاح الدين ، وقد ذكر اطلاق سراح كل الأسرى من المسيحيين ، وليس مجرد رقم معين ويمكن لهاتين الروايتين أن تكونا مختلفتين لصورة يمكن تصويرها ، ومن المحتمل أنهما تكيفتا نوعا ما بلا مبالاة عن المصدر نفسه ، أو أنهما تمثلا مصدرين مختلفين .

ومن الصعب في هذه الحالة القول بأن واحدة هي حتما الحالة أكثر من أن تكون الأخرى ، ولكن يجدر ملاحظة أن رواية الاستسلام التي تعطيها كل من « س ج » و « غ ج » والموجز بعيدة جدا عن الهرقليات والرحلة مما هما الواحدة عن الأخرى ، حيث تعطيان الشروط بصورة مختلفة تماما :

مبادلة الأسرى سجين بسجين ، وفدية يتفق عليها لذوي المناصب ولاذكر لاعطاء الأمان لسكان عكا ، (٣٥) ومرة أخرى أيضا نعود الى الحالة حيث ، مع أن أيا من نصوص الهرقليات لايتفق بالضبط مع الرحلة ، فإن رواية « أ ـ ب » تحمل بعض الشيء معها ، وعندما تقارن برواية « س ج » و « غ ج » والموجز تبدو في الواقع أقرب الى الرحلة .

وحول اغتيال كونراد أوف مونتفرات مع ذلك فان الروايات العديدة للهرقليات تتفق في الواقع مع الموجز ضد

الرحلة ، (٣٦) وكل النصوص تتفق حول نقطة واحدة هي أن الحشيشية كانوا متورطين نوعا ما ، وتتفق الهرقليات والموجز في ذكر استيلاء كونراد على سفينة الحشيشية ويتخذ من ذلك الباعث على قتله ، ولكن الرحلة اكثر غموضا ، معالجة إياها كنزوة من شيخ الجبل :

'qui Marchisum morte dignum judicabat, et infra certum illius temporis trucidari mandaverat(٣٧)

لكننا هنا في الحقيقة في مواجهة تعصب وطني ، وكان في مصلحة الانكليز كثيرا الغموض بقدر الامكان حول موت كونراد ، طالما أنه لم يقع حتى القليل من الشك على البطل الانكليزي ، ريتشارد نفسه ، وتجهد التواريخ الفرنسية لبيان ذلك مذكرة إيانا بأن كونراد توفي يوم الثلاثاء ، وفي يوم الخميس زوج ريتشارد الأرملة ايزابيل لابن أخته ، هنري دي شامبين وتمضي الرحلة على العكس في اسهاب كبير وخيالي في الواقع ، لتضع رتشارد في الضوء الذي يظهرة ، مزودا ايانا بمشهد درامي ، ولكن غير محتمل ، يوجه فيه كونراد الذي يعاني سكرات الموت ايزابيل الى تسليم صور الى رتشارد لا الى أي واحد آخر ، ويتهم المؤلف الفرنسيين مباشرة بنشر الاشاعات المسيئة للسمعة حول رتشارد . وهذه الحادثة بناء عليه حتى أكثر صعوبة في التقويم من استسلام عكا ، حيث أننا هنا يمكن أن نكون واثقين تماما من أن تزييفا متعمدا عمل في نص واحد على الاقل ، ويحتمل جدا في كليهما ، ولكن في حين أنه يستحيل تأكيد أن كلتا الروايتين استمدتا من مصدر مشترك فان من المستحيل بالمقدار نفسه بيان أنهما لم تفعلا .

ولكن حادثة واحدة أخيرة تقدم الامكانيات للمقارنة بين مختلف النصوص وتزودنا ببنية واضحة في الحقيقة . وهي قصة هدية من الخيول قدمت الى رتشارد أثناء حصار يافا ممن قبل صلاح الدين ،(أو في بعض الروايات من قبل أخيه سيف الدين) وترد في

كل النصوص باستثناء روايات ..ن . ج وغ ج من الهـرقليات ، وفي هذه الحادثة إن « ا ـ ب » في اتفاق واضـح مـع الرحلة ففـي كلا النصين قدم سيف الدين هـدية تـآلفت مـن زوج مـن الخيول لرتشارد ، وكان قادرا على الاستفادة منهما فيما بعد بشكل ممتاز .

'Quant li rois les ot receus, si fist monter sus et les fist assaer et eschaufer; si trova que il estoient moult bien en frain. Si monta sur l'un et fist monter Guillaume de Preaus sur l'autre et establi ses gens et issi hors dou chastel et se feri es Turs qui estoient ou borc, et les mist a desconfiture.(٣٨)

والقي ضوء مختلف كلية على الحادثة من قبل الموجز(٣٩) ، وهنا نقرأ أنه أثناء الحصار ، رأى صلاح الدين ريتشارد يقاتل على قدمية مع رجاله ، وإذ وجد ذلك حالة تبعث على الشفقة بالنسبة لملك ، أرسـل له حصانا ، ورفض رتشارد قبـول الحصـان وجعـل خـادما يمتطيه ، فحمله الحصان على الفور عائدا الى معسـكر المسـلمين ويقول صلاح الدين حسب رواية هذا النص :

'en fu mout honteus de ce que li cevaus estoit retomés. Si en fist .i. autre apparellier, et se li renvoia.'

ولكن لكون الهدية بسيطة كانت تنطوي على حسن النية ، أصبح الحصان هنا حيلة ماكرة صممت على مـا يبـدو لأخـذ رتشـارد أسيرا ، والرواية الباقية من القصة التي تـرد في رواية « د » مـن الهرقليات (٤٠) هي أكثر أهمية بكثير ، والأكثر اقناعا ، من ناحية أنها لم تلون الحادثة كلها بالسواد ولا كلها بالبياض ، بـل قـدمت تفسيرا أكثر رقة لها كلها ، وتقع الحادثة في هـذا النص في سـياق طويل جدا نوعيا ، يعطي تفصيلا أكثر بكثير حول حصار يافا ممـا يفعل أي من النصوص الأخـرى بـالمرة . وتـروي حـادثة الخيول هكذا : نزل رتشارد من السفينة في يافا تمـاما في الوقـت الذي كان المسلمون فيه على وشك الاستيلاء على القلعة ، وقـاد هـو نفسـه مترجلا الهجوم المضـاد ، مبـديا شـجاعة شـخصية كبيرة في

ذلك ، ومنع المسلمين ليس فقط من الاستيلاء على القلعة ، بل أيضا من أخذ أسير واحد ، وعاد المسلمون منهزمين الى قائدهم ، اخو صلاح الدين سيف الدين ، الذي دهش كثيرا من اخفاقهم ، فطلب أن يروه رتشارد ، الذي اشاروا اليه وهو واقف مع رجاله فوق رابية . وكان عند هذه النقطة أن وردت لسيف الدين فكرة أن يرسل اليه حصانا ، ولكن البواعث التي يعزوها المؤلف الى المسلم المهزوم في تصرفه هكذا تجاه المنتصر ألطف بكثير من كل الخيانة الواضحة أو الكرم البسيط في الروايات الاخرى :

Seif Lddin, le frere Salahadin, demanda ou estoit le rei. L'en li mostra ou il estoit aveques ses homes sur un toren Il s'entremist de bien et d'onor, si li envoia un cheval tirant, qui estoit mult mesaisié de la bouche, par un sien memeloc, et li encharja que il deist au rei que n'en esteit mie avenant chose que rei se combatist as Sarasins a pié.(٤١)

واقتراح هذه الفقرة هو أن قصد سيف الدين لم يكن أن يجلب رتشارد الى معسكر المسلمين بواسطة الحصان ، ويؤخذ أسيرا ، وإنما اختيار مهارته كفارس وربما وجد غير كفء عندما القى به الحصان ، وأن وجه سيف الدين يجب أن ينقذ هكذا ، وفي الحقيقة يدرك رتشارد أن الحصان ليس بالهدية البسيطة ويجعل المملوك يعدو به . وعندما يراه يشد عند الفم يقول عندئذ

'Mercie ton seignor et li meine son cheval, et li di que ce n'est mie l'amor qui entre lui et moi estoit qu'il me mande cheval tirant por mei prendre.(٤٢)

ويركب المملوك الحصان عائدا الى سيف الدين ، الذي كان أمينا ومتفهما ، فبعث الى رتشارد حصانا جيدا ، فجربه رتشارد بواسطة خادمة فوجده مرضيا فركبه في المعركة .

وهذه الرواية التي يعطيها المخطوط « د » مفيدة من عدة وجهات نظر ، إنها تصوير اخر لاخلاق رتشارد كما كان يرى من خلال

عيون المسلمين والفرنجة السوريين ، وكما سوف نرى فيما بعد (٤٣) ،إن مؤلف«د» لم يكن لديه مزيد من الوقت اجمالا للصليبيين الاوربيين ، وهي قاعدة كان رتشارد الاستثناء المدهش فيها ، وهناك أيضا بينة أن رتشارد كان معجبا بالقدر نفسه بعدوه المسلم سواء لأجل شجاعته في المعركة أو لذكائه ودهائه ، ومع أخذ كل هذه الحقائق في الاعتبار ، وتذكر أيضا أن « د » هو أكثر الكتاب موالاة للمسلمين (٤٤) ، ويميل اذا صح شيء من ذلك الى تبيض مقاصد سيف الدين ، ويمكننا ان نرى ان القصة تروى كمثال على شجاعة رتشارد ودهائه ، وكانت هدية الحصان« cheval tirant » وسيلة لوضع مؤهلاته هذه تحت الاختبار ، وكلمة رتشارد por mei prendre ، من الواضح أنها تعني في السياق (لا ليأسرني) بل (ليخدعني).

ومن وجهة النظر النصية ، يبدو أن تفاصيل هذه الرواية تفسر التفاصيل المتصارعة للروايات الاخرى ، فإذا افترضنا أن هذه هي القصة الأصلية من السهل أن نرى كيف خرجت الاخرى منها ، فالرحلة والهرقليات أتيا على ذكر حصانين كما في القصة الأصلية ، لكنهما حذفتا الخدعة ، وأنطلقتا من النقطة التي أخذ عندها رتشارد الحصان الثاني فجربه وركبه بنجاح ، ويؤكد الموجز على العكس على الجزء الاول من القصة ، مضيفا تفسيره الخاص لعودة الخادم الى المعسكر الاسلامي فوق الحصان ، أي أنه كان مدربا على العودة براكبه ، ويذكر فقط هدية الحصان الثاني باختصار ، ويتوازن هذا التأكيد مع الرغبة في وضع رتشارد في صورة مشرقة بشكل خاص والمسلمين في صورة معتمة بشكل خاص ، ولكنه يمكن أيضا أن يقفز ببساطة من اساءة تفسير عبارة por mei prendre. ، وتحوي رواية « د » كل تفاصيل الروايتين الاخريين إلى جانب بعض الزيادة ،و الخلاصة أنه في هذه الحادثة لدينا بوضوح ثلاث روايات لقصة ـ واحدة ، ومن الواضح أنها استمدت كلها من رواية أصلية

واحدة حيث المخطوط (د) هو الأقرب منهـا ، وبـاعتبار أن هـذا كذلك يمكننا أن نرى أن النصوص الأخرى أقـرب لبعضـها بعضـا برؤية أيها تتفق في تكيفها مع الاصل ، ونجد أنه بدون أي شك بالمرة الرحلة و « أ ـ ب » يتفقان بالضبط مع بعضـهما بعضـا بـاعطاء تكيف يخالف تشابه أي من النصوص الأخرى ، وهذا هو الأوضـح مع أنه ليس التصوير الوحيد الذي لدينا لقرابة هذين النصين .

وعليه فالصورة التي تظهر من فحص الهرقليات والتاريخ فيمـا يتعلق بنيول وليم الصوري وبالموجز هي هذه . إن أي تشابه يوجـد بين مجموعتي النصوص يوجـد بـلا خـلاف في رواية الرحلة ونص « أ ـ ب » من التاريخ وهذه نقطة قوية بـدرجة كافية لتقتـرح بعض الصـلة الطفيفـة الغـامضة بين الاثنين ، ولكن لا شيء أكثـر : وفي الواقع إن اقتراح مـاس لاتـري بـأن الرحلة كانت تـرجمة للنص الأصلي لارنول ، وأن الموجز تكيف عنها ، بات يمكن بشكل حاسم اهماله ، والتشابة الموجـود بين « أ ـ ب » والرحلة يمـكن التعبير عنه بأفضل صورة بالقول بأنه مع أن « أ ـ ب » مستمدة مـن المواد التى استعملها المصنفون للروايات الاخرى في الهـرقليات و « س ج و غ ج و د » من قبل مصنف الموجـز ، كان عليه أيضـا أن يعـطي مصدا آخر ، أو مصادر تتبع تقاليد غير معـروفة لهؤلاء المصـنفين الآخرين ، ولكنها معروفة لرتشارد الثالوث المقدس مؤلف الرحلة في الرواية التي يسميها ماير « ي ب٢ » ، وهكذا فإن «أ ـ ب » هـو النص الوحيد من نصوص الهرقليات الذي يحمل أي قـرابة بـالمرة للرحلة ، وهذه ليست إلا قرابة طفيفة ، وهذه النتيجة لا تلقي مزيدا من الضوء على مصادر الرحلة والهرقليات وهي مخيبة للآمـال ، في أن النتيجة المعاكسة التي هي تأكيد لفكرة ماس لاتري ، قد وضعتنا تماما على الطريق الى إعادة بناء عمل أرنول الأصلي ، ولكن هـذا الفحص للنيول والرحلة قد قدم بعض النتائج الصغيرة التي لم يبحث عنها ، ولكنها مفيدة لبيان أشياء معينة حول النيول ذاتهـا ، وقـد بينت أن هناك في هذه الفترة من النيول على الأقل ، رابطة واضـحة وقوية بين روايات الهـرقليات « و س ج و غ ج » والموجـز ، وأن

«أ ــ ب» مستقل نوعا ما عنها وكثيرا ما يتفق معها ، ولكنه يحتوي أيضا مواد خاصة به تختلف عن موادها ، وأن نص «د» هو الأكثر تعقيدا من الجميع في البناء ، فهو يتفق هنا مع « أ ــ ب » وغالبا ما يعطي نصا مختلفا كليا عن كل النصوص الأخرى التي ، في حالة واحدة على الأقل ، قدمت لنا في السابق المفتاح للغز النص ، وكل هذا لا يجيب على السؤال الأصلي حول الرحلة ، ولكنه يجيب على سؤال أكثر أهمية حول تجميع مختلف النيول فيما بينها ، ومع أن الطريق الذي تعده لنا ملتو عن ذلك الذي تصوره ماس لاتري ، فإنه يمكن في النهاية أن يؤدي الى المكان نفسه والى إعادة اكتشاف التاريخ الأصلي لأرذول .

الفصل السادس

عمل أرنول

بنية النيول

من الواضح إذا أن فرضية ماس لاتري حول رالف الكوغشالي ليست راسخة ، وأن مفتاح اللغزيكمن بالاحرى (١) في اقتراحه الأكثر عمومية بأن تاريخ أرنول ليس باقيا الآن ، ولكن خدم كمادة مصدرية لكل من النيول والموجز ، التي ليست بأي حال أدق تصوير ممثل لنص أرنول ، وقد حفظت بالمناسبة اسم المؤلف ، وهذه مازالت حتى الآن فرضية فقط ، ولكنها واحدة تـوافق كل الحقائق حول النصوص ، ويجب أن تكون قادرة على البرهنة أو عدم البرهنة ، بمقارنة النصوص مع بعضها بعضا .

مفترضين عندئذ أن عمل أرنول ينتمي إلى طبقة مختلفة تماما في تشكيل الجزء الأساسي عن طبقة برنارد ، والمشكلة في تعقب مابقي من عمله إلى مرحلة أبكر وأكثر غموضا بالمرة ، ومن الضروري أن تتميز من خلال هذه الكتلة من المادة المتجمعة ، محاولين التمييز بين شريحة وأخرى لنفصل بين العناصر الكثيرة الداخلة في تركيبها ، بأمل معرفة ماالذي جاء به أرنول ، وكان عمله على مايبدو مصدرا منتشرا لدى المصنفين : والقسم الرئيس الذي يسمى فيه أربع مخطوطات (٢) يظهر مرة أخرى مع أن ذلك في كل الصور المتنوعة ، وفي كل رواية فرنسية من النيول ، وهذا مجرد دليل ، وليس تحديدا للكثرة التي استمد فيها من روايته .

ومشكلة ترسيخ الصورة الاصلية لتلك الرواية هي في بعض النواحي قريبة من المشكلة المقدمة من الرومانسيات التريستانية .

وفي كل حالة تظهر الروايات المختلفة خليط التوافق نفسه والتعارض والتنقيح . وتختلف المسألتان على أي حال بطريقتين هامتين :
في حالة أسطورة تريستان ، أيا كان قدر وزن البنية لصالح التسليم بصورة مكتوبة ثابتة تستمد منها الروايات الأخرى في النهاية ، ووجودها مايزال غير يقيني تماما . وصورتها مادة للتخيل ومعايير ترسيخ مضمونها هي كما تبين رواية بدبير بطريقته الخاصة وهي على الأقل غير موضوعية بمقدار كبير (ذاتية) . وحتى بعد تنقيح جروترود سكو بيرل ، يبقى (٣) التاريخ كيانا غامضا ، ذا تاريخ قابل للتساؤل ، وتأليف غير معروف ، ومصدر إقليمي موضع جدال . ومعرفتنا بأرنول مع أنها ضئيلة تعطينا نقطة انطلاق مختلفة تماما ، فنحن نعرف أن لديه شيء مكتوب 'cest conte fist metre en escrit'

ولدينا معايير معينة يمكننا أن نحكم بها ماذا كان هذا المكتوب يمكن أن يحوي ، وإلى حد معين ماالذي لايمكن - أعني تعاطف أرنول السياسي ، وموقعه الجغرافي ، ومنزلته الاجتماعية ، صحيح أن عمله قد فقد بالتأكيد تماما ، وهو نفسه لايعرف عنه إلا القليل . ولكن مانبحث عنه قد وجد يوما ما كوثيقة مكتوبة ، وتلك اللمحات القليلة من حياة مؤلفها واضحة وتضعه في زمرة مختلفة تماما عن المؤلف المفترض لحكاية تريستان الرومانسية .

ولكن الفارق الثاني الكبير بين المشكلتين يرجح على الجانب الآخر .

وسيرة تريستان هي من الأدب القصصي . فإذا ظهرت بناء عليه أحداث مشابهة من روايتين ، فإن من المؤكد بكل المعاني أن كلتا الروايتين مستمدتان إما الواحدة من الأخرى ، أو أن كلتاهما في النهاية من مصدر مشترك ، لأن التشابه بين مؤلفين يخترعان منفصلين بدقة الأدب القصصي نفسه من الممكن إهماله ، ومع التواريخ من جانب آخر ، هناك دائما إمكانية أن كلا منهما يروي

الحقيقة مستقلا عن الآخر ، مع رؤيتهما مرة واحدة في الضوء نفسه ، وبكلمات أخرى هناك إلى حد ما دائما بركة مشتركة من المادة ، أعني الأحداث كما حدثت بالفعل ، والتماثل بين روايتين مكتوبتين يجب أن يكون شديدا ومفصلا أبعد من التماثل الأساس في مادة الموضوع ، قبل أن نجد تسويغا في افتراض وجود علاقة بين الاثنين .

كيف لنا أن نقرر ، بين المصادر المختلفة التي يبدو أن كل مصنف قد أفاد منها كثيرا بحرية ، بالضبط ، ما الذي ينسب لأرذول ؟ ونقطة الانطلاق الوحيدة الممكنة هي الاحتفاظ العرضي تماما باسمه في المخطوطات الأربع المسماة بمخطوطات أرذول ، وهذا توافق بمعنى أنها بشكل عام بعيدة جدا عن أن تكون الرواية الأكثر تفصيلا للنص ، ولكنها تزودنا بنقطة انطلاق وهي حادثة فردية يرتبط بها اسم أرذول بإحكام على أنه اسم راويها ، والتي منها يمكن العمل في كل اتجاه بدوره ، في محاولة لاكتشاف إلى أي مدى قبل ، وإلى أي مدى بعد هذه النقطة توسعت حكاية أرذول ، والطريقة الواضحة التي تقدم نفسها هي فحص كل الروايات في كل من الموجز والتاريخ ، ومحاولة فصل هذا الجزء من نصهما بخطوط حدودية ، وبالطبع ليس هناك شيء يمنع مصنفا ما من أن يتوقف فجأة قبل أن يصل إلى نهاية مصدر معين ، أو أن يبدأ عند جزء ما خلال آخر . ولكن إذا تحولت روايات عديدة لتتفق على نقطة التحول من مصدر لآخر ، عندئذ تكون البينة بقوة لصالح افتراض أنها كانت نهاية ـ لمصدرهما المشترك .

كيف يمكن إدراك مثل هذا التحول في أي تاريخ واحد ؟

كما رأينا إن تفاصيل سيرة أرذول الذاتية غير معروفة لنا ، ولكن هناك شيئين مؤكدين : أنه كان من عامة الناس ، وأنه كان مواليا لابلين ، وسيكون من غير الحكمة تعليق أهمية أكثر مما ينبغي على الحقيقة الأولى ، لأن أرذول كسيد كبير لابد أنه كان لديه الكثير من

المعونة الكهنوتية التي تحت تصرفه ، وهكذا فإن المصادر اللاتينية المكتوبة التي لايمكن أن يكون قادرا على قراءتها كانت مع ذلك سهلة المنال عنده ، والفقرات التوراتية الطويلة التي كثيرا جدا ماتظهر في أجزاء معينة من التصانيف التي تعرض بمعرفة أكثر تفصيلا ودقة بالترجمة اللاتينية المقبولة Vulgate من أي رجل عامي عادي يمكن توقع معرفته بها ، ولايمكن إسقاطها حالا كاستيفاء كهنوتي متأخر في عمل أرذول ، وعلامة أرذول المميزة الأخرى ، ولاؤه لقضية ابلين ، الذي يمكن الاعتماد عليه أكثر كثيرا ، مع أنه هنا مرة أخرى توجد حدود معينة يجب معرفتها . وكون الابلينيين إحدى العائلات الهامة في بلاد ماوراء البحار فقد كانوا مقيدين بالظهور في أي تاريخ معاصر ، وكانت أعمالهم إلى حد ما مادة من المعارف العامة ، ولن يكون من المستطاع كتابة تاريخ لفرنجة ماوراء البحار في هذه الفترة دون ذكرهم بقدر جيد ، ولكن ليس كل الكتاب يقدمونهم على نحو مرض بأي وسيلة ، أو حتى بشكل حيادي كما سبق أن رأينا ، وبشكل خاص حوالي وقت سقوط بيت المقدس ، عندما كان سلوكهم حتى أكثر غموضا من المعتاد ، وماالذي يبحث عنه المرء بتعقب عمل أرذول ، بناء عليه ؟ إن فقرات غير متذبذبة مواتية للأبليين ، والأفضل تلك التي تحوي معلومات حولهم لن تكون متوفرة على الفور ، أو غير ذات أهمية ، بالنسبة لأي شخص لم يكن على صلة وثيقة بالعائلة .

وقد سبق فحص الموجز في هذا الضوء من قبل ماس لاتري ، الذي لاحظ أنه يحتمل أنه كان هناك فاصل في التنقيح حوالي ١١٩٢ أو ١١٩٤ (٤) ، وليس لهذا أن يقرر مسبقا الحكم في قضية تأريخ لتصنيف أبكر لرواية الموجز ، تشير في وقت مبكر إلى سقوط القسطنطينية الذي ثبت على أي حال بعد ١٢٠٤ ، ولاهي تستبعد إمكانية استيفاء المادة من مصادر أخرى قبل هذه النقطة ، ولكن هنا إن كل ذكر للأبليين يوقف فجأة ونهائيا ، وباليان دي ابلين الذي كان الشخصية المركزية في التاريخ حتى هذه النقطة ، والذي يختفي الآن فجأة يمكن أن يكون قد مات في حينه . ويذكره التاريخ

لآخر مرة في بنود المعاهدة المبرمة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد في ١١٩٢ (٥) ، و ١١٩٣ وهو التاريخ الذي سمع فيه عنه آخر مرة حتما ، ولكن بقية عائلة ابلين الكبيرة تابعت تقاليدها في البروز السياسي ربما حتى كان بتمايز أكثر ، وفي بقية الموجز مع ذلك بشكل عابر من حين لآخر كما لو كانت قليلة الأهمية أو لا أهمية لها بالمرة ، والنتيجة التي لامفر منها : إنه عند أو حول هذه النقطة يغير مصنف الموجز المصادر ، ويبدأ في استعمال مصدر غير ابليني ، وهذا ينطبق بالطبع على كل الروايات الثلاث الموجز ـ ز ـ أ (ب ٢) ، و ال (ب ١) المفقود ـ إذ إنها جميعا متفقة في هذا .

وفي حالة تاريخ ماوراء البحار ، إنه لأكثر صعوبة بكثير القول أين يحدث التوقف ، لسببين . الأول : كان مصنف هذا الخليط معنيا في الحد الأدنى بالأهمية التاريخية للكتاب كما نفهم التعبير أو كما يبدو أن معاصريه قد فهموه ، لهذا فإنه سيكون تهورا افتراض أن تغييرا في مصدره يدل على أي شيء أكثر من نزوة من جانبه ، وثانيا : إن الشيء كله هو هكذا مزيج على أي حال حتى إن التغيرات الفجائية من موضوع لآخر ، والعودة مرة أخرى أيضا هي القاعدة أكثر منها الاستثناء .

وبالرموز نفسها ، إن المخطوطات الباقية من التاريخ لايمكنها أن تقدم دليلا من أجل هدفنا الحاضر ، ولكن من الضروري أن نذكر مرة أخرى في هذا المجال ترجمة ستري دي لاغويت (٦) فاذا كانت بالدقة نفسها استخلاصا من أصله في كل الاجزاء كما هي في تلك الاجزاء التي يمكننا أن نتحقق منها ، فإن هذا الاصل مختلف عن المخطوطات الباقية في ناحية حيوية واحدة ، فمكانة ستري دي لاغويت مفصلة جدا حتى خبر سقوط القدس ضمنا ، ثم تصبح أقل بمقدار طفيف هكذا حتى نقطة تلي تماما التقسيم الذي لاحظناه في الموجز ، وبالدقة عند وفاة هنري دي شامبين في ١١٩٧ ، وبعد هذه الحادثة لا توجد قصة مفصلة بالمرة ، بل مجرد قائمة بالاحداث الكبيرة من حينه ، الى وقت الكتابة ، الذي يبدو أنه كان بين كانون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أول ١٢٣٩ ، وخريف ١٢٤٣ ، ويحوي النص أيضا رواية عن وفاة صلاح الدين تصل الى المديح تقريبا ، وليس هنا فاصل ملموس بالمرة في الحكاية قبل وفاة هنري ، فمن أجل ماذا كانت قيمة بينة ستري دي لاغويت اذا ؟ يبدو أن مخطوطه كان يقوم على تاريخ ادخل فيه المصنف استيفاءات من القصص الأدبي (كما ذكر في استعراض النصوص) (٧) وان هذا التاريخ انتهى في عام ١١٩٧ بوفاة هنري دي شامبين .

ونتحول الآن الى النيول الحقيقية (٨) ، وهذه تقدم بشكل عام نموذجا مختلفا نوعا ما ، من التواريخ القصيرة ـ الموجز والتاريخ ، وتختلف أيضا بقدر كبير فيما بينها ، كما يمكن أن يرى من الجدول على صفحة ١٠ ـ ١١ ، واجمالا فإن العناصر المكونة تنسجم معا بطريقة أكثر تعقيدا بكثير مما في الحالة التي في التاريخ ، أو الموجز وتجعل تمييز البنية أكثر صعوبة ، ولكن هناك ، استثناءات مدهشة لهذه القاعدة (أبرزها في د) وهناك أيضا ميزة أنه مع نصوص عديدة تغطي بشكل جوهري الأساس نفسه وتستمد الى حد بعيد من المصادر نفسها ، فإن المقارنات الدقيقة بينها ممكنة بطريقة لا تكون ممكنة بالنسبة للتاريخ ، المعزول نسبيا والموجز . تاركين جانبيا الفروق اللفظية بين المخطوطات من العائلة نفسها ، والتنوع بين عائلة وعائلة من نوعين : تلك التي تكون حيث تغطي رواية واحدة ما هو ظاهر أنه مجرد رواية أشمل أو أكثر ايجازا للمادة نفسها كالروايات الأخرى ، وتلك التي يكون المصنف على ما يبدو قد استعمل فيها مصدرا جديدا ، ولم يستعمل من قبل المصنفين الآخرين ، أو أضاف مادة أصلية خاصة به ، في حين أن الأولى هامة في توطيد العلاقات بين النصوص بقدر ما يعتمد كل منها على الآخر ، والثانية تبين أين يبدأ هذا الاعتماد وأين ينتهي .

والروايات الخمسة الرئيسية في النيول المدرجة أعلاه يمكن تقسيمها للفترة موضع البحث ، أعني حتى ١٢٣٢ ، الى ثلاثة مجموعات « أ و ب » (نيل كولبرت فونتنبلو كما يسميه ماس

لاتـــري) ، و« ســـس، ج و غ . ج ،و د وحــــــــدها ، والزوج الأوسط س . ج و غ . ج يوافق بشكل تام تماما الموجز ، وبالكاد يختلفان ماديا عن بعضـــهما بعضـــا في هـــذه الفتـــرة ، في حين أن الأخير « د » متميز كثيرا لدرجـــة أنه يتـــطلب أن يعتبـــر منفصـــلا تماما ، والروايات د أ و ب لا تقدم فروقا مادية عن بعضها بعضا في هذه الفترة ، ومع أن فروقا صغيرة في القراءة بينها سيشار اليها من حين لآخر ، ويمكن عموما أن تؤخذ كرواية واحدة . وعلاقة هذه الرواية برواية س . ج و غ . ج تتغير جذريا عند نهاية الكتاب ٣٠ الفصل ١٠ ، حتى أن مقارنتين منفصلتين لهاتين الروايتين تكونان مطلوبتين ، أولا حتى تلك النقطة ، ثم من هناك حتى نهـــاية الفتـــرة موضوع البحث .

ولندرس أولا بناء عليه العـــلاقة بين « أ و ب » مـــن جـــانب و « س . ج و غ . ج » من جـــانب آخـــر مـــن بـــداية النيول ، أي ١ / ١٣ من التاريخ حتى ١٠ / ٣٠ ضمنا ، مصنفين المنوعات لا بحسب الترتيب الذي ترد فيه ، بل حسب النوع ، وحسب اهميتهـــا للمسألة الراهنة .

وبعض الفروق بين هـاتين الروايتين يمكن أن يرى بسرعة أنها لا تعطي دلالة بالمرة على الاختلاف في المصـــدر . وفي ٢٧ / ١٤ ــ ١٦ على سبيل المثال تعطي « س . ج و غ . ج . » رواية أكثر اختصارا للمعارك المتتابعة التي أعقبت وفاة تـــانكرد وحقيقـــة أنهمـــا (و د أيضا) أعطيت هنا النص نفسه مثـــل بـــرنارد مهمـــة في ذاتهـــا ، وستدرس أكثر فيما بعـــد ، ولكن ليس هناك شيء في هـــذه الرواية لا يمكن أن يكون قد اســـتمد مـــن رواية « أ ــ ب » أو مـــن مصـــدر مشترك ، وعليه فالى الحد الذي تنهب اليه مسألة المصدر فإن هـــذا التنوع غير هام ، والشيء نفسه صـــحيح عن ٢٧ / ٦ ــ ١١ التـــي تتعامل مع محاولة اغتيال عموري في ١١٩٨ والاستيلاء على بيروت في السنة نفسها : ويتفـــق س . ج بـــالضبط مـــع بـــرنارد في حين أن غ . ج و د يختلفان في مجرد القول أن هيو صاحب طبـــرية الذي

اشتبه في تحريضه على محاولة الاغتيال ونفي بالتالي من المملكة ، بينما « س . ج » وبرنارد يقولان ببساطة أنه كان

وتعطي رواية ا ـ ب الاحداث بترتيب مختلف ، بيروت أولا ومحاولة الاغتيال ثانيا ، وتقول ان راؤول صاحب طبرية قد اتهم ونفي . ولكن مرة أخرى بصرف النظر عن اسمي الأخوين اللذين كثيرا جدا ما يختلط بينهما بأي حال ، جزئيا في عملية كتابة الحروف الأولى فقط ، وجزئيا لأنهما كثيرا جدا ما عملا معا ، لا توجد مادة في أي رواية لا توجد أيضا في الاخرى .

ومثلان آخران متشابهان هما ٢٣ / ٢٢ التي يحوي فيها غ . ج. نص برنارد في حين أن « س . ج و د ، أ ب » مع أنهما لا يتفقان على ما حدث يعطيان تفاصيل مختلفة بصورة طفيفة عن رفض بلدوين صاحب الرملة . تقديم الولاء لغي ، و ٣٤ / ٢٣ حيث «س .ج و غ . ج» وبرنارد حذفت خبر وفاة الامبراطور الالماني وأعطت رواية موجزة عن الأرض المقدسة ، وأخيرا هناك التنوع في ٢٣ / ١٣ فيما يتعلق بوفاة لانغوس واندرونيكوس واعتلاء اسحق انجيلوس العرش وتسلمه سدة الحكم . وهنا كما في ٢٣ / ٢٢ . يتفق برنارد و « غ . ج » ضد النصوص الاخرى ، حيث تكون الفروق في هذا التنوع ملحوظة أكثر قليلا عما في تلك التنوعات التي لوحظت حتى الآن ، وعلى سبيل المثال في « غ . ج » وبرنارد ، يأخذ اسحق بنصيحة أخويه ، وفي أ ـ ب وس.ج ود» تساعده امه (٩) . ولكن الحكايات مازالت من الرتبة نفسها ، وتوحي أيضا بتنقيح أكثر منه بوجود مصدر جديد .

وكل التنوعات الخمس ، تشير بالاختصار الى النتيجة نفسها ، وهي تشبه بعضها بعضا الى درجة تدل على مصدر مشترك ..

وعندما تنقسم في مجموعتين تميل المجموعتان للايحاء بـروايتين مباشرتين ، من احداهما استمد « س . ج و غ . ج » وبـرنارد ، ومن الاخرى « غ ـ ب » .

ويبقى هناك ثلاثة أقسام تـوجد فيهـا فـروق هـامة في التنقيح بين « أ ـ ب و س . ج و غ . ج » واهتمـت هـذه مـرة أخـرى بالترتيب حسب الأهمية وليس بترتيب الوقـائع : الحملة الصـليبية الثالثة وهدنة ١١٩٢ ، وفاة هنري دي شامبين ، ومعركة حطين .

وقد سبق أن قورنت حكاية الحملة الصليبية الثالثة في فصل سابق (١٠) ولتلخيص نتائج تلك المناقشـة : الفـروق الممـكن مـلاحظتها بين الروايتين (رواية أ ب من جانب ، ورواية «س ج و غ ج »مـن الجانب الآخر) ليست فقط في تفسير الوقائع ولكن مـاهـو أهـم في بيان ماذا كانت تلك الوقائع ، ومن هذه الفروق يظهر أنه مـن أجـل تاريخ الحملة الصـليبية الثـالثة كان لهـاتين الروايتين مصـدر مشترك ، ومن الممكن أيضا أن يكون مصنف « أ ـ ب » اسـتعمل مصدرا اضـافيا ايضـا غير معـروف لمصـنف رواية «س ج و غ ج » واستعمال مصدر اضافي لهذا القسم من الحكاية ليس شـيئا مدهشا فعله ، لأن النصوص التي لم تفعـل ذلك (س ج و غ ج) هزيلة عند هذه النقطة .

وهـذا الاختـلاف بين أ ـ ب و س ج و غ ج ينتهـي بـرحيل رتشارد قلب الأسد من الأرض المقدسة وهـدنة ١١٩٢ أي عند تلك النقطة بالذات مـن الموجـز ، حيث ينتهـي الانحياز المواتـي لابلين ، وكما يجب أن نتوقع الآن يتفق غ ج (بـأقل دقـة هـذه المرة) و س ج بالضبط مع برنارد وفي تعـداد ليس بنود المعـاهدة فقط ، بل ايضـا في مختلف عمليات تعـداد الأمـلاك والتعـويض عنها ، التي قام بها صلاح الدين نحو أفراد معينين أعني : حيفـا وقيسارية وأرسـوف ، ويافـا ، الى أصـحاب كل منهـا كل على

الخاف من خلالها ، ويسقط معه قزمه وهو يحاول التمسك بثيابه ويقتلان كلاهما ، وقد دفن هنري في كنيسة الصليب المقدس مع القزم عند قدميه .

وفي « د » كان هنري في عكا من أجل حشد الجيش لرفع الحصار عن يافا ، وبينما هو مرتكز على نافذة ذات حاجز ، وفي هذه المرة ينظر نحو الخارج وينهار الحاجز ويلقى القزم بنفسه وراء هنري في حزن ، ويقتل ويعلق مؤلف رواية « د » أيضا أن بعضهم زعم أنه لولا سقوط القزم فوق هنري ما مات هنري على الفور ، ويضيف الى هذا تأبينا قصيرا للكونت .

ونرى في « س . ج و غ . ج » والموجز(كل الروايات) القزم(غلاما)خادما كان يمسك بالمنشفة بينما كان هنري يغسل يديه قبل العشاء ، وعندما يسقط هنري من النافذة التي بدون حاجز قفز الخادم وراءه :

'por ce qu'il ne voloit mie que l'en deist qu'il l'eust bouté'.

ومرة أخرى يذكر الراوي أنه لو لم يفعل ذلك لما مات هنري بالمرة ، ولايقتل الخادم بل يهرب بعظم فخذ مكسور ويطلق الانذار ، الذي يؤخذ في البداية خطأ على أنه اقتراب المسلمين ، وتضيف هذه الرواية أن هنري قد أمر عدة مرات بأن يركب حاجز للنافذة ويضيف س . ج والموجز أيضا ان هذا قد تم فعله في الواقع بعد وفاته .

والحقائق الاساسية التي تظهر هي هذه : سقط هنري من نافذة وسقط معه خادم من نوع ما ، والفروق بين الروايات يمكن أن تلخص هكذا : مالذي كان يفعله هنري قبل أن يسقط ؟ هل كانت هناك نافذتان أم واحدة ؟ هل كان الخادم قزما أو لا ؟ هل جرى جذبه وراء هنري أم أنه القى بنفسه ؟ هل قتل أم اصيب فقط وبعض هذه الفروق يمكن نسبتها بوضوح الى محاولات لاعطاء

حدة ، وإعطاء الصرفند الى ريموند صاحب صـيدا ، والداروم الى بالين دي ابلن (١١) .

وبدلا من كل هذه التفاصيل تقـول رواية أ ـ ب عن ريذو انه لم يعط فقط الصرفند بل أيضا نصف كل الأراضي في صيدا ، ويخصص أن هذا كان من أجل اجراء تسويات للمناسبة التـي تـراجع فيهـا صلاح الدين عن كلامه بـأخذ ريذو أسـيرا بعـد أن أعطـاه الأمان (١٢) وبالنسبة للبقية تقول الرواية فقط « سلم للمسيحيين يافا وأرسوف وقيسارية ، وحيفا وعكا وصور » (١٣) .

وكانت المدينتان الاخيرتان المسـميتان في أيد مسـيحية في زمـن الهدنة على أي حال ، وتركنا نستنتج أن الأربعة الأولى قد سـلمت كجزء من المعاهدة ، ومرة أخرى نلاحظ اتفـاقا مـاديا عامـا بين « أ ـ ب » ورواية «س ج و غ ج ، مـع فـروق في التفصـيل والتأكيد ، ومرة أخرى فان الاستدلال هـو مـن مصـدر أصـلي واحد ، مع أن « س ج ـ غ ج » يسـتمدان مـن وسـيط مختلف عن « أ ـ ب » ، ونقطة جديدة هي أن إنهاء هذا النوع الطويل الهام في هذا المكان الخاص يجب أن يبقى في الذهن كبينة مفـرزة لوضـع تغير في التنقيح الجاري على الذيول هنا .

والاختـلاف الرئيسي الثـاني بين هـاتين الروايتين مـن الذيول موجود في سردهما لواقعة وفاة هنري دي شامبين وهنا فإن رواية د يمكن أن تدخل بشكل مريح في المقارنة مع الروايات الأخرى ، وتـرد القصة في ٢٧ ـ ٣ ـ ٤ (١٤) وهناك ثلاث روايات لها : واحدة في « أ ـ ب » وأخرى في « س . ج ، غ . ج » وبرنارد و الثـالثة في « د » .

وفي القصة كمـا أعيد سردهـا في أ ـ ب كان يرتـكز هنري على نافذة ذات حاجز ذي قضبان ، ويتقدم لاستقبال وفد من بيزا ويرجع بطريق الخطأ الى نافذة مختلفـة ليس لهـا حـاجز ، ويسـقط الى

معنى للحادث بعد وقوعه ، فعلى سبيل المثال إن أيا من الرواة لم يكن قادرا آنذاك أن يعرف حقا الذي وراء فعل القزم في وقتها ، وبواعثه يمكن تخمينها بـ « *ad infinitum,* » وما هو أسهل من استبدال تخمين بآخر أنسب لذوق المصنف (١٥) .

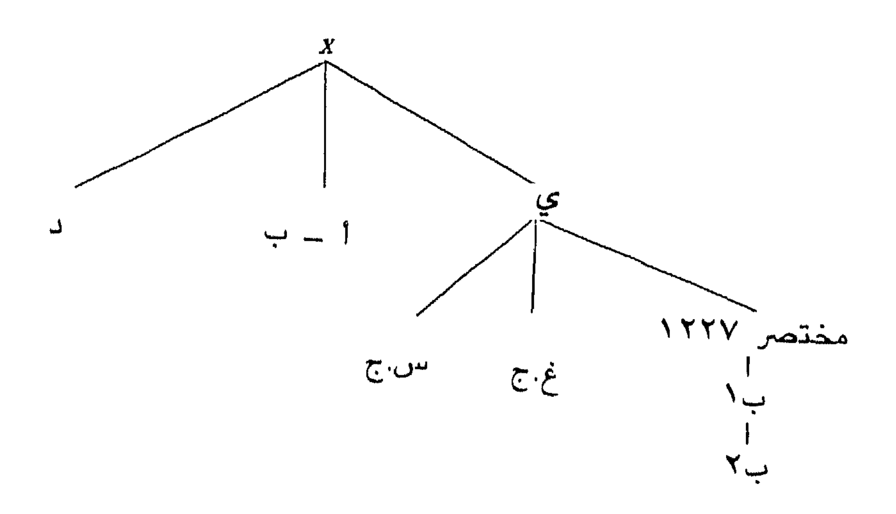
وواضح أن أيا من هذه الروايات الثلاثة حول وفاة هنري لم تتمكن من ان تبرز للعيان حتى مع تكيف كبير مع الاثنين الآخرين ، فهل يجب ان نفترض وجود مصدر مشترك كيف بصور مختلفة ، أو مصادر عديدة مختلفة؟ وبالنسبة الى المدى الذي تمضي اليه مسألة النوافذ ، تذكر رواية أصيلة اثنتين : أحداهما ذات حاجز والثانية بدون حاجز ، يمكنهما أن تفسحا مجالا لكل الروايات الثلاثة الموجودة، وتحتفظ رواية أ ـ ب بكليهما ، وتحذف الثانية ، وتحذف س ج وغ ج الاولى ، والشيء نفسه بالنسبة للاسباب المختلفة لوجود هنري في عكا ومشاغله في تلك اللحظة ليست متغيرة حصرا ، ويمكننا بسهولة ان نفترض أن الروايات الثلاثة تتخير ثلاثة تفاصيل مختلفة : زيارة وفد بيزا ، حشد الجيش وغسل اليدين من مصدر أطول كثيرا وأكثر تفصيلا مما قدم كل الثلاثة .

ومن جانب آخر هناك تعارض مباشر بين الروايات حول موضوع الخادم ، قزم ميت أو خادم بساق مكسورة ؟ وهنا يجب ببساطة أن نختار من أجل «أ ـ ب و د» تفضيلا على س ج و غ ج على أساس أنها على الفور أقل تفصيلا وأكثر دقة وخاصة من رواية أ ـ ب عن مكان وطبيعة الدفن وهي تفاصيل يمكن علاوة على ذلك أن تكون مختلقة في ذلك الوقت ، ويحتمل انها كانت مسألة معلومات عامة ، وبالنسبة للساق المكسورة والانذار ، من الممكن تماما أن تكون ساق القزم قد كسرت عند سقوطه ، ولكنه لا بد أن يكون قد مات بسرعة نوعا ما ليدفن مع هنري في اليوم التالي كما تطلب الطقس ، ولا بد أن يكون الانذار هو صراخه عندما رأى هنري يسقط : وسقوطه هو نفسه ، ونجاة القزم واطلاق الانذار بعد

السقوط يظهر هكذا كتفصيل غير ضروري ، وقد اخترع الأول لتفسير الثاني ، فإذا كان هذان الاثران : الانذار الذي أخذ خطأ كتحذير من جيش مقترب ، واصابات القزم الميت - قد ذكر بشكل عابر في الاصل ، فإن حذفها في «أ - ب و د» ، وتفصيلها في «س ج و غ ج» تفسير معقول وكاف للروايات الراهنة ، وهكذا يصبح واضحا ان كل هذه الروايات أمكنها في الواقع أن تأتي من مصدر نهائي واحد ، وانه لاحاجة لافتراض وجود اكثر من واحد ، وواضح أيضا مع ذلك انه كانت هناك روايتان وسيطتان لهذا المصدر ، على اساس ان الاقدم أكثر خلافات صغيرة بين النصوص مما أوحى بأن س ج - غ ج والموجز قد استمدا من احداهما وأ - ب(مع التحفظ) و د من الأخرى ، ويجب أن نضيف هنا مع ذلك أهلية جديدة لهذه الفرضية ، أعني انه في التاريخ ككل ، كما في مثال وفاة هنري التي جرى تحليلها أعلاه . فإن «أ - ب ود» قد اعطت بتساوق رواية ابسط في حين ان «س ج و غ ج» والموجز كان لديهما بشكل عام قصة فنية اكثر ، مع اغراء أكثر درامية ، ومثل هذا الحكم بالطبع ، مثل حكم بدبير على التريستان ، وهو على الاقل حزبي ذاتي (١٦) ، ولكن من جانب التصديق للجدال ، يجب ان يضاف أن في مسألة التواريخ هناك قدر كبير يقال لتفضيل الرواية الاقل زخرفة واتجاها نحو الادب ، على أنها اقل اغراء شعبيا ، وبناء عليه أكثر عرضة للتنقيح لمصلحة الاثارة والتشويق .

واذا كان للمرء أن يختار رواية واحدة على انها الاقرب للاصل ، فهذا هو الامر الذي يجري الاختيار من إجله ، والاحتمال بناء عليه يقدم نفسه ان « أ ب و د» قد استمدا مباشرة من الاصل في حين أن «س ج و غ ج» والموجز يستمدان من تكيف لهذا الاصل وهما على درجة واحدة من البعد لما عليه أ - ب و د وهذا أيضا يفسر حقيقة أنه بينما «س ج - غ ج» والموجز في المجموع، عادة على اتفاق لفظي مع بعضها فإن الاتفاق بين « أ - ب و د » متنوع جدا ومتقطع ، وأحيانا يتفقان ايضا حرفيا ، وفي أحيان أخرى لا تكون حتى مادة حكايتها هي نفسها بكلمات أخرى بينما تكون المجموعة

الاولى للنصـــوص في هـــذا القســم (حتـــى ٣٠ ــ ×) على أي حال ، ببساطة تنسخ عن نص واحد ، فإن المجموعة الثـانية هـــى بالأحرى تكيفات لمصدرها المشترك وهذه العلاقات يمــكن ان تمثــل بصورة تخطيطية مؤقتة هكذا ٠



ويجب التأكيد على أن هذه الصورة صالحة فقط للذيول حتى نهاية ٣٠ / ١٠ ، وليس بالمرة بعد هذه النقطة ، عندما تصبح علاقة النصوص مختلفة تماما ، علاوة على ذلك فإن المكان المعين لـ« د » مؤقت جدا . وتبقى دراسة المتنوعات من «د» في هذا القسم مرة أخرى مقتصرة على الفروق المادية تاركين جانبا في الوقت الحاضر القراءات المختلفة التي تدل فقط على العلاقات بين المخطوطات العديدة لذيل واحد .

وليس بين ذيل وآخر وفي الواقع ان (د) تحوى كثيرا من المعلومات الواقعية التي لا توجد في اي نص آخر بالمرة ، واستعراض موجز لهذه الخصائص سيمكننا من دراسة ما الذي تدل عليه حول مصادر « د » طالما ان تصنيفها « أ - ب أولي » لطلب السؤال ، وفي هذه الحالة سوف نعددها بالترتيب الذي ترد فيه في النص ، ومقارنة نص « د » بالذيول الاخرى ليست سهلة ، لأنه حتى المقارنة الخاطئة تظهر ان النص مشوب جدا ولا يقوم على علاقة بسيطة مع النصوص الاخرى ، وعليه فمن الاصعب وصف تقلبات دون وضع معايير للمقارنة التي يمكن ان تثبت في النهاية انها مضللة أي بدون وصفها فيما يتعلق بنصوص أخرى ، التي بالنسبة لها يمكن ان تبدو ممكنة المقارنة ولكنها في الواقع قليلة الارتباط بها ، ومع ذلك فإن بعض المقارنة يجب أن تتم من أجل الوضوح ، وحيث انه في قسم النص موضوع البحث ، أعني حتى ٣٠ / ١٠ إن نص د بالنسبة لكثير من الحكاية متفق مع حكاية « أ - ب » وانه لهذا النص سوف نقارنه الآن ، ولكن يجب التأكيد بأن الطريقة المتبناه لم تعد أكثر من ذريعة ، ولا تلمح الى أن « د » بأي حال معتمد على أ - ب أو انه حتى بالضرورة تكيف آخر المصادر نفسها بالضبط

وأول تباعد بين نصوص « د وأ - ب » يأتي دوما بعد بداية ٢٣ / ٤٠ لجزء من الطريق عبر قصة حطين (١٧) ويستمر هذا الاختلاف من خلال عشرة مقاطع مغطيا استسلام طبرية وعكا ، ورحلة باليان

دي ابلين الى بيت المقدس وتاريخ جوهان غيل وكونراد أوف مونتفرات المؤقتة في القسطنطينية ، ووصوله الى فلسطين وتنظيمه للدفاع عن صور .

وكل هذه الموضوعات تعالج ايضا في القسم المقابل في « أ ـ ب » باستثناء جوهان غيل الذي يظهر فيما بعد(١٤/ ١٢)(١٨)وعن كل موضوع يعطي «د» رواية أكثر تفصيلا بكثير ، ولكنها رواية لاتتعارض مطلقا مع رواية «أ ـ ب» وفي كل هذه الفصول العشرين يوجد فرق واحد فقط في الوقائع بين النصين : لوحظ وصول كونراد الى عكا ثم مغادرته لها في « د » كمسيحي من قبل مسلم مرتد ، في حين أنه في «أ ـ ب » كان المسلمون الذين تحرى (١٩) منهم عن الوضع السياسي قد افترضوا أنه صديق لصلاح الدين وخلافا لذلك إن « د » في كل حالة ببساطة رواية أكمل عن القصة نفسها وهكذا نميل في هذه الحالة الى تأكيد المخطط أعلاه ، وأن نوحي بأن « د » يستمد من المصدر نفسه مثل «أ ـ ب » مغطيا على أجزاء الأداء الكامل لها ، واحيانا يمكننا حتى أن نرى من « د » بالضبط أي نوع من التداخل قد أنجز في تكيف « أ ـ ب » وعلى سبيل المثال ، طبقا لـ «أ ـ ب » ، كان رينو دي شاتيللون (أرناط) قد أخذ اسيرا في حطين ، وقطعت رأسه من قبل صلاح الدين ، ولكن « د » يحدد أن صلاح الدين نفسه هو الذي طعن أرناط بسيفه ، وأن المماليك الواقفين بالاستعداد اندفعوا نحوه وقطعوا رأسه (٢٠) .

والفقرات الثلاثة التالية المختلفة في « د » في الفصول ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٤ ، هذا الكتاب نفسه (٢١) ، كلها حكايات متصلة بالأحداث التي جرى وصفها وهي ترد في رواية مماثلة ، بصرف النظر عن وجودها في الاقسام المقابلة من «أ ـ ب » وتتوافق بسهولة في القطعة كصور أو تعزيزات للنقاط القائمة ، وأول قصتين من هذه القصص تتعلق بحصار بيت المقدس ـ وكيف أرسل صلاح الدين في طلب توماس ابلين ووليم صاحب جبلة ، وبكى من أجل هذين

الطفلين المسيحيين اللذين كان انتصاره الوشيك سيحرمهما من حقوقهما(١٢) الانسانية ، وكيف أن رجلا فقيرا كما يبدو قد اكتشف وهو يحاول خداع شروط الاستسلام بأخذ مال الى خارج بيت المقدس معه (٢٢) وتصف الحكاية الثالثة حادثة أثناء سير المسيحيين الهاربين من بيت المقدس ، عندما نصب رجال صاحب هونين كمينا لهم وسلبوهم ، وقد عاملهم أبناء دينهم ـ حسبما سارع المؤرخ للقول ـ أسوأ مما فعل العدو المسلم (٢٣) ، وهنا ما هو المصدر وما هي أهمية هذه الحكايات ؟ هذا ما سوف نراه .

ويغطي الكتاب الرابع والعشرون الأحداث التي تلت سقوط بيت المقدس ويحوي سبع منوعات من « د »، وأولها في الفصل الثاني (٢٤) ، ويتعلق بتطهير صلاح الدين للمسجد الأقصى ، وباستثناء أنها تحوي بعض التفاصيل التوضيحية الموجزة حول المعتقدات الدينية للمسلمين ، فإنها تافهة ، ومرة أخرى فإنه من الممكن شرح ذلك ببساطة كتكيف أكمل للمصدر نفسه الذي استعمل في «أ ـ ب » والفقرة الثانية المختلفة مثل ذلك تحوي اختلافات عديمة الأهمية في التفصيل في روايات الاستيلاء على قلعة الشقيف وحصار صور ، ولكنها ايضا تضيف رواية فريدة حول حصار الشوبك (٢٥) ، والثالثة في الفصل التالي عديمة الأهمية بالكامل ، لكنها ببساطة (٢٦) رواية مختلفة الصياغة للقصة نفسها بالضبط الواردة في «أ ـ ب» إنه في الفصل الرابع نلتقي أولا باختلاف كبير حقا في الكتاب الرابع والعشرين حيث رواية طويلة ومفصلة حول الحيلة التي استعملها صلاح الدين للاستيلاء على الشقيف (٢٧) وإنه لبالغ الأهمية أن نجد ان نص د يضع الاستيلاء على الشقيف عند هذه النقطة ، لأنها تتفق مع تواريخ المؤرخين العرب في تأريخ هذا الحدث في السنة نفسها مثل سقوط الكرك والشقيف في ١١٨٩ (٢٨) ويخطىء نص «أ ـ ب » تماما في وضع كل هذه الأحداث في ١١٩٢ خلال الحملة الصليبية الثالثة (٢٩) ، وأن هذا غلط واضح من حقيقة أن «أ ـ ب» يقول انها جميعا قد حوصرت سنتان ، مما يتفق مع المصادر الأخرى (انظر اعلاه)

ولكنه يخالفها في انها جميعا تضع حصار القلاع في عام سقوط بيت المقدس ١١٨٧ ، عندما كان صلاح الدين يعـزز مـوا قعه الارضـية وهكذا يضع الشيء كله ابكر ثلاث سنوات ونحن مضطرون لا ستنتاج أن روايات هذه الحصـارات كانت مـوجودة في (×) في المخـطط أعلاه (ص ٨٩) ، وأن مصنف « أ – ب » قد حذف في البداية ، ثم عكس قراره فيما بعد ، احتمالا لانه أدرك أن بنود معاهدة ١١٩٢ قد أشارت الى حادثة الشقيف .

والنص المخالف ا – « د » الموجود في الفصلين الثامن والتـاسع من الكتاب نفسه ليست أقـل تـوضيحا ، والاشـارات الاضـافية العابرة الى الحروب بين فـرنسا وانكلتـرا ، والواردة في د » قليلة الاهمية ، والسمة البارزة هـي حـذف « د » لموت بـربروسا الذي يعطيه كل نص لخر في النيول عند هذه النقطة ، وهذا الحـذف مـن «جانب مصنف » هام لان موت بـربروسا سوف يروى فيما بعد في الفصل السادس والعشرين من هذا الكتاب نفسه (٣٠) من قبل « د » وأيضا من قبل « أ – ب » وهكذا فإن « د » يتجنب ايراد حـكايتين لهذا الحدث نفسه ، ويفعل ذلك لا بحـذف الثـانية منهـا بـل الاولى ، وما هو أكثر أن الاثنتين كما يعـطيهما « أ – ب » تناقض احداهما الاخرى .

Un jor se estoit li empereres herbergez en Ermenie, sur une riviere. Si li prist talent de baignier soi. Si entra ens, en tel maniere que il fu noiés(٣١)

. . . et l'empereres se mist a passer le flum, et li dui chevalier devant lui, et de ses homes devant et derriers lui a grant plenté. Si come il fu el mi luec dou flum, li chevauz sus cui il chevaucheit trabucha et il chei ou flum. Par la force de la chalor que il avoit sofferte et par la froidure de l'eve ou il chai, il perdi sa vertu, que il ne se post aider. Les veines de son cors s'ovrirent, si que il nea.(٣٢)

والرواية الاولى الموجـــــــــــــودة في أ – ب وس ج وغ ج مبتسرة ، وواضـح أن الرواية الثـانية المفصـلة الموجـودة في « أ – ب » و« د (٣٣) في مكانها حسب الترتيب الزمني هي النموذج الاصلي ، في حين أنها حسـب الماع ٢٤ / ٩ (الفقـرة الاولى مـن

النص المقتبس أعلاه) هي استيفاء ، وقد تفادى مصنف « د » بطريقة ما أخطاء النسخ والتناقض .

فإذا كان المزيد من البرهنة على نظرية أن د وا – ب قد تبنتا بصورة مختلفة مصدرا واحدا ما زال مطلوبا ، فإنه قدم بواسطة الفقرة المختلفة التالية في الفصل نفسه إنها قصة اعدام عدد من فرسان الداوية الذين أخذوا أسرى من قبل صلاح الدين ، والذين يفترض أنه عرض عليهم أخذهم لخدمته الخاصة ، شريطة أن يرجعوا عن دينهم ، وقد رفضوا ثم اعدموا ، وهنا حذر الأمير بهاء الدين قراقوش ، صلاح الدين من أن هذا الفعل غير حكيم لأنه سيحفز على الانتقام معبرا عن نفسه باستعارة خاصة تماما:

'Je vos fas assavoir que
les Templiers naistront o toutés lor barbes. (٣٤)

وهذه الحادثة بكاملها موجودة فقط في«د» ولكن بعد ذلك بوقت قصير ، في د وهذه المرة ايضا أ – ب علق قراقوش هذا التعليق حول وصول جاك دي أفيذس الى بلاد ما وراء البحار .

: 'Sire, dist Caracois,
ce est le secors qui vient as Francs. Je vos di(s) bien, quant vos comandastes a occirre les Templiers, que il Templier naistreent o toutes les barbes.(٣٥)

وكما في حالة أخذ الشقيف واضح أنه هنا مرة أخرى إن مصنف أ – ب قد حذف حادثة ما مع أنه لم يعرفها ، سيعود مصدره الى الاشارة اليها فيما بعد وفي المثال الاول يعالج هذا باستدراك ويضيف الحادثة مباشرة قبل الاشارة اليها وهنا يترك اسم المصدر ، إلا أنه ليس هناك شيء يشار اليه .

وبصرف النظر عن حكاية الحملة الصليبية الثالثة وهي مسألة منفصلة ، قد تم التعامل معها في مكان آخر (٣٦) ، هناك ثلاث فقرات مختلفة أخرى في « د » بين هنا ونهاية القسم الذي تحت

الدراسة ٣٠ / ١٠ الاول منهـا طـويل جـداً مـن ٢٦ / ١٧ الى ٢٧ / ٥ ، ومثل تلك التي سبق فحصها تتكون أساسا من الحكاية نفسها مثل « أ ـ ب » مع إضافة قدر كبير من التفاصيل الاضافية ، وبعض هذه عبارة عن تفاصيل إضافية حول احداث مغطاة في كلتا الروايتين ، وبعضها يمس أمورا لم تعالج في « أ ـ ب » أو في الواقع في أي رواية سوى « د » ومع ذلك فإن زمرة ثالثة من تلك الفقرات المتنوعة هي مادة غير موجودة في « أ ـ ب » ولكنها موجودة في « س ج ـ غ ج » وفي الموجز أو في الثلاثة جميعا في نقطة تالية ، وهي تعاود تأكيد ارتباط « د » بهذه النصوص الثلاث ، وإن يكن ذلك بعد مسافة ما في هذا القسم ، ومثل كل المنوعات حتى الآن فإن هذا لا يتناقض مع « أ ـ ب » وهو الاستثناء الطفيف الوحيد في أمر وفاة هنري دي شامبين المفحوص أعلاه والذي به يصل هذا الاختلاف المطول الى نهايته .

وبعد هذه النقطة لا يقدم « د » معلومات أكثر مميزة لذاتها ، ولا حتى أي من تنقيحات المادة الموجودة في مكان آخر ولكنه يعبر عنها بطريقة مختلفة وحيثما يختلف « د » عن « أ ـ ب » من الآن فصاعدا فإنه يتفق مع « س ج و غ ج » (٣٧) ، وعلى ماذا يأتي هذا الاتفاق ؟ والاعتماد المباشر له « د » على « غ ج » يمكن استبعاده ، بسبب تواريخ تأليفهما ، في حين أن العلاقة العكسية يجب أن تستبعد أيضا كحل مباشر ، طالما أنها لا تفسر التماثل القوي بين س ج و غ ج لا سيما في أجزاء أخرى من النص حيث لا يتفق « د » معهما ، والتفسير الممكن الوحيد أن لدينا هنا علاقة مختلفة تماما عن تلك المصورة بالمخطط الموجود على صفحة ٨٩ : « د وس ج و غ ج » تستمد الآن من مصدر مشترك لم يستعمل من قبل « أ ـ ب » الذي هو هنا في زمرة مستقلة به ، ومن المناسب أن نذكر هنا أنه من ١٢٠٥ الى ١٢٣١ هذه هي الحالة بشكل ثابت ، وفي الحقيقة إنه لصحيح القول أنه لتلك الفترة ، فإن « س ج و غ ج » و« د » هي رواية واحدة متشابهة ، و« أ ـ ب » غير مرتبطة بها كلية .

ومن أجل القسم المتخلل ، من ٣٠ / ١٠ الى عام ١٢٠٥ تتفق كل الروايات مع بعضها ، وعليه فمن الواضح أن علاقة الذيول الواحد بالآخر لا تخضع لتغيير جذري عند وفاة هنري دي شامبين وبعد ذلك تكون الأمور بسيطة لدرجة كافية ويستمر الاتفاق بين كل الروايات الى ١٢٠٥ (وفاة أمالرك دي لوزنغان)ثم حكايتان فقط حتى ١٢٣١ واحدة في « أ ـ ب » والاخرى في « د س ج ، غ ج» والموجز ، وإنه حتى الفترة ، ١١٨٦ ـ ١١٩٧ يمكن أن تختزل القسم الأكثر تعقيدا من الذيول ، وقد اقترح المخطط الذي في صفحة ٨٩ على أنه يمثل النصوص في هذه الفترة ولكن هناك بعض التعديلات التي يجب أن نجريها الآن .

أولا : إن المخطط كما يبدو يظهر مصدرا واحدا « × مع ثلاثة نصوص مستمدة منه هي : « د و أ ـ ب » والنص «ي » المفقود هو المصدر الوسيط المشترك لكل من س ج و غ ج والموجز ، ولكن قد أصبح واضحا أن « أ ـ ب » لديهما تماسك معين مشترك في تكيفها عن هذا المصدر ، الذي لا يشترك « د » معها فيه ، وبكلمات اخرى ، إذا كان المخطط صحيحا كما يبدو تماما ، فإن المرء يتوقع أن بين هذه الثلاثة ، أ ـ ب و د و ي » لابد أن يوجد توزيع عشوائي نوعا ، المادة التي توجد أصلا في « × » ، ولكن كما رأينا مع أن هذه هي الحالة في أحوال كثيرة جدا ، فإن هناك كتلة كبيرة من المادة فقط في «د » اكبر كثيرا مما يمكن تفسيره عن مستوى الصدفة ، وهي بشكل دائم غائبة عن « أ ـ ب » أو أي من النصوص التي تعتمد على « ي » ولكن من جانب آخر لا يوجد شيء حقا في « أ ـ ب » أو نصوص ي مما يسمح لنا بافتراض أي نوع من اعتماد واحد على الآخر ، أن نرى « ي » على سبيل المثال كأنه قائم على « × » بل إنه متأثر ب«أ ـ ب» أو العكس بالعكس ، ماذا إذا يفسر الاستبعاد المشترك لكتلة كبيرة من المادة من قبل هذه النصوص ؟

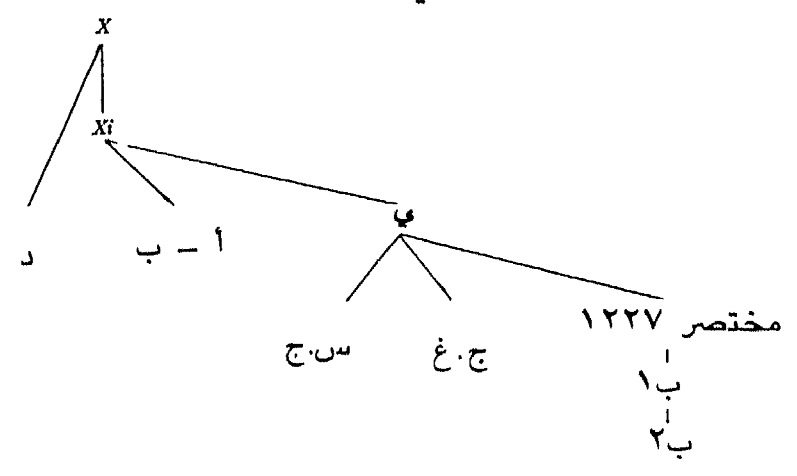
والاحتمال الذي يقترح نفسه هو بالطبع أن المادة الخاصة ب

« د » لم تكن في « × » ، بالمرة ولكنها استمدت من قبل مصنف « د » من مصدر آخر معروف لديه فقط وليس المصنفين الآخرين ، والاعتراضات على هذا هي أولا ، أن اضافات « د » إذا كانت هكذا تتوائم مع مسار القصة بيسر و نعومة لم تتوفر عند وجودها في النصوص الأخرى التي تستبعدها ، ولن تتوفر لدى المرء فكرة أنها كانت اضافات ، ويبدو بالكاد ممكن التصديق أنه كان هناك تاريخ آخر الى جانب × ، وكان يغطي نفس الأساس للفترة ١١٨٦ ـ ٩٧ بدقة كبيرة حتى يمكن للمصنف أن يملأ فراغ منه بقليل جدا من المتاعب وكثير جدا من الاقتناع .

ثانيا : والاكثر جدية ، لقد رأينا من قبل مثلين معينين :الاستيلاء على الشقيف واعدام الداوية ، حيث لا يوجد شك بالمرة أنه بعيد عن « د » مضيفا مادة جديدة لما كان في« × » و « أ ـ ب » من مادة معلوماتية حذفت من ذلك المصدر ، ومن المحتمل جدا بناء عليه أن الشيء نفسه قد ورد في أمثلة أخرى أيضا ، مما ليس من السهل جدا اكتشافه ، وذلك حيث كان يوجد في د حكاية مشابهة ومادة إضافية ، وهي مادة كانت في × واستبعدت من قبل مصنف « أ ـ ب » .

وتبدو امكانية وصول « د » الى مصدر اضافي منفصل تماما عنه ومع ذلك يشبهه بدقة بصورة مدهشة جدا ، تبدو في الواقع غير محتملة ، ومع ذلك فإن روايته أكثر اختلافا عن الاثنين الآخريين مما لا يمكن تفسيره بمجرد الاختيار العشوائي لمادة من × ، خاصة مع مافي الفقرات المحفوظة في « د » وحده ، وكما سنرى من عدد من المميزات المشتركة ، ونحن مضطرون لاستنتاج أن استبعاد هذه المادة قد تم عند مرحلة بين × وي من قبل مكيف ماكان عمله في حينه متكيفا أكثر من قبل مصنفي « أ ـ ب » و « ي » وهكذا فإن مصنف « د » استعمل × ، في حين أن مصنفي « أ ـ ب » و « ي » قد استعملا كلاهما تكيفا ل × يمكن لنا عن إقتناع أن نسميه ×١ ، وما هو موجود في « أ ب ، د » والاشتقاقات

عن « ي » لابد أنها كانت في ١× ، وأنها كانت محفوظة من قبل كل من « د » و«١× » ، في حين أن الفقرات الموجودة فقط في « د » كانت في × ، ولكنها استبعدت من قبل × ، ومن ثم كانت كلها غير متوفرة ل « أ - ب » و « ي »



من الممكن بالطبع أن مصنف رواية « د » كان لديه إمكانية وصول إلى « × » وأنه قد سايرها من أجل الكثير من الحكاية ، متحولا فقط إلى × عندما أدرك أنها كانت متميزة وتحتوي مزيدا من المعلومات مثل حكاية مسلية وتفصيل مكيدة تصلح للعرض ، ومن المستحيل أن نحسب بدقة كافية درجة التوافق وعدم التوافق بين « د » والنصوص المستمدة من ١ × كي نقول فيما إذا كانت هذه هي الحالة أم لا ، وفيما إذا كان ذلك يهم كثيرا .

وما يهم إلى الحد الذي تتعلق به مشكلة تعقب أرنول ، هو أنه من المؤكد أن كل الذيول لديها في النهاية مصدر واحد مشترك ، وهو الذي بالحكم من التغير التام في العلاقات بين الذيول بعضها ببعض ، بعد وفاة هنري دي شامبين قد انتهى في حينه . وهذا يدعم بقوة فرضية ماس لاتري .

'Peut-être faudrait-il alors réduire aux années antérieures à 1197, si ce n'est la chronique primitive d'Ernoul, du moins une chronique antérieure employée par Ernoul.(٣٨)

والسؤال الآن هو هل « التاريخ الأساسي لأرذول » هو الذي ينتهي هنا في الحقيقة ؟ وتظهر مذوعات « د » الآن كبنية جديدة على طبيعة ذلك التاريخ المصدري « × » ومع أننا يجب أن نسمح لأذواق مصنف « د » الذي كان يعمل في اختيار المادة من « × » مزخرفا إياها قليلا أيضا بصورة يمكن فهمها ، فإننا يمكن على الأقل أن نجد في هذه المذوعات بعض الدلالات الواضحة على تلك الخصائص التي في « × » والتي اعتقد مصنف « × » الذي تعتمد عليه كل الذيول سوى « د » أن من المناسب حذفها ، فهل اختار × بشكل نزوي أم هل أمكن لاستبعاداته تلك التي تحجرت في « د » أن تتميز ؟ وإذا كان كذلك هل تسمح لنا بأن نعرف × على أنه التاريخ الأصلي لأرذول؟.

الفصل السابع

تاريخ أرذول الأصلي

عندما نأتي لنقوم بدراسة خصـــائص × كمـــا هـــي ظـــاهرة في مدوعات النيل الوحيد المستمد مبـــاشرة منه وهـــو × ، فإن شـــيئا واحدا يصبح واضحا على الفور إن مـؤلفـ × كان من أهـالي المملكة اللاتينية في بيت المقدس ، وهنـاك للبداية ، كان استعماله لاصـــطلاح « ماوراء البحار » . والاستعمال الطبيعي لهذا الاصطلاح من قبـــل المؤرخين الأوربيين ، ومن قبل مصنفي كل النيول الأخرى هي أنه به يشيرون إلى فلسطين أو الشرق الأدنى بشكل عام ، وفي الواقع إلى الأراضي الأعلى من أوروبا . ولكن × يستعمله دائمـــا ليعني أوربـــا وهي أراضي ماوراء البحر من فلسطين . وعلى سبيل المثال في نهاية ٢٣ / ٦٤ فإن المسيحيين الهـــاربين مـــن بيت المقـــدس يشـــتون في الاسكندرية .

د

La furent jusques au
marz que il entrerent
es nez por aler Outre
mer en terre des
Crestiens. (١)

س ج (مثله غ. ج)

. . . jusques au mars
qu'il entrerent en
nes pour passer en
terre de Crestiens.

ب

. . . et demorerent
ilec jusques au mars.

ومرة أخرى عندمـــا ســـمع صـــلاح الدين بـــالاستعدادات لحملة صليبية ثالثة فإن خلافات وجهات النظر واضحة بجلاء في « د » .

د

[illegible]
d'Alemaigne et le rei de France et
le rei d'Engleterre, et tuit li haut
baron *d'Outre mer* estoient croisié
por venir sur lui. (٢)

أ ــ ب (س ح وغ ح مثله)

Noveles li vindrent que l'empereres
d'Alemaigne estoit croisez, et li rois
de France et li rois d'Engleterre et
tuit li haut home *de Crestienté*. . .
por aler sur lui.

وفي هذا المثال إن اصطلاح « ماوراء البحار » يمكن بالطبع أن يكون إضافة أو تحشية من قبل مصنف « د » إذا كان هو نفسه وليس مؤلف × هو الذي عمل في فلسطين ، وأن هذه ليست الحالة جلي من كامل التصور العقلي الواضح في كل مكان من منوعات«د» واعني اصطلاح« بوليان(٣) »الذي عرف به الفرنجة البلديون ، وذلك حسبما كان الصليبيون الاوربيون يسمونهم وهذا التوجه الفلسطيني في × ، كثيرا مايكون واضحا بالذات بالطريقة التي كان يروى بها حدث ما قارن على سبيل المثال في ٢٦ / ٢٣ :

د

Dedens ce que les Alémans atendoient a avoir le chastel dou Toron, novele lor vint que l'emperere Henri lor seignor estoit mort, et que le secors de Babiloine venoit a ciaus dou chastel. Et enssi com il aparsurent le secors il orent conseil entr'iaus; si se departirent come ciaus qui avoient perdu les cuers et la volenté por la mort de lor seignor.(٥)

ا،ب

Quant li empereres ot tout aprest́é et il dut mover, si le prist une maladie de quoi il fu morz a Brandis, ou l'assemblée estoit, si que l'en dist que sa feme l'empereris Costance l'avoit enpoisoné.(٤)

وأثر آخر لـ × ظاهر هنا وفي كل مكان وهو كراهيته للصليبيين الاوربيين الذين يعتبرهم متطفلين حمقى ، خاصة الالمان ، وكامل النوع الذي تأتي منه الفقرة أعلاه هو مقال طويل حول مختلف السمات الباعثة على الاسى للشخصية الالمانية ، بداية بتدنيهم العسكري :

'Ensi come les Alemans virent le poeir des Sarasins qui estoit si grant, il furent esmaié.(٦)

وشجاعة وحكمة البارون السوري هيو صاحب طبرية هي فقط التي حالت دون الهزيمة الكاملة التي كان سببها الاعظم ذعر الالمان ، وعلاوة على ذلك أخفق الالمان في فهم أي شيء حول عقلية أهل الارض الذين عاملونهم بعجرفة ورعونة ، ومن موقع السيادة والتسلط ، أو حسب عقلية المسلمين ، الذين كانوا يستخفون بهم

باستمرار ، والذين كانوا يرفضون التعامل على قدم المساواة ويضع × على لسان المسلمين واحدا من انتقاداته الخاصة ، قائلا إن المسلمين كانوا يخشون قسوة الالمان (٧) ، وفي مكان اخر يقوم ببساطة بانتقادات واضحة وبشكل مطلق للشخصية الالمانية ولتأثيرها الشائن على الدبلوماسية الالمانية .

Les Alemans se fient moult en lor force et en lor fausse vertu, ne n'orent pitié des esclas Crestiens que l'on lor devoit rendre, ne ne conurent le bien et l'onor qui lor avenoit. Car se il eussent receu le chastel en la maniere que li Sarasin le voloient rendre, les Sarasins lor eussent des puis rendu le chastel de Biaufort, qui est en la terre de Sayete, et les autres chastiaus. (٨)

ويمكن للمرء أن يعتقد أن هذه الانتقادات نموذجية لاي كاتب فرنسي سواء أكان سوريا أو لا ، ولكن انتقادات × المتميزة بكراهية « الوافدين الاوربيين» تبين ولاءه بدقة أكثر ووضوح أعظم .

وفقط في تنوع « د » نجد الاغنية السياسية التي من تأليف الوافدين الاوربيين ضد :

ciaus de cest pais: 'Maugré li Polein avrons nous roi Poitevin.' Ceste haine et cest despit firent perdre le roiaume de Jerusalem. (٩)

ومرة أخرى لايتردد المؤلف في التعميم ، واخذ وليم بارليس نموذجا للوافدين الاوربيين

: 'A tant s'en parti dou conte Guillaume Barlais, et si s'en ala por saisir Japhe. Mais il fist come Peitevins, que dou conseill et dou comandement dou conte il ne fist mie le disme. Car il euvrent de lor sens et s'aseurent en lor poeir. (١٠)

وتظهر منوعات « د » ، في هذا وفي امثلة كثيرة اخرى باستمرار موقفا يمكن أن يأتي فقط من فرنجي سوري عارض لقاء ، الملك

غي « الملك الوافد من أوربا » وانتمى إلى العصبة التي كان ريموند كونت طرابلس الزعيم غير الرسمي لها .

ومرة أخرى كان مؤلف × يعي أن عادات مملكة بيت المقدس خاصة ، وكثيرا ما أجهد نفسه في تفسيرها لقرائه ، وعلى سبيل المثال إن رواية إجراءات انتخاب بطريرك بيت المقدس تظهر في كل النيول (٢٣ / ٣٨) ، ولكن « د » فقط يروي أيضا الفضيحة التي انتشرت فيما بعد ونتج عنها تغيير الاجراءات (١١) ومثل ذلك شرح « د » بدقة أكثر من النصوص الأخرى ، لماذا قاد ريموند كونت طرابلس مقدمة الجيش في حطين .

'Ce est le droit des barons dou roiaume. Quant il i a ost banie en lor seignorie, li baron en cui terre se doit faire le bataille, il a la premiere eschiele et la premeraine pointe, et a l'entrer de sa terre fait il l'avant garde, et au retorner l'ariere garde. Por ce ot le conte de Triple la premiere pointe, que Thabarie estoit soue.(١٢)

وعندما وصل كونراد أوف مونتفرات ورجاله إلى مشارف عكا اكتفى « أ ـ ب و س ج و غ ج » بالقول بأنهم لم يسمعوا صوت أجراس ، ولم يروا قاربا يأتي للقائهم .

'. . . si en furent moult corrocez, ne n'oserent ancrer, ains se traistrent arriere'.(١٣)

وفي « د » نجد رد الفعل هذا مشروحا

En le tens que il furent arivés devant la cité d'Accre, il estoit costume en la devant dite cité que on sonoit une campane quant aucune nave ariveit d'Outre mer, et une gamele aloit a la nave, et grant piece avoit que nave n'en estoit venue. Quant le marquis ariva, il n'en oi poinct de campane soner, si fist geter une barche en mer, et mist des plus sages homes de sa nave et les envoia en la cité por savoir que ce devoit que il n'avoient point oie la campane soner, et quels noveles il i avoit ou pays.(١٤)

وبصورة لامفر منها أظهر × اهتماما خاصا بالسياسة المحلية ، وهذا الاهتمام ظاهر إلى حد ما في كل الذيول ، ولكن فحص مذوعات « د » يظهر أنه كان هناك أكثر بكثير من هذا النوع من المعلومات في × مما اعتقد مصنفوا × أنه يستحق الحفظ ، وبالضبط مثل ما اعتبر مؤلف × أن الاوربيين متطفلين ، وأن مأثرهم أقل نفعا من العمليات التي أديرت من قبل السوريين ، وهكذا فإن المؤرخين الاوربيين يميلون إلى النظر بشكل رئيسي إلى الخطوط العريضة للحرب المقدسة على أنها الاكثر أهمية ، وأن البقية نزاعات صغيرة بين قادة الحرب المحليين ، ولكن عندما تؤثر مثل هذه النزاعات بشكل خطير على القضية الاكبر ، كما في حالة رفض ريموند كونت طرابلس الاعتراف بغي ملكا عليه ، يتوقفون عن إعطاء التفاصيل ثم يروونها بأسلوب روتيني مختلف جدا عن أسلوب × ، كما رأينا من قبل في كثير من المذوعات التي في « د » المفحوصة أعلاه . وهكذا في الذيول الاخرى ، فالتنافس بين الفرنجة البلديين والفرنجة الوافدين ورد بشكل عابر تماما ، وسوء أعمال أصحاب هونين عديمة الأهمية عند الذين لم يعرفونهم ، ويحتمل أنهم لم يسمعوا حتى بهم ، لا بل أكثر من ذلك إن حدثا بالغ الأهمية لدى المؤرخ هو تأسيس أول كيمونة في أنطاكية ترك جانبا ،[١٥] وربما كان الخوف الاكثر اثارة للدهشة من هذا النوع هو الرواية التي حفظت فقط في«د» حول النزاع بين هنري دي شامبين وايمري دي لوزنغنان مفوض جيش مملكة القدس وكافلها ومن ثم مغادرته ونهابه الى قبرص[١٦] .

وهذه المعلومات ضرورية بلا ريب اذا كان لنا أن نفهم كيف تسنى لايمري أن يكون في قبرص في وقت وفاة غي وقد انتخب بناء عليه ملكا ، لسبب رئيس هو أنه كان متاحا على الفور ، ومثل هذا ما اتصل بأسر رتشارد من قبل دوق النمسا حيث أضاف « د » حكاية تعلقت بسلوك رتشارد تجاه الدوق في الارض المقدسة بعد حصار عكا ، وقدمها بشكل صحيح أو خاطىء ، ولكن بالتأكيد بشكل

مقنع ، على أنها سبب شعور الدوق السيء تجـاه رتشـارد ، ولديه أيضا تفصيل أكثر حول جمع فدية رتشارد ولكنه اعاد روايتها كشيء معروف لديه بصورة غير مباشرة كاشاعة ، مع اربعة جمل مـن كل ستة متعاقبة في النقطة الواحـدة تبـدأ بـكلمات :

'l'en dist que.(١٧)

وغريب حقا ، أن مظهرا آخذ لضيق الأفق في × هـو العكس تمـاما لهذه الشروح المفيدة أعني افتراض المعرفة من جـانب قـرائه ، وفي صورة تلميحات عابـرة لما يفتـرض أنه حسـم المعلومـات العامة ، وهذا الافتراض كان مسوغا دون شـك في المكان والزمـان الذي كتب فيه ، ولكنه يتركنا نخمن ونفترض ، وعلى سبيل المثال حول اتفاقية الوراثة المبرمة عند زواج ايزابيل وهنري حيث يقول :

'L'on dit que la greignor partie et le miaus des gens dou reiaume jurerent au conte Henri que il fereient de ses heirs seignors et reis de Jerusalem. Car ciaus qui jurerent au conte Henri n'en esteient neent tenus au marquis ne a ses heirs; se il l'ont d'autre maniere fait, il est bien seu.(١٨)

واحد أكبر النواحي بشاعة في هذا العنصر المحلي في × ، وهـو الذي كثيرا مايفسر استبعادات × وتكيفاته ، وهو مـوقفه تجـاه المسلمين بشكل عام وصلاح الدين بشكل خاص ، وقـد كان صـلاح الدين «الطيب» مشكلة كل مؤرخ أوروبي : وقد أخفـق تمـاما في أن يتواءم داخل أي من الزمر المعتـادة وكثيرا مـاكان المؤلفـون الذين يشـكلون مصـدرا اليأس يجـدون مـلاذا في القصص الادبية الدوائمة ، إن لم تكن اعتباطية ، وهـكذا كمـا رأينا في اسـتعراض النصوص الباقية (١٩) فان مصـنف « تـاريخ بـلاد مـاوراء البحار » قام باستيفاءين خصصـا في حـالة أولى منهمـا لبيان أن صلاح الدين قد منح مرتبة فارس بالطريقة الصحيحة من قبل بارون مسيحي اسير ، لم يتمكن من افتداء نفسه بأي طريقة أخـرى ، وفي الحالة الاخرى أن جدة صلاح الدين لامه كانت فرنسية ، وهكذا فان

مؤرخا زائفا آخر أيضا هو المنستر آل دي ريمز أكد ان صلاح الدين كان في الواقع مسيحيا سريا ، وانه قد عمد نفسه وهو على فراش الموت (٢٠) ولكن × بعيدا عن الانغماس في هذه الخيالات لم يع حتى هذه المشكلة ، وعنده أن صلاح الدين خصم عسكري ولكن هذا لايعني انه يجب أن يصور كشرير تماما ، ومرتان حوى « د » روايات حول السياسة الاسلامية الداخلية وكرر ثلاث مرات رواية الحوادث التي القت ضوءا مختلفا تماما على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين وعن ذلك الطرح الدقيق من قبل مضيفي النيول ، فقد ذكروا باختصار ، وان كان بوضوح ودقة معقولين ، بعض التصرفات المتضمنة نقل الملكية التي قام بها صلاح الدين بالنسبة لأرضه عند وفاته ، وايضا الوفاة في حادثة صيد التي جرت لابنه الملك العزيز (٢١) ولكنهم لم يهتموا ، بالقتال بين المسلمين الذي ملأ الفاصل بين هذين الحادثين ، الذي يعيد « د » روايته ببعض التفاصيل ، و هذا النوع في « د » يصور ايضا النوع الموازي لـ × الذي غالبا ما قارن بين العادات الاسلامية والمسيحية ، ولشراح المتقدم بلغة التالي ، وجعلهما بذلك قابلين للفهم السريع ولشراح المتقدم باصطلاحات التالي ، وبذلك جعلها قابلة للفهم السريع من قبل القارىء المسيحي .

: 'Ensi come le patriarche corone
le rei de Jerusalem de corone d'or et l'enoint, en itel maniere
(chez) les Sarasins le plus grant home, qui est en icele seignorie
porte devant celui qui deit estre soutan une housse devant lui,
mostrant la et disant au pueple: Vees ci nostre seignor.(٢٢)

وعلاوة على ذلك فان « د » وحده بين كل منظمي النيول يذكر المنازعات بين صلاح الدين وأخيه سيف الدين ، وتخلي عدد كبير من المماليك الساخطين عن خدمته والتحاقهم برتشارد ، واستخدام بداة عرب كجواسيس (٢٣) ومع أن كل هذا متعلق مباشرة بفهم واضح لسياسات رتشارد فان من الواضح انه ادخل من قبل × لذلك الغرض ، وفي هذه الحالة فان مصنف « د » ليس فقط مؤرخا أفضل ، ولكنه ينتج حكاية افضل ، بمعنى واحدة أكثر قابليته للفهم

بسهولة ، واهتمامه بالمسلمين إكراما لخواطرهم ، و ليس لكونهم مجرد مساعدين الشخصيات الرئيسية من الفرنجة يمنع عدم التوازن وعدم قابلية الفهم التي كثيرا ماتلي ، والتي يشيع وجودها بين مؤرخي الحروب الصليبية والتي أعفي منها بشكل بارز مواطن آخر أكثر شهرة من ماوراء البحار هو وليم الصوري ، والحياد النسبي ل « د » واضح من ثلاث حوادث أخرى موجودة فقط في روايته وهناك اولا القصة العربية المذكورة في وقت سبق (٢٤) عن معاملة صلاح الدين لطفلين مسيحيين ، توماس دي ابلين ووليم صاحب جبلة . التي تظهر صلاح الدين كرجل شرف ـ فهو يستجيب لطلب من بالين دي ابلين أنه يجب أن يأخذ الأطفال تحت حمايته ـ وأنه مؤهل بالمشاعر الرقيقة الى جانب ماهو عليه من بسالة عسكرية ، وهو على الفور واثق من النصر الوشيك ، ومدرك لمضاعفات الهزيمة على أطفال أعدائه ، والقصة كلها علاوة على ذلك تجذب الى دائرة الضوء علاقة شديدة الاحكام وأكثر ضمانا بين المسلمين والمسيحيين مما يسمح به عادة ، مع أنه على نحو لايمكن إنكاره كانت العائلة ذات العلاقة عائلة معروفة بأنها للخير والشر كاليد في القفاز ، مع أن صلاح الدين والابلينيون ليسوا على أي حال مشمولين في النوعين الآخرين من هذا الصنف وعندما أصبح ، غي لوزنغنان ملكا على قبرص أرسل الى صلاح الدين كما يقول «د» طالبا النصيحة حول كيفية ادارة مملكته الجديدة ومرة أخرى ايضا تصرف صلاح الدين بأفضل تقاليد الشهامة ، وأعلن فضلا عن ذلك احدى اسس أخلاقيات سلوك الفروسية بوضوح في العملية

: 'Salahadin respondi as messages que il n'ameit gaires le rei Guy, mais depuis que il li requereit de conseill, il le conseillereit au miaus que il savreit. Car puis que l'on demande conseill a autrui, soit ami, soit henemi, leiaument li doit conseillier.(٢٥)

وهذا لايخبرنا بالضرورة بشيء عن صلاح الدين الذي يمكن أو لايمكن أن عبر مطلقا عن مثل هذا الاحساس ، ولكنه يخبرنا بقدر

كبير تماما عن مصنف « د » الذي أعتقد أنه يستحق أن يضمن ، وعن × ، الذي صدق صلاح الدين بالقول من المقام الاول .

وآخر الاضواء الجانبية المقصورة على صلاح الدين في « د » هي أيضا الاكثر اهمية تاريخيا والاكثر إرباكا لوجهة النظر التقليدية لكل المسيحيين باعتبارهم الاعداء العنيدين المؤكدين لكل المسلمين . وتعلق بالزواج الذي اقترح ، مع أنه لم يعقد مطلقا بين أخي صلاح الدين سيف الدين وجوانا صاحبة صقلية ، الاخت الأرملة لريتشارد قلب الأسد ، والآثار المحتملة لهذا الزواج ، والتحالف الذي كان ينطوي عليه بين رتشارد وأخي صلاح الدين كان واسعا في الحقيقة ، وكان يمكن أن يرسم نهاية سيادةصلاح الدين في الشرق .

'. . . et se icelui mariage se feisoit, il [Salahadin] doutoit que il ne perdist toute sa conqueste.(٢٦)

وكان هذا الخوف صحيحا حتى أنه أدى بصلاح الدين إلى أن يعرض على ريتشارد هدنة على شروط مواتية للغاية للمسيحيين ، تتضمن أن يعاد لهم جزء من مملكة بيت المقدس . ولكن ريتشارد أجاب بأنه يجب أن يحصل على كل المملكة كما حكمها عموري الاول قبل فتحها من قبل نور الدين أو لا شيء بالمرة ، وكان رفضا طائشا سرعان ماندم عليه عندما أرغمته الاوضاع في انكلترا لأن يقبل معاهدة غير مواتية ، وهي معاهدة ١١٩٢ ، وقبل أن يترك بلاد ماوراء البحار ، كان الكسب الكبير الذي يمكن أن يكون ريتشاردقد حققه لقضية المسيحيين لو أنه قبل عرضه ، وهو معيار لنقص حدة ذهنه ، أو ربما للمبالغة بثقته بنفسه ، وقد رفض ، وقد حظيت هذه الحادثة بالصمت من قبل الجميع سوى مصنف « د » .

وسيكون على أي حال مضللا تصوير × على أنه موال لصلاح الدين وفقا لمبدأ ما ، وما يسمى بموضوعيته على أنها مجرد بندول يتأرجح بين هذا الطرف وذاك ، فقد كان قادرا على نقد صلاح الدين بقدر ماكان قادرا على مدحه ، حسبما كانت تقضي الظروف وكشاهد

على قصة مذبحة فرسان الداوية التي كما رأينا من قبـل كانت في ×
ولكنها حفظت فقط في « د » (٢٧) وهذا تصوير من الدرجـة الأولى
لموقف × ، فقد بدأ بذكر حكمه على فعل صلاح الدين بوضوح

: 'Quant Salahadin fu en la cité de Domas il ot en sei un mauvais apenssement. Car il fist ocire tous les Templiers, qu'il avoit pris en la bataille. (٢٨)

ورفض فرسان الداوية إنقاذ أنفسهم بالارتداد عن دينهـم فـأعدموا
ولكن × على الرغم مـن رأيه المعلن في فعـل صـــلاح الدين على
أنه « عمل انتقامي » بين الآن بـاعث صـلاح الدين الخـارج على
المفهوم المعتاد . 'un mauvais apenssement'
عارضا الآن موقفه غير الإعتيادي في تفهمه لدافع صلاح الدين

'Mult fu grans la doulor et la mortalité et la confusion de sanc. Car il cuida faire grant sacrefice a Deu en ce que il faiseit ocire les Crestiens. Car ensi le dist Nostre Seignor en l'Evangile a ses deciples: "Encore venra l'ore que cil qui vos tueront me cuideront avoit fait grant sacrefice. (٢٩)

والآن فإن × بعيد عن أن يكون سياسيا سانجا ، ويمكننا بأمان
أن نفترض أنه قد أدرك تمـامـا مـاذا كان بـاعث صـلاح الدين
الحقيقي ، أعني الرغبـة في إبـادة أحـد أهـم العناصر في الجيش
الفرنجي ، ولكن × رقيق بقدر كاف ليتمكن من نقد صلاح الدين دون
أن يشعر بضرورة لتسويد صفحة شخصيته كلية : مع أنه عمل بدافع
الانتقام ، يجب أن يبقى محظيا ببعض الاخلاص الديني وذلك خلافا
لمارسيل الذي قال ن هذا العمل لن يغفـره الله له (٣٠) ، ولم ير
صلاح الدين هنا كعدو لله ، بل بالضبط على أنه اعتقد أن فعله يرضي
الله ، ومرد ذلك لأنه ضال من قبل ديانة مزيفة ، لكن من أجل ذلك كله
بإيمان طيب ، وتتناظـر بـراعة × في هـــذا ، وفي أمثلة أخـــرى
وتتشابه ــ مع أن ذلك بطريقة مختلفة نوعا ما ــ فقط مــع بـراعة
وليم نفسه .

ومن الحقائق الاخرى لمنوعات « د » إنه مع ارتبـاطها بـاهتمام
المؤلف بفلسطين وماوراء البحار بشكل عام إن مـا يسـتحق الذكر

الخاص . أن كل الذيول بها قدر كبير تماما من المادة حول قبرص بشكل لايمكن تفاديه ، ولكن في « د » أكثر من الباقي . فبعد طلب غي من صلاح الدين ، المقتبس أعلاه على سبيل المثال ، يمضي ليخبرنا ماذا كانت النصيحة ، وكيف دفنها غي بإعطاء الاقطاعات الكبيرة الذين كانوا يرغبون في المجيء من فلسطين والاستيطان هناك ، وهكذا حدث بفضل الرب ورحمته أن قدم إلى جزيرة قبرص عدد كبير من الفرسان وأصبحوا فيها من كبار الملاك (٣١) .

هل هناك ملاحظة ذات مصلحة شخصية هنا ؟ يبدو من الصعب أن نفسر تماما بأي طريقة أخرى هذا التغيير المفاجيء في القلب تجاه « غي » الوغد حتى الآن والذي كان « واحدا ممن أضاعوا الأرض » فهو الآن تحول إلى حاكم طيب وحكيم فهل كان × نفسه أحد الذين استفادوا من سياسة غي ، وممن أصبحوا من « كبار الملاك في جزيرة قبرص » ؟ وهل كان هذا في الحقيقة أحدا غير أرنول دي غيليت ؟ إن كل بينات المنوعات في « د » التي امتحنت حتى الآن تشير إلى هذه النتيجة : الاهتمام الوثيق في الشؤون المحلية في بلاد ماوراء البحار ، والمعلومات المضبوطة حول عادات المسلمين والموقف غير الاوربي جدا تجاههم ، والتشابه مع الزمرة المناهضة لغي في فلسطين ، ولقد حان الوقت الآن لفحص المنوعات في ضوء تلك المعايير الدقيقة التي رسمناها من قبل (٣٢) ، أي منزلة أرنول كرجل ليس من رجال الدين والتزامه بقضية آل ابلين ، ومعلوماته الداخلية عن العائلة ،

ولكي نبدأ بالاولى توجد في المنوعات سمات كثيرة تميل عند النظرة الاولى إلى الايحاء بتأليف مدني غير كهنوتي ، وبتعابير عامة إن نص « د » له مظهر أكثر احترافا بكثير من أي من النصوص الاخرى ، فهو على سبيل المثال يظهر بعثره في التواريخ السنوية في القسم موضوع البحث ، بينما ليس للموجز مثل ذلك ففي الذيول في الفترة حتى ١٢٣٢ ، في أ ـ ب اثنان وفي « غ ج »واحد ، ولا شيء بالمرة في الاخرى ، ومثله هذا إن أسلوب « د » أسمى بكثير

من الاسلوب في النصوص الأخرى وهذا سيناقش بشمولية أكثر في مكان أخر (٣٣) .

وباختصار فإنه يعرض مفردات أغنى بلا حدود ، مع صور علمية من حين لآخر (مثل : *pecunie, nave*) وحبا للحكم والاقوال المأثورة المدهشة ، والتعابير التي تجرى مجرى الأمثال والاستعدادات ، وهناك أيضا اقتباسات توراتية ـ على سبيل المثال تلك المضافة كتعليق اعدام فرسان الداوية ، (٣٤) والندب على بيت المقدس المقحم في القصة التحنيرية عن أصحاب هونين (٣٥) ، وفي مكان أخر نجد بينة على الاهتمام بالأمور الكنسية ، ومعلومات دقيقة حولها (٣٦) مع أنها ليست غير عادية بمعايير مؤرخي العصور الوسطى اللاتينيين ، وتبرز بالمقارنة مع المسيرة العامة للمؤرخين باللغات الدارجة ، ومع النيول الأخرى بشكل خاص ، ويقدم سؤالان نفسيهما : هل هذه السمات بالضرورة من عمل رجل ديوان ؟ وإلى أي مرحلة من العمل تنتمي : إلى مؤلف × أم إلى مصنف « د » .

وبالنسبة للأسلوب العام فإنه غير مشابه لعمل ذلك الرجل غير الكاهن لكن سريع التأثر المشوش أعني روبرت دي كلاري الذي خلاصه وصفه أن تقول إنه كان عاجزا عن الوصف ، ولكنه كرجل مدني ذكي كان بإمكانه أن ينجز أفضل من ذلك ، كما يبين تاريخ فيلها ردين ومع أن أسلوب « د » أسهل كثيرا وأكثر حيوية في القراءة وأكثر تنويعا بكثير في الوسائل التي يستخدمها فإنه مايزال أكثر مهارة من أسلوب فيلها ردين ، وهو ليس وراء حدود المستطاع بالنسبة لمثل هذا الرجل من المدنيين . ويجب أن نتذكر أيضا ، إذا كان عمل أرذول هو ما نبحث عنه والذي يصفه فيليب دي نافار ككاتب فصيح جدا (٣٧) ، فإن من المفترض أنه قد أحرز في البلاط على بلاغة أهلته لاحتلال مكان مفيد عندما حول يده إلى كتابة مذكراته ، والمعرفة باللاتينية أمر أخر علي أي حال ، واستخدم ذلك ووضح بالجملة التالية : 'Car ensi le dit Nostre Seignor' etc. (٣٨)

والاقتباس ترجمة ليوحنا ١٦ / ٢ مع أنه ليس دقيقا بشكل مطلق ، إنه يستخلص المفرد من الجمع
'omnis qui interficit vos' 'cil qui vos tueront', ويضيف الصفة grant، حيث لايوجد في الأصل سوى obsequium. ويبدو مع ذلك قريبا جدا من أن يكون مجرد مدد من الذاكرة لرجل مدني كان قد سمع هذا القول (لقد كان الشعر جزءا من الانجيل من أجل يوم الأحد التالي ليوم عيد الصعود - خميس الصعود) وهو لايعبر عن مجرد فكرة الشعر بل يأتي بالصياغة الفعلية ، وعليه يجب أن نستنتج أنه قد استمد مباشرة من اللاتينية ، ويدلك على يد« د » يد كاتب» أثناء العمل في النص عند نقطة ما .

ويقلد ندب بيت المقدس - بشيء من التصرف - الشعر الافتتاحي لمراثي إرميا

Quomodo sedet sola civitas plena populo! Facta est quasi vidua domina gentium; princeps provinciarum facta est sub tributo.

Qui vos porreit conter le plor et la doulor de si grant mesaventure qui avint a la sainte cité de Jerusalem? Cele qui esteit nomée dame des autres citez devint serve et ancelle; cele qui deveit regner en franchise fu puis tributaire.(٣٩)

ومع أن هذا كان بتصرف بالمقارنة مع المثال الاول ، فإنه يبقى بلا شك اقتباسا توراتيا ، وله يضاف تعقيد آخر ، هو أن كتاب المراثي خلافا للأناجيل ليس في الطقوس الدينية أي ليس من الأجزاء التي تقرأ كثيرا جدا من التوراة .

والتواريخ لم تأت بالطبع بالضرورة من مصدر مكتوب ، أو أثبتت بواسطة « كاتب » فهي كلها مستمدة من الذاكرة ، وهي على أي حال دقيقة بالتقرب فقط باستثناء حطين ، التي ذكرت بيومها وتاريخها مع الشهر والسنة (٤٠) وغير ذلك هناك أمثلة وفاة غي ، وهي ليست فقط بعيدة سنة ، بل قيل إنها حدثت في السنة

نفسها التي توفي فيها صلاح الدين (٤١) ، بينما في الواقع كان بينهما أربعة عشر شهرا (في آيار ١١٩٤ . وفي ٣٠ آذار ١١٩٣ كل على حده) .

هذا هو حجم الخطأ الذي يمكن بسهولة أن يقع بزلة من الذاكرة ، وقائمة الأحداث المعطاة جميعها تحت ١١٩٦ (٤٢) تظهر عند النظرة الأولى ببساطة خطأ ، ولكن من وجهة نظر حقيقية إنها وقعت كلها تقريبا ، على سبيل المثال وفيات غي وصلاح الدين ، وهي الى حد بعيد مترابطة بسببها أيضا ، ويبدو أن التاريخ قد جرى تذكره خطأ ، أو أنه حتى أستنسخ خطأ (٧ × بدلا من ١ ×) وليس أن مسار الاحداث قد أسيء فهمه تماما ، فقد توفي كليمنت الثالث وخلفه كليستين الثالث في آذار ١١٩١ وتوج هنري السادس امبراطورا رومانيا مقدسا من قبل البابا الجديد سهل الانقياد في ١٥ نيسان التالي ، وأسر رتشارد في فينا في كانون الأول ١١٩٢ ، وسلم الى هنري بعد ذلك بثلاثة شهور .

وبشكل عام يمكن أن نقول إن كل هذا كان يمكن تذكره بسهولة بهذه الدرجة من الدقة من قبل أي شخص جيد المعلومات يكتب بعد وقوع الأحداث بعام واحد فقط ، وتختلف الأمثلة الهامة الكثيرة حول الأمور الكنسية بالنوعية ، ولدى الحديث عن الاستيلاء على قبرص نجد هذه الملاحظات :

(1) Mais le Rei de Gloire, qui aveit conduit le rei Richart jusques la et voleit planter iqui la bone plante, ce est assaveir Sainte Yglise et la Crestienté de la loi de Rome en la devant dite isle, et arachier la mauvaise racine des felons Griffons, il manda son bon conseill au rei Richart . . .

(2) Mais la porveance et l'aie dou Rei de Gloire, qui ne deguerpist pas les siens, dona force et victoire au devant dit rei.

(3) Et ensi par l'aie de Dieu sousmist le rei toute la seignorie de Chypre a son pooir et la torna a la lei des Latins, et fu fait arcevesques de Nicossie Salein, qui estoit arcediaque de Saint Jorges de Rames (٤٣)

وهذه أقوال موالية بقوة وفي « د » فقط صدور الاستيلاء على

قبرص في هذا الضوء ولكن من الممكن أن يكون أيضا يمثل قوة شعور فارس مثلما يمثل شعور « كاتب » وكان أحد واجبات الفارس الدفاع عن الكنيسة المقدسة والايمان الحقيقي ضد غير المؤمنين ، الذي كان لا يعني لدى فرنجة بلاد ما وراء البحر المسلمين فقط بل أيضا الهراطقة القبارصة « ومجد الملك وفخاره » لم يكن عنوانا شائعا فقط في المزامير ، بل في الأحاديث الدينية بشكل عام واستعارة عبارة الزرع مع شيوع وجودها في الكتاب المقدس ، ليس بالتأكيد تحولا كتابيا في العبارة ، وما هو أكثر إن كل هذه التعليقات تتعلق بقبرص ثم وما هو أكثر طبيعية من ذلك لا بد أن « الملاك الكبير في جزيرة قبرص » قد تملكه شعور قوي بشكل خاص نحو الاستيلاء على الجزيرة حيث اتخذ منها موطنا وحل فيها محل « اللصوص الهراطقة الرافضين لشريعة روما » ، أو أنه رغب بشدة بمعرفة اسم رئيس أساقفة نيقوسيا ومن أين جاء ؟

وما يختلف نوعا ما مع ذلك هو الاستطراد الطويل حول الكنيسة ونزاع الدولة الذي عرض عن طريق شرح التغيير في اجراءات الانتخابات البطريركية لبيت المقدس وشرحت صيغة الانتخاب بالطبع في الموجز وفي « غ ج » اللذان اعتقد مؤلفهما أنها كانت ما تزال متبعة (٤٤) ولكن « د » بعد رواية وقائع الاجراءات استند على التعابير نفسها تماما ، مثل تعابير الروايتين الأخريين ، ثم ابتعد في انعطاف طويل بشأن تنقيح الاجراءات الذي ادخله كلستين الثالث في ١١٩٤ بعد النزاع بين هنري دي شامبين والكهنة ، والفضيحة التي تلت ذلك ، وأعطيت إشارة خاصة الى مراسيم وفتاوى البابا كلستين حول الموضوع :

: 'Dont le Pape Celestin reprist le conte Henri, et fit une decretale, si comence enssi: Com la terre, qui est commeue et apelée l'eritage et la partie de Deu. Des adonques en ça le rei de Jerusalem n'en est pas sort (٤٥)

ثم تبع ذلك عرض قصير للمشاكل بين البابا والامبراطور خلال

السنوات المائة السالفة ، وهي بشكل غريزي منحازة لصالح الكنيسة وهذا الآن لا يشبه تماما الخلاصات الثلاثة عن الاستيلاء على قبرص المقتبس أعلاه ، ففي تلك إنه بينما يمكن بسهولة رؤية أنه من عمل واحد من عامة الناس ، لا يمكن حقيقة أن تكون هذه الفقرة قد جاءت من قلم رجل من العامة ، ولا بد أن يكون شخص ما له ارتباط بالبلاط قد عرف بالقدر نفسه ما يقال حول ازالة دور الملك في الانتخابات ، ولكنه توسع في نقطه بعيداً جدا يمنعنا من أن نتخيل أن رجلا من العامة قد عرف عنوان الفتاوي المتعلقة ، وتاريخ عدم اتفاق الكنيسة والدولة وان يكن مختصرا خلال كامل فترة وجود مملكة بيت المقدس اللاتينية ، والمعلومات إجمالا في هذه الحالة فنية دقيقة جدا وتعطي فترة أطول جدا مما يجب ، فكيف تفسر على أنها معلومات مباشرة أو مبنية على مصدر شفوي ، وهي تكشف بما لا يرقى اليه شك عن يد كاهن .

من كان هذا الكاهن ؟ ولأي طبقة من التشكيل التراكمي للنص ينتمي عمله؟ الى × أم الى تصنيف د من × ؟ ومن الضروري الآن أن ننظر بامعان الى الفقرات التي أشرنا اليها على أنها فوق الشك ذات مصدر كهنوتي ، ومن السياق إن المسألة الاكثر وضوحا ، والتي يمكن بناء عليه أن تحسم أولا هي مسألة ندب بيت المقدس :

Ensi come il orent passé le Pui dou Conestable, et entrerent en la terre dou seigneur dou Botron et de Nefin, Renaut, qui sires estoit de Nefin, fist metre ses serjanz en un destreit de sa terre et lor comanda que il deussent rober et tolir as genz de Jerusalem quant que il poreient aveir, ensi que il pristrent le remanant que Salahadin aveit laissié a ciaus de Jerusalem. Qui vos porreit conter le plor et la doulor de si grant mesaventure qui avint a la sainte cité de Jerusalem? Cele qui esteit nomée dame des autres citez, devint serve et ancelle; cele qui deveit regner en franchise, fu puis tributaire. Cil qui eschaperent de la maisnée dou seignor de Nefin alerent envers Triple et cuiderent avoir recet dedens Triple.(٤٦)

ويبين اقتباس التفجع والنص المحيط به بتمامه وطوله بالضبط كيف أنه لا يتعلق بسياقه ، وكيف كان توضعه سيئا ، وكم هو

صارخ قطعه لتسلسل الحكاية وواضح أن هـذا اقحـام عند نقـطة ما ، وهـو لا ينتمي لـ × .

وفي الأمثلة الأخرى لا يمكننا أن نأمل في قطعه من التصـنيف غير البارع الى حد بعيد (حتى بمعايير مصنف « د » هـو أدنى نوعا مـا في هذا المجال) لتمكننا من التأكيد بشكل قاطع أن أقحـاما مـا قـد جرى ، وفي حالة فرسان الداوية على سبيل المثال ، كل مـا يمـكن قوله هـو أن الاقتباس مـن يوحنا (٤٧) يمـكن ازالتـه دون اضرار بالمعنى ، وهكذا يمكن أن يكون هناك احتمالا اضافة أخـرى مثـل التفجع ولكن ليس بداهـة كذلك .

وتبقى هناك الفقرات الثلاث المتعلقة بالبابوية ، وفي حـالة اثنتين منهما من المسـتحيل تقـرير مـا إذا كانت في × أو إذا مـا كانت اقحامات تمت من قبل مصنف « د » وهذه الفقرة التي تتعـامل مـع الفتاوي البابوية لكلستين الثالث (٤٨) وتلك التـي تصـف الحـزن الحادث في كل الأنحاء النصرانية بسبب أخبـار حـطين . وبشـكل خاص وفاة أوربان الثـالث التـي رويت كنتيجـة مبـاشرة للصدمة ، وخلافة غريغوري الثامن وحكمه مدة شـهرين وانتخـاب كليمنت الثالث .

'A cui Joce l'arcevesque de Sur li porta ceste novele veraiement, ensi com vos le troverés escrit ça en avant (٤٩)

وكل ما يمكن أن نقوله حول هـاتين الفقـرتين هـو أنه يمـكن ازالتهما دون اضرار بتسلسل الحكاية ، ولكن لا يمكن بشكل حاسم بيان أنهما قد اضيفتا من قبل مصنف « د » الى مادة مصدره ×.
وثالث الفقـرات مختلف في النوع على أي حـال لكونه ملخصـا سريعا لعدد من الاحداث خلال ١١٩١ ـ ١١٩٢ (٥٠) التي قد روي معظمها كاملا إما قبل أو بعد هذه النقطة ، وواضح نوعا ما أنه مـن تلخيص المصنف الذي يتخطى على أي حال قدرا كبيرا فـي تـرتيبه

الزمني لهذا الجزء من التاريخ ، علاوة على ذلك فإنه يمكنه أن يؤرخ بدقة بـــالرجوع الى فـــريدريك الثـــاني غير الشـــعبي ل ـ « *le derain.* » وقد تـــوفي فـــريدريك في ١٣ كانون أول ١٢٥٠ بالضبط حوالي الوقت نفسه الذي صـــنف فيه « د » الذي يتضـــمن حوادث حتى ١٢٤٨ ، وعليه فإن هذه الفقرة يمكن أن تنسب حتمـــا للمصنف .

ولتلخيص مسألة الملامح غير الكهنوتية في نص « د » في حينه من المناسب القول أن بعض الحالات مثل تلك التي تذكر فريدريك الثاني يمكن أن تنسب بالتأكيد لمصـــنف « د » ليس ل × ، وفي الحـــالات الاخرى يجب أن يبقى بعض الشك ولا شيء من احتياجات الفقـــرات وجد في × ، ولكن يمكننا التأكيد بثقة ان مـــامن شيء منهـــا كان كذلك ، وهذا لايستبعد امكانية ان كان التاريخ الاصـــلي لارنول لان مامن واحدة من هذه الخلاصات اكبر مما ينبغي لتكون اضافة جرت بناء على اقتراح كاتـــب الامـــلاء لارنول حينمـــا كان يكتـــب املاء . ولكنه يعني اذا شبهنا في النهاية بـــارنول الاصـــلي ســـيكون علينا ان نراجع افكارنا حول طبيعة عمل ارنول متيجين لهـــا درجـــة اعلى كثيرا من سعه الاطلاع مما يجب علينا ان نتوقعه من مـــذكرات جندي .

ويبقى ان نأخذ في الاعتبار الصفة الاخرى التـــي نتـــوقعها في عمـــل ارنول ، اعني مايمكن ان نسميه عامل ابلين ، وهنا تكون النتـــائج اكثر ادهاشا . فمنوعات « د » تحوي عددا كبيرا مـــن الارشـــادات الاضافية وبعضها تافه ، واخرى ذات اهمية شـــعبية عامـــة ، لكن الكثير منها في الواقع تـــاريخ عائلي فقـــط دون اهمية اوســـع وقـــد استبعدت بناء عليه بعد التنقيح الاكثر قوة في *Xi* وعلى ســـبيل المثال الحكاية المتعلقة بالطفل توماس دى ابلين . المقتبسة من قبل في مكان اخر (٥١) ، وهي في الاســـاس قصـــة عاطفية هـــامة فقـــط للمؤرخين الذين يريدون اظهار نوعية شـــخصية صـــلاح الدين ، او للمعنيين بشكل خاص بالابلينيين . ومن اجل هدف هذه الدراسة فان

لها اهمية اخرى تماما ، في انها تعطينا اشارة لطفل من بيت غيبليت اسمه وليم قد تربى في بيت ابليني ، وبذلك تصور مرة اخرى الروابط المحكمة بين ارذول والابلينيين ، ولكن هذه قصة اخرى ، ويظهر ان القصة قد حفظت من قبل مصنف « د » على اساس ذوقه لان « تذوقه الادبي » هو الذي يمكن ملاحظته في مكان اخر (انظر معاملته لهنري دي شامبين) وكما بينا من قبل المصنف الاكثر صرامة في × الذي رآها بحق بدون اهمية عامة .

واحيانا بالطبع – ان المعلومات عن الابلينيين الموجودة في « د » ليست اكثر من دليل على عنايته بالتفصيل ولاهتمامه في « 'ciaus de cest païs' » او لميله لذكر الناس بالاسم . وهكذا وصف بالتفصيل نظام زحف ريتشارد نحو يافا « وقام بتنظيم قوات المقدمة وقوات الساقة ، وقاد بالين دي ابلين ووليم صاحب طبرية قوات المؤخرة » (٥٢) .

ومرة اخرى لاشك ان الدقة هي وحدها التي ادت به الى ان يخصص ان بالين دي ابلين كان المفاوض في هدنة ١١٩٢ (٥٣) ولايمكن اخذ هذه الاشارات على انها قد سجلت لتعطي اهمية خاصة لبالين دي ابلين ، ولكنها دقة اكبر فقط ، مما حفظ في اعادة العمل في × ، وهو وسيط تجاهله مصنف « د » لحسن الحظ ، ولكن في امثلة اخرى هناك ميل لايمكن اغفاله ليس فقط لافساح مجال لتوافه آل ابلين مثل قصة توماس ، بل ايضا لربط احداث واناس بالابلينيين بلا مسوغ ، مفترضين انها نقطة الانطلاق بطريقة تجعلها اكثر مركزية مما كانت ، خذ على سبيل المثال هذا الوصف لجوسلين الثالث .

: '. . . le conte Joscelin,
qui aveit esté bailli en Acre, et esteit eschapé de la desconfiture
o Balian d'Ibelin, qui faiseit l'ariere garde, vint en la cité.(٥٤)

والان كان جوسلين شخصية سياسية كبيرة في المملكة ، تماما بمثل

اهمية الابلينيين ، وكان هناك سبب جيد جدا لنتذكر وصايته السيئة المصير على الطفل بولدين الخامس ، وانه لغير ضروري بالمرة ربط اسم بالين هنا .

واشارة اخرى لاتقدم بالين فقط ، ولكن تسميه باسمه الاول ، ونفترض اننا نعرف من هو المقصود ، وجرى هذا لدى حديثه عن دفيده ، بالين صاحب صيدا :

'Icestui Balian, seignor de Seete, il fu fis de la fille Balian, qui avoit non Helvys, et de la reyne Marie. (٥٥)

وحيث ان الحكاية التي تقدمت مباشرة ، قد تعاملت مطولا مع ريذو صاحب صيدا ، فلا بد انه كان كافيا تماما لكي يعرف بالين صاحب صيدا على انه ابنه ، كما كان النص في الواقع من قبل ، وبدون هذه المعلومات الفائضة عن اصول امه .

ومثال اخير عن تنوع « د » يجسد حادثة يشكل فيها ابليني الشخصية المركزية ، وهي بالاحرى حذف مدهش من جانب *Xi,* مع اختطاف اسكيفا ابنه بلدوين دي ابلن وزوجة ايمري لوزنغنان وكانت اسكيفا ملكة قبرص في ذلك الوقت ، وبناء عليه شخصية لها بعض الاهمية العامة ، والقصة ليست بدون اهمية سياسية ، وقد اعيدت اسكيفا في النهاية من خلال نفوذ لاون صاحب ارمينية الذي تحرك « لحبه للملك ايمري لانه كان صديقه ، وحبا ببلدوين دى ابلن الذي كانت السيدة ابنته »(٥٦) ونجم عن هذا الحادث تأسيس علاقة طيبة بين لاون واقرباء اسكفيا :

: 'Illueques conquist Lyvon de la Montaigne l'amor dou rei Heimeri et del parenté de la dame por le servise que il lor avoit fait.(٥٧)

ويتبين من هذا كله ان القصة بالاساس ذات اهمية لتعلقها « بأبي السيدة » وقد استبعدت من قبل x مع قدر كبير من المادة

الاخرى حول دولة ارمينية ــ وهي بلاد كانت عديمة الاهمية في اعين الاوروبيين ــ ومنازعاتها الخاصة التافهة مع الدول الصليبية في بيت المقدس وانطاكية .

وماهذه سوى امثلة للاهتمام بعائلة ابلين تعرضها مذوعات « د » وهناك اخرى كثيرة للاقتباس من النوع نفسه ، وفوق ذلك هناك تحيز تجاه العائلة ومصالحها مما يجعل الشيء كله يبدو كدفاع عن مسلكهم في العمل في الاحداث الكبيرة ، في تاريخ المملكة اللاتينية ، وفي الحقيقة انه دفاع مهما بلغ من حد قد جاء واقعيا ، وهو وان لم يكن ابعد عن سابق نية المؤلف ، لايمكن ان يخامرنا شك معقول في انه كتب من قبل صديق مقرب من الابلينيين ، بدون انحراف ، واحيانا بلا نقد ، مواليا لهم ، ومهتما فوق كل شيء بذكر قضيتهم .

وكان هو نفسه « فرنجيا بلديا » معارضا لغي وعصبته ، ولكنه عاد فعدل موقفه من غي عندما افاد هو نفسه على مايبدو من سياسة غي في توزيع الاقطاعيات على مقياس كبير في قبرص ، وقد كان بالتأكيد على معرفة جيدة بشكل ملحوظ بقبرص ، وكان لديه اهتمام خاص بالجزيرة ، ووصفه للمعارك ومعرفته بالامور العسكرية بشكل عام يوحي بانه فارس او انه قد كان في فترة من حياته فارسا عاملا ، ولكن من جانب اخر توحي مهارة التأليف ، واسلوبه البليغ نسبيا في روايته في الوقت نفسه برجل على مبلغ من العلم ، مع انه لم يكن كاهنا بالضرورة ، وهذا كله يتطابق باحكام مع مانعرفه عن ارنول حتى اننا يجب ان نستنتج ان × كان هو المصدر المباشر لنص « د » من تاريخ هرقل للفترة ١١٨٤ ــ ١١٩٧ ، وهذا لم يكن في الواقع شيئا اخر غير التاريخ الاصلي لارنول

لكن هل انتهى هذا التاريخ في ١١٩٧ ؟ يجب ان نؤكد ذلك ، ذلك ان مذوعات « د » تتوقف بدقة في تلك السنة ، تماما بعد وفاة هنري دي شامبين ، ومع اخبار وفاة هنري السادس (ايلول ١١٩٧) (٥٨) وواضح ان المصدر الذي استمد منه « د » فقط قد

توقف هنا ، وبعد هذه النقطة فان اي منوعات في « د » باتت مشتركة مع نص اخر واحد على الاقل في كل حالة ، ولم يعط مطلقا شيئا مختلفا من ناحية المادة كان خاصا به . وكما لاحظنا من قبل ، ان كل مجموعة العلاقات بين النصوص تتغير هنا فجأة وكلية ، وفي الواقع ان مخططا مختلفا تماما يجب ان يفترض ليفسرها بعد هذه النقطة ، واحد الفروق الرئيسة هي ان « د » حتى اليوم هو حالة قائمة بذاتها ويبدأ الان في التماثل مع « غ.ج » بشدة حتى انهما في الواقع متماثلين من هنا حتى النهاية .

والتاريخ الاصلي المفقود لارنول ، محفوظ لنا بافضل طريقة في رواية « د » مع ان كل النيول الاخرى لوليم الصوري ، ونص الموجز قد استمد منه بصورة غير مباشرة ، وهكذا تتوفر نقاط قيمة للمقارنة ، كثيرا ماتسمح لنا بالقول فيما اذا كانت سمة ما في « د » اتت من « x » أو أنها اضافة من قبل المصنف او الناسخ ، وحيث لايمكن اجراء مثل هذه المقارنة ، يجب ان نقبل رواية « د » على اساس المبدأ العام على انها ادق اخراج او اعادة انتاج لارنول الاصلي ، ومنها يمكن ان نستنتج ان ارنول الاصلي كان عملا ساميا من نواح كثيرة على ماتلاه ، فهو اكثر تنويعا وحيوية في الاسلوب ، مع كثير من المعلومات التاريخية القيمة ، من نوع كان في الراي المعاصر للاسف متخصصا اكثر مما يجب لينجو من دقة التنقيح . ونحن ندين لمصنف « د » بقدر كبير ، ويجب هنا اضافة انه يبدو ان المصنف كان مقيما ان لم يكن مثل المؤلف الاصلي واحدا من سكان ماوراء البحر ، حيث وحده من بين كل مصنفي الهرقليات شاطر ارنول ضيق الافق ، (٥٩) أما ماالذي لم يحفظه من مصدره ، يمكننا فقط ان نتساءل ونحن نخمن باسف حول محتويات ذلك المصدر المفقود نفسه ، الذي من اجله كان على كل حال لحسن الحظ الاحتفاظ بنص « د » في مخطوط مفرد ، لابد ان يغرينا بعض الشيء ، وهذا المخطوط الفريد هو ايضا من اصل شرقي ، وتعد منمنماته احد الامثلة القليلة الباقية من ورشة رسم عكا (٦٠) ومعروف انه في الربع الثاني من القرن الثالث عشر ، كانت هناك

فترة احياء قصيرة لورشة النسخ العائدة للضريح المقدس في بيت المقدس ، وليس خياليا جدا ان نرى ان المخطوط « د » من تاريخ هرقل قد صنف بالضبط حوالي منتصف ذلك القرن كأحد منتجات ذلك الاحياء .

وهكذا يمكننا ان نحصل من النص « د » على كثير مما احتواه تاريخ ارذول ، الذي لولا ذلك كان سيضيع منا ، وبمقارنة الذيول مع بعضها يمكننا ان نستنتج ان عمل ارذول قد انتهى بعام ١١٩٧ . فأين بدأ؟

ويبدو السؤال على الفور اكثر صعوبة واقل اهمية ، فهو صعب لان الانقطاع الواضح في التنقيح في ١١٨٤ ، مشترك بين كل الذيول ، وهو قد حدد بنهاية تاريخ وليم ، وهذا ليس بالضرورة بناء عليه ، اشارة للبدء في المصدر او المصادر التي تحول اليها في حينه . وهو اقل اهمية لانه بينما القسم ١١٨٥ - ١١٩٧ من تاريخ أرذول هو على الاقل بقدر كبير رواية شاهد عيان ، فالواجب ان يفترض ان المادة التي تغطي الفترة التي تسبق فترة حياة ارذول (كما يمكن بالتقريب ان نؤرخها) لابد انها لم تكن اصلية ، ان كانت قد وجدت اصلا بالمرة ، ولكن اذا كان لنا ان نعيد بناء خطوطها الخارجية العامة حيث لايمكننا تعقب تاريخ ارذول بالتفصيل ، يجب ان ننظر الى التاريخ الوحيد المرتبط بارذول ، الذي لم يستعمل للجزء الابكر ترجمة مباشرة لوليم الصوري ، وهو الموجز [٦١] وفقط هذا النص الذي من الممكن له تقديم اي مفاتيح لما احتواه قسم تاريخ ارذول الذي تقدم على ١١٨٥ ، وبتحليل تركيبه ومصدره يمكن ان يبرهن على امكانية تحديد الحد الاقدم وكذلك الاخير لعمل ارذول .

الفصل الثامن

مصادر الموجز وبنيته

١ـ البداية حتى ١١٩٧ ، إعادة بناء تاريخ أرذول

من كلمات (١) « أرسلت ملكة طرابلس » حتى نهايته ، يمكن مقارنة الموجز بشكل صحيح ، كما رأينا في الفصول المتقدمة بالأقسام المقابلة في النيول ، التي ترتبط بإحكام في ذلك الجزء من نصها ، ومن بدايته حتى تلك الكلمات ، يقف الموجز على أي حال مستقلا تماما عن النيول . وفي حين أنها جميعا تضم ترجمة من تاريخ وليم الصوري ، فإنها تقدم بدلا من ذلك نصا غير مرتبط بالمرة ، أقصر كثيرا جدا ، ولكنه يخدم تقريبا الغرض نفسه من حشو تاريخ الحروب الصليبية ، منذ بدايتها الى الفترة التي تتعلق بها بشكل رئيسي وهي الثمانينات والتسعينات من القرن الثاني عشر، (١١٨٠ ـ ١١٩٠) . وهذا النص المغطى لبعض الوقت ونصف فصول طبعة ماس لاتري ، هو في الأساس تاريخ موجز أو مسودة لتاريخ المملكة اللاتينية في بيت المقدس ، ولكنه موشى بوفرة بكثير من المادة جزئية التعلق ، أي المرتبطة بطريقة ما بالأرض المقدسة ، لكن ما هي هذه الفصول التسع الأولى ؟ هل تمثل بداية تاريخ أرذول ، محذوفة من قبل مصنفي الهرقليات لأن ترجمة وليم عدتها فائضة ، ولكنها حفظت من قبل مصنف الموجز ؟ أو هل هي العمل الأصلي لهذا المصنف نفسه ، الذي وجد في مصدره نصا بدأ في الواقع حوالي عام ١١٨٤ ، وأضاف هذه الفصول التمهيدية إقحاما ؟ فإذا كان البديل الأول هو الحالة ، حينئذ يكون × ، التاريخ الأصلي لأرذول ، قد بدأ حوالي النقطة التي عندها يبدأ الموجز والنيول في السير المتوازي ، وذلك عند الكلمات

التالية : « أرسلت ملكة طرابلس » في العام ١١٨٥ ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، اذا كان مصنف الوجز قد وجد الفصول التسعة الأولى مع القسم المركزي في الحكاية كلها في × ، واختزل كل ذلك عندئذ لابد أن يكون مستملكو الهرقليات قد بدأوا عندما وجدوا ذلك مناسبا لأنفسهم ، بعد نهاية ترجمة تاريخ وليم ، ولابد أن يكون تاريخ أرنول قد بدأ في وقت أبكر بقدر كبير من ١١٨٥ .

وهكذا إنه بفحص هذه الفصول المبكرة من الوجز ، لنرى بدقة ماذا تكون ، ومن الذي يمكن أن يكون قد كتبها ، واذا ماكان هناك أي انقطاع ملموس بينها وبين الجزء المركزي ، الذي يسمي فيه أرنول ، يمكن أن نأمل في ترسيخ بداية عمل أرنول الأصلي ، كما رسخت مقارنة النيول نهايته .

وبدراسة احتمال أن × بدأ في أو حول عام ١١٨٥ ، يكون من الموائم أن نذكر النظرية المقدمة من قبل أ س . كراي (٢) أن أرنول كتب كمكمل لوليم ، ويجب أن نضيف على الفور بالطبع أنه عندما أعد كراي هذا الرأي أعتقد أن الوجز من عمل أرنول نفسه ، لأنه يذكر اسمه ، ولكن مع أننا نعرف الآن أن الحالة ليست كذلك ، يبقى الاحتمال أن العمل الحقيقي لأرنول ، × ، بدأ حوالي ١١٨٥ ، وبهذا كان فعلا نيلا لتاريخ وليم ، وفحص حجج كراي بناء عليه دليل مفيد لمدى قوة الإقناع الممكنة بالضبط لنظرية التنييل هذه حول تاريخ أرنول .

ويؤكد كراي أن الوجز أخذ يصبح مفصلا حوالي عام ١١٨٣ ، تماما في الوقت الذي كان فيه تاريخ وليم يتجه في الرواية نحو النهاية بدون الكتاب ٢٣ الذي يفترض أن أرنول ، طبقا لكراي قد استعمله (٣) ، ويتخذ كراي من هذا بينه على أن كاتب الوجز قصد أن يقدم نيلا للتاريخ ، وهو في الحقيقة يمضي بعيدا جدا الى حد أنه يؤكد فيه أن كل مؤرخي الحروب الصليبية بعد وليم كتبوا كخلفاء له ، وهناك عنصر حقيقي في

هذا ، من حيث أنه كما رأينا من قبل أن التاريخ والاكثر خصوصية نصه الفرنسي ، « الهـرقليات » كان شـائعا بقـدر كبير في زمانهما ، وقد أضـيف اليه الكثير بحيث بقـي دائمـا مناسـبا للعصر ، وكان يشكل في الحقيقـة العمـل القياسي حـول الحـروب الصليبية ، كما بقي المرجـع المعياري المعـاصر ، ولكن مـن أجـل التأكيد بثقة بأن كل المؤلفين التاليين كتبوا في ضوء عمل وليم ، فإنه من الضروري أولا بيان أنهم عرفوا ذلك العمل ، وفي حالة أرذول فإن هذا ليس مؤكدا بأي حال من الاحوال .

ويمضي كراي الى بعض الابعاد ليوحي بأن أرذول ربما قرأ ، لابل قد قرأ تاريخ وليم الصوري ، وهو مقتنع حول النقطة الأولى : وقد إقترح أن إحدى نسـخ تـاريخ وليم كانت متـداولة بين الاصـدقاء وليم ، وبينهم بالين دي ابلين ، ولايمكن القول أنه قـد بـرهن على ذلك ، ولكن يبدو مقبولا جدا في الظاهر أن بيت ابلين لابـد أنه كانت لديه نسخة من تاريخ وليم ، وأنها هكذا كانت ولا بـد في متناول يد أرذول ، ولكن هذا يفترض أن أرذول كان يعرف اللاتينية وهو اعتقاد يؤيده كراي في مكان آخر (٤) ، ولكنه مرة أخرى بغير برهنة ويبقى احتمالان آخران : إما أن أرذول كان على معرفة بالترجمة الفرنسية لتاريخ وليم أو أنها ترجمت له ، ربما شفويا ، من قبل أحد الكتـاب في اطار البيت ، ومع هذا يوحـي الاقتـراح الاول بشـيئين حـول الترجمة من المعلوم الآن أنهما غير صحيحين ، وأعني أنها جرت في وقت مبكر جدا لنقل حوالي نهاية القرن ، طالما أننا نعرف أن تاريخ أرذول قد انتهى بأحداث عام ١١٩٧ ، ويفترض أنه قـد كتب بعـد ذلك بوقت غير طويل جدا ، وأنه جرى في بلاد ماوراء البحار ، إما في سورية بالذات أو في قبرص ، وبالنسبة للتاريخ ، فان عمـل السـيد غولدن قد حـدده بـالسنوات الأخيرة مـن حـكم فيليب أغسطس (٥) ولنقل حوالي ١٢٢٠ الى ١٢٢٣ ، وبالنسبة للموقع بين أوست (٦) بشكل حاسم أنه قد كتب في فرنسا ، وأن المتـرجم كان فرنسيا ، والاقتراح الثاني أن تاريخ وليم قـد قـرىء بصـوت مرتفع ، وربما تـرجم على الفـور ، ودون تـأخير ، يمـكن

تصديقه ،معروف جيدا أن القراءة بصوت مرتفع كانت إجراء شائعا في تلك الفترة ، وأن التواريخ مثل أنواع الأدب الأخرى كانت تقرأ بصوت مرتفع ، وهذا واضح من مقدمة « تاريخ القدس » لروبرت الراهب :

'Universos qui hanc historiam legerint, *sive legi audierint,* et auditam intellexerint, deprecor . . . ut concedant veniam. (٧)

وأن يكون القارىء قد ترجم على الفور أمر لم يتفق عليه مطلقا ، ولكن الشعبية البالغة الانتشار لعمل وليم توحي بوجود قراء أكثر من الاقلية المتكلمة باللاتينية ، وبلا شك ان الطلب الكبير على قصص الحروب الصليبية باللغة الدارجة قد بز قدرة النساخ على انتاج تراجم مكتوبة مثل تاريخ هرقل ، وربما ملئت الثغرة بالاجراء الذي اقترحناه ، وهذا بالطبع ليس أكثر من تخمين ، ولكنه على كل حال يعطي كراي فائدة الشك ، ويفترض أن أرذول ربما كان يعرف أو استطاع بوسيلة ما أن يعرف ، عمل وليم الصوري .

ولنفترض الآن أنه كان يعرف ، أن تاريخ وليم الصوري انتهى فجأة في عام ١١٨٤ ، وعليه فإن أرذول قصد بالابتداء بقصته عند هذه النقطة ، ولكنه مثل أغلب مؤرخي القرون الوسطى كانت لديه كراهية للدخول المباشر في مادة موضوعة . فهو كان يريد الاستمرار بهدف اعطاء انطباع المعرفة المبرمجة والسمعة الثقافية ، وكان هذا من الممكن أن يتحقق فقط بالابتداء بطريق جيد رجوعا ، لذلك مع أنه لم يتبين ما اعتبره كثير من الكتاب المعاصرين على مايبدو معالجة شاملة حقا بأن يبدأ بآدم ــ أو على الاقل بيوليوس قيصر ، وقد شعر بحق أنه من الضروري تحديد اطار تاريخ المملكة اللاتينية ، فهل استمد من أجل هذا من المصدر الواضح ال *magnum opus* الذي يفترض أنه نموذجه الأصلي ؟ ويعتقد كراي أنه فعل ، ولكنه اضطر للاقرار أنه في بعض الأمور ، اختلفت الفصول

المبكرة من الموجز بمقدار كبير عن رواية وليم ، بما في ذلك كما يقول كراي ــ مسألة وفاة وليم نفسه! وقد فسر الاختلاف بافتراض اعتماد أرنول على نسخة ناقصة من تاريخ وليم لم يكن فيها الكتاب الثالث والعشرين ، وأرنول بالأساس ـ كما أكد لنا متفق مع وليم في الأجزاء الأكثر تبكيرا ـ وهذا التأكيد في الواقع مركز على بينة ضئيلة جدا ، وأي مقارنة صعب القيام ، بها ، لأن ما ذكره وليم في ثلاثة وعشرين كتابا غطاه الموجز في تسعة فصول قصيرة ونصف الفصل كل ذلك بما فيه مواد الوصف الجغرافي والأساطير والخرافات ، مع أحداث تاريخية لم تعالج بالمرة من قبل وليم ، وما يبقى للمقارنة قليل جدا ، وعلاوة على ذلك إنه مع توفر الفرق الكبير في طرق تعبير المؤلفين ، لن يكون أمرا سهلا كشف الاستعارات إن وجدت . ومرة أخرى لا بد بين أي روايتين عن الأحداث نفسها من وجود بعض التماثل القليل الذي ينجم بكل بساطة بحكم الضرورة عن موضوعهما المتشابه ، وليس بين وليم وبين الفصول الافتتاحية للموجز ، هناك كثير من التباين الصارخ ، وليست هناك سمة واحدة ، كخطأ مشترك ، يمكن أن توحي ، دع عنك أن نقيم علاقة مباشرة ، مثل تلك التي ادعى كراي أنه شعر بها وأحس .

هل هو صحيح بأي حال أن رواية الموجز أصبحت مفصلة في عام ١١٨٣ ؟ إنه بالطبع من الصعب تطوير أي طريقة دقيقة للحكم على التفصيل أو النقص فيها ، ولكن كمرشد غير مصقول ولكنه جاهز ، ويمكن أن نأخذ عدد الصفحات في طبعة ماس لاتري التي استغرقتها كل سنة ، وبتعابير عامة يمكن أن نقول أنه حتى ١١٨٠ كان التوزيع عشوائيا تماما ، فلم يكن هناك اتجاه ثابت محسوس سوى ذلك الذي كان نحو أواخر السبعينات من القرن الثاني عشر ، حيث أن الحكاية بدت بشكل عام تتحرك بسرعة أقل ، وعدد الصفحات التي شغلتها الثمانينات من القرن نفسه هي كما يلي :

1180: 6½	1186: 12
1181: 1	1187: 59
1182: 10½	1188: 13
1183: 7½	1189: ½
1184: 3	1190: 11½
1185: 3	

وهنا مرة أخرى لايوجد تحول محدد ، في اتجاه ثابت واحد ، يمكن ادراكه بالمرة ، والشيء الوحيد الذي ظهر هو العامل الذي يمكن توقعه ، في حولية تاريخية تتعامل على الأقل ظاهريا ، مع ضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، وهناك في الواقع الحاح كبير جدا ، ولكنه متفاوت حول السنة المصيرية ١١٨٧ ، وبالنسبة للنقطةحيث ينتهي تاريخ وليم ، لا يمكن المرء بالتأكيد القيام حتى بتخمين حولها من البينة التي في الجدول أعلاه ، ومع انعدام هذه الدعامة فإن نظرية « التنييل » المقترحة من قبل كراي بالكاد يمكن أن تبقى صامدة .

وهذه النظرية هشة من نواح أخرى أيضا : فلا قارىء حتى من لنوع غير المبالي يمكن أن يخفق في أن يصدم بالفروق الواسعة في الاسلوب والميول نحو عمليهما ، أي ما يفصل وليم عن الذي ندعوه خليفته ، ففي وليم لدينا رجل ذو مواهب طبيعية عظيمة ، تطورت الى حدها الأقصى بالتعليم الرائع الذي تلقاه ، كما يخبرنا هو نفسه ، على أيدي رجال مثل غيلبرت دي لا بوريه وموريس دي سولي ومينيروس الذي كان هو نفسه تلميذ أبيلارد(٨)وقد أردف وليم هذا التعليم بخلفية واسعة من القراءة ، إضافة الى أنه جاء الى عمله باحساس دراسي : تدقيق من أجل الحقيقة وحياد ، وإحساس بمسؤولية المؤرخ تجاه قرائه ، مما أسهم بقدر كبير في منح صفة الديمومة لتاريخه ، ولم يكن نجاحه عفويا ، فقد توقع دوام عمله ، فكتب للذرية بوضوح : « نحن لا يهمنا كثيرا ما سيكون انتقاد الأجيال المقبلة لنا ، كما لن نهتم أيضا للحكم الذي سيصدر على اسلوبنا »(٩) .

ولن يدهش إذا عرف أن قراءته ما زالت مستمرة طيلة ثمانية قرون بعد وفاته ، وبالنسبة لمؤلف الوجز من جانب آخر ، يبدو أن الخلود الأدبي لم يكن بعيدا عن فكره ، ومن الواضح أن العمل وسيلة لغاية . أعني نشر المعلومات ومن الواضح أنه لم يكن لدى المؤلف وعي بذاته ككاتب بالمرة .

وهذا تعارض مباشر مع وليم ، الذي ذكر نفسه بتواضع أسقفي كاف ، عند كل النقاط ذات العلاقة ، وكثيرا ما حلل احساسه الخاص لنا بطريقة تغرينا بأن نرى فيه نذيرا متبصرا يتطلع الى الامام .

والآن لا يتوقع المرء بالضرورة مؤلفا قصده تكميل عمل رجل آخر كي يقلد محاكاة أسلوب ذلك الرجل بشكل مطلق ، ولكن المرء يتوقع أن يكون اختيار المادة دقيقا ومناسبا ، لتفادي التمييز القوي بين الشطرين ، للادعاء على الأقل بالتماثل ، وباختصار يتوقع المرء محاولة صغيرة للمعارضة ، والموجز لايفعل شيئا من ذلك ، وفي الحقيقة إن المؤلف لم يذكر حتى تاريخ وليم عندما تكلم عن وليم ، وإذا كانت المسألة مسألة تفاخر المؤلف فإنه لغريب بشكل خاص أنه لم يفعل ، فمؤلف الموجز يعجب بوليم ، لكن هذا الاعجاب العفوي من الصعب الحكم على مقداره أو على مقدار الحكمة فيه : والسياق الذي ذكر فيه وليم هو سياق الظروف الغامضة لانتخاب هرقل بطريركا لبيت المقدس في ١١٨٠ ، وجهد كي يوضح ليس فقط تفوق وليم الاخلاقي الذي لا يذكر على هذا الاسقف الفاسق ، بل أيضا كان هو نفسه في جانب الحق في هذا الامر ، ووصفه لوليم مؤيد بلا تحفظ ، ولكنه غير مبالغ فيه كثيرا بشكل يجعل منه نفاقا واضحا :

'Li archevesques de Sur ot a non Guillaumes, et fu nés en Jherusalem, et ne savoit on en Crestiienté mellour clerc de lui, a son tans. (١٠)

ولا بد أن هذه كانت اللحظة المناسبة لاضافة أن وليم كان مؤلف التاريخ ، فإذا كان هو نموذج مؤلف الموجز والهامة فمن الصعب تصديق أنه لم يكن ليضيف ملاحظة الى هذا الواقع هنا ، ويؤدي صمته حتى بالمرء الى التساؤل فيما إذا كان في الحقيقة قد عرف تاريخ وليم بالمرة ، وبالتأكيد واضح أنه لم يكن حاضرا في ذهنة .

وكل حجج كراي من أجل تسمية أرنول منيلا لتاريخ وليم ، تقوم بالطبع على افتراض أن موجز ١٢٢٩ كما هو قائم ، هو تاريخ أرنول وكما رأينا(١١)إن قضية تصديق أن الموجز نفسه قد كتب كنيل للتاريخ ، هزيلة الغاية ، لكن هل هناك امكانية للاعتقاد بأنه ليس الموجز بل مصدره « × » هو الذي كتب نيلا شروعا من سنة ١١٨٥ عندما « أرسلت ملكة طرابلس » وقد استعمل هكذا من قبل مصنفي الهرقليات ، ولكنه تكيف بصور مختلفة من قبل مصنف الموجز ؟ فلو كان الأمر كذلك ، لتوجب تمييز انقطاع واضح في تنقيح الموجز عند النقطة التي افترض أن المصنف قد أتم فيها مدخله الخاص ، وبدأ بعملية نسخ × ، مختصراً إياه في هذه العملية ، وبكلمات أخرى لا بد من وجود بعض الفروق التي يمكن ملاحظتها بين الفصول التسع والنصف الأولى من الموجز ، التي يفترض أنها من عمل المصنف الخاص ، والبقية من جملة « وأرسلت ملكة طرابلس » وما بعدها استمدت مثل الجزء المماثل في تاريخ هرقل ، من التاريخ الأصلي لأرنول أي « × » .

وفي الحقيقة إنه عند النظرة الأولى نرى أن الفصول المبكرة من الموجز تعطي الانطباع بكونها مركبة بصورة مختلفة نوعا ما عن بقيته وعن النيول بالذات . في حين أن النيول والموجز بعد ١١٨٥ هي تقريبا حكاية تاريخية صريحة ، والفصول التسع الأولى من الموجز مختلطة جدا في محتواها ؛ على الأقل عند القراءة الأولى ، حيث تعطي القارىء انطباعا بعدم التنظيم وعدم الوحدة ، ولكشف إذا ما كانت كيانا مستقلا بذاتها ، أو إذا كان لها بعض الروابط ببقية الموجز وبالنيول ، من الضروري بناء عليه أن نفحص بدقة أكبر

مم تتكون بالضبط تلك الفصول المبكرة ، وإذا أمكن ، ماهي مصادر المادة ؟

وتقع محتويات هذه الفصول المبكرة مـن الوجـز في أربـع زمـر عريضة : مقتطفات توراتية ، وأوصاف جغرافية ، ومادة أسـطورية وتقليدية ، وتاريخ حقيقي .

وتختلف المادة التـوراتية كثيرا جـدا في الاتسـاع والتفصـيل ولاتتعدى بعض الأمثلة أكثـر مـن إشـارات عابـرة إلى قصص توراتية ، كثيرا ماكانت حوادث مرتبطة بمكان ما في الأرض المقدسة قام المؤلف بوصفها ، ولكن أخرى كانت طويلة وربمـا قـريبة مـن الكتاب المقدس ، كلا العهـدين القـديم والجـديد ، وعرف الكاتـب بالتفصيل على الأقل أجزاء من كل الاناجيل الاربعة (مع أنه لم يقم بأي إشارة نصية إلى أي رسالة إنجيلية) (١٢) وعرف مـن كتـب العهد القديم وأسفاره : الخروج ، والعـدد ، ويوشـع ، ويهـوديت والكتابين الثالث والرابع من الملوك . (١٣) .

ومقتطفات العهد الجديد ذات معالجة دقيقة جـدا بـالفرنسية عن الترجمة اللاتينية للكتاب المقـدس ، مـع بعض الاضـافات ، عادة حوار ، بطريقة مفعمة بـالحيوية وقصص العهـد القـديم على أي حال ، في الحقيقة مستمدة من مصـدرين : العهـد القـديم وأعمـال فلافيوس يوسيفوس ـ واسـتمد المصـنف كثيرا ، مـن العصـور القديمة ، ومرة واحدة من الحرب اليهودية عند يوسيفيوس ، وهـكذا على سبيل المثال قصة أبناء اسرائيل الذين عبروا البحـر الأحمـر ، وهي بوضوح قائمة على الرواية الواردة في سفر الخـروج ١٤ وليس على تلك التي أعطاها يوسيفيوس (١٤) بينما قصـة اليشـع لسـد المياه (١٥) ، ممكنة التشـبيه بفـاتحته ، وغير مـوجودة بـالكتاب الثاني من أسفار الملوك الاربعة وهي تكييف للكتاب الرابع الفصل ٨ قسم ٣ من الحرب اليهودية .

والحالة الهامة بشكل خاص هي حالة ابراهيم من قصة وجدت في الفصل ١٨ / ١ من سفر التكوين : « وتجلى له الرب في بلوط ممرا وهو جالس بباب الخباء عند احتداد النهار » وتتحول هذه في الموجز إلى

'Abraham se seoit desous un arbre qui avoit a non Mambré,'

وهكذا أضاف ماس لاتري كلمات على أنها ضرورية للمعنى ، وجعل الجملة ترجمة صحيحة للفصل ١٨ / ١ من سفر التكوين (١٦) وفي الواقع إن لدينا هنا ترجمة ، لأنواع من يوسيفيوس مره أخرى (العصور القديمة ١٠ ـ ١١ ـ ٢) : « إلى جانب بلوط ممرا عند باب خبائه » (١٧) وتنقيح ماس لاتري تنقيح فائض . وقد حصل المصنف على أشياء خاطئة بشكل طفيف جدا ، فقد اعتقد بالتأكيد أن ممرا هو اسم الشجرة . وابتعاده البالغ الصخب عن النص ورد أيضا في هذه الفقرة ، كان له هدف واضح . ذلك أن نص الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس عند هذه النقطة غريب قواعديا :

سفر التكوين : ١٨ / ١ ـ وتجلى له الرب في بلوط ممرا وهو جالس بباب الخباء عند احتداد النهار .

سفر التكوين : ١٨ / ٢ ـ فرفع طرفه ونظر فإذا ثلاثة رجال وقوف أمامه ، فلما رآهم بادر للقائهم من باب الخباء وسجد إلى الأرض .

سفر التكوين : ١٨ / ٣ ـ وقال : ياسيدي إن نلت حظوة في عينك فلا تجز عن عبدك .

وهذه فرصة يجب عدم تفويتها لتفسير نمط العهد القديم من الثالوث المقدس ، وأفاد منه المصنف استفادة كاملة :

'Tout si que il vint pries de lui si l'aoura. En l'aourer qu'il fist s'en vit .iii. Un en vit et .iii. en aoura; li .iii.

estoient en un, et li uns estoit en .iii., et tout en une personne.
Il li proia qu'il herbergast aveuc lui . . (١٨)

وفي أمثلة أخرى لاتوجد التفاصيل التي أعطاها مؤلف الموجـز في العهد القديم ولافي يوسيفيوس . ولم تحسـن القصـة دائمـا ، وفي الحقيقة إنها تبـدو أحيانا غير قـادرة على التفسـير إلا كتفصـيل لامسوغ له ، ورواية الموجز حول حصار السامرة في زمن اليشع على سبيل المثال هي أداء دقيق للرواية في أسفار الملوك الرابع : ٦ ، مـع تفصيل واحد مضاف غير موجود في النص الاصلي بالمرة .

Quod cum audisset rex, scidit vestimenta sua, et transibat per murum, viditque omnis populus cilicium quo vestitus erat ad carnem intrinsecus. Et ait rex: Haec mihi faciat Deus et haec addat, si steterit caput Elisei, filii Saphat, super ipsum	Dont fu li rois si dolans qu'il descura ses dras, *et se laissa caoir de son cheval a tiere* et manda par .i. sergant Élyseu le prophete pour ocure, pour che que c'estoit avenu a son tans. (١٩)

وهذا بحد ذاته غير محتمل ، وهـو على الاقل لايتـواءم مـع بقية القصة كتفصيل ، وهـو في الواقع يجعلهـا بـالاحرى لامعنى لهـا ، ولايمكن أن ينظر إليه كسـوء تـرجمة للأصـل ، ولايمـكن أن يرى تفسيرا خاطئا للأصل ، وهذا في الواقع تفسيرا آخر أشد غرابة .

(Genesis 18: 1):	Apparuit ei Dominus in convalle Mambre sedenti in ostio tabernaculi sui in ipso fervore diei.
(Genesis 18: 2):	Cumque elevasset oculos, apparuerunt ei tres viri stantes prope eum; quos cum vidisset, cucurrit in occursum eorum de ostio tabernaculi, et adoravit in terram.
(Genesis 18: 3):	Et dixit: Domine, si inveni gratiam in oculis tuis, ne transeas servum tuum.

هل من الممكن أن يكون المصنف قد أخطأ قراءة يوشع ٦ : ١

autem clausa erat atque munita', as 'clausa erat magne', or as 'clausa erat atque magnetica'?

حيث أن مفرداته في الترجمة لها حدودها حسبما تأكد ذلك في أمـاكن اخرى ، فبعدما اخبر حمار بلعام ، بلعام أن الملاك يسد ممـرهما ، قام بالفعل بالعودة ، وهذا شيء لم يرد حدوثه لافي العهد القـديم ولا عند يوسيفيوس (٢٠) ، والمخرج هنا هـو ان المصنف ربما اقـدم على إضافة هذه التفاصيل من عنده معتمدا على ذاكرته ومسـتمدا منهـا مما كان قد قرأه في وصف ما لمدينة لها في بنائها مثل مدينة نربونة :

- ٣٦٧٦ -

Ay meris fet soner .xxx. olifans,
Bondir en fet Nerbone la plus grant,
La mestre tor et lo dur aymant.(٢١)

وبصرف النظر عن يوسيفيوس والتوراة ، هناك عدد من الاقوال ترجع إلى تقاليد مصدقة كثيرا ، على سبيل المثال تعريف سبسطية بأنها مكان دفن يوحنا المعمدان ، ويهوشافاط على أنه مكان دفن سيدتنا وأشياء أخرى كثيرة من مثل هذه التعاريف المتعلقة تقليديا بأمكنة في فلسطين كمسرح لهذا الحدث أو ذاك ، وفي الحقيقة إن معظم المادة التوراتية ممزوجة مع الاوصاف الطبوغرافية لفلسطين ، وهكذا فإن ذكر أريحا يستدعي ذكر مكثف لقصة يوشع ويشكل أيضا استطرادا مضحكا حول عادات أفاعي معينة أكد المؤلف أنها تعيش في تلك المنطقة (٢٢) ويبدو أن تحديد الموقع كان من اختراعه هو ، ولكن المعلومات عن الافاعي استمدها من كتاب « أصول الكلمات » لايزيدور الاشبيلي (٢٣) وأعطي الموقع نفسه لهذه الافاعي في كتاب جاك دي فيتري « الكتاب الشرقي » (٢٤) ولكن هذا لايمكن أن يكون مصدر الموجز ، مادمنا تاركين جانبا المسألة التي نوقشت مطولا ، والتي تتعلق بتأريخ الموجز ، الذي يعطي معلومات غير موجودة لدى جاك دي فيتري ، فهو يقول عن الناشر (الصل المصري) وهو أفعى صغيرة سامة إنه يستخدم لصنع الترياق ، في حين أن الموجز به أيضا قطعة أخرى من المعلومات التي يعطيها ايزودور ، هي أنه يتجنب الاسر بنصب أذنية ، والاخيرة قصة شائعة جدا ، أصلها في المزامير : ٥٧ / ٥ ـ ٦ ولاتوجد فقط عند ايزودور والموجز ، بل أيضا مثلا في المؤلف الرمزي عن الحيوانات لفيليب دي ثاؤون الذي حصل عليها من ايزيودور ، الذي استغل تماما إمكانياته الرمزية ، (٢٥) وبالنسبة لمصنف الموجز يبدو مؤكدا من النصوص ، أنه لايمكن أن يكون قد حصل عليها من أي مكان إلا من عند ايزودور ، وأن موقع الافاعي في أحواز أريحا ، هي فكرته هو ، ويحتمل أنها في الحقيقة مقلدة من قبل جاك دي فيتري ، كما

سوف نرى عندما يصبح تاريخ تأليف هذا الجزء من الموجز ، أكثر وضوحا .

والأوصاف الطبوغرافية ذاتها كانت موضوعا لكثير من البحث ، الذي تأوج في الطبعة التي حققها ميشلان ورايذود مع مقدمة راينت (٢٦) ، ويستنتج راينت أن وصف الجليل هو العمل الأصلي لأرذول نفسه ، في حين أن وصف بيت المقدس هو توسع في النص الأقدم الذي احتفظ التاريخ بجزء منه في تنقيح مختلف .

ويجب أن يؤخذ في الحسبان بالطبع أنه عندما كتب راينت هذا ، في ١٨٨٢ ، اعتقد بأن الموجز بحد ذاته كما حققه ماس لاتري قبل ذلك بإحدى عشرة سنة ، هو تاريخ أرذول وعليه يكون من المناسب أن ننقح أطروحته في ضوء الفصل السالف ، والقول بأن وصف الجليل كما هو في الموجز ، ليس له مصدر مكتوب باق ، ولايمكن لمصدر مفقود أن يخمن ، لكن مصدرا مكتوبا مفقودا يمكن تخمينه في حالة وصف بيت المقدس ، بمقارنة الرواية الموجودة في الموجز بتلك الموجودة في التاريخ ، وبكلمات أخرى يمكننا أن نعدل نسبة راينت لوصف الجليل إلى أرذول بالقول بأنه عمل المجهول الذي كتب هذا الجزء من الموجز ، ومن المناسب أن يضاف هنا أن الشخص نفسه هو الذي صنع أيضا المقتطفات التوراتية والمقتطفات المأخوذة من يوسيفيوس وايزودور ، لأنها بصورة لامفر منها تتخلل وصف الجليل ، وكثيرا مايكون ذلك إلى حد أن الحدث المروي من التوراة أو من يوسيفيوس ، هو المعلومات الوحيدة المعطاة حول المكان موضوع الوصف ، ولايمكن أن يكون هناك تساؤل عن وجود سالف لوصف طبوغرافي موسع مأخوذ من الكتاب المقدس والتقاليد ، لأن مثل هذا النص لم يكن له أن يقف بذاته ، وفي الحقيقة إنه لصعب وجوده بالمرة ، بصرف النظر عن الرسوم الشارحة التي تتكون منها في الواقع في أقسام كبيرة .

والشيء نفسه ، غير صحيح بالضرورة بالنسبة للاجزاء التاريخية

الدقيقة لهذه الفصول المبكرة ، مع انها متداخلة كثيرا مع الانواع الاخرى من المادة التي وصفناها توا ، ومن الممكن استخلاصها وان يشكل منها حكاية مستقلة ، مع ان هذا سيكون هزيلا جدا ، ومع أن فصلها هكذا عن النص المحيط بها سينطوي على فعل عنيف جدا بالموجز كما هو قائم ، والفصل الذي لايمكن تحقيقه هو بين هذا الجزء من الحكاية التاريخية والقسم الذي يتمركز على حطين وسقوط بيت المقدس ، هو العمل الفني التاريخي ، الذي يحقق القصد المحدد للمؤلف ، ليخبر قراءه كيف سقط الصليب المقدس وبيت المقدس في بيت المسلمين . وكحكاية تاريخية هو متجانس بشكل ملحوظ لان التفاصيل التي يعطيها تختلف بقدر كبير فهي تتكون في البداية في مجرد الماعات ، ولكنها تصبح بشكل ثابت أكثر تفصيلا حتى اوائل الثمانينات من القرن الثاني عشر عندما يمكن ان يقال انها تخوض في الاحداث المركزية التي تتعامل معها ، لتصبح تاريخيا صحيحا اكثر منه موجز ظهر انه اصليا ، على الاقل لايمكن تعقب اي مصدر له وانه ليس كما اكد كراي ملخص تاريخ وليم ، فان اجزاء كبيرة منه هي بالطبع روايات موجزة لحقيقة يمكن ان تكون مأخوذة من وليم (على سبيل المثال ، زواج عموري وماري كومينا) (٢٧) وكثير مما لايوجد بالمرة في وليم (مثل ، تاريخ حياة جيراردي رد فورت واعماله) (٢٨) وغطى بعضها الساحة نفسها واعطى رواية مختلفة تماما عن رواية وليم .

وهكذا على سبيل المثال ان روايته كل منهما المتعلقة بتأسيس طائفة فرسان المعبد لاتشبه بعضها بعضا في ادنى حد (٢٩) . ويحتمل ، مع عدم القدرة على البرهنة ان عمل وليم المفقود « تاريخ اعمال امراء الشرق » قد قدم المادة للفصول المبكرة عن حياة صلاح الدين وصعوده للشهرة ، ولكن تاريخ وليم ليس المصدر لبقية التاريخ.

وفي حالة عدم وجود اي عمل يمكن تعريفه على انه مصدره ،يجب ان نفترض انه عمل اصلي مستوفى باستعارات ليمكن تحديد هويتها ، من اماكن اخرى ، اعني من ايزودور ، ويوسيفوس ،

والتوراة ، والوصف مجهول المؤلف لبيت المقدس ، الذي رسخ راينت كونه مأخوذا من عمل أبكر ومكيف جزئيا (٣٠) .

وليس ممكنا ان يتحرى في هذا الجزء من الموجز اي انقطاع في المادة او الطريقة مثل ماا كتشفنا في النصوص في ١١٩٧ ، وبصرف النظر عن التغير في المشهد ، مثلا من بيت المقدس الى بيزنطة او القاهرة حسبما كان يتطلب الموضوع ، فان الترتيب الزمني متتابع بدون انقطاع ، خلافا للترتيب الزمني للاجزاء التالية من الموجز ، او من الذيول ، لتلك المادة ، حيث تتحرك رجوعا وقدما باسلوب مشوش وغير منظم ، كثيرا مايكشف عن مجرد نقص في مهارة التأليف اكثر من ان يكون تنقيحا فنيا متعمدا ، يسمح بتغيير في الموضوع واستيفاءات للحكاية الصحيحة من مختلف العناصر الاخرى ، التي سبق تحليلها ، ويعطي التاريخ انطباعا بوحدة الرواية حيث تبدو كلها كقطعة واحدة مع القسم الذي يذكر ارنول بالاسم ، وكلها تتحرك في اتجاه تلك الاحداث التي كان حاضرا فيها ، متطلعين اليها ومهيئين ايانا لتقدير الفاجعة تماما عندما ترد ، وكون هذه هي في الواقع الحالة امر يمكن بيانه ، وهو امر بالغ الغرابة عند مقارنة الموجز مرة اخرى بالذيول ، اذ مع انهم ظاهريا لايعالجون هذه الفترة ، قبل ١١٨٤ ، سوى من خلال ترجمة وليم لدى ذكره بعض الروايات المتداخلة في حكاية الاحداث التالية ، هناك ايضا ثلاثة اقسام في تلك الفصول الافتتاحية من الموجز .

وهذه الاقسام الثلاث كلها مرتبة زمنيا في الموجز ، ولكنها في الذيول تعمل كقواطع للتسلسل التاريخي ، وفي كل حالة اختار مصنفوا الذيول فقرات تتعامل مع الاحداث التي كانت ضرورية لفهم واضح للاجزاء التالية في التاريخ ، وهي معالجة بصورة غير وافية او لم تعالج بالمرة من قبل وليم الصوري ، وهكذا فان تاريخ « زواج سيدة البترون والمحاولة المجهضة التي قام بها جيرار دي رد فورت وريموند كونت طرابلس » (٣١) ، بالضبط توفر السبب نفسه لذكر هذه القصة على انها كانت عاملا مسهما في ضياع المملكة ، وقد

اعطي من قبل مصنف الموجز ايضا (٣٢) ومثل هذا انتخاب هـرقل بطريركا لبيت المقدس ، وحياته الماجنة ، ووصف باسل دي ريفيتي «للبطريرك » مثبت في « ا.ب »و« د » وفي « غ ج » هـذه المرة ايضا ، (٣٣) لتبيان ممر خلال الحركات العسكرية في حطين ، قاطعا العمل بصورة غيرموائمة وبشكل بالغ الاربـاك ولكنه يخدم الغرض نفسه ، وهو توفير تفسير ضروري جدا لمسألة لماذا خسر المسيحيون :

> nation of why the Christians lost: 'Dont toz li clergés en prenoit mauvais eissample a la vie dou mauvais cheveteine; por les pechez des quels Nostre Seignor se corroça moult durement a ceauz qui habitoient en Jeruşalem et ou roiaume de Surie et netoia sa terre de ceauz qui le peché ovroient. (٣٤)

والقطعة الثالثة من المادة المقدمة بهذه الطريقة هـي قسم من التاريخ البيزنطي ، الذي لم يغطه وليم بقدر كاف ، والذي وضع على نحو موائم في المحل المناسب لدى الحديث عن دفـاع كونراد دي مونتفرات عن صور ، ومرة اخرى من الضروري اعطاء القارىء هذه الخلفية اذا كان له ان يفهم بشكل صحيح الحالة التي كانت علها السياسة البيزنطية في ايام اقامة كونراد الجبرية في القسطنطينية وهربه ، وحقيقة انه بناء عليه وصل الى فلسطين متأخرا جدا ، عندما كانت المملكة بكليتها تقريبا قد اصبحت في يد صلاح الدين ، والملك غي لوزنغنان اسير لدى المسلمين ، لان جزءا من هذا القسم « غ.ح » اعطت الحكاية نفسها كما هي موجودة في نقطة ابكر ، في الموجز ، في حين ان الذيول الاخرى اعطت رواية اكمل الا انها ليست باي طريقة رواية متناقضة في كل اجزائها (٣٥) .

ولاتتركنا هذه المقتطفات بالمرة في شك حول حضور « × » على الاقل في بعض الحكاية التاريخية لما قبل سنة ١١٨٤ ، الموجودة في الموجز . ولم تستمد الذيول هذه الاقسام مباشرة من الموجز واقحمتها في حكاية مصدرها المشترك ، لان لها دائما تقريبا رواية

اكمل مما لدى الموجز نفسه . ونصيا يمكن المرء فقط ان يفسر هـذه الاقسام في الموجز والذيول على انها تكيفات مختلفة لمصدر مشترك ، بين فيها كل نص معالجته المميزة الخاصة المصدر : الموجز يلخص ، و« د » يحتفظ كما في رواية وصول كونراد الى مشارف عكا (٣٦) ، وتفسير موضوع الجرس الذي كان يتوقع سماعه ، وهكذا دواليك . وباختصار ، ان هذه الاقسام الثلاث على الاقل لابد انها كانت في × وإنه لمن المعقول تخمين ان بعض الباقي على الاقل من المادة التاريخية الموجودة في الفصول الافتتاحية للموجز قد استمد ايضا من × ، من قبل مصنف الموجز ، وفي الواقع طالما ان الحكاية تشكل كلا متجانسا بشكل ملحوظ في قسمه ، كما لاحظنا من قبل ، وتؤدي بشكل مباشر الى داخل القسم الذي يسمى فيه ارنول دون اي انقطاع ملحوظ او تغيير في التنقيح ، من المعقول تأكيد انه ليس هذه المقتطفات الثلاث فقط ، بل كل الرواية التاريخية التي تنتهي اليها اتت من تاريخ ارنول .

وماذا بشأن المادة الأخرى في الفصول التسع الأولى ، أي الأوصاف الجغرافية والمستخلصات التوراتية ، والنقول بتصرف من يوسيفوس وايزودور ؟ وطالما أنه يمكن فصلها بشكل ملموس عن الحكاية التاريخية الأصلية ، لا يمكن بالضرورة افتراض أنها هي ايضا أتت من × فقد استطاع مصنف الموجز بشكل جيد اقحامها في التاريخ ،ربما بقصد اخراج رواية أكثر تنوعا ، مع اغراء أوسع ، ولقد باتت حقيقة اقتطاعه لمصدره الى درجة كبيرة غالبا ما أضعفت الأهمية التاريخية لعمله بشكل كبير ، واضحة بدرجة كافية ، حتى أن القيمة المعلوماتية الصرفة لعمله لم تأخذ عنده أولوية على جاذبيته لجمهور عريض ، مثلما لدى المهتم في أيامنا بالتأريخ للحروب الصليبية ، وفي حين أن التاريخ الصحيح ينتمي لارنول ، فإن الباقي يمكن أن ينتمي الى مصنف الموجز .

فهل كانت هذه هي الحال ؟ مهما يك من أمر إن المرء يتوقع أن يجد أن حكاية الذيول الصحيحة كانت تاريخية صرفة ، وهذه ليست

الحالة ، وإن المادة غير التاريخية في الفصول التسعة الأولى من الموجز موجودة فقط بالطبع في ذلك النص ، ولكن كل القصص التوراتية التي جاءت في الموجز بعد جملة « وأرسلت ملكة طرابلس » وهي بركة سلوان ، وصوم اليشع ، وبناء سليمان للأمكنة المرتفعة وقصة بلعام موجودة في النيول الصحيحة أيضا (٣٧) وفي الواقع إن النيول أيضا تحوي قصة أخرى من النوع نفسه ، وهي قصة جدعون وهو منكب على جز الصوف (٣٨) ومرة أخرى كما هو في حال ما قبل ١١٨٤ من الاحداث الموجودة في كل من الموجز والنيول ، ليس هناك خلاف حول استعارة مصنفي الهرقليات هذه القصص مباشرة من الموجز ، لأن الهرقليات لديها مرة أخرى من روايات « أ — ب » و « د » اقتباسا أكثر دقة ، وعادة أكمل من العهد القديم أو من يوسيفوس مهما تكن الحالة ، مما لدى الموجز ومرة أخرى فإن التفسير الوحيد الممكن هو أن المصدرين نقلا واستفادا مستقلين من مصدر مشترك ، ومرة أخرى نحن مضطرون لاستنتاج أن الاقتباسات من يوسيفوس والتوراة الموجودة في كل من النيول والموجز كانت موجودة في × ، ومرة أخرى يمكننا أن نخمن أن المادة الأخرى من النوع نفسه الموجودة في الفصول التسعة الأولى من الموجز قد استمدها مصنف الموجز من القسم من × الذي أخذ منه مصنف الهرقليات فقط الخلاصات التاريخية الثلاث المذكورة اعلاه (٣٩) ، وطالما انه قد سبق لنا ان عرفنا × على انه تاريخ ارنول الأصلي ، يجب الآن أن نأخذ بالاعتبار كيف توصل أرنول لأن يعرف التوراة بمثل هذا التفصيل ، وأيضا أعمال يوسيفوس وايزودور .

وليس بالضرورة أن يكون قد عرف اللاتينية فغالبا ما توفرت شرائح مترجمة الى اللغة الدارجة من ايزودور ويوسيفوس في مصنفات تلك الفترة ، ولنأخذ على سبيل المثال عمل جاك دي فيتري وفيليب دي ثاؤون اللذان ورد ذكرهما من قبل ولكن طالما أنه ليس هناك بينة إيجابية على تكوين مثل هذا النص الذي كان يحوي بدقة النقول التي استخدمها أرنول ، فإن هذا الاحتمال يجب أن يبقى تخمينا ، ويجب أن نفترض حتى يمكن اثبات العكس ، أن أكثر

التفاسير وضوحا صحيح ، وأن استعارات من يوسيفوس وايزودور أتت من أصل لاتيني (٤٠) .

ومن أجل النقول من الكتاب المقدس ، خاصة نصوص العهد القديم ، تتوفر لدينا اشارات أكثر تحديدا ، فكل أسفار العهد القديم التي استخدمها أرنول موجودة أيضا في الترجمة باللغة الدارجة المعروفة باسم توراة عكا ، وأقدم مخطوط لهذا النص هو « آرسنال ٥٢١١ » ، وقد أعد من أجل القديس لويس ويمكن أن تكون نسخ أقدم من النص نفسه ، أو على الأقل أجزاء منه كانت متداولة جيدا قبل هذا التاريخ ، وكانت عكا جغرافيا داخله بشكل محكم في مجال أرنول ، وطالما أن لدينا نصا باللغة الدارجة يوفر كل الأجزاء الصحيحة من العهد القديم ، في المكان الصحيح في نحو الزمن الصحيح سيكون من الخطأ افتراض أن أرنول بالضرورة قد استعمل الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، إلا أنه هذا يترك النقول من العهد الجديد بحاجة الى تفسير ، وهنا مرة أخرى نتراجع الى التخمين ، ويمكن أن تكون جميعا قد جاءت من حياة المسيح ، وهذه شاع وجودها في تراجم التوراة الى اللغات الدارجة ، ولكن في هذه الحالة لا توجد بينة ايجابية حول توفر مثل هذا النص ، كما يوجد في حالة توراة عكا ، ويمكن أن نعتبره ممكننا تماما ، وحتى محتملا ، إنه لم يكن هناك شيء متوفر ، ولكننا لا يمكن أن نستبعد الاحتمال المعاكس ، أن أرنول أخذ مباشرة من الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، وطالما أن الأمر يبدو هكذا ان هناك على الأقل فرصة جيدة لأن يكون أرنول كان على معرفة باللاتينية ، ويجب أن نضيف هذه السمة لصورتنا العقلية عنه ، ويمكن بالطبع أنه كان لديه كاتب يدون ما يملي عليه ، ترجم له النصوص المناسبة ، ولكن يمكن بالدرجة نفسها أن يكون قد فعل ذلك بنفسه .

وبناء عليه رؤي بوضوح أن كل عنصر من الفصول الافتتاحية التسعة من الموجز غير خاص بهذه الفصول ، وكذلك الحال أيضا في بقية النص ، وفي مصنفات الهرقليات أيضا ، وليس هناك انقطاع

ملموس في نص الموجز بين الاجزاء المبكرة والمتأخرة ، وفي أقسام الجزء المبكر الذي يمكن أن نقارنه بالهرقليات لأن مصنفي الهرقليات قد نقلوا أقسام تتبع الجزء الابكر من مصدرهم المشترك × ، ويمكننا أن نلاحظ أن مصنف الموجز قد قام بثبات بتقطيع مصدره ، وحذف قطعا أحيانا (مثل قصة جدعون) ، ولكنه لم يضف مطلقا شيئا ماديا ، بقدر ما يمكن أن نرى ، ويجب أن نستنتج أن قسم ما قبل ١١٨٤ من × ممثل مع المحذوفات ولكن بدون إضافات بوساطة الفصول التسعة والنصف الأولى من الموجز كما حققه ماس لاتري ، حتى أنها بدأت ، مثل الموجز بملخص سريع لتاريخ المملكة اللاتينية من تأسيسها الى أواخر القرن الثاني عشر ، وأنها حوت – وكذلك التاريخ الصحيح –الخليط نفسه من المادة المرتبطة ونصف المرتبطة مثل بداية الموجز ،وبكلمات أخرى نجد في الفصول التسعة الاولى من الموجز إخراجا مصغرا للجزء المبكر من تاريخ أرنول ، ومحتويات هذه الفصول إن لم تكن من عمل عالم فإنها على الاقل من عمل رجل واسع الاطلاع ، وهذا هو أرنول الذي وصفه فيليب دي نوفار بقوله :

'. . . messire Harneis et messire Guillaume de Rivet le joune, qui moult estoient grans plaideors(٤١)

والذي رآه ماس لاتري: . . . aussi apte, comme la plupart des chevaliers des Assises, a dicter un livre qu'à soutenir une discussion féodale(٤٢)

وتحديد هوية المصادر التي استعملها أرنول قد برهن على أن ماس لاتري مرة أخرى أنه متبصر حقيقي ، لانه وضح لنا أن الكتاب الذي وضعه أرنول كان عملا أكثر علمية ، وأكثر أناقة ، وكل متماسك أكثر مما أمكن لماس لاتري – مع البينة التي توفرت له في زمانه احتمالا – أن يعرف وبالتفكير في المناسبة المفجعة في ١٢٣٢ حينما ترك أرنول متوليا لامور قبرص فأظهر عدم كفاءة عسكرية بإخفاقة في تموين قلعة « رب الحب » وأوشك أن يتسبب في مقتله هو ، ومقتل أخوات الملك اللائي كن تحت

رعايته ، مما يجعلنا نستنتج بشكل جيد أنه كان في الواقع موهوبا بالعلم اكثر بكثير منه بميدان السيف [٤٣] ، وبالتأكيد إنه بين مؤلفي يومه يبرز ببراعته الخاصة .

وهكذا فإن تاريخ أرنول ، كعنصر بين الكثير ، يظهر من بين المواد الخام المصنفة لمختلف التواريخ الفرنسية لمجموعة وليم الصوري ، وبجمع القطع المختارة من كل جانب نستطيع في النهاية أن نعيد تركيب عمل أرنول ، وهو عمل مثقف بصورة غير متوقعة في مصادره ، إلا أنه في تصنيفه متحرر على نحو مرض من قيود التقاليد ، ويمكننا أن نلخص بنيته بإيجاز هكذا :

ـ البداية حتى ١١٨٥ : الفصول الثمانية الأولى ، من الفصل التاسع ، من الموجز كما تظهر في طبعة ماس لاتري ، حتى الكلمات 'li enfes fust d'eage' (م . ل ـ ص ١١٦) ولكن مخطوط القديس أومر ٧٢٢ (أوراق ٤ ظ ـ ٢٦ ظ) الذي لم يكن معروفا لماس لاتري ، يجب أن يستعمل مرجحا على أصله المخطوط (بروكسل ١١٤٢) وأيضا على المختارات الثلاثة المأخوذة من« x » من قبل مصنف الهرقليات وهي روايات أكمل من الأقسام المقابلة في الموجز ، التي لابد أنها أخذت من مخطوط ليون ٨٢٨

وتشكل هذه الأقسام في طبعة الأكاديمية الفصول ١١ ـ ١٦ و ٢٤ و ٣٨ و ٣٩ من الكتاب ٢٣

ـ ١١٨٥ ـ١١٩٧ : من جملة « وأرسلت ملكة طرابلس » حتى نهاية الكتاب ٢٧ الفصل الخامس من طبعة الأكاديمية ، من مخطوط ليون مخطوط القديس أومر ٧٢٢ قبل رواية حصار بيت المقدس مباشرة (أوراق ٣٩ ـ ومايليها) يجب أن يضاف عند النقطة نفسها ، والأقسام التي سبق أخذها من المخطوط « د » وأعيد وضعها في ترتيبها الزمني الصحيح (أي ٢٣ ـ ١٦ ، ٣٤ ـ ٣٩) يجب حذفها بالطبع .

ويحتمل أيضا أن يتوجب على المرء أن يدخل في إعادة التركيب هذه في المواضع المواثمة الأقسام الواردة في تاريخ بلاد ماوراء البحار والمتعلقة بحروب صلاح الدين ضد ملك النوبة (٤٤) فالبينات الموجودة حول النص الحاوي لها وحده توحي أنها كانت موجودة في «×» ولكن هناك بينة أدنى بكثير حولها مما حول بقية نص اعادة البناء ، وعليه لا يجب بالتأكيد أن تضمن دون تحفظات على الأقل حتى يعرف المزيد عن تاريخ بلاد ماوراء البحار في المخطوطين الباقيين .

وما توصلنا اليه هكذا لايدعي بأنه حرفيا التاريخ الذي وضعه أرذول 'fist metre en escrit'. أو حتى «د» و هو أقرب نص إلى تاريخ أرذول الأصلي ، ما يزال تصنيفا ، وإعادة اخراج لأرذول وليس أرذول نفسه ، لكن أين هو اقترابه من الأصل أكبر وأين هو أقل لايمكننا القول ، و الذي يمكننا قوله هو وأنه أفضل اخراج متوفر ، ومثل هذا إن الموجز ، في الأقسام التي يمكن مقارنتها بالنيول ، من الواضح أنها قد اختصرت مصدرها «×» بقدر كبير ، ويمكننا أن نستخلص بأن الفصول المبكرة الشائنة في الموجز هي بالقدر نفسه من التأكيد خلاصة أكثر منها نسخة عن الفصول المقابلة في «×» وهكذا إنها تزودنا بظل ، وليس بصورة لهذا القسم من «×» ولكنه مرة أخرى هو أفضل إخراج ، والوحيد في الواقع الذي لدينا في الوقت الراهن ، ويمكننا على الأقل أن نعرف أنه مع أنها ليست مشابهة دقيقة إنها ليست تحريفا مشوها لها ، وإعادة بناء أرذول هذه باختصار لها حدودها ولكنها أفضل مايمكن أن نحصل عليه مطلقا ، مالم تكتشف مخطوطات جديدة تقدم ليس مجرد قراءات منوعة للنصوص الباقية الآن بل فروقا جذرية في التأليف ، وحتى مع هذه التحفظات القليلة ، بات النص وبناؤه هكذا أخيرا ذا معنى بين التشكيلة الكبيرة من نيول تاريخ وليم الصوري في الفترة الأولى هذه التي كانت ترى من قبل على أنها مرتبطة بطريقة مشوشة وغير محددة ، والتي يمكن أن ترى الآن على أنها تستمد مباشرة أو غير مباشرة من نموذج أرذول الأصلي .

وما هو أكثر ، لدينا أخيرا في إعادة البناء هذه نص يلبي المهمة التي أعد المؤلف لها نفسه ، في الحملة الافتتاحية للموجز ، وقد أصبح شيئا شائعا في دراسات أرنول ملاحظة أن الكلمات الاستهلالية في الموجز ليست سوى بيانات دقيقة عما يحويه الكتاب : (٤٥) (والآن سأحدثكم كيف استولى المسلمون على أراضي القدس والصليب المقدس وهزموا المسيحيين »(مخطوط ز ورقة ٤ ظ)

ومن المسلم به أن عام ١١٨٧ شغل حيزا أكبر بكثير وكثير من أي سنة مفردة أخرى ، (٤٦) ولكن يبقى مضللا جدا أن نعلن أن هذه الأحداث كموضوع الموجز ، لأنه حتى في أقصر رواية من العمل ، تلك التي تنتهي في ١٢٢٧ ماتزال روايتها تشكل قسما واحدا فقط بين كثير ، وفي الواقع إن مصنف الموجز بعيدا عن أن يكون لديه سبب جيد لتلفيق هذه الافتتاحية غير الموائمة لاسيما من أجل تصنيفه الخاص ، ولعلها انزلقت انزلاقا لتدخل فيه وهي بلا شك قد نشلت جاهزة الصنع من مصدره ، من عمل كانت حقا موائمة له ، وكان يتعامل فقط مع الفترة التي تتعلق مباشرة بضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، والتي بدأت والمملكة اللاتينية على مايبدو محكمة الرسوخ ، وانتهت بها وهي خراب ، ومن هذا العمل يأتي توجيه الفصول الافتتاحية للموجز نحو ضياع الأرض المقدسة وضمنها وصف جيرارد دي رد فورت .

'por che . . . que ce fu .i. de ciaus par coi la tiere fu perdue',

وذكر « للأغنية السياسية ضد الفرنجة البلديين كتصوير لانقسام المملكة على نفسها:« على الرغم من البلديين» . . . .
لدينا ملك من الوافدين

فإذا افترضنا أن التنظيم الجديد لـ « × » أعلاه هو تاريخ أرنول ، تكون كل هذه السمات للموجز والهرقليات معقولة ، ويكون لوصف المحتويات نص يشار إليه .

وبالقراءة خلال النص الذي نسبناه الآن لأرنول ظهر التأكيد على عائلة ابلين حتى أكثر وضوحا من ذي قبل ، وفي الواقع بدأ التاريخ يأخذ مظهر مايشبه مسوغ لسلوكهم في الفترة موضوع البحث ، ويمكن حتى أن يكون قد كتب هكذا بناء على طلب الابلينيين للدفاع عنهم ضد المشاعر السيئة والاتهامات الخاصة التي وجهت كثيرا ضدهم ، وارتبطت بهم أكثر بكثير من الارتباط بالوقت ، الذي بكل دقة فقدت فيه القدس مع الصليب المقدس فقد كان هناك أولا معارضتهم لغي ، وبعض الذين اتفقوا مع أرنول في أن المملكة سقطت لأنها كانت منقسمة على نفسها ، خالفوه مع ذلك ، في القاء اللوم على زمرة أكثر منه على الاخرى ، وكان هناك أيضا حقيقة أنه في حطين بينما أخذ هو وكثير من البارونات أسرى ، هرب بالين دي ابلين وريموند صاحب طرابلس إما بالحظ أو بالتخطيط ؟ ثم أدار بالين بنفسه المفاوضات مع صلاح الدين لتسليم بيت المقدس : لماذا بالحري — لم يصمد أمام المسلمين حتى النهاية المرة ؟ وكان بالين أيضا هو الذي وضع بنود معاهدة ١١٩٢ بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد ، وهي معاهدة لايمكن لأحد أن يدعوها مواتية للمسيحيين بل إنها حوت بين بنودها الهدية الشخصية من صلاح الدين إلى بالين وهي قلعة الداروم ، وباختصار بينما كانت المملكة اللاتينية تتهاوى على مسمع منهم احتفظ الابلينيون لأنفسهم بوضع مأمون نسبيا ، وأولئك الذين خرجوا بحظ أقل كانوا أكثر من مستعدين لبيان الأسباب الأكثر وضوحا في الاختلاف ، ويمكن أن تكون هناك أسباب أخرى أجدر بالثناء ، ولكنها كانت أقل كثيرا جلاء بذاتها ، وكانت تحتاج لبيانها بصورة أوضح ، فما الذي حدث حقا في ١١٨٧ ؟ هذا بالضبط ماشرع أرنول في قوله لنا : « كيف استولى المسلمون على أراضي القدس والصليب المقدس وهزموا المسيحيين » ، وعرض هذه القصة من وجهة نظر الابلينيين تجيب ضمنيا على انتقادات الذين رأوا في الابلينيين أنذالا وليس أبطالا ، وهي تؤدي للابلينيين ماأداه قادة الحملة الصليبية الرابعة .

وينبغي أن يلاحظ أخيرا أن تاريخ أرنول هذا يجب أن يعترف به واحدا بين قلائل ، قلائل جدا من الأعمال الأدبية التي أنتجت في بلاد ما وراء البحار الفرنجية وكما بين رنسمان لم تسهم بلاد ماوراء البحار إجمالا إسهاما كبيرا في ثقافة الغرب ، وبين الاستثناءات تاريخي وليم الصوري وأرنول (٤٧) ، والآن إن عمل أرنول يمكن أن يفترض كشيء أسمى كثيرا من الموجز الذي كان يعزى إليه حتى الآن ، ربما يمكن لنا أن نأخذ نظرة أكثر تفاؤلا بصورة طفيفة جدا ، إلى حجم إسهامه ، فهو نوع من المنتجات الثانوية للاهتمام الباقي والشامل بالشؤون القانونية التي كانت تميز الفارس في الدول الصليبية ، وأدت إلى تجمع الكتلة الهائلة من الكتابات عن « قوانين بلاد ماوراء البحار » التي تعرف إجمالا باسم « مجموعة القدس » فإذا كانت مهنة أرنول كجندي أعطته مادة لتاريخه ، فقد كانت خبرته في المحاكم هي التي أعطته دون شك وسائل التعبير عنه ، وعليه فإن الثقافة الخاصة ببلاد ماوراء البحار بإصرارها على ربط هذين الاثنين قد أعطته خلفية فريدة لم يكن له أن يجدها في مكان آخر ، وتاريخه هو نتاج تلك الثقافة ، التي أعطته على الفور بصيرة أعظم في طبيعتها وتقديرا أكبر الجدارة الخاصة به ، ومنها في الحقيقة آثار قليلة باقية في نواح أخرى .

٢ - الموجز والذيول ، ١١٩٧ - ١٢٣١

وبناء عليه تعطينا الفصول المبكرة من الموجز رواية لأنواع بداية تاريخ أرنول . ويبقى الآن في تحليل الموجز ، توضيح الأبنية ، والمصادر إذا أمكن لبقية الموجز ، من عام ١١٩٨ حتى نهايته ، وهنا يمكننا مرة أخرى أن نأخذ بشكل مفيد الموجز والذيول معا ، والحقيقة كما سوف نرى ، أن بعض روايات الذيول تتعلق بأحكام الموجز في هذا القسم ١١٩٨ - ١٢٣١ حتى أنها وإياه يجب أن تعتبر بمثابة نص واحد .

ولكن الموجز والذيول ليست بأي حال كلا موحدا طيلة هذه

الفترة ، وفي الواقع إن هناك انقطاعا آخر في التنقيح ، وتحولا آخر في العلاقات بين النصوص بالنسبة لبعضها بعضا وهو ملحوظ بالضبط مثل ذلك التحول الذي أثبتناه في ١١٩٧ ، وهو يقسم الفترة ١١٩٨ ـ ١٢٣١ بوضوح إلى فترتين ،وخلافا لفاصل ١١٩٧ على أي حال ، إنه لم يحدث ببساطة في سياق حكاية تبدت موحدة ومرتبة زمنيا ، وفي الواقع إن قسمي النص في هذه الحالة يتداخلان زمنيا ، وبكلمات أخرى ، إن الانقطاع في التنقيح في ١١٩٧ يمكن أن يلاحظ فقط بمقارنة بنية مختلف النصوص الواحد بالآخر ، ولكن الانقطاع الآخر ظاهر في أي نص مفرد بسبب أن الترتيب الزمني متتابع ثم يأخذ فجأة قفزة رجوعا إلى الوراء ثم يبدأ مرة أخرى وهكذا يتوفر لدينا مباشرة بعد القسم الذي يقوم على أرنول وينتهي في ١١٩٧ ، الذي انتهينا للتو من تحليل حكايته ، مع أنها تذكر أحداثا في القسطنطينية متأخرة حتى ١٢٢٨ ، وتغطي بشكل أساسي الفترة ١١٩٨ ـ ١٢١٦ ، التي تنتهي بوفاة أوتو الرابع وانتخاب فريدريك الثاني امبراطورا ، ثم تبدأ الحكاية مرة أخرى في ١٢٠٥ وتستمر مرة أخرى في ترتيب زمني إلى ١٢٣١ والعلاقات بين النصوص في هذين القسمين تختلف كليا ، وسوف ندرس كلا منهما على حدة بدوره .

والقسم الأول من الحكاية ، الذي يلي مباشرة بعد نهاية أرنول ويمتد في مصنف راشيل من ٢٧ / ٦ إلى ٣٠ / ١٠ (٤٨) بسيط نسبيا في تركيبه وتغطي النصوص كلها الأحداث نفسها : مملكة بيت المقدس في عهد عموري ، والأحداث المعاصرة في الأمبراطوريتين البيزنطية والرومانية حتى ١٢٢٨ و١٢١٦ كل على حدة والمعارك الأخيرة لريتشارد قلب الأسد ، والحملة الصليبية الرابعة ، والاستثناء الوحيد من هذا الاتفاق العام بين النصوص يحدث عند بداية القسم الذي يقحم فيه « س ج » و « غ ج » و « د » كمية معينة من المادة حول أرمينية (٤٩) . التي سبق أن أعطيت من قبل « أ ـ ب » في صورة أقصر ومختلفة قليلا ، بما فيه عند ٢٧ / ٢٥ ـ ٧ ، وتقريبا كل الأحداث المحلية في هذه الفقرات قد

سبقت روايتها من قبل « د » (٥٠) في صور أكمل كثيرا ، حيث فيها هذه الرواية الثانية مجرد تلخيص واضح تماما وبدقة ، وبكلمات أخرى إن هذه المادة كانت في الحقيقة موجودة في × وحوفظ عليها من قبل « د » فيما يمكن أن يفترض أنه كان مكانها الاصلي في قسم ماقبل ١١٩٧ من تاريخه ، ولكنها على مايبدو قد اختصرت من قبل × الذي انتقلت منه مع البقية إلى « أ ــ ب » وأيضا مع أن ذلك كان لدى نقطة مختلفة ــ إلى « ي » ومن ثم إلى « س ج » و « غ ج » (٥١) والشيء المهم هو بالطبع أنها وجدت بطريقة ما طريقها إلى « د » هو نص الفترة التي تنتهي في ١١٩٧ ، أو غير معتمد على « ز × » وسبب ذلك واضح : بعد ١١٩٧ عندما يتوقف « × » ويأخذ « د » مصدرا جديدا ، وذلك المصدر هو « ي » الذي كان كل من « س.ج » و« غ.ج » يستمدان منه باستمرار ، ومتبعا هذا المصدر مع النقص المعتاد في مقدرته على تصنيف نص حقيقي متماسك ، ينسخ « د » بشكل اعمى هذه الاقسام عن ارمينية ، غافلا عن حقيقة انها ليست اكثر من رواية متدنية لجزء ابكر من نصه .

وبصرف النظر عن هذا التنوع ، هناك فقط فقرتان قصيرتان اخريان ، حيث ليس هناك اي تباعد بين مختلف النصوص ، وتغطي الاولى الاستيلاء على جبلة وبيروت ومحاولة اغتيال عموري (٥٢) وهنا يعطي « س.ج » و« غ.ج » و« د » والموجز بشكل اساسي الرواية مثل « اــ ب » ولكن بصورة موجزة جدا وترتيب الاحداث معكوس ؛ والفقرة الثانية ، رواية محاولة ختن تانكرد ، غوتيير دي برين .اعادة الاستيلاء على ابوليا (٥٣) . ، وهي حالة صريحة لاختصار قاس من قبل « س.ج » و« غ.ج » و« د » والموجز للنص الذي اعطى في « ا ــ ب » ، ومن اجل بقية قسم ١١٩٨ ــ ١٢١٦ فان كل النصوص تغطي الرواية نفسها ، مغطية الحملة الصليبية الرابعة والاحداث في الامبراطورية البيزنطية حتى ١٢٢٨ ، التي وصفت على شكل مقتطفات ، ورواية اكثر شمولا عن الامبراطورية الرومانية المقدسة من عام ١٢٠٨ الى ١٢١٦ ، وهنا بعد وفاة

- ٣٦٩٢ -
اوتو الرابع وانتخاب فريدريك الثاني ، يقدم انقطاع طبيعي نفسه :

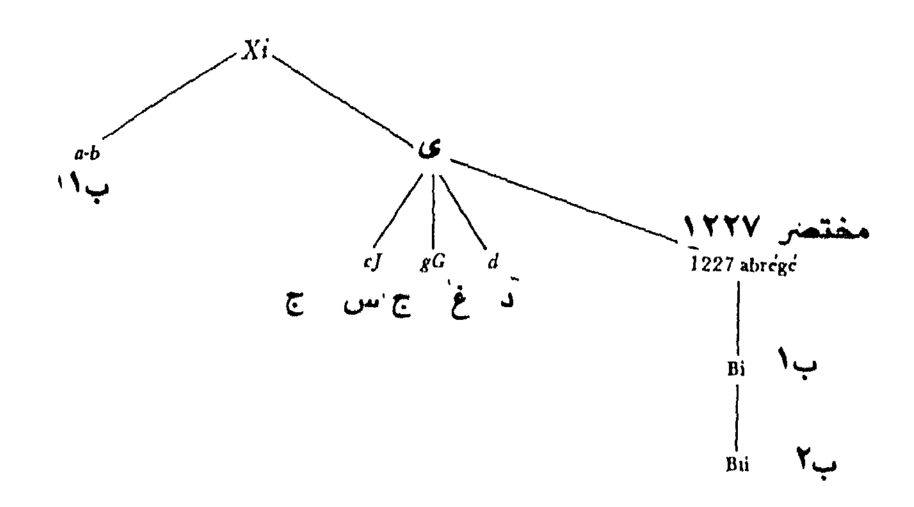
'Ci endreit dist li contes que il vos laira a parler dou roi Fedric d'Alemaigne . . . si dirons de la terre de Jerusalem.(٥٤)

والترتيب الزمني لكل الحكايات متعاقبا بشكل معقول ، وقد توقف فجاة فقط بسبب انقطاع في مادة الموضوع ، وقفز الان من ١٢١٦ رجوعا مباشرة الى ١٢٠٥ حيث بدات الحكاية من جديد بوفاة عموري .

وبالنسبة للقسم الاول التي انتهى عند هذا التحول المفاجي؛ في الترتيب الزمني ليس هناك مزيد كبير ليقال حول الموضوع وعلاقة النصوص ببعضها بعضا ، وكما اصبح واضحا في وصف محتويات هذا القسم فان جميع النصوص لها مصدر واحد مشترك مع وسيطين ، « ا ــ ب» إستمدا من الاول ، وكل النصوص الأخرى س.ج »و« غ.ج » و« د » والموجز من الاخر ، وليس الوسيطان في الواقع مختلفين كثيرا الواحد عن الاخر ولاتوجد مادة في اي منهما غير موجودة ايضا في مكان ما من النصوص التي يتعمد الواحد منها على الاخر ، والاحرى انها تختلف فقط في ان المصدر الوحيد « س.ج » و« غ.ج » و« د » والموجز يحوي مادة تمت معالجتها في وقت ابكر في « اــ ب » وتلخص فقرتين لدى « ا.ب » صورة اكمل منهما (٥٥) .

وهكذا فان المخطط لهذا القسم من الذيول لايختلف كثيرا عن ذلك الذي سبق اعطاؤه (٥٦) للقسم المنتهي في ١١٩٧ والاختلافان هما ان « x » ، التاريخ الاصلي لارنول المنتهي في ١١٩٧ لم يعد يظهر بالمرة و« د » الذي كان حتى ١١٩٧ معتمدا مباشرة على « x » يرى الان انه معتمد على « ي » وهكذا ارتبط باحكام ب« س . ج »و« غ .ج »وبالموجز ، وعلاقات النصوص ببعضها بعضا: القسم ١١٩٨ ــ ١٢١٦ / ١٢٢٨ التي تغطي من تاريخ

هرقل ٢٧ / ٦ الى ٣٠ / ١٠ ضمنا ، يمكن بناء عليه ان تعرض كما يلي



ومن اجل الجزء الباقي من النيول الذي يأتي ضمن موضوع هذه الدراسة ، اي الحكاية التي تبدأ في ١٢٠٥ «هـرقل ٣٠ / ١١ » وتنتهي في ١٢٣١ لايمكن العثور على مثل هذا التفسير البسيط ويقدم النص سمات هامة سواء من وجهة النظر التاريخية او النصية ، وتتطلب فحصا ادق واكثر دقة مما تطلبه قسم ١١٩٨ ـ ١٢١٦ وشيء واحد يمكن ان يقال عن حكاية ١٢٠٥ / ١٢٢٩ / ٣١ عند الاستهلال ، وذلك هو ان هناك في الاساس روايتان في هذا القسم واحدة في « ا.ب » والاخرى في كل النصوص الاخرى (س.ج ، غ.ج ، و د) والموجز وكلها تتفق بدقة كبيرة في كل اجزائها والتي يمكنها في الواقع ان تعتبر تماما انها تحوي نصا واحدا من ١٢٠٥ الى ١٢٢٧ حيث تنتهي اقصر رواية للموجز ،

وافضل طريقة موائمة لتحليل هذا الجزء من الذيول بناء عليه هي النظر الى علاقة رواية ال « ا.ب » بروايات النصوص الاخرى .

وتمت معالجة اربعة موضوعات رئيسية في « ا.ب » هي : جين دي برن ، وفريدريك الثاني سواء مستقلين او في تعاملهما مع بعضهما ، وحرب فريدريك ضد قبرص ، والعلاقات بين ارمينية وامارة انطاكية ، وحصار دمياط ، ولأن كل واحدة من هؤلاء علاقة « ا.ب » بالرواية الاخرى مختلفة ، والحرب الامبراطورية ـ القبرصية محذوفة تماما من قبل « س.ح » و« غ.ج » و« د » الخ مثل القسم القصير حول ارمينية ، الذي على كل حال اخذ في « ا.ب » مظهرا كليا على انه مقحم في الجسم الرئيسي من النص ، وتختلف الروايتان كليا في روايتهما لحصار دمياط ، والتماثل الوحيد بينهما في الحقائق الاساسية ، وحتى هذا كثيرا مايكون بعيدا عن الوضوح ، ومن اجل الحكاية المتعلقة بجين دي برن وفريدريك مع ذلك فان الحالة معقدة اكثر كثيرا ، والحكايتان غير متماثلتين عند النظرة الاولى ، ولكن التحري الدقيق يظهر ان مادتهما ـ وان لم يكن ليس طريقتهما في شرحهما ـ متماثلة جدا في الواقع ، والفقرة التالية هي مثال نموذجي :

أ ب

Li rois Johans se parti de France et s'en ala en Espaigne en pelerinage a mon seignor Saint Jaque Et quant il ot fait son pelerinage, si ala voir le roi de Castele, qui moult li fist grant onor, et li dona de beauz dons, et en la fin se acorderent a ce que li rois Johans esposa une suer dou roi de Castele et s'en revint o tout lui en France. Quant il fu venus ne tarsa gaires que li rois Phelipes acocha au lit de mort, si que il fist sa devise et laissa a la Sainte Terre C L mile mars d'argent, les L mile [illegible] Johan, et les L mile en la main dou Temple, et les L mile en la main de l'Ospital; et moult de autres aumosnes fist en sa devise beles et granz. Ensi trespassa li bons rois Phelipes qui longuement et honorement avoit vescu. Ne tarsa guerres apres que ses fiz Loys fu coronez a Rains hautement et a grant honor.

المختصر (س ج وغ ج و د متماثلة)

Ne demoura gaires puisque li rois Jehans fu en France que li rois Phelipes morut Si laissa grant avoir al roi Jehan, et grant avoir a envoier en le tiere d'Outremer Li rois Jehans fu a Sainte Denise a l'enfouir le roi Phelipe. Apries si fu au coroner le roi Locy sen fil a Rains. Puis prist congié en France, si s'en ala a Saint Jakme. Al revenir k'il faisoit de Saint Jakme fu li rois d'Espagne a l'encontre a Burs, qui grant honor li avoit faite en [illegible] li dona [illegible] rois a feme une sereur qu'il avoit, si l'espousa et grant avoir li donna

Quant li rois Jehans ot epousee se feme si prist congié si s'en ala en France. Quant il ot esté une piece en France si prist congié al roi Locy et as barons si dist qu'il l'en estovoit raler, que li emperere l'atendoit en

- ٣٦٩٥ -

Puille por passer mer et por se fille espouser Il s'en ala, et erra tant qu'il vint en Puille a l'empereur.(٥٧)

Et quant li rois Johans sot que li termes aprochoit dou mariage de sa fille et de l'empereor, si s'en vint en Puille (٥٨)

لبينا هنا في الاساس الاحداث المروية نفسها في كل حالة : وفاة فيليب أغسطس وتتويج ابنه لويس الثامن ، واسفار جين دي بريين في فرنسا واسبانيا حوالي زمن هذه الاحداث ، وزواجه من برنغاريا الكاستيلية ، وترتيب الأحداث مع ذلك مختلف تماما ، ويختلف الاختيار أيضا بدرجة طفيفة ، فعلى سبيل المثال فإن الموجز والنيول متفقان معها عند هذه النقطة لايذكرون بنود وصية فيليب أغسطس ، ولكنهم من جانب آخر يصفون بايجاز (تماما قبل الخلاصة المقتبسة) زيارة جين للبلاط الانكليزي وهي محذوفة من قبل « أ ـ ب » ولكن ليس هناك عدم اتفاق كبير في الواقع بين الروايتين ، وفي هذا ايضا فان الفقرة المقتبسة نموذجية في أن الروايتين تختلفان فقط حول ما اذا ماكان جين دي بريين قد زار اسبانيا قبل أو بعد وفاة فيليب أغسطس ، واذا ماكان قد ذهب الى بورغوس لرؤية ملك كاستيل ، أم أن الملك قد جاء خصيصا للقائه وكلتا النقطتين غير حيويتين بالنسبة لسياق الحكاية ولتفسير المؤرخ للأحداث ، والتعارض الكبير في الواقع بين الروايات في معالجتها الكلية لموضوع جين دي بريين وفيردريك ، هو الباعث الذي يعزونه لفريدريك لعدم ابحاره في برنديزي مع اسطوله ، فإحداها تؤكد انه كان مريضا ، والأخرى تراها كقطعة من التحايل ، ولهذا النوع من الاختلاف حلقة مألوفة ، وهو مثل آخر للتخمين التافه بعد الاحداث ، ويعود الى زمرة حكاية البواعث المعزوة الى قزم هنري دي شامبين للسقوط أو ربما كما قيل الى القاء نفسه من النافذة ذات الحاجز أو بدون حاجز ، (٥٩) ومثل هذه الفروق الصغيرة لاتحاجج بأي طريقة ضد مصدر نهائي مشترك للروايتين ، وانما تدل فقط على وسيط مشترك لتلك النصوص يتفق بدقة مع كل منهما (أعني « س ج » و « غ ج » و « د » والموجز ، وفي الواقع إن جميع التماثل والاختلاف الموجودين بين رواياتها

ورواية « أ ـ ب » هو الشيء نفسه بالضبط مثل ذلك الملاحظ من قبل من منوعات قسم ١١٩٨ ـ ١٢١٦ فيما يتعلق بأخذ بيروت وجبلة ، ومحاولة اغتيال آمالرك (٦٠) ، والمخطط (٦١) الذي يشرح العلاقة بين الروايتين في هذا القسم مفيد أيضا لروايتهم عن جين دي بريين وفريدريك في هذا القسم الأخير أعني الحرب الامبراطورية مع قبرص ، ومعاملات أرمينية مع انطاكية ، وحصار دمياط . و من أجل هذه الأجزاء من قسم ١٢٠٥ ـ ١٢٢٧ كما سبق أن لاحظنا (٦٢) لاتعطى الروايات بينة على كونهما مرتبطتان ببعضهما بالمرة .

ويبقى هناك مشكلة واحدة صعبة ، وهي تتعلق بالنهاية بالقسم ١١٢٠ ـ ١٢٢٧ من النيول ، وهذه واحدة صعبة ، وهي تتعلق بالنهاية ذاتها لهذا القسم من النصوص ، التي كما يمكن أن يستخلص ناجمة ببساطة من الصعوبة في تقريرها نهاية للتأريخ للفقرة (١٢٢٧ ؟ ١٢٢٩ ؟ ١٢٣١ ؟) المتباينة في مختلف النصوص ، والوصف المفصل بشكل جيد لمحتويات مختلف النصوص في هذا القسم وفواصل التنقيح الملحوظة فيها ضرورية اذا كان لدلالتها أن تصبح واضحة (٦٣)

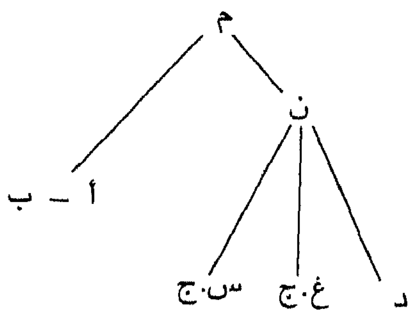
ولتلخيص الحالة بإيجاز : إن نصوص « س ج » و « غ ج » و « د » كانت على اتفاق محكم وقد أظهرت في الواقع العملي نصا واحدا منذ وفاة أمالرك عام ١٢٠٥ مبتدئة في ٣٠ ـ ١١ في راشيل (٦٤) وأعطي هذا النص نفسه أيضا في الموجز ، مبتدئا في الفصل ٣٥ من طبعة ماس لاتري ، (٦٥) والاتفاق بين « س ج » و « غ ج » و « د » والموجز يستمر حتى نهاية أطول رواية في الموجز وهي « ب ٢ » هذا وعالجت الفقرة الأخيرة من النص الكامل كما نشره ماس لاتري ميثاق سان جرمانو وغفران فريدريك الثاني (٩ تموز و ٢٨ آب ١٢٣٠) ، وفي الفصل الأخير من برنارد ، والفقرات المقابلة في النيول ، العروض المقدمة الى جين بريين من قبل المواطنين المكروبين في القسطنطينية ، وتردده في

قبول دعوتهم ، وأخيرا رحلته الى هناك وتزويج ابنتــه للامبــراطور الطفل بلدوين الثاني (أيلول ١٢٣١) ووعد الســيادة الشــخصية لجين نفسه مدى حياته ، وفي راشــيل (٦٦) ينهــي هــذا التنوع الطــويل في « س ج » و « غ ج » و « د » ، وفي الواقــع ان رواية «س ج» ، مثــــل الموجــــز تتــــــــــوقف هنا ولكن «غ ج» و « د » تمضيان في أخذ النصف نفسه مثــل « أ ــ ب » عند ٣٣ ١٣ ، ومع أن هذا يشــغلهم بــالتكرار في ٣٣ ١٤ ١٥ ، فــان معظم المادة التي أعطوها لتوهم هي حياة جين دي بريين السياسية الجديدة في الامبراطورية البيزنطية ، وبكلمات أخــرى هناك نســخ طبق الأصل واضح ، من نوع يوحــي بــدين شــك بــوجود تغيير في المصدر من قبل مصنفي « غ ج » و « د » .

وبنية أخرى عن الفــاصل الواضــح مــن النصــــوص بين ٣٣ ١٢ و ٣٣ ١٣ تعطيها عائلة من المخطوطات ، تقــع بشــكل عام خارج اعتبارنا ، ولكن بامكانها أن تــوضح عند هــذه النقــطة بنية النصوص التي نحن معنيون بها ، وهي العائلة التــي تحــوي النيل المعروف بــــاسم روثلين وهــــو نص ســــبق لنا وصــــفه بإيجاز (٦٧) وهــو مختلف كليا عن كل النيول الاخــرى ، وعدا الأوصاف الجغرافية التــــي يضــــمها إنه غير مــــرتبط تمــــاما بها ، والنقطة أنه يبدأ في المخطوطات التي تحتوي عليه بالضبط عند هذه النقطة ، بعد نهاية ٣٣ ١٢ وعليه هناك نيل واحــد مشــطور بين عائلة روثلين و « أ ــ ب » ينتهي عند ٣٣ ١٢ وبعده يبدأ نص روثلين النيل الخاص به والمتميز عن كل النصوص الاخرى ، بينمــا يبــدأ كل مــن « ب » و « غ ــج» و « د » عند ٣٣ ١٣ نيلا جديدا ، وفي « ب » يتابع هذا من النص المتقدم بشكل مقبول ، وفي الواقع انه يمكن أن يكون قد كيف لهذه الغاية ، أو على الاقل تكيف بشكل شامل من قبل المصنف ، ولكنه في « غ ج » و « د » يتــابع بشكل سيء جدا .

والآن عندما نأتــــي لننظـــر الى قســــم «د» الذي ينتهـــــي

في ٣٣ ـ ١٢ (٦٨) نرى مباشرة أن نهايته بالذات تشبه معـالجة الأحداث نفسها من قبل « س ج » و « غ ج » و « د » والموجـز بالطريقة الغامضة نفسها التي لاتتذكر مع ذلك ، مثل بقية رواياتهـم عن فريدريك وجين دي بريين ، حتى أنها في الواقـع أحـد أجـزاء « أ ـ ب » التي استمدت مـن المصـدر المشـترك مـع الذيول الأخرى ، والموجز ، وليسـت أحـد الأقسـام غير المرتبـطة بالمرة ، والعلاقة بين النصوص من أجل روايتها عن جين وفريدريك هي كما سبق أن رأينا ، (٦٩) تلك نفسها التـي بين النصـوص للفترة ١١٩٨ ـ ١٢١٦ ـ ١٢٢٨ ويمكن أن تمثل بالمخطط نفسـه مع أنه من الضروري استعمال حروف مختلفة للمصدر المشترك غير المعرف ، ومن أجل النص الوسيط المفترض ، ومن أجـل تفـادي الانطباع بأن الوثـائق نفسـها كانت بـالضرورة مشـتركة في كل حالة ، وعليه من أجل الموضوع محل البحث وليس غيره ، في القسم ١٢٠٥ ـ ١٢٢٧ ١٢٢٩ / ١٢٣١ مـن الذيول ، يمـكن أن نمثل اشتقاق المادة التي تشترك فيها هكذا :



يجب الآن أن نأخذ في الاعتبار حقيقـة أخـرى حـول مضـمون ٣٣ / ١٢ في نص « أ ب » ، أعني النقطة التى عندها ينتهي ، طالما اننا قد سبق أن ثبتنا أن هذه كانت نهاية مصد نصي ، المصـدر الذي كان مشتركا بين « أـ ب » وعائلة روثلين ، وينتهي النص هكذا :

: 'Dont il avint puis que des princes d'Alemaigne, li patriarches d'Aquilée, et li arcevesques de Sauseborc, et le duc d'Osteriche, et le duc de Merain, et moult d'autres hauz homes vindrent a Rome et firent la pais, par quoi li empereres fu asset. Et y ot plusors covenances en cele pais. (٧٠)

والمدهش ، أنه عند هذه النقطة بالضبط ، أن ببيذو يخبرنا أن مخطوطه عن برنارد قد انتهى ، وفي الواقع إن كلماته الأخيرة قبل الملاحظة على برنارد تعبر مع أنها كما هي عادته ، أكثر إيجازا عن المعلومات نفسها بالضبط :

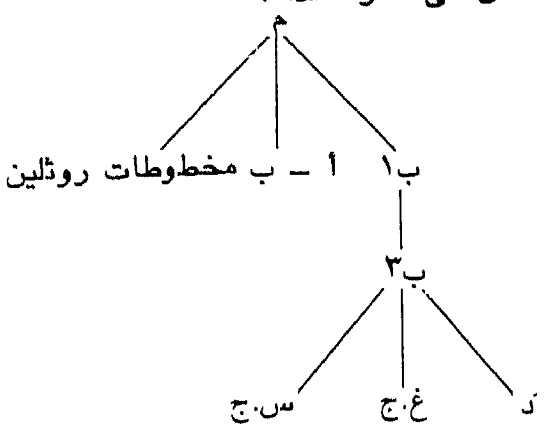
'Interim Dux Austriae inter Papam et Imperatorem pacem composuit, et sic tunc imminens cessavit quassatio Haec de gestis Regis Johannis sumta sunt ex Historia Bernardi Thesaurarii Qualis autem fuerit exitus non inveni, vel quod Historiam non compleverit, vel quod codex, unde sumsi, fuit imperfectus. (٧١)

وكما أثبتنا من قبل لم يكن مخطوط ببيذو كاملا ، والاحرى أنه كان نسخة من أول تنقيح أجراه برنارد على تاريخه ، وقد اسمينا النص المفقود «ب ـ ا » ، وعليه فإن الصورة التي تبدأ في الظهور هي هذه : النص المعطى من قبل « س ج » و« ع ج » و« د » للفترة ١٢٠٥ ـ ١٢٣١ هو بالضبط نص أطول رواية من الموجز ـ ب ٢ ـ النص الذي نشره ماس لاتري ، ولهذا النص ، بالقدر الذي يتعلق بجين دي بريين وفريدريك الثاني ، يحمل له نص « أ ـ ب » تماثل ، مع أن وجوده لا يمكن إنكاره ، هو مميز ومتنوع ، ساعة قريب ، وساعة باهت ، ويوحي بقرابة بعيدة بين النصين كما هو ممثل في المخطط على صفحة ١٤٥ وعندما تعالج النيول أي موضوع آخر ـ مثلا الحرب الامبراطورية ضد قبرص أو حصار دمياط ـ تبدوان كأنهما مستقلتان تماما وغير مرتبطتين ، ويبقى هذا صحيحا حتى عندما يكون هناك تحول سريع من موضوع الى آخر ، وعليه يجب أن نستنتج أن مصدرها المشترك « م » في المخطط ، كان وثيقة متعلقة حصرا بالتعامل بين جين وفريدريك وأنها انتهت ، كما نستطيع أن نخمن من تغيير التنقيح من نصوص « أ ـ ب » وروثلين ومن التداخل في « غ ج » و« د » في آب ١٢٣٠ ، النقطة التي عندها يخبرنا ببيذو أن « ب » قد انتهى أيضا . ولكن « ن » النص الوسيط الذي أخذ عنه « س ج » و

« غ ج » و « د » للموضوع نفسه ، يتابع بدون انقطاع ملحوظ خلال أيلول ١٢٣١ .

وجواب النص واضح الآن وفي وصف « م » و« ن » ووصفنا بدقة في الواقع روايات جين دي بريين وفريدريك بأنها موجودة في « ب » كما نعرف من بيبذو ، وفي « ب٢ » كما هو باق في الوقت الحاضر ، هل هو إذا صحيح أن نص « م » هو « ب » و« ن » هو « ب »؟ ، وهذا المبالغة بالتبسيط ، إذ بينما لا معارضة هناك في تشبيه « ب ٢ » بذاته ب« ن » فإن كل البينات في الواقع تؤيد ذلك ، و« ب » فقط يشبه « م » لأن المادة حول هذا الموضوع واحدة ولا شيء آخر ، وهكذا يبدو أن « م » كان حريا به أن يكون المصدر الذي أخذ عنه برنارد ، عند تصنيف « ب » ، من أجل المعلومات حول جين وفريدريك التي أخذ عنها أيضا ، للغرض نفسه من قبل مصنفي « أ - ب » والنصوص التي بعد ٣٣ / ١٣ تنحرف في تكمله روثلين ، وهذا الجواب يفسر كل الحقائق التي يمكن ملاحظتها : الطبيعة الغامضة للتشابه بين الروايتين ، الطريقة التي يختلف بها التوافق في هذا الموضوع ، بالاستقلال التام في كل المواضيع الأخرى ، وتبدل التنقيح عند ٣٣ / ١٣ في «أ - ب » وذيل روثلين ، وغياب مثل هذا التغيير عند هذه النقطة مع التكرار الثاني للمعلومات ، في ع ج و « د » كان الوسيط « م » هو « ب » وكان المصدر المشترك لكل الذيول « م » ، وبدقة كانت تتعامل مع موضوع واحد فقط انتهى في آب ١٢٣٠ ، وهو الذي خلطه مختلف المصنفين بما فيهم برنارد بمواد الموضوعات الأخرى ، وهي ربما من مصادر أخرى ، أو ربما مكتوبة من قبلهم هم أنفسهم ، ليخرجوا الى محصلة واحدة هي أن الذيول التي لدينا الآن للفترة ١٢٠٥ - ١٢٢٧ في رواية « أ- ب » ومخطوطات روثلين ، وفي الآخر أي نص « ب » المفقود ، المعروف لدى بيبذو ، وهذا الأخير قد وسع بالتالي من قبل برنارد الى ١٢٣١ مشكلا النص الذي نعرفه على أنه تاريخه « ب » ومن هذا استمد مصنفو روايات الهرقليات الموجودة في « س ج » و« د » لكامل الفترة ١٢٠٥ - ١٢٣١ .

وعليه من أجـــل تـــــاريخ جين دي بـــــريين وفـــــريدريك الثاني ، والغفران لفريدريك في آب ١٢٣٠ ، يمكن أن نصور انتقال المعلومات من نص الى آخر هكذا :



وتوضح لنا هذه المعـرفة أكثـر ، كلا مـن البنية في تلك الفتـرة النيول ، وأيضا المصادر ، وتركيب تاريخ برنارد ، والطـرق التـي استعملها في تصنيف روايته ونحن واثقون الآن أنه من أجل تـاريخ جين دي بريين وفـريدريك ، حتـى آب ١٢٣٠ ، كان لديه مصـدر مكتوب ـ م ـ وبالقدر نفسه يبدو واضحا أنه بعد هذه النقطة باتت مادته أصلية ، ومازلنا لا نعرف بالطبع من أين جاء هو أو بالاحرى مصنف موجز ١٢٢٧ ، ببقية المادة للفترة ١٢٠٥ ـ ١٢٢٧ ، أو إذا ما وجد نصا مكتوبا بالمرة ، ومرة أخـرى واضـح الآن أن تـاريخ برنارد ، في تنقيحه الثاني ، عمل كمصدر لنص تاريخ هـرقل الوارد في روايات « س ج » و« غ ج » و « د » على الأقل من أجل الفتـرة التي تسبق مباشرة ١٢٣١ ، والأكثر احتمـالا ، بحـكم اسـتمرار نصوصها من ١٢٠٥ الى ١٢٣١ ، مـن أجـل كامـل هـــذا القسم ، وبكلمات أخرى ليس ببينو في الواقع أول مـؤرخ يسـتعمل عمل برنارد كمصدر ، فقبل أن يكتب بزثن طويل استخدم ثلاثة مـن مصنفي الهرقليات بالفعل جزءا جوهريامن تاريخ برنارد كجزء مـن عمل أكبر ، وبتكليف أقل كثيرا ممـا وجـد ببينو فيمـا بعـد أنه مرغوب ، وأقدم مصنفي الهرقليات . هو الرجـل الذي أنتـج رواية « س ج » التي تنتهي في ١٣٢١ ويمكن أن يكون قد عمل بعـد وقـت

قصير نسبيا بعد برنارد ، وإجمالا يبدو مع ذلك ، كما يجب أن نقر ، أن برنارد لم يكن أصليا بوجه الاجمال وكانت مقدرته على تصنيف تاريخ متماسك ، وهام ، ومفيد اعتمادا على انتاج أناس آخرين ، هائلة . وموهبته ، وقيمة عمله ، كان معترفا بها كما يبدو بسرعة جيدة من قبل مصنفين آخرين ، وهم الذين حكموا بأنه جدير بأن يشكل قسما من المصنف الذي استمد أيضا من التاريخ الهائل القيمة لشاهد العيان أرنول والذي امتدت بداياته الى مؤلف ليس أقل قيمة ومكانة من وليم الصوري نفسه .

الفصل التاسع

مكانة النيول في الادب الفرنسي القديم

من دراسة الفرع الاول من النيول والتواريخ المرتبطة به ، كأدب ، ومن محاولة لاصدار اي نوع من الحكم الادبي عليه ، نواجه على الفور بعدد من الصعوبات ، والصعوبة الرئيسة اننا هنا لانتعامل مع مؤلف واحد ، لديه هدف واضح تقريبا من الكتابة ، يمكن الحكم عليه بالمدى الذي توصل اليه في بلوغ هذا الهدف ، ولانقدم نحن عرضا ملموسا لنوع ادبي خاص ، له معاييره الخاصة ، المتصلبة أو المرنة كما هي الحالة لنقل : مع تراجيديا كلاسيكية ، ولانحن حتى نتعامل مع عمل قصصي خيالي ، يرى بسهولة أكثر من قبل النقاد الحديثيين على أنه فن أكثر منه كتلة مواد قدمتها احداث حقيقية ، او على الأقل اتت من أحداث يزعم انها حقيقية ، وما عندنا في هذه التواريخ هو كتل من الكتابات ذات المضمون المتنوع ، مرت عبر ايادي كثير من الكتاب ذوي الاعراض المختلفة ، والنظرات المتباينة نحو مهامها والطرق المتعددة لانجازها ، وواضح ان اي جدارة ادبية يمكن ان تتوافر في هذا الخليط يمكن فقط احتمالا ان تكون خاصة بالقطع المتفردة ، اذ ان الكل هو على الأكثر ناتج عن المصادفة اكثر منه عن التصميم .

حتى ولو قررنا ان نأخذ كل عنصر من التواريخ على حدة بقدر الامكان ، فان مهمتنا ماتزال غير واضحة المعالم . ان نعتبر انه من الادب بالمرة جنسا هو المقام الاول اخباري اكثر منه تزييني ، اجراء صلاحيته هي احيانا موضع جدل .

فرو دلف برومر مثلا في استعراض للنثر القصصي القديم ، استبعد عامدا كل التواريخ من دراسته من بدايتها .

'da es sich bei ihr nicht um erzahlende Prosa*dichtung* handelt, sondern um eine Gattung, die der wissenschaftlichen Darstellung nahekommt. Aber es gibt auch Grenzfalle . '(١)

وعلى الرغم من هذا الوصف الاخير ، مع ذلك لم يقر برومر كحالات جانبية أيا من النصوص التي هي موضوعنا ، مع ان اثنين منها على الاقل ، الموجز وتاريخ بلاد ماوراء البحار ، لديهما ادعاءات غير قابلة للتغيير لهذا الوصف ، اذ يحتويان على نسب عالية جدا من التوجهات الادبية ، وهما ليس حقيقة كتابة تاريخية حرفية وبالطريقة نفسها ان للنيول كلمة *wissenschaftlich* ، وهي اخر كلمة يمكن للمرء ان يستعملها لوصفها .

وعلى اسس أكثر عمومية ايضا ، يمكن للمرء ان يجادل استبعاد حتى الاعمال غير الخيالية تماما من استعراض ظهور النثر باللغات الدارجة ، وعدم أصالة المادة لاتوحي بالضرورة بعدم اصولية الطريقة ، لاسيما في هذه الفترة ، وبقراءة التواريخ ، كثيرا مايمكن للمرء ان يصدم باخفاق المؤلف في تحقيق اسلوب مؤثر مدهش يحظى باهتمام القارىء ويساعد في تغطية مايريد المؤلف جعله يعتقد به ويشعر حيال الموضوع الذي بين يديه ، ولكن هذا ليس القول نفسه بان المؤلف ليس لديه احساس بالاسلوب ، وان ضعفه الاسلوبي يأتي بفعل الاهمال اكثر منه بفعل العجز ، ولاهو يدعم بالمرة الادعاء الذي جاء به برومر ، بان مثل هذه الاعمال ليست الموضوع المناسب للاحكام الجمالية وماهو اكثر ، ان استبعاد الكتابة التاريخية من اي دراسة على ظهور النثر باللغات الدارجة يبدو أكثر عدم قابلية للتسويغ طالما انها كانت واحدة من اول الحقول التي كان الوسط الجديد مستعملا فيها على نطاق واسع ، واخيرا هناك حقيقة ان التمييز بين الحقيقة والخيال هو في بعض التواريخ غير واضح جدا ، وهذا بحد ذاته دالا على عقلية المؤلف ويستحق ان يؤخذ في الاعتبار

لذاته ، واجمالا يبدو ان التواريخ ليست فقط موضوعا مناسبا للفحص النقدي كأمثلة للادب الفرنسي القديم ولكنها يحتمل ان تكون مجزية بشكل معقول في هذه الناحية .

ولنأخذ اولا العلاقة بين الحقيقة والخيال ، ان عملا يعلن عن نفسه انه كسجل للاحداث الحقيقية يحدث فرصة فريدة لنا لكي نرى اثناء العمل معايير المؤلف للحقيقة ، مقابل فكرته عن الواقع او الصدق وبالطبع يمكن استخدام الخيال لنقل هذه الامور الثلاث كلها ،أي الحقائق ، بمعنى حوادث خارجية قد وقعت فعلا ، ويمكن البرهنة على وقوعها ، او انها حقيقة بالمعنى الذي استعمل فيه اورباخ الكلمة وهي الحقيقة النفسية الداخلية ، او الصدق كما رآه الشاعر ، سواء فلسفيا او شعريا ، ففي الحقيقة لم يذهب دانتي ـ بالمعنى التاريخي الحرفي ـ ليتمشى في الغابة ويقابل هناك نمرا وسبعا وذئبة ، واخيرا شبح فرجيل ، وانه لم يبذل في الواقع اي محاولة لاخفاء قصته الخيالية ، لان اول سطر بالذات له فيها يخبرنا بان طريقه كان 'cammin di nostra vita' ولكن ماان استرسل في القصة حتى اكملها دون ان يذكر بانها قصة خيالية واستعملها في نقل الحقيقة كما بدت له ، ومثل هذا جين دي موين ـ مكتفين باسم واحد ـ استعمل قصة خيالية ، وضمن هذه القصة الخيالية قصة أخرى ، وينقل هذه المرة حقيقة ، بل على كل الاحوال شيئا مابدع له انه حقيقة ، بمعنى اورباخ ، وايضا قدا معينا من المعلومات الحقيقية ، وبالنزول الى مستوى اكثر واقعية حتى ، لنقل الوقائع بالقصص الخيالية ، فان اولئك المؤرخين الذين يروون ان غودفري بوليون رفض ان يضع تاج بيت القدس من منطلق الاحساس بالتواضع على افتراض انه اعتقد ان الرفض كان حدثا تاريخيا (٢) ، ولكن هذا لم يكن اهتمامهم الرئيسي في رواية ذلك والاحرى انهم كانوا مهتمين بما تقوله عن شخصية غودفري ، واذا كانت الحادثة لم تحدث (أو لم تقع في الواقع) فانهم كانوا مضطرين لاختراعها ، ولم يكن الاختراع لينقص من امانتهم الخاصة او القيمة الرمزية للقصة ، وعند فحص قصة كهذه يسأل

المؤرخ نفسه هل حدثت ام لا ؟ ولكن الناقد الادبي يسأل هل اعتقد الكاتب انها حدثت ؟ وهل اهتم فيما اذا كانت قد حدثت ام لا ؟ ويهتم المؤرخ في المقام الاول بما يمكن المؤلف ان يقول حول الاحداث المعاصرة ، والعقلية المعاصرة ، ولكن الناقد يسأل : ماذا كانت معايير المؤلف عن الحقيقة ، ومالذي اعتبره كمادة موضوع جديرة باهتمامه الادبي ؟ وبهذه الطريقة فان حكاية تاريخية منتحلة تقدم مادة لتحرياته ، لم يكن توفرها بواسطة عمل قصصي خيالي صريح ، لان لديه في روايات اخرى الاحداث نفسها ، وفي الشواهد الاثرية ، مقياس لما هو حقيقي وماليس كذلك في مادة المؤلف ، ومع انه لايستطيع دائما ان يكون واثقا بشكل مطلق ، فانه يستطيع ان يمضي في بعض الطريق نحو فصل الحقيقة عن الخيال ونحو القصة الخيالية التي يقصد بها فصل الحقيقة او الواقع ، او الصدق عن القصة الخيالية لذاتها .

وبكلمات اخرى للتخيل وظيفة في نقل ماليس خياليا بذاته ويستعمل لهذه الغاية من قبل المؤرخين ، واذا كان الكلام المباشر يعطي معنى اكثر اقناعا ، فان المؤرخ لن يتردد في وضع الحوار الضروري ، وتأكيد ان الشخصيات قالت تلك الكلمات بدرجة الاقناع نفسها التي يؤكد بها ان المشهد جرى ، حتى لو كأنه نفسه يعرف بأنه قد اخترع الواحد وليس الآخر ، ويمكن ان لايتوازن هذا مع فكرة المؤرخ التاريخي حول الدقة ، ولكنه صحيح وبشكل واضح كاجراء فني ، ويكون ناجحا عادة ولكن يجب الاقرار بان حدود الاستعمال الصحيح للخيال بعيد عن ان يكون مصورا بوضوح في هذه الفكرة ، او الاحرى انه يجب ان نقول بانه لم يصور لانه يمكن ان تكون هناك حدود وراءه ، ولذلك يصبح استعماله غير صحيح ، ويحتمل انه ليس من المبالغة القول بانه حيث تكون لدينا حكاية واقعية نسبيا وغير مزوقة مثل حكاية فيلها ردين ، فانها ناتجا اليا لمزاح المؤلف اكثر من كونها محاولة مقصودة لازالة غموض الافكار المعاصرة لها حول الحقيقة ، وبشكل عام فان اي شيء يمكن اعتباره قابلا للتصديق في عصر كان جيوفري اوف مونماوث قد اخذ بجدية .

وللفصل بين مؤرخ كان يعمل بهذه الطريقة في حينه عن كاتب مثل كريتيان دي ترويس ، الذي كان بامكانه ايضا ان يأخذ قصته جاهزة ، ويعيد العمل فيها بشكل يبدو اعتباطيا تماما ، والمؤرخ مقيد بمادته اكثر من كاتب القصص الخيالية ، ولكن ليس الى حد ان لاشيء قد ترك الى قداته الابداعية : فاذا وفرت الحقيقة كل مادته تقريبا ،وقررت السياسة الى حد بعيد التوجه ، فان اللحمة تخصه كليةوالفرق بين كاتبين هو في الدرجة لا في النوع وكلاهما مبتكر بطرق مختلفة واعمالها بناء عليه قابلة للنوع نفسه من النقد ، والفرق هو انه في احدى الحالتين ان مثل هذا النقد سينطبق على كافة العمل ، وفي الاخرى على ناحية واحدة فقط منها : ويمكن ان يكون التاريخ بغيضا من ناحية الاسلوب ومع ذلك يبقى مددا للمعلومات القيمة ، وعلى العكس فان المسرة الجمالية التي نحصل عليها في عمل يمكن ان يدوم طويلا بعد ان تكون قيمته العملية قد ذوت : فما الذي يبحث عنه القارىء الحديث في كتاب « كتاب تيسو» من النصائح العملية حول فن الحكم الجيد ؟ (٣)

وبكلمات اخرى ، هناك نوعان مختلفان متميزان يمكن ان نطلبهما من عمل غير خيالي اعلامي وجمالي ، ولايحتاج الاثنان للوجود في نسب معاكسة احداهما للاخرى ، وانها فكرة حديثة جدا الاحساس بالتزيين على انه ينقص من امكانية الاعتماد على عمل وتوقع طبيعة المضمون للحكم سلفا على الاسلوب ، وعليه فاننا لانجد ان تاريخ ماوراء البحار مكتوب بتفصيل اكثر من - لنقل - ترجمة وليم او نيل « ا - ب » مع انه اقل واقعية بكثير من اي من هنين .وفي الواقع إن النص الذي التقطناه على انه الاكثر بالمعلومات ، أي نيل(د) هو كما سوف نرى أيضا واحد من أفضل ماكتب متعة ، فالكاتب لم يكن مقيد في اختياره للأسلوب برغبته في ان يكون دقيقا •

وهو مقيد مع ذلك وبشكل جدي باللغة التي يستعملها في وسط ادبي حديث هو حتى الان غير موائم بالمرة لمهمته ، وحيث ان كاتب

ايمان سترا سبورغ وهو اول من حاول كتابة شيء يمكن ان نسميه فرنسيا ، كان عليه ان يبتكر وسائل جديدة من اجمل المعاني الجديدة ، وايضا كان على هؤلاء المؤرخين الفرنسيين المبكرين ان يبتكروا تعابير جديدة باللغة الدارجة من أجل المادة الجديدة التي كانوا يعبرون عنها للمرة الاولى نثرا باللغة الدارجة ، وقد فحص بشكل مرضٍ من قبل ب ـ م سكون من اين حصلوا على كثير من الوسائل وتبين انهم اخذوا الكثير من اسلافهم المؤرخين اللاتين والكثير ايضا من الطرق والاعمال التي كانت عادة متبعة من قبل الشعراء الجوالين ، الذين مثلهم كثيرا ما تعاملوا مع شخصيات بطولية ومآثر عسكرية ، واحرزوا مجموعة واسعة نوعا ما من المفردات المناسبة للغرض (٤) ، ومن اجل الباقي كان على المؤرخين ان يحسنوا الارتجال ، وكان القصور الرئيسي في اللغة الدارجة في امكانياتها المحدودة في تركيب الجمل قد اتضح كثيرا في الترجمة الفرنسية لتاريخ وليم ، حيث تصور عجز القدرة على تركيب الجمل الفرنسية باد بوضوح خاصة بالمقارنة مع الامكانيات الاسلوبية الكبيرة في اللاتينية التي كان وليم كاتبا مقتدرا بها ، على سبيل المثال قوله :« وعلاوة على ذلك ارسل خليفة مصر ، وهو الحاكم الكافر الاقوى بين جميع الحكام الكفرة بسبب ثرواته وقواته العسكرية » (٥) .

وهذه تشبه لا بل هي ، جملة لاتينية بسيطة تماما . وهناك عبارة رئيسية واحدة ، عبارة وصفية تصف الفاعل ، وعبارة موصولة تابعة تصف المفعول . ولكن عندما ننظر الى الترجمة الفرنسية ، فان رقة اللاتينية البسيطة جدع ، والفن الذي يتكتم على فن ، يصبح ظاهرا على الفور :

‘Entre les autres mescreanz princes, li califes d’Egypte estoient [sic] li plus puissanz de genz et li plus riches d’avoir. Icist envoia ses messages as barons qui estoient en l’ost. Si vos dirai par quele achoison. (٦)

ويتضمن هذا بالضبط كل معلومـات الاصـل ، ولكنه لايحصـل شيئا بالمرة من الاسلوب ، وللتأكيد ، هناك طرق يمكن للمترجم ان يقوم فيها بوظيفة افضل بالمواد نفسها ، وعلى سبيل المثـال لانرى المرء سببا لعدم اختيار .

كما هي قائمة للاداء بدلا مـن العبـارة الاطـول ولكن هناك عدم مواءمة اساسية فعبارة هي من قبل التركيب الشائع ، حتى اننا من قـراءتها لانلحـظ انهـا اداة اسلوبية بارعة ، ولكن بالتمعن بالتوسع المطلوب لتأدية المعنى نفسه باللغة الفرنسية القديمة نبدأ ندرك بالضبط كم هي معبرة واقتصادية ومامقدار الخسارة عندما لايمكن ايجاد تركيب مماثل ليحل محلها والفرق الرئيسي بين الاصل والترجمة على اي حـال هـو الذي له اعظم تأثير جذري ، وهو الافعال الرئيسـية ـ واحـد في اللاتينية وثلاثة في الفرنسية ، واخر واحـد مسـبوق بـكلية الوجـود ويمكن ان تأتي المرادفات مستقلة في « اناشيد العمـال» حيث تـكون العبارات القصيرة الملفتـة للنظـر المناسـبة للخـطابة هي بالضبط ماتدعو الحاجة اليه ، وحيث يكون القراء قد نسوا ماذا كانت بداية الجملة ، اذا ادخل من العبـارات التـابعة (الثـانوية) اكثر مما ينبغي قبل النهاية ، ولكن بالنسبة لقارىء ووجه بحـكاية نثرية مطولة فانه يصعب ان يكون مثاليا . ومع ذلك فـان الفـرنسية القديمة ، على الاقل في الفترة التي تتعامل معهـا ، كانت مـاتزال تميل لان تكون في الاساس لغـة متـرادفات ، والمؤلف الذي حـاول استعمال جمل طويلة فعل ذلك مخاطرا بقرائه كما سيبين هذا المثال من تاريخ هرقل :

Il avint quant Androines ot copée la teste a Alexe, qui avoit l'empire de Costantinople en se garde et l'enfant, qui fu fiz de l'empereor Manuel; vint lors Androines, si se pensa d'une grant traison, et par le conseil d'un suen escrivain, qui avoit nom Langosse. Adonques fist il prendre le juene enfant, qui baron estoit de la fille dou roi de France Loys, que il deveit garder en bone foi, et le fist metre en un sac, et porter en un batel par mer et le fist geter ens, et fu noiés. (٧)

والمشكلة هنا أن هاتين الجملتين هما في الواقع لا شيء سوى سلسلة طويلة من العبارات المتتابعة ، وكلها مترابطة بكلمة (ثم) أو باسم موصول وكلها تحمل الوزن نفسه مثل بعضها ولا تعلو واحدة على الأخرى .

والانطباع الإجمالي هو عدم النظام ، وما هو أكثر أننا في « غ ج » و « د » نجد عند هذه النقطة : الجملتين نفسهما جملة واحدة :

La nuit quant Androines ot la teste copée a Alex qui avoit l'empire de Costantinople en sa garde et l'enfant qui fu fis l'empereor Manuel, vint lors Androines, si se pensa d'une grant traïson, et par le conseill d'un sien escrivain qui avoit a non Langosse, et fist une nuit prendre le juene enfant qui baron estoit a la fille dou roi de France Loys, que il devoit garder en bone foi, et le fist metre en un sac et porter en un batel par mer et le fist geter ens et si fu noiés. (٨)

إن هذا حتى أكثر تلونا وتشتتا ولكنه يعطي صورة مصقولة أكثر ويجب أن تقبلها كأفضل قراءة « *lectio difficilior* » التي حاول مصنف « أ ـ ب » تحسينها وتوضيحها ، ولكنه لسوء الحظ أضاع المعنى (٩) في العملية وفي كليهما غموض في المعنى في النهاية : فقد كان اندروان الفاعل لكل فعل حتى الأخير منها ، والنظرة السليمة ، وليست القواعد ، هي التي تخبر القارىء بأن هناك تغيير في الفاعل عند
'et si fu noiiés'.

وهذان المثلان يصوران على الفور تأثير اللاتينية على اللغة الدارجة التي أخذت في الظهور ومحاولة تقليد توازي « 'divitiis et militia' » نمونجية وأيضا إن القصور ، وهو ذلك المتأصل في اللغة ذاتها ، وفي اختيار وعرض المادة له تأثير أكثر ظهورا بكثير ، وهنا يبدو التباعد بين التواريخ

الصرفة ، والذيول الصحيحة والتصانيف « المختلطة » والموجز ، وتاريخ بلاد ماوراء البحار أكثر وضوحا. وهو مرتبط بهوية كثير من موادها ، لأنها تنتمي في الواقع الى أنواع أدبية مختلفة تماما . وليس هناك فروق جذرية في اللغة المستعملة أو في الفائدة المتحققة منها ، وكل الخصائص الموصوفة من قبل ستكون موجودة في هذه التواريخ كما هي في التواريخ التي حللها ، وتكمن الفروق كليا في تطبيق الوسائل نفسها على مختلف الغايات فهل يمكننا حقا أن نسمي الموجز والتاريخ مبدئيا مصنفات تاريخية بشكل مطلق ، أم أن الأحرى بها أن توصف كقصص خيالية (رومانسية) تصادف أنها ذات مضمون تاريخي عالي كأسلاف الرواية التاريخية الحديثة ؟ وللاجابة على السؤال من الضروري أن نسأل ليس فقط ما هي محتوياتها ، ولكن ما الذي نوى المصنف أن يصنعه من هذه المحتويات ، وذلك بقدر ما يمكننا أن نحكم على مقاصده من خلال تصنيفه .

ويبدو عند النظرة الأولى أن الموجز يحوي تشكيلة مدهشة من المواد ، ويلقي على القارىء انطباعا بعدم التنظيم وعدم الوحدة ، فهو يقفز من موضوع لآخر ويتناول وصفا طويلا لبيت المقدس في مكان يقطع فيه التوتر الصاعد للحكاية بطريقة باعثة على منتهى الازعاج (١٠) ، وبشكل عام يبدو وكأنه مبني على حبل طويل من الأفكار المرتبطة مع حبال أقصر تتفرع عنه حسبما وعندما يجد المؤلف ذلك موائما ، أكثر من أن يكون طبقا لخطة مقررة سلفا .

ولكن هنا بالضبط توحيد وحدته ، والمؤلف أو بدقة أكثر المصنف كان لديه فكرة في ذهنه ، واختار مادته ورتبها حول تلك الفكرة ، وقد أعلن كما أخبرنا في أول جملة له أنه سيخبرنا كيف سقطت القدس في أيدي المسلمين ، وكيف فقد الصليب المقدس ، وكل شيء يوحي به هذا الموضوع يعتبر متعلقا به ، وهكذا فإن خط الترتيب الزمني للقصة ، وسلسلة الأحداث

بالترتيب الذي وقعت فيه ، ذو أهمية ثانوية ، ويمكن أن يضحى بـه بشكل صحيح ، عندما يظهر اختيار من قـطار أفـكار المصـنف ، وهذا المبدأ الموحد الحقيقي للعمل ، وفي هـذا المجـال فإنه صـحيح تماما القول بأنه لم يكتب تاريخا من نوع التواريخ الرومانسية ، بل كتب تاريخا أعد ليخدم هدف حكاية جيدة ، والنتيجة النهائية تشـبه كثيرا القصص الخيالية النثرية للفروسية بقدر ما يعنيه شكل القصة فهو يسهب ويتسكع ، مع مـكائد ثـانوية وشـخصيات صـغيرة بوفرة ، ولكن يبقى الموضوع مع ذلك واضـحا في الذهـن ، وهـذا صحيح بالطبع عن الموجز فقط حتى ١١٩٧ بقـدر مـا يسـتمد مـن التاريخ الأصلي لأرنول ، الذي يأتي منه الموضـوع ، وبعـد ١١٩٧ فإنه يشبه كثيرا جدا التواريخ الاخرى : رواية مبـاشرة للأحـداث ذكرت عادة بترتيب زمني ، مع درجات مختلفة مـن الدقـة وبـدون عنصر الأخبار القصصي ، والخلاصة فإن الموجز كقطعة من الأدب في حينه يمكننا أن نقول أنه حتـى ١١٩٧ هـو على أي حـال حقـا قصة ، فيها الموضوع ومعظم المادة قـد أخـذها المصـنف مـن مصدره ، أرنول الأصلي ، وجعلها بالانتخاب والاختصاص وبعض الاضافات الخاصة به ، حـكاية الغـرض الرئيسي منهـا تشـويق القارىء ، ولكن في مضمونها الواقعي العالي يمكن أن نتبين أيضـا رغبة قوية ، وإن تـكن ثـانوية ، في الاعلام والاخبـار ، وبعـد ١١٩٧ ، يبقى فقط ثاني هذه الأهداف ، وباقي الموجز بالتالي أقل امكانية للقراءة بقدر كبير ، وهو اجمـالا ليس عمـلا له أي جـدارة أدبية خاصة ، مع أنه شائع بقدر كاف .

وفي حالة تاريخ ما وراء البحار ، غير المنشور ، وغير المعـروف تقريبا ، فإن تقنية خلط الحقـائق بـالخرافات وتـرابطها جميعـا وتصورها للموضوع نفسه هي حتى أكثر وضوحا ، لأن الاقحامات القصصية الخيالية واضحة تماما ولها هـدف واضـح ، ولم يبـال المصنف حقا بالمرة إذا ما كان صلاح الدين حقا قـد منح سرا رتبـة فارس أو إذا ما كان قد تحدر من كونتات بونثيو ، ولكنه رغب في لفت

الانتباه الى تلك الوجوه في شخصية صلاح الدين التي كان هدف هذه القصص هو شرحها ، وعلى العكس رغب في رسم صورة نفسية أكثر اقناعا لبطله بتقديم ايضاحات لما يمكن خلافا لذلك أن يرى كعناصر متنافرة في شخصية رجل كان هو فوق كل شيء العدو الرئيسي للفرنسيين ، أي لقراء المؤلف وجمهوره ، ويرى صلاح الدين بوضوح من سلوكه في مجرى التاريخ الصحيح الذي يحتويه الكتاب ، كشخصية ذات سمات معقدة ، لذا توجب أن يتزود بماض يتوافق مع هذا ، والمعايير التي اختيرت وفقها أحداث هذا الماضي ليست لأنها قد حدثت حقا أو حتى لأنها تتواءم بيسر مع بقية القصة ، وهو مالم يحدث ، بل مع متطلبات ليسنغ لأي قصة خيالية مقنعة « 'es hätte geschehen können. » والتأكيد ، إن فكرة القرن الثالث عشر عما يمكن أن يكون قد حدث قد اختلفت بدرجة واسعة عن فكرة زمان ليسنغ ، ولكن *mutatis mutandis* مازال المبدأ الذي يطبق .

وعليه فإن الموضوع الموحد في التاريخ هو نفسه كموضوع الموجز ، موجود في ذهن المؤلف ، ولكن مع أن كليهما لديه ظاهريا الموضوع نفسه أي ضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، فإن التاريخ في الواقع مشغول أكثر بكثير وبثبات بموضوع صلاح الدين ، وهو انشغال مرئي بشكل رئيسي في الحكايتين الخياليتين المقدمتين، وأيضا في الفقرات الواسعة نوعا ما التي تتعامل مع حروبه ضد ملك النوبة ، والتي لم تذكر في أي من النصوص الأخرى بالمرة . وهنا يصبح العنصر الموحد الثانوي في هذه الاعمال ظاهرا أيضا ، أي وجهة نظر المؤلف في موضوعه ، وهذا أكثر أهمية في التاريخ مما في أي من النصوص الأخرى ، وأكثر أهمية حتى من الابلنيين في « د » اذ أن ولاء المؤلف لهم جعل التاريخ الذي يحتويه بلا شك منحازا في الواقع الى حد مساعدتنا في التعرف على تغير المصدر ، وما يزال عاملا واحدا فقط في الحكاية الأوسع كثيرا . وفي التاريخ لا يكتفي موضوع صلاح الدين بمجرد تلوين الحكاية كما

فعل موضوع الابليين في « د » ، بل هو مهيمن على كل العمل . وهذا المعنى القوي لنية المؤلف وهو الانطباع الذي يمكن أن يستطرد فيه أحيانا مع أنه لن يزعجنا بحكاية تافهة ملتوية ، ويساعد في جعل التاريخ أخف كثيرا وأكثر تسلية من الموجز ، الذي يبدو أحيانا كأنه قد فقد كل حس بالاتجاه ، وعامل آخر في تأليف التاريخ يجعل المرء يأسف هو تعذر الوصول اليه وفقر المعلومات بسبب عادة الشرود لدى مصنف إحدى المخطوطات (ب ن ف فر ٧٧٠) بوضع التفاصيل الصحيحة في النص بصورة تنتهك احساسه بالدقة ، من ذلك على سبيل المثال :

'Sor cele mer fu çou que Nostre Sire fist de l'aighe vin quant il fu as noces de Sainte Eglyse, mais non pas d'Archedeclin com on dist en ces roumans rimés. Archedeclin fu uns asaieres de vins. Nan pour quant il estoit princes entre les mengans, et ce fu fait en la cité de Tabarie,(١١)

وهذا ليس صحيحا فقط بل مسل ، وهكذا نغفر للمؤلف النفحة المميزة من تهنئة النفس ، التي بها صحح مصدره الخاطىء ، وأسهمت هذه الملاحظات في التنوع الواسع تماما في الأسلوب والموضوع الموجود في التاريخ ، والذي يعني لأجل ذلك كله أنه نص لا يعتمد عليه لأنه بمزجه بين الحقيقة والقصص ذات الخيال الصارخ يتركنا أحرارا في تكذيب مضمونه ، وذلك مع التأكيد أنه ممتع القراءة .

وعندما نتحول من هذين التصنيفين الى النيل الصحيح نجد أن الهدف السائد مختلف ويضفي شكلا مختلفا على العمل ، وهنا يعطي المؤلف ـ الى درجة كبيرة جدا ـ أفضلية أولى لتسجيل الحقائق والأحداث كما هي ، وهكذا تميل النيول الى استبعاد الأساطير الأكثر تلونا بدرجة كبيرة ، ولبيان فكرة الارتباط التي

تصبح أكثر قربا من الفكرة الحديثة ، وترتيب الحكاية أكثر دقة مــن الناحية الزمنية بكثير مما عليه الحــالة مــع الموجــز ، والتــاريخ والاستثناء لهذه القاعدة بصرف النظر عن تلك التي تسـببت بتغيير من التنقيح ـ هــو مــن نوع نتقبله بســهولة ، إنه الاشــارات الراجعة : وتشير مقدما الى تنمية الفعل الذي يجري وصفه ، والتي تسمح لنا بــروايتها بإدراك متــأخر ، ونوع تيار تقنية الوعي الذي ادى بمصنف الموجز الى طرق غريبة وملتوية غائبة هنا ، وفي الاغلب ان الاستطراد يتألف من فقرة أو اثنتين ، والاســتثناء الوحيد هــو النص المسمي بذيل روثلين (١٢) الذي لاينتمي بدقة للفــرع الأول بأي حال ، والذي هو خليط من الأساطير والأوصاف من الجغرافية والمنقول من جاك دي فيتري ، وهــذه كلهــا كمنوعات مثلهــا مثــل العناصر المجلوبة من بعيد التي يوفرهـا التاريخ ، وبصرف النظر عن هذا كله ان الذيول بكلمة واحدة كلها متماسكة بشيء من الجمود .

وليس هذا للقول بأنها على الاقل مملة فــالنثر الجــديد بــاللغة الدارجة كان عليه أن يثبت احترامه ومــواءمته للأعمــال الجــدية في حقول كانت حتى الآن عامــلا مقصــورا على اللاتينية ، ولكن كانت هناك سابقة جيدة للجدية بلا ملل وحتى وليم نفســه بــكل ثقله ، لم يستنكف عن تطوير تاريخه بمثل تلك الحوادث الملهية مثل قطع رأس جمل بضربة واحدة من الســـيف مـــن قبـــل غودفــــري أوف بوليون (١٣) وهــي حقيقية لو استمرت بصورة صحيحة لامــكن أن توفر التسلية بقدر ما تستطيع القصص الخيالية ، ومــع أن الذيول تفتقر الى النوع المدهش دائما في الموجز والتــاريخ فإنهــا تجتــذب اهتماما كافيا بالمادة نفسها للتعويض عن هــذا ، وبعــد كل شيء إن المادة التي يستعملوها قادرة بشكل متأصل على إثارة مجال واســع من العواطف لدى القارىء ويخبرنا جوسلين أوف بــريكلوند عن رد فعل الاب سامسون .

us of the reaction of Abbot Samson, '. . . qui, audito rumore de capta cruce et perdicione Jerusalem, femoralibus cilicinis cepit uti, et cilicio loco staminis, et carnibus et carneis abstinere (١٤)

وبالتأكيد ان نهوض وسقوط الرخاء الفرنجي في الشرق كان موضوعا حيويا ، كان بإمكانه دائما أن يسيطر على الاهتمام بسهولة أكبر ، وبفضل مادة موضوعهم ، كانت الذيول مضمونة النجاح تقريبا ، والعدد الكبير جدا من المخطوطات التي ماتزال باقية ، الى جانب حقيقة انها قد نسخت وأعيد نسخها حتى دخول الطباعة ، ثم طبعت (١٥) تشهد على هذا النجاح ، وقد تمتع تاريخ هرقل بكل وضوح بشعبية دائمة واسعة الانتشار .

ولكن مع أن شيوع مادتهم ، تفسر هذه الشعبية للسنوات المائة الأولى ، او نحوها لوجود التواريخ يجب أن نبحث بعد هذا عن تفسير آخر ، يبدو أنه يكمن في المهارة التي قدمت بها المادة والطريقة التي استمدت بها الامكانيات المسهلة للقصص التي أعطيت الشمول والدوام ، وبناء عليه فان هذه الصفة هي التي يجب أن تكون موضوع حكم إجمالي ، بعد سبعمائة سنة أزالت كل الزخم المباشر للأحداث المروية ،وقد استبدلت بالطبع بشيء ما لم يوجد في ذلك الوقت ، وهو اهتمام أثري ، ولكن هذا لايمكن أن يفترض بشكل معقول أنه كان في نية المؤلف ، وهكذا يصلح موضوعا لسؤال آخر ، وفي الوقت الراهن هناك بعض الأمثلة على الطريقة التي قدم بها مصنفو الذيول مادتهم ، ستصور كيف أعطت هذه الطريقة اهتماما دائما لأحداث كان مقدرا لأهميتها الأولى أن تذوي مع مرور الوقت .

ويشكل المثال الأول في تاريخ هرقل الفصل العشرين من الكتاب الخامس والعشرين (١٦) ويروي قصة فارس نورماندي أنقذ

عددا كبيرا من الحجاج من الموت على يد اسحق كومنينوس ، مع أنه كان عارفا أن فعل ذلك يعني موته المؤكد ، اذ أنه كان مرتزقا في خدمة اسحق ، وهي قصة درامية بحد ذاتها ، الا أن الاسلوب الذي رويت به صريح تماما واستعمل عددا من الكلمات والعبارات العاطفية بشكل لامفر منه مثل : قاسي (مرتان) و « شهيد » (مرتان) « وشعر نحوهم بعاطفة كبيرة وبرحمة عظيمة » وهكذا هلم جرا ، ولكنها استخدمت جميعا دون مزيد من التأكيد ، ولم ترتب كلمات الجمل أو تصمم بشكل خاص لجعل تأثيرها دراميا ، فقد رويت حادثة تلو أخرى بطريقة واقعية جدا حتى البطل لم يذكر اسمه ، ولكن أشير اليه بمجرد القول :« فارس من أصل نورماندي » .

ويحتمل أن المؤلف لم يكن حتى يعرف اسمه ، وباختصار فان كامل الفكرة الاساسية للحادثة هي انقاص الأهمية ، أو حتى يمكن أن نقول تقنية الطرح جانبا التي ترسو دراما المحتوى فيها بالرفع بلا مبالاة ، وتدعه يقف بدون أي من التزيين البلاغي أو المبالغة التي في كتاب دي كلاري على سبيل المثال ، والتي غالبا ماكان لها أثر معاكس لما بدا انه كان يرمي اليه ، وبإقامة دعائم مفرطة فوق أخرى مفرطة تبلد أحساس القارىء وتنقص من زخم الموضوع نفسه ، ويساعد مصنف تاريخ هرقل في هذا المثال حقيقة أن الصفات التي تمتع بها من أجل ان يثير اعجابنا مقبولة عالميا على أنها مثيرة للاعجاب بأي حال : وفي الواقع تغدو القصة من وجهة النظر هذه واضحة الى حد ما ، ولكن بالتقنية غير الدرامية يجعلها تقول الشيء نفسه .

ومثال آخر على الايجاز والبساطة التي تعطي فاعلية لحادثة غير جديرة بالملاحظة نوعا ما ، وهو وصول برنغاريا النافارية الى عكا وروايتها هكذا في جميع نصوص تاريخ هرقل باستثناء « د » و الموجز :

Quant li rois de France sot que li rois d'Engleterre venoit, et que il avoit feme espousee, si en fu moult dolenz. Et por ce ne laissa il mie que il n'alast encontre lui. La fu li rois de France de si grant humilité que il descendi de son cheval a terre et prist la feme dou roi Richart entre ses braz et mist a terre hors dou batel, si come l'en dit. (١٧)

وتتوفر معارضة هامة بالمعالجة التي في رواية « د » لهذا الحدث بالضبط الذي يروى بالتعابير نفسها بالضبط تقريبا ، ولكن مع وخزة بالذيل :

Au descendre la feme dou roi Richart, le rei de France fu de si grant humilité que il ala encontre yaus au rivage. Il meismes enbraça l'espouse et la descendi en terre, et n'i vost descovrir son corage, ne semblant n'en fist de l'outrage que le rei Richart li avoit fait. Ce est assaveir de ce qu'il avoit laissié le mariage de sa seror por le mariage de Berengiere la suer dou rei de Navarre. Il li mostra bien quant il torna en France(١٨)

وهذا مثال رائع لعادة تميز مصنف « د » عن كل المؤرخين الآخرين ، وهي اضافة تعليق موجز مفاجىء ومناسب يلقي ضوءا مختلفا تماما على كامل الحادثة ، وتظهر بالتضاد النفحة الرقيقة للرواية التي تعطيها الذيول الأخرى ، ومرة أخرى تعتمد على انقاص الأهمية لاعطاء تأثير الوخز .

وهذان الاثنان كلاهما حادث صغير في تاريخ الحروب الصليبية ، ولكن هناك حادثا كبيرا شكل واحدا من أقوى النقط في قيمة الذيول تاريخيا ، وقدم ايضا واحدا من افضل الصور للوسائل الأدبية الصرفة المستعملة بنجاح ، وجعل القصة حية بصرف النظر عن المعلومات التي احتوت عليها ، انها حكاية مفاوضات بالين دي ابلين مع صلاح الدين من اجل افتداء فرنجة بيت المقدس قبل تسليم المدينة في ١١٨٧ ، وكان هذا ذا أهمية سياسية عظيمة ، وتعطينا الذيول رواية كاملة بشكل خاص عنها . ولكن الغريب ان الناحية

السياسية في المفاوضات اهميتها منتقصة ، ويمكن للمرء ان يقول انها تقريبا مهملة ، بينما يركز المؤلف كل جهوده على جعل القصة شخصية ، حتى انها تصبح كما لو كانت جزءا من كتلة القصص حول صلاح الدين كفرد ، اكثر منه كشخصية عامة ، وتغطي القصة فصلين طويلين (١٩) والقسم الرئيسي فيها هو بالكلام المباشر في صورة حوارات بين صلاح الدين وبالين دي ابلين . وهذا وحده يجعلها مباشرة ودرامية . ولدينا بسهولة الانطباع بان المشاهد قد مثلت امامنا ، وترى الشخصيات كأشخاص حقيقيين ، يتصرفون على سجيتهم اكثر من ان يكونوا دمى للمؤلف ، وهذا اسلوب مقنع جدا لتقدم فيه الحادثة ، وله ايضا فضيلة السماح بقدر كبير من التفاصيل التي يعبر عنها بدون ضجر مفرط ، وتميل الفقرات التي بالكلام غير المباشر ردا على العكس – الى درجة شديدة من الرتابة مع كثير من التكرار في

dist que and *distrent que.*

ولم تضف ثروة التفاصيل التي ضمنها المؤلف في روايته شيئا للمعلومات التي أعطاها لنا ويمكن ان يكون قد عبر عنها كلها كثيرا جدا بإحكام اكبر ، ولكنها تفيد في اشغال القارىء بتطور المفاوضات – فنحن نراها تجري خطوة خطوة ، بدلا من ان نخبر بكل شيء على الفور بتقدير مباشر – وهي اضافة الى الجو نصف المسرحي الذي بناه المؤلف ، وهذا بدوره يضيف شيئا ما لوجهة نظرنا عن الاستيلاء كحدث تاريخي ، وليس الى معلوماتنا الحقيقية حوله ولكن الى تقويمنا لاهميته ، والاهمية التي كانت له عند الفرنجة في ذلك الزمان وربما تكون هذه الحادثة : افضل مثال في كل الذيول عن قطعة من المادة كان مقدرا لها ان يكون لها بعض القيمة – كمعلومات صرفة – لاي قارىء وبناء عليه للاستمتاع ببعض النجاح حتى اذا عولجت من قبل مؤلف معتدل ولكن هذا المؤلف بالتقنية التي استعملها ، وبالنظرة الى موضوعه ، التي ساعدت تلك

التقنيات على نقلها ، لم يعطها قيمة واحدة بل اثنتين ، دون التضحية باي معلومات كانت تنطوي عليها ، وقد جعل منها تقريبا قطعة من المسرح النظري ، وقد رأى اي امكانيات درامية لدى القصة وا ستثمرها بكفاءة ، حتى ان ماكان يمكن ببساطة ان يكون حادثة في الحرب مع اهتمام سياسي غير شخصي فقط ، قد اصبح ايضا صورة سيكولوجية باهرة لرجلين والعلاقة بينهما ، ورواية ململمة مدهشة عن معركة في المهارة الدبلوماسية ، مع الابقاء على التوتر عاليا بمعرفة ان حياة وحرية الاف من الفرنجة في خطر . وانه بفضل مهارة المؤلف كمؤرخ ، اي مقدرته على تنظيم الحقائق وتقديمها بوضوح ، فاننا بقينا في نهاية الرواية على معرفة جيدة باستسلام بيت المقدس ، واننا نشعر ايضا بانغماس في النتائج ، وباننا مهتمون بمصير الفرنجة ، وهذا معيار لمهارته كقصاص .

وحتى الان ، ان كل هذه الامثلة كانت مشتركة بين كل النيول ، وبالتضمين الذي يمكن ان يعزى الى مصدرهم المشترك ارنول الاصلي ، ولكنه يمكن ان يكون بالطبع خاطئا تماما ان تعالج كل روايات تاريخ هرقل معا كما لو ان لها جميعا اسلوبا مشتركا واغراء واحدا للقارىء ، وهذا صحيح عن الفقرات المشتركة بينها ، مثل تلك المقتبسة ، ولكن هناك ايضا الاقسام الطويلة الموجودة فقط في واحدة او اثنتين من الروايات وليس في الاخرى ، والرواية المتفردة الاكثر إثارة للدهشة من وجهة النظر المتعلقة بالاسلوب وايضا في محتواها هي « د » ، وهنا كل الحيوية والبداهة ونوعية التقنية التي تذهب لجعل كل الروايات ممكنة القراءة مضاعفة ، وبقبول أن هذه هي الرواية الاقرب في مضمونها للتاريخ الأصلي لأرنول ، يجب أيضا أن نقبل أنها تعطينا الانطباع الاكثر دقة لما كان عليه أسلوبه ، وبفعل ذلك يجعلنا نأسف أكثر مما كان أبدا لأن الاصل قد فقد منا ، وهذا القرب من أرنول يقدم المفتاح للأسلوب المفعم بالحيوية للعمل : إنه ينطلق من انشغال المؤلف في القصة التي يرويها ، والتي هي أقل نكهة في هذه الرواية عما في الأخرى ، ويأتي انشغال أرنول الخاص إلينا بوضوح هنا ، حتى أننا نحن أنفسنا

نتماثل بسهولة أكثر معه أكثر مما في تلك الروايات التـي اصـبحت نزيهة أكثر وهادئة أكثر ، وهكذا أقل أخبارا ، وقد سبق لنا أن رأينا مثالا في «د» يضيف تعليقا شخصيا إلى حكاية شبيهة بتلك التـي في الروايات الأخرى ، وبذلك يحول كامل القصة بضربـة واحـدة ، في قصة وصول بيرنغـاريا إلى عكا [٢٠] وهـي رواية حتـى أكثـر تشخيصا ، فيها في الحقيقة يشـكل الاهتمـام الشـخصي الظـاهر للمؤلف السمة الرئيسية للعرض ، ويتعامل مع تقسيم غي لقبـرص إلى إقطاعيات بعد أن اشـترى الجـزيرة مـن رتشـارد في ١١٩٢ [٢١] ، وكل روايات الذيول تقـوم ببعض التعليق على معالجته للحالة ، ولكن رواية « د » تمضي بعيدا جدا أكثر من البقية .

ورواية « د » وحدها هي التي تخبرنا أنه عندمـا اسـتحوذ غي على الجزيرة أرسل إلى صلاح الدين في طلب النصـيحة حـول كيفية إدارتها وقد تعلم على مايبدو من أخطائه ، وقـد رأينا مـن قبـل أن موقف المؤلف من صلاح الدين كما هـو مبين هنا نمـوذجي : أعلن صلاح الدين أن غي عدوه ، ولكنه مع ذلك تصرف تجـاهه بشرف و *leiaument* هي الكلمة المهمـة ، وبقية القصـة هي بيان كيف أن غي وضع موضع التنفيذ النصـيحة التـي أعطـاه اياها صلاح الدين [٢٢] بمنح الاقطاعات للفرسان الذين فقـدوا أراضيهم في سورية نتيجة لفتوحات صلاح الدين .

Les chevaliers et les serjans et les borjeis, cui Sarasins avoient deserités, oirent le comandement dou rei Guy. Il murent et vindrent a lui, et des dames juenes et des orfenins et orfenines a grant planté, iceles cui les barons et les peres estoient mors et perdus en Surïe. Il lor dona riches fiés, et as Griffons et as chevaliers que il avoit menés o lui, et as corversiers et as massons et as escrivains en Sarrasineis, ensi que la Deu merci, sont devenus chevaliers et grant vavassors de l'isle de Chypre. [٢٣]

وهناك ملحوظة شخصية لاتخـطيء في هـذا الاقحـام لعبـارة « رحمة الرب » التي صدرت عن حوار في المفـاوضات بين بـالين وصلاح الدين لتعـطينا تبصرا بـأهمية الحـدث بـالنسبة للناس

المعنيين ، وهي أيضا بالمصادفة بينة وموثقة ، من أجل مطابقة أرذول المؤلف مع أرذول صاحب جبلة والقول انهما الشخص نفسه الذي حرم من أراضي عائلته بالفتح الاسلامي واصبح « ملاكا كبيرا » في جزيرة قبرص (٢٤) والكسب الشخصي من سياسة غي ، يفسر ايضا كيف أن المؤلف الذي كان من قبل يري في غي الحاكم الضعيف الذي أضاع فلسطين ، وجد فجاة أن لديه بعد كل شيء بعض المؤهلات .

وبعد هذا التعداد للناس الذين جاءوا لاستعمار قبرص تحت حكم غي قامت رواية « د » مثل كل الروايات ، بمقارنة بين نجاح غي في قبرص واخفاق السياسة المضادة التي مارسها بلدوين في امبراطورية القسطنطينية ، ومرة أخرى أضافت رواية « د » ملاحظة من عندها ، هذه المرة المثل القائل « من يحاول احتضان كل شيء يخسر كل شيء » (٢٥) ، ولعل هذا عاطفيا بعض الشيء ، تعوزه البراعة ، ولكنه مع ذلك ربط المؤلف مباشرة بموضوعه بإظهار اهتمامه بمضمونه خطأ بلدوين ، وأعطاه تحريفا خاصا من أجلنا ليزيد من حدة الزخم كثيرا ، ويظهر هذا أيضا سمة أخرى لاسلوب«د»وهي شغفة بالعبارات المحورة بمهارة ، وبالعبارات الموجزة أو حتى بالكلمات المفردة المستعملة بصورة مثيرة للعواطف ، وارسال صلاح الدين بالنصيحة الى غي يزودنا بمثال جيد على هذا الاستعمال للكلمات :

Salahadin repondi as messages que il n'ameit gaires le rei Guy, mais depuis que il li requereit de conseill, il le conseillereit au miaus que il savreit. Car puis que l'on demande conseill a autrui, soit ami ou henemi, leiaument li doit conseillier, et sur ce dist as messages: 'Je conseille au rei Guy que, se il viaut que l'isle soit tote soue, que il la doigne toute. (٢٦)

وهنا في هذه الفقرة أولا كان استعمال « *leiaument* » الذي سبق ملاحظته والذي يثير على الفور هنا موقف صلاح الدين الكامل ومسلكه تجاه غي في هذا الامر ، والمعيار الخلقي الذي عمل به والذي كان بعد كل شيء معيار

الفرنجة أنفسهم ، وهذا يذكرنا بغـانلون وهـو فـارس كان مثيرا للاعجاب بشكل مثالي له كثير من الفضائل ، وهي مع ذلك لم تـوفر له شيئا لانه كان يفتقر الى الفضيلة اللازمة والتي لايستغني عنها ،

وتقدم الكونت غانيلون ووقف أمام الملك
كان جسمه جميلا وبدا لونه ينبض بالحياة
لقد بدا رجلا نبيلا ، لكن ذلك كان زائفا (٢٧) .

وقد جعلنا مؤلف « د » باستعمال صلاح الدين لكلمة ذات معاني عديدة جدا ، وتتضمن بذاتها مجموعة أخلاقية كاملة ، نرى صلاح الدين كما كان يريدنا هو أن نراه ، بفعالية أكثر مما يستطيع وصف مطول حول الأخلاق وبلطف أكثر وقـد قبلنا تقـويمه حتـى دون أن نشعر أنفسنا أننا قمنا بذلك

ثانيا تقدم كلمات صلاح الدين مثـالا آخـر لنوع التـوازي الذي تؤثره رواية « د »

كلمتان متضادتان في المعنى ولكنهما متماثلتان في النغـم ولهمـا التأثير نفسه بناء عليه مثل 'qui tout coveite tout pert', بنغم ايقاعي مع الحرف المتحرك نفسه في المثـال الأول ، وفي المثـال الثاني الكلمة نفسها مكررة في نصفي العبارة وهذا النوع من تركيب الجملة شامل تقريبا في الأمثال الشعبية والحكم المأثورة ، وواضح أن رواية « د » تؤثره كثيرا وفيه دليل على غرامه بـالسجع وتناغم القوافي ، وندين له بالمحافظة على الأغنية السياسية الشعبية :

Maugré li Polein
Avrons nous roi Poitevin.

وهنا مرة أخرى تعبر الكلمتـان متمـاثلتا النغـم بـوليان وبواتفين عن التناقض الذي يكون جزر معنى الجملة (٢٨) .

والنقطة الأخيرة في كلمات صلاح الدين والتي تصور خصائص اسلوب « د » هي الطريقة التي صيغت بها النصيحة ذاتها .

, 'se il viaut que l'isle soit tote soue, que il la doigne toute'

وهنا لايوجد تلاعب بالكلمات ، ولكن الفكرة صيغت بعبارة ظاهرية التناقض ، وحيث أنه يمكننا أن نفترض بثقة أن المؤلف لم يكن يعرف حرفيا ماذا قال صلاح الدين ، ويمكننا ايضا ان نفترض أنه بمعرفة ماقيل في جوهره ، اختار هو نفسه هذه الطريقة التعبير عنه .

ان هذا الشغف بالعبارات الآسرة بمهارة ، وبالاستعارة والمثل هو الذي أدى برواية « د » في فقرة ذات جذب خاص الى خليط مسل من الشخصيات ، فهي تصف حصار عكا من قبل المسيحيين في ١١٨٩ ، وكانت محاولة اليأس ظاهر عليها عندما بدات طالما أن الجيش المحاصر كان صغيرا بصورة تدعو للاشفاق ، والمدينة جيدة الدفاع ، وفي جهد لتنقل لنا التساوي بين القوتين مضت رواية « د » بعيدا بفضل بلاغتها الخاصة :

Grant fu la fei des feaus de Deu, quant ensi poi de gent oserent enprendre si grant fait com de metre siege devant Accre. Car tant i avoit des Sarazins dedens la cité d'Acre que a peine i avoit un Crestien a dix Sarazins. Il se mistrent entre le maill et l'enclurne, et se cil de la cité vosissent, il eussent devoré les Crestiens et pris si come fait l'espervier le petit oiselet (٢٩)

وهنا للأسف يمضي المؤلف بعيدا ، وحيثما حقق في معظم الحالات تأثيرا دراميا أو واضحا ، لدينا في تلك الحالة فقط تسلية غير مقصودة وغير مناسبة ، ولكن الاستثناء من القاعدة العامة هو أن مؤلف « د » يقف ورأسه وكتفاه فوق كتاب الهرقليات الآخرين ليس فقط بالاهتمام الفعلي بمادته ، بل ايضا ببراعته الفنية في التعبير

عنها ، وإن براعته هـي الاكثر أثارة للاعجاب بين كل الذيول في هاتين الناحيتين .

ومزايا نيل « د » كما رأيناها كبيرة ـ هو ادق تقليد لدينا لمزايا عمل أرذول الأصلي ، والحكم على ماحتفظ به « د » لنا، يمكننا القول بأن أرنول ككاتب كان بارعا الى درجة كبيرة ، وفي كتابته حيوية روبرت دي كلاري ولكن بدون النقص الوحيد في مجموعة الالفاظ الوصفية العجز الذي اتسم به دي كلاري ، هذا واذا كان وصف دي كلاري البالغ القوة هو مايؤكد أنه كان لايستطيع حقا وصف موضوعه بالمرة ، بالمقابل ندر أن كانت تعوز أرنول الكلمات ، وكمؤرخ جمع في الواقع بين فردية دي كلاري وذكاء فيلهاردين ، وككاتب هو أكثر براعة من كليهما ، حيث لم يعبر اي منهما عن نفسه بشيء له مثل سعة مجال الطرق التي استعملها أرنول ، فعندما أمر صلاح الدين بقتل الداوية أعطانا أرنول رأيه الخاص بأنه كان خطأ في الحكم ، ولكنه اضاف ايضا تحليلا محايدا لبواعث صلاح الدين (٣٠) وحول موضوع الصليبيين الألمان من جانب آخر كان منحازا بلا خجل (٣١) ، وهو ماهر في تفسيره ، دقيق التفصيل للموضوع المعقد ، فهو على سبيل المثال تتبع بوضوح مثير للاعجاب تطور اجراءات انتخاب بطريرك بيت المقدس (٣٢) ولكنه ايضا استطاع ان ينقل معناه ببضع كلمات كما في مسودته الموجزة والمثيرة للعواطف عن هنري دي شامبين (٣٣) فهو عاطفي وساخر ، صافي التفكير وانطباعي حسبما كان يتطلب الموضوع أو المناسبة ، ضيق الأفق وكريم بالتناوب ، وفي الحقيقة ان التقلب ربما كان ميزته الرئيسية ، سواء في وسائل التعبير التي استعملها أو في مجال الموضوعات التي تعامل معها .

واختلف عن معاصريه ايضا في فهمه لموضوعه وكلمة « كيف » هي بدقة الكلمة المناسبة لعمله لأنه كان قصاصا كما كان مؤرخا بالفطرة ، وقد بين سكون بصورة مقنعة أن المؤرخين القدامى

باللغة الدارجة قد أخذوا من تقاليد « نشيد الاعمـال » الكثير مـن الالفاظ والكثير من الحيل الاسلوبية (٣٤) ولقد شاطرهم أرنول ايضا في مختلف الاحوال في معالجته لموضوعه وللتأكد هو أكثر دقـة بلا حدود مما كان عليه الشعراء المتجولون ، ولكنه مثلهـم كان يرى ابطاله كأبطال بالمعنى الفني والتاريخي ، وينقل مفهومه المزدوج الى قرائه وسمح له هذا بدوره بكثير جدا من الرقة وحدة الذهن في تعامله مع الشخصية مما هو ممكن في اطار معظم التواريخ من أجل شطري رؤيته ـ التاريخية والفنية ـ حيث يمـكن فصـلها عند الضرورة ، وهكذا فان رتشارد قلب الأسد بطل بالمعنيين ، في حين كان صـلاح الدين سياسي قاسي ، ولكنه بطل فنيا بالمقدار نفسه ، وبهذه الطريقة فان التقسـيم غير المرن للشـخصيات الى فـرنجية وبناء عليه هـم طيبون ، ومسلمين وهم بناء عليه سيئون ، قد تـم تفـاديه ، ولدينا على الفور صورة أغنى اخباريا عن الحالة الحقيقية للامور ، وأكثر اقناعا من الناحية النفسية ، وهنا فان الناحيتين الفنية والتـاريخية بعيدتان عن الصراع مع بعضهما ، وتمضيان يدا في يد وهـكذا تفيد تقنية واحدة العمل بكلتا الطريقتين .

وفي الحقيقة ان هذين الهدفين : الاخباري والأدبي هما الباعثان الرئيسيان لعمل أرنول ، وعلى وجه الاجمال فانه كان يوازن الاثنين بشكل جيد ، فهو لم يسـمح لضرورة الاخبـار بـطمس الرغبـة في التسلية ، ولم يحمله الخيال بعيدا جدا عن الحقيقة ، وبالمقارنة مع هذين الجزئين من الهرقليات وهما غير معتمدين على عمله ، تبـدو كتـابة أرنول مليئة بـالتسلية ، اذا كانت ربمـا مفتقـرة قليلا للرصانة ، وبالمقارنة من جانب آخر مع الخليط المنظم تماما ، وهو تاريخ ماوراء البحار تبدو هذه الكتـابة مـرتبة اخبـارية وبـراقة ويصورها ماس لاتري متبعا وصف فيليب دي نوفار *messire Harneis*

ومنصوره ك

'aussi apte à dicter un livre qu'à soutenir une discussion féodale(٣٥)

ومرة أخرى اثبت ماس لاتري أنه متنبىء حقيقي فالقيمة الاخبارية لعمل ارذول ، حتى وإن لم تكن صورته مؤكدة الشكل ، قدم تم الاعتراف بها طويلا من قبل المؤرخ ، أو يبقى الاعتراف ايضا بمهارته الكبيرة ككاتب لم يستحق بين معاصريه مكانا وضيعا .

هكذا اذا القيمة الجمالية للتواريخ التي تبقى حتى بعد انقضاء نحو سبعمائة سنة ، ولا شك انهم في ايامهم كانوا يقدرون لاسباب أخرى ايضا تهرب الآن من أحاسيسنا الحديثة ، ولكنهم مع مرور الوقت أحرزوا اهتماما بالنسبة لنا ماكان لهم ليمتلكوه بالاصل ، الا وهو الاهتمام بقطع المتاحف ، ومع أن هذه قد لاتعد شكلا من الجدارة الأدبية ، إن لها أهمية أدبية بمعنى انها تزودنا بقدر كبير من المعلومات حول تشريح نوع واحد من أدب العصور الوسطى ، والى درجة معينة بالطبع من أي عمل مفرد يخبرنا بشيء حول الجنس ، والعمر أو المدرسة التي ينتمي اليها ، ولكن في الهرقليات والتاريخ ، والتواريخ المرتبطة بهما لدينا شيء ما أكثر قيمة بلا حدود من مجموعة عشوائية من العينات : و لدينا سلسلة من الاعمال التي بارتباطها الشديد ونوعها تصور كليا تماما تطور أنواعها ، وهي تضم معظم طرق العمل الاساسية لمؤرخي العصور الوسطى وتغطي بينها تقريبا كل القرن الثالث عشر وتعطي أو تأخذ عشر سنوات من كلتا النهايتين ، وهي فترة حيوية في تطور التاريخ المكتوب باللغة الدارجة ، وبينها نجد أكثر الأعمال تنوعا التي يصور لنا احتضانها في شجرة الأسرة نفسها كم من الغايات المختلفة يمكن تحقيقها من قبل كتاب ممن استعملوا على نطاق واسع المواد الاساسية نفسها ، فما الذي يمكن أن تعلمه التواريخ لنا في هذه النواحي ؟

ولقد كان العنصر الاصيل في الجسم الاساسي كل ماليس في البقية : متماسك وموحد مع اجتهاد ، ومعرتة تريد قاصدة وبنجاح ان تدوم ، وكان وليم الصوري في الوضع المثالي لكتابة تاريخ

الحروب الصليبية ، فقد كان مواطنا سوريا بالمولد ولكنه تعلم كما أخبرنا في موطن أهله ، فرنسا حيث تعلم على ايدي رجال مثل موريس دي سالي وبطرس لومبارد وغيبرت دي لابوري [٣٦] وانتهى تعليمه فعاد الى بلده فلسطين ، ثم أصبح على التوالي معلما خاصا الشاب بلدوين الرابع ثم مستشارا لمملكة بيت المقدس ثم رئيسا لأساقفة صور ، وهكذا كان لديه مجال للوصول الى أوراق الدولة في المملكة والى اصدقاء من ذوي النفوذ لتشجيعه في مهمته ، والى كل مصادر البيوت الأسقفية ، من النساخ والمترجمين وما الى ذلك من الذين كانوا تحت تصرفه ، وقد انتج عملين تاريخيين كبيرين هما :« تاريخ الأعمال المنجزة في مملكة ماوراء البحار » وكتاب آخر ذكره في التواريخ ، هو تاريخ لمصر ، أشير اليه عادة بكلمات وليم باسم « أعمال امراء الشرق » وهو مع الأسف مفقود الآن [٣٧] .

وعلى الرغم من كل هذه المزايا من الموهبة الطبيعية والظروف السعيدة كان وليم مع ذلك كاتبا مترددا ، وقد كتب رائعته فقط من احساس ضاغط بمسؤولية المؤرخ ، وهو مدرك بحدة لوضعه ومخاطره ، وقد يقع المرء فريسة للانحياز والتحامل ، وقد يغري بتبديل الحقيقة حتى لاينفر الاصدقاء ، وهذه النقطة يبدو أنها ترجع لديه بشكل خاص ، وهو يستشهد بأحد مؤلفيه الأثريين سيسيرون قوله :« الحقيقة مزعجة ، لأن الكراهية تنبع منها ، وهي سامة الصداقة ، لكن التغاضي أكثر شؤما لأنك حين تتعامل برقة مع واحد من اصدقائك فانك تسمح له ان ينزلق بشدة نحو الدمار [٣٨]» وفي النهاية كان تقريبا تحت الاكراه انه قبل بالمهمة المعروضة عليه من قبل عموري ، ومن أجل سبب لابد أن يظهر ليعمل ضد الانحياز الذي قد يجده للتو ، إنه الولاء الوطني في قوله :« لكن حبي الدائم لبلدي يدفعني ويحرضني ، فمن أجل البلاد وفي سبيلها على الانسان المخلص اذا قضت الحاجة واستدعى الوقت ان يضحي بحياته ، وأكرر القول ان بلادي تحثني وتأمرني بالحاح شديد وبكل ماتملكه من سلطان على العمل » [٣٩]

وكان هذا الباعث مع ذلك متوازنا مع آخر أكثر وعدا ، ظهر بجلاء قبيل نهاية العمل وكانت حظوظ المستعمرين تتردى بحدة وقد اصبح مؤلما لوليم الاضطرار لرواية اشياء ضارة بمواطنيه وبيلاده ، وكان فقط قادرا على الاستمرار كما يخبرنا ، بسبب رغبة لاتهدف الى تمجيد موطنه بل لصنع سجل دقيق للأجيال القادمة ، وإنه لمفيد وله دلاله على عقليته ، وخلفيته ، انه أتخذ مرة أخرى المؤلفين التقليديين ، كمثال له وهذه المرة ، ليفي ويوسيفوس اللذان سجلا حظوظ شعوبهما ، ومحتذيا مثلهما ومتسلحا بدرسيهما تابع وليم العمل في كتابه حيث قال :« ان نسجل في هذا الكتاب للأجيال القادمة جميع أطوار مملكة القدس المعاكس منها والمزدهر ايضا » (٤٠) .

وهذا الهدف لم يكن عاما في زمانه ، وقد نفذ خطته بنجاح كبير ، وابقته ثقافته مع اساسها الكلاسيكي المتين في وضع المتابع مثلما فعل على مايبدو حبه الفطري للدقة الواقعية ، ومقدرته وارادته في رسم الخط بين الحقيقة والخرافة تطور الى درجة ملحوظة في عصر كان التمييز فيه غامضا ، إذا كان موجودا أصلا ، ولم يختلف عمله كأدب عن عمل معاصريه الأوربيين والآخرى إنه اختلف في تماسك المظهر الخارجي للكاتب ، وكان وليم رجل لاهوت بطبيعته كما هو بفضل منصبه ، ومع ذلك كان عليه أن يجهد من أجل حياد فكره ، وكان ملزما في النهاية بأن يأخذ نظرة أساسها راي الحكم الديني في التاريخ ، وبالنسبة له لم تكن بلاد ماوراء البحار في المقام الاول مستعمرة فرنجية بل الارض المقدسة ، وإذا كان لمدينة الرب أن توجد في أي مكان على الارض فإنها يجب أن تكون بالتأكيد في بيت المقدس ، وكان حتى أكثر وضوحا لوليم من معاصريه بشكل عام ، أن الملوك كانوا يحكمون باسم الرب ، وهذا يجب أن يكون صحيحا بشكل خاص بالنسبة لهؤلاء النين حكموا في بلاد الرب ، وعندما سجل بناء عليه بدقة تاريخ تلك البلاد على مدى حوالي ستة قرون وصل إلى وقت في العقود الاخيرة من القرن الثاني عشر عندما ، أخذ الرب بوضوح يسمح لشعبه محرر الاماكن المقدسة بأن

يتخلص تدريجيا من الأرض التي كسبها باسم الرب ، واكتئاب وليم أمر يمكن تفهمه . ولكن نظامه لم يخفق ، فالرب سيحفظ فلسطين الذين يطيعونه ، وهذا مالم يفعله الفرنجة . فقد مات الجيل القديم والجيل الجديد مختلف تماما سمعه يقول : « ونجد لدى دراستنا لهذا الوضع المعاصر بدقة وعمق ونحن متطلعون للعون من الرب ، خالق كل شيء أن السبب الاول الذي يقدم نفسه هو أن أجدادنا كانوا رجالا متدينين ويخافون الرب ، فقد قام مقامهم الآن جيل شرير وأبناء آثمون مزيفون للعقيدة المسيحية ، يتبعون سبل جميع الأشياء المحرمة دونما تمييز ، وهم أشبه ، أو حتى أسوأ من الذين قالوا لربهم : أبعد عنا وبمعرفة طرقك لانسر ، ويسحب الرب بعدل تأييده من هؤلاء بسبب خطاياهم ، وكأنما أثير سخطه ، هؤلاء هم رجال العصر الحالي ، وخاصة القاطنون في الشرق ، كما أن المرء الذي سيتولى بقلم حذر وصف أخلاقهم أو بالأحرى رذائلهم الوحشية المرعبة » (٤١) .

وهكذا أخرج وليم قصته حتى نهايتها بلغة اعتقاده الديني وبالتالي بالنظرية السياسية الثيوقراطية ، وهي كلها متماسكة جدا ولابد أنه كان محزونا بلا شك ، وكان سيندهش قليلا لو أنه عاش ليرى سقوط بيت المقدس ، وفقدان الصليب المقدس ، وبالتالي سقوط الحكم المسيحي في فلسطين ، وفي الواقع إنه توفي في ١١٨٤ أو في ١١٨٥ في روما في ظروف مريبة . وقال بعضهم إنه ذهب إلى هناك في عمل خاص بالعائلة ومات ميتة طبيعية ، ولكن بعضهم زعم أنه كان في الطريق إلى الكرسي المقدس ، ليشجب هناك طريقة الحياة الفاضحة لهرقل بطريرك بيت المقدس ، وأن هرقل ، وقد أدرك أن وليم إذا وصل إلى غايته فإن هذا يعني دماره هو بالتأكيد . رشا طبيبا سوريا ليتبع وليم ويسممه ، فهذه هي القصة التي يعطيها الموجز (٤٢) ، وهي موائمة جدا للصورة المتملقة التي رسمها ذلك التاريخ لوليم ، وهكذا انتهت بعذف الحياة الفاضلة للرجل الذي لم نعرف كاهنا أفضل منه في النصرانية في أيامه ، انتهت بالقتل على يد خصمه الشرير .

ومع ذلك يمكن أن يكون التاريخ قد انتهى في ١١٨٤ مع الترتيبات من أجل الملكية بعد وفاة تلميذ وليم ، بلدوين الرابع ، وكما هو واضح إن كتاب التاريخ نموذج للتأريخ اللاتيني في العصور الوسطى في أفضل صورة : إخباري دون أن يكون جافا ، ومنظم ، ومنوع في حكايته ، براق في لغته وأسلوبه وقد رأى وليم نفسه في تقاليد الكتاب الكلاسيكيين وبشكل خاص كتاب التأريخ الرسمي الكلاسيكيين مثل ليفي ، وبهذا المعنى كان كتاب التاريخ نظرة إلى الوراء وقد ألقت مرساها بإحكام في تقليد قديم ، وعندما ترجم إلى اللغة الدارجة فإنها سرعته إلى الحاضر ، وربطته بتقليد كان بالكاد جيد الرسوخ لتسويغ الاسم والرصانة ، والعبارات الموزونة والاجتهاد في التفصيل في الأصل ولكنه ذهب كله في الاهمال ، لأنه كان في ذهن المترجم جمهور لن يتحمل الاسهاب من أجل خاطر العبارات الجميلة ، ومع ذلك كان الكسب تقريبا بقدر الخسارة . وتلت هذه الشعبية الواسعة ، ومن لايستطيع أن يقول إن تضمين التاريخ في تصانيف الهرقليات الأدنى سوية باعتراف من الجميع لم يساعد بطريقة ما في المحافظة على الاهتمام بالأصل ؟

والحقيقة الاكثر اهمية حول الترجمة ، من وجهة نظر تعزيز تقاليد التأريخ باللغة الدارجة ، هو توقيتها فإذا كان أحدث توقيت حالي صحيحا (أوائل العشرينات من القرن الثاني عشر ، وبالتحديد سنة ١٢٢٣) (٤٣)

فإنه بناء عليه يؤخر توقيت ليس فيلها ردين ، بل أيضا أرنول الأصلي وربما تاريخ دي كلاري أيضا ، وهذا يوحي بأن الترجمة المباشرة من اللاتينية إلى الفرنسية ربما هي أقل أهمية لتقويم الكتابة النثرية باللغة الدارجة عما يعتقد بشكل عام ، لأن هنا جسما واحدا نجد فيه قدرا كبيرا من المادة باللغة الدارجة وفي الواقع واحد من المصادر الرئيسية لهذه اللغة ، كان موجودا قبل كتلة المادة المترجمة ببعض الوقت ، ويبدو أن تواريخ الحروب الصليبية باللغة الدارجة كانت في الواقع جزءا جيد التوطد على المسرح الأدبي قبل أن

يفكر أحد في أن يترجم إلى الفرنسية التاريخ اللاتيني المعياري للحروب الصليبية ،وليس هذا للقول بأن ترجمة الأعمال اللاتينية لم تساعد بشكل عام في أن تجعل اللغة الدارجة معترفا بها كلغة للكتابة الجادة ، وتعدها لمهمتها ، ولأن وجود تقليد التاريخ بالنثر اللاتيني كان بلا تأثير في جعل المؤلفين مدركين لامكانية كتابة التواريخ أيضا باللغة الدارجة المنثورة ، ولكنه يوحي بأن التأثير كان غير مباشر أكثر مما يفترض عادة .

وهكذا لدينا في جسم الهرقليات أمثلة من التاريخ بالنثر اللاتيني ، ومن الترجمة من اللاتينية إلى الفرنسية ، ولدينا أيضا ، مع أن هذا مكون من فتات ، تاريخ مبكر جدا باللغة الدارجة ، هو تاريخ أرنول ، الذي يجب أن نصنفه من حيث النوع مع حياة القديس لويس لجوانفيل ، وكان تاريخ أرنول على مايبدو مثل عمل جوانفيل من ناحيتين : كان رواية لشاهد عيان واستمد قيمته التاريخية من تلك الحقيقة ، وكان مديحا تأبينيا ، وتقريبا دفاعيا ، عن عائلة واحدة ، كما كان عمل جوانفيل سيرة تقديسية من الكاتب المترجم له .

وقد رأينا من قبل أن جدارة أرنول ككاتب كبيرة ، وكمثال على كتابة التاريخ الرسمي فإن قيمة عمله أقل ، لأنه لم يخبرنا بشيء لم نكن قد علمناه من قبل من جوانفيل ـ وهذا الانحياز في الموقف في اتجاه الموضوع لايؤثر فقط على مضمون العمل ، وإنما يجعله متعاطفا أمام القارىء ، الذي يستعير انشغاله من انشغال المؤلف نفسه . ومن جانب آخر إن الطريقة التي كيف بها كل واحد من المصنفين الذين استخدموا عمل أرنول وتبنوه جرى إيضاحها ، فكل واحد فرض عليها أسلوبه الخاص ، بنجاح متفاوت ـ فمصنف « أ ـ ب » على سبيل المثال كثيرا ماصاغها في قالب رسمي قيد فيه عدم الرسمية الأساسية للمصدر ، في حين احتفظ مؤلف الموجز بعدم الرسمية بصورة أكبر ، ولكنه طمس مصدره في كتلة من المعلومات الدخيلة كانت على مايبدو تغري ذوقه ، وهي لحسن الحظ غائبة عن

النيول . والاكثر اهمية من الجميع أن العناصر الاكثر شخصية في تاريخ أرنول على مايبدو قد كبحت إلى درجة اكبر او اقل من قبل كل المصنفين . ولا يمكننا الحكم بالطبع على مقدار ما استبعده « د » في هذا المجال ، ويمكننا فقط القول بأنه كان أقل من المصنفين الآخرين في الاقتطاع ـ ولكن من يعرف قدر المعلومات المتعلقة بالابلينيين مما يحله المؤرخ الحديث وقد فقدت حتى في هذه الرواية ؟ وكان لأعمال الحذف هذه سبب موضوعي ولم تكن مجرد نتيجة نزوات المصنفين : كما رأينا في تحليل متنوعات « د » ، فكثير من مادتهم مضحك جدا تقريبا ما لم يفترض المرء الاهتمام الشديد بعائلة ابلين .

وبصرف النظر عن هذا ، إن النصوص المتبناه التي يمكن أن نتعقبها بمقارنة النيول الواحد بالاخر ، تعطينا بعض الدلالات على مجال ذوق المصنفين ، والأذواق التي نسبوها لجمهورهم .

ومن الواضح أنه كان هناك قدر من التنوع لا يمكن أن يتوقع ، فقد قصد أن يكون الموجز كمرشد قصير للفترة ١١٨٥ ـ ١٢٣١ بينما تاريخ هرقل هو كتاب أثقل وزنا بكل معنى ويمكن أن نستنتج من هذا أن الموجز كان عملا مبسطا ، فإذا كان كذلك فقد كان اخفاقا مدويا في هذا المجال ، حيث مايزال باقيا تقريبا ستة أضعاف الموجز من تاريخ هرقل وهو اختلاف يعطي مجالا حتى لحوادث الحفظ، ومايزال اختلافا هاما جدا ، ومن المهم أيضا أن مخطوطات تاريخ هرقل تحوي العديد من العينات الدقيقة الكتابة ، الجميلة التزيين والوضوح بينهما تلك المعدة للبلاط الانكليزي والتي يمكن أن تسمى في هذه الأيام طبعة « مائدة ـ القهوة » (٤٤) .

ومخطوطات الموجز على العكس كان الغرض منها الفائدة العلمية لا الجمال مع أن مخطوط آرسنال ٤٧٩٧ مكتوب بأناقة كافية ،

ومنظم الصفحات ، وليس في اي واحدة منها منمنمات ذات جدارة ، لكن في بعضها حروف كبيرة مزينة برسوم تاريخية •

وبالنظر الآن الى تقدم التواريخ على مدى القرن الثالث عشر ، يتردد المرء في استعمال تعبير التطور بالمرة لأنها لاتحقق في الواقع شيئا في أي اتجاه ، والمراحل الأخيرة من تاريخ هرقل اذا قورنت بالأقدم لاتبدو أكثر اشراقا ، ودقة أو بعدا عنها برشاقة أكثر ، واذا حدث تردي في التصنيف أثناء مساره ، بحيث تصبح حكاية ادنى فأدنى ويصبح أشبه بالحوليات وفي الكتاب « ٣٤ » (٤٥) الموجود فقط في « غ ج » و « ب » يجد المرء فصولا كاملة تتألف بكاملها من قوائم للأحداث دون أي تعليق آخر ، وعندما يوجد شيء من نوع الحكايا التاريخية فانها تكون عرضية ومفككة ، وبأخذ الهرقليات ككل فان الفترة الأولى من النيول ، حتى ١٢٣٢ تدهش القارىء بأنها بلا شك الأكثر أهلية للتقدير من وجهة النظر التاريخية ، وحتى أكثر هكذا من وجهة النظر الجمالية .

وفي الواقع بأخذ تواريخ القرن الثالث عشر الفرنسية ككل ، ماهو صحيح بالنسبة للهرقليات ، وهي تتطور ، يبدو أيضا صحيحا للنوع كله في هذه الفترة وقبل أن تنتهي الرواية الأخيرة من تاريخ هرقل ، كان جوانفيل قد كتب سيرة القديس لويس (٤٦) ومع أن هذه بالكاد هي نموذج لحكاية حسنة الترتيب ، فإنها بالتأكيد عمل أقل فوضى من الهرقليات ، ذلك أنه جرى تصوره على نطاق أضيق كثيرا ، وأنجح بالكامل من قبل رجل واحد ، وباقرار هذا كله أنه ليس بأي حال قطعة سامية من العمل ، واذا قورن بالقسم « د » المستمد من أرنول ، وهو الجزء الذي يغطي ١١٨٤ ـ ١١٩٧ فانه يسقط كحل أسوأ بشكل مميز ، ويجب أن ننظر القرن التالي وقرنا آخر مرة أخرى لنرى تغييرا في المحتوى والعرض ، وذلك عندما أخرج كومينز أخيرا شيئا يشبه كتابة التاريخ الحديث بالفرنسية ، وحتى عند ذاك فان كومينز المثير

للاعجاب مثل عمله لايمكنه أن يتماشى مع الحيوية والمباشرة غير المتعارضة لحكاية أرذول ، وهكذا فإنه تاريخ هرقل يعرض في مختلف فقراته مراحل نمو وتطور التأريخ باللغة الدارجة في فرنسا على مدى القرن الثالث عشر ، وأسهم بعض الاعتماد على المؤرخين اللاتين على مجاله ، لكن بدرجة قليلة ، لابل أقل صراحة مما يمكن أن نفترض ، وتميل التواريخ المستقلة ، أي تلك التي هي بقدر مانعرف من عمل رجل واحد ، لأن تكون قصيرة ، ولكنها مابرحت تنتحل الأعمال الأبكر الى حد ملحوظ ، وفي الواقع ان حرية الانتحال أسهمت على مايبدو بقدر كبير في التقدم الذي حصل في التواريخ لأنه سمح للمؤلف أو المصنف بممارسة قدراته في اتجاه ترتيب المادة والبناء والتعبير بدون المهمة الاضافية ، وهي وضع مادة جديدة وتصنيفها في الوقت نفسه ، وكل تقدم تم بهذه الطريقة تحقق مبكرا ، لنقل قبل ١٢٥٠ أو نحو ذلك ،ومـا أن استنبط معيار مرض ، فانه بقي وجميع التعديلات التي جرت ، وتمت لمواءمة الموهبة الفردية للمؤلف : كان جوانفيل أصيلا بقدر كبير ، وفرواسار مسهب للغاية وأحداثي نوعا ما ، ولكن أيا منهما لم يفعل شيئا جوهريا اختلف كثير عما انهمك فيه العديد من المؤلفين الذين تورطوا أخيرا في انتاج تاريخ هرقل الذي سبق ان تم صنعة قبلهم ، واكتشف كتاب الهرقليات فيما بين وليم الصوري وأرذول الى المصنف المجهول ، الذي جمع نص « غ . ج » الطويل جدا ، واستثمروا كل الامكانيات التي كانت هناك او التي ستتوفر لبعض الوقت في المستقبل ، وأعمالهم فيما بينهم هي تجسيد لكل شيء نجده في أعمال معاصريهم ، وليس تاريخ هرقل مجموعة من المستحاثات الاثرية التي يمكن من خلالها تعقب تاريخ أنواعها ، إنه بالأحرى عرض كامل مثل تطوره الخاص الذي يمكن أن نراه يتتابع أمام أعيننا ، وهو بالنسبة للمؤرخ لأدب التاريخ يحتل بين المؤرخين مكانة تعدل أن لم نقل تفوق على مكانة جزيرة غالاباغوس لدى شارل داروين .

الفصل العاشر

النصوص كبينات تاريخية

يبقى ان نسأل : ماهي مضامين هذه الدراسة للمـؤرخين الذين اعتادوا على استعمال هذه النصوص كمصادر ؟

وبأي الطرق ان كانت هناك طرق غيرت النتائج المستمدة نظـرتنا الى النصوص كبينات تاريخية ؟

كما سبق ان رأينا ،١ ، لقد عملت كل النصوص كثيرا جدا كمـادة مصدرية لمؤرخي الحـروب الصـليبية والدول الصـليبية ، وبـالكاد نحتاج الى ذكر التاريخ نفسه وقد جرى استخدام الهرقليات والموجز ايضا كثيرا ، ولقد نهلت التواريخ العامة للحروب الصليبية خاصة الرئيسية منه مثل مـؤلفات : روهـرخت وغروسـية ورتشـارد ورنسمان وبروور ،واستمدت من هذين النصين بدرجات متفاوتة في الصغر والكبر ، وفي حالات عديدة خـدمت كمصـدر رئيسي لاواخـر القرن الثاني عشر واوائل القـرن الثـالث عشر ، وقـد اسـتمدت الاعمال الاكثر تخصصا أيضا بقدر كبير منها مثل أعمـال لين بـول وسميل وكاهن التي تقفز مباشرة الى الذهن ، وليست حالة الأمـور هذه مثيرة للدهشة عندما نتذكر مقدار قيمة هذه التواريخ كمصـادر للمعلومات عن الابلينيين وعن الشخصيات الهـامة في أي رواية عن المملكة اللاتينية في تلك الفترة ، وأكثر أيضا عن المشاكل السـياسية والعسكرية ، والاقتصادية يوما تلو آخر .

ولكن السؤال الذي يعنينا في الوقت الحاضر ، ليس كثيرا مـدى استخدامهما وطرائق ذلك ، بل ان النتائج التي ظهرت تقترح اجراء بعض التعديلات الكبيرة ، وفي هذا المجال ان التـواريخ نوعا مـا في

الحالة مثلها مثل كتاب « جين دي ابلن » (٢) الذي هو نص آخر ، ومع أنه في الحقيقة منجم غني بالمعلومات ، هو ليس بالضبط كما ظهر في البداية وكان بقدر كبير أساس الاعتقاد بأن مملكة بيت المقدس قدمت نوعا من أنواع مستحاثات الاقطاع ، وهذا النص بلغ درجة من الدقة دفعت الى الاعتقاد أنه كتاب الأسس لأنه من خلاله يمكن اعادة تشكيل هذه الاسس ، ولكن كما بين برور (٣) ، لم يكن جين دي ابلن يكتب عن التركيب المؤسساتي والاداري للمملكة منذ زمن سحيق ، بل حول الأعراف القانونية حسبما كانت سائدة في أيامه ، ومثل هذا يجب أن نسأل أنفسنا اي نوع من النصوص نتعامل معه هنا ؟

ومالذي أراد مؤلفوها ومصنفوها تحقيقه في كتاباتهم ؟

وتقع التغيرات في الاستعمال الجاري في الوقت الحاضر للنصوص الذي تقترحه هذه الأسئلة في أربعة زمر كبيرة : أولا ، يجب التعامل مع النصوص كفئات وليس كوحدات قائمة بذاتها ، ثانيا ، يجب الغاء التأكيد الموضوع على بعض النصوص على حساب أخرى ، ثالثا ، يجب على الأقل تعديل النهج المألوف للوائح الكلمات ، وأخيرا لكن ليس آخرا أبدا يجب تبني موقف أكثر حذرا تجاه هذه التواريخ المتقلبة ،

والسمة الأكثر اثارة للدهشة في التواريخ من وجهة النظر النصية هي تلك التي تؤثر بشكل جوهري بالغ في قيمتها كمصادر ، وهي الطبيعة المركبة لكل منها ، ومع أن هذا معترف به عالميا من قبل المؤرخين (٤) فان هناك بشكل لامفر منه ميل لمعاملة كل كتاب كوحدة قائمة بذاتها ، وهذا النوع من الاستعمال يمكن ان يصور بشكل أفضل على أنه مشابه لاستعمال الاصوليين للكتابات المقدسة ، الذي يعتمد على الاعتقاد بأنه ليس فقط كل أجزاء الكتاب المقدس صحيحة بالقدر نفسه ، بل انها صحيحة بشكل أكثر حيوية بالطريقة ، نفسها وكما رأينا في الفصل المتقدم تتباين تواريخنا في الواقع كثيرا في معالجتها لمواضيعها ، وما هو أكثر انه بين كل

النصوص الفرنسية لجسم تاريخ وليم الصوري ، لا يوجد واحد ليس إما تصنيفا من مصادر عديدة ، أو ترجمة تمت بدرجات مختلفة من الدقة ، أو شكلا من أشكال التبني لأعمال أبكر .

ولسنا بأي حال نتعامل مع تاريخ لنقل مثل تاريخ جوانفيل ، وهو عمل رجل واحد في موضوع واحد ، خطط له ، ونفذ من قبله بالصورة التي نملكها الآن ، وبناء عليه إنه أساسي فوق كل شيء من الأشياء أن نعامل الموجز ، وتاريخ ما وراء البحار ، والروايات العديدة للهرقليات ، على أن كلا منها مجموعة من المصادر ، وليس كل واحد منها مصدر واحد قائم بذاته .

وتبسط هذه المعالجة في الواقع الأمور بفعالية وذلك بقدر ما يعني المؤرخين ، وتجيب عن السؤال المتعب دوما عن ارتباط النصوص ببعضها بعضا ، وباعتبار كامل الجسم كمجموعة من الشذرات كل منها يمكن أن يظهر في نص واحد فقط ، أو في العديد منها ، ونؤكد في وقت واحد مزيتين حيويتين هما الطبيعة المستقلة لكل شذرة ، وتعلق مختلف النصوص ببعضها ، وهي التي تعاود هذه الشذرات باستمرار الظهور فيها ، ومن ثم من المرغوب فيه كثيرا محاولة تجنب اصدار بيانات عامة حول قيمة نص كامل كمصدر موثوق المعلومات ، والتركيز بالاحرى على تقويم الأقسام المختلفة التي سبق لنا فصلها ، وبكلمات أخرى أن ننظر الى النصوص أفقيا ، آخذين الشذرة نفسها عبرها كلها ، لا أن ننظر رأسيا الى نص واحد على امتداد طوله الكامل ، وحتى نضرب مثلا لنأخذ الحملة الصليبية الرابعة ، حيث نجد أن لكل النصوص قيمة متماثلة ، طالما أنها جميعا تعطي أساس الرواية نفسها ، بينما من أجل الفترة ١١٨٤ - ١١٩٧ يمكننا القول أن رواية « د » تقارب بدقة أكثر تاريخ أرنول الأصلي من الروايات الأخرى ، ومن أجل غزو قبرص لدى « أ - ب » مادة ليست موجودة في أي مكان آخر بالمرة ويجب أن نأخذ كل عنصر من هذه العناصر بحسب جدارته الخاصة ، أي حسبما يستحق ، باذلين دوما جهدا واعيا لفصل

العنصر حسب تقديرنا عن المكونات الأخرى التي اختارها كل مصنف لاحاطته بها .

وبأخذ النقاط السلبية أولا ، يمكننا عمليا أن نقتطع من أجل البينة التاريخية الصريحة مثلما كان المؤرخون يفعلون دائما (٥) ، كل ذاك الجزء من تاريخ هرقل ، الذي هو ترجمة لتاريخ وليم ، ومن الواضح أن المؤرخين لن يقرأوا ، بشكل طبيعي الترجمة عندما يتوفر لهم الأصل ، هذا وإن الأجزاء الأخرى من المصنفات هزيلة جدا بحيث تكاد تكون عديمة الفائدة ، والجزء الأبكر من الموجز ، على سبيل المثال سطحي جدا حتى أنه يصعب أن يكون ذا فائدة حتى كوسيلة ضبط ، على مصادر أخرى أكمل ، فإذا وجدنا تعارضا — لنقل — بينه وبين وليم ، فإنه سيكون قد أسيء نصحنا بأخذ وجهة نظر الموجز بصورة جدية كبيرة ، طالما أن المؤلف لم يعتبر بكل وضوح هذه الفترة عمله الرئيسي ، بل إنه تعامل معها بالأحرى كشيء مقحم على موضوعه الحقيقي ، وبالنسبة لأخذ هذه الفصول المبكرة كبينة على تذوق الغرب وتصوره آنذاك للمملكة اللاتينية ، وأيضا وجهة نظر مصنف الموجز حول قيمة عمله ، سيكون لدينا المزيد لنقوله فيما بعد ، وكمصادر للمعلومات المحضة ، فانهم قد وصفوا بشكل جيد من قبل بلدوين (٦) على انهم يمكن أن يكونوا مفيدين في تكملة التاريخ ، ولكن لا يمكن قبولهم مطلقا بدون جدل .

والشيء نفسه يصح ، وإن لم يكن الى المدى نفسه بالضبط عن رواية الحملة الصليبية الرابعة الموجودة في كل النصوص (٧) ، وهي الى الحد الذي يمكن لنا ايضا ان نقوله مستقلة تماما عن المصادر الأخرى المعروفة من قبل ، وأعني بالأساس دي كلاري ، وفيلهاردين وهكذا كان يمكن أن تقدم رأيا مختلفا عن الاحداث نفسها ، وهذا دوما شيئا نافعا أن نستحوذ عليه طالما أنه يسمح بالحصول على نظرة مجسمة للموضوع ، ولكن مقارنة مع هذين الاثنين تعطي الذيول اهتماما أقل كثيرا لهذه الحملة

الصليبية ، حتى أن المقارنة يمكن بالكاد أن تكون تماما اما عادلة أو مسرفة ، ونقص التفصيل مع ذلك ليس بأي حال بالمعيار نفسه ، مثل ذلك المبين في الجزء الأول من الموجز ، حتى لا نستطيع تماما أن نستبعد احتمال أن النيول يمكن أن تثبت بأن لها بعض الأهمية في هذا الموضوع ، ويمكننا فقط القول انها يجب أن تعامل ببعض الحذر ، في القسم الذي فيه تكون مصداقيتها اما غير ثابتة ببينة خارجية أو هي غير كافية في معالجتها لمواضيعها .

وحول مواضيع أخرى للنيول هل تمتلك بدقة هذه القيمة ، أي أنها تقدم منظورا مختلفا للاحداث التي سبق أن كان لدينا قدرا كبيرا من المعلومات عنها ، وفي هذه الزمرة تقع روايتا حصار دمياط (٨) ، ومختلف الروايات عن حملة صليبية فريدريك الثاني وحروبه ضد قبرص وضد جين دي بريين ، ولا نستطيع أن ندعي أن النيول تبطل بأي طريقة ما سبق معرفته ، ولا أنها مصادر ثمينة بشكل بارز في هذه المجالات ، ولكنها بالقدر الذي يمكننا قوله واسعة الاطلاع بشكل معقول ، وتعطي قدرا معقولا من التفصيل ، حتى اذ في هذه الاقسام نمتلك تسويغا قويا في أخذها بجدية واعتمادها اذا لم تتفق مع مصدر آخر ، وأيضا انها من المحتمل جدا أن تكون قادرة على سد الثغرات الباقية في معلوماتنا من خلال استخدام المصادر الأخرى المتوفرة ، ومرة اخرى يمكنها ان تقدم لنا ليس فقط معلومات مختلفة أحيانا ، ولكن تفسيرا مختلفا للاحداث أكثر تماسكا ، وربما أكثر أهمية ، علما أنه ما من تاريخ يقدم معلومات صحيحة بدون اي تفسير مضاف من جانب المصنف ، وانه لحيوي جدا للمؤرخ اذا كان له أن يحاول أن يقوم بينته حياديا بقدر الامكان ، أن تتوفر له مصادر تصور أكثر من ولاء واحد ، والموجز والنيول المتفقة معه عند هذه النقطة هي ـ على سبيل المثال ـ في الواقع متعارضة مع فريدريك الثاني ، وهكذا تزودنا بتوازن مفيد مع المصادر الأخرى التي تتبنى موقفه .

وهذه الاستبعادات تتركنا ـ دون أن نقول ـ مع تلك الأجزاء من

التواريخ التي تعتمد على تاريخ أرذول ، والتي تستمد قيمتها الاستثنائية في كل مجال من هذا بالاعتماد على الأقسام التي تغطي الفترة ١١٨٤ ـ ١١٩٧ ، وهنا ينطبق التضمين الثاني لمحصلاتنا ، في تحريك التأكيد والاهتمام ، لأن هذه الشذرة مؤكد تمام التأكيد أنها مستمدة من تاريخ أرذول ، الذي هو أغنى المصادر جميعا ، وهذه الشذرة أيضا هي التي تتباين كثيرا في مظاهرها المتعددة في روايات الهرقليات والموجز .

وسيكون واضحا الآن أي تحويل في التأكيد والاهتمام أنا على وشك الدفاع عنه : إنه التحول تجاه المخطوط « د» لهذه الفترة ١١٨٤ ـ ١١٩٧ وكان الاهمال المحزن لهذا المخطوط والنتيجة التي يؤسف لها ، وربما التي لا مفر منها ، انزاله الى الحواشي الذيلية وهي كثيرا ما كانت غير مرضية جدا في راشيل ، ورذسمان وحده هو الذي حقق اي فائدة هامة من بعض مذوعاته الهامة [٩] ، وتبقى مذوعات اخرى كثيرة غير مستثمرة بالمرة ، وليس هذا القول بالطبع بأن الروايات الأخرى في تلك الفترة عديمة القيمة ، فرواية غولبرت فونتنبلو (أ ـ ب) تحتوي على سبيل المثال بشكل خاص على معلومات عن غزو قبرص [١٠] ، لايوجد في اي رواية اخرى ، مع انه لا علاقة لها بأرذول الأصلي ، وتبقى ثمينة مثلها مثل اي رواية اخرى عن الأحداث نفسها ، والتي اعتقد مصنف واحد على الأقل انها افضل من تلك التي قدمها ارذول ، لأن ارذول لم يكن شاهد عيان لكل الأحداث التي يرويها.

وقيمة « د » هي ببساطة انها كانت في هذه الفترة ، أدق اعادة اخراج باق لنا ، من تاريخ أرذول ، وفي هذا القسم هناك بالطبع بعض أجزاء أكثر قيمة من أخرى ، والقيمة تختلف بحسب عاملين : اذا ما كانت المعلومات لشاهد عيان أم لا ، وما هو القدر المعروف انه من مصادر اخرى تبرهن انها ذات قابلية ثابتة للاعتماد عليها ، وهكذا مع انه لدينا من مصادر اخرى كميات كبيرة من

المعلومات حول معركة حطين وسقوط بيت المقدس ، وحول الفترة التي سبقت مباشرة ، وتلت تلك الأحداث ورواية أرنول كما نقلها مصنفو الهرقليات والموجز ، وبشكل خاص من قبل مصنف « د » هي عالية القيمة كثيرا لسببين :

انها رواية شاهد عيان ، وانها أعطتنا التفسير الوحيد للأحداث مقدما من قبل فرنجي بلدي ومؤيد بالوقت نفسه لريموند صاحب طرابلس .

وعن الجزء المبكر من الحملة الصليبية الثالثة من جانب آخر كما سبق أن قلنا يجب الافتراض أن أرنول أقل امكانية للاعتماد عليه ، مع ان تفسيره يبقى هاما ، ولكن منذ ساعة وصول كل من رتشارد ، وفيليب اغسطس الى فلسطين (١١) ، حيث كان ارنول كما تبرهن لنا انه كان يشارك مرة اخرى بالنشاطات ، وتلقي صورة رتشارد بشكل خاص بعض الضوء الجديد على شخصية شهيرة ، لأن الصفات التي جعلت رتشارد ، غير شعبي عند الملوك الاوروبيين الآخرين ، ومكره الذي كثيرا ما كان يقارب الخيانة ، وانفراده بالأهداف التي وسمت بالقسوة ، وبذلك سميت ، وبراعته في التعامل مع المسلمين هي على سبيل المثال ، كانت بالضبط تلك التي ضمنت له نجاحا شعبيا مع الفرنجة البلديين ، وكانت الافكار المثالية عن الحرب المقدسة مقبولة جدا في أوربا وصالحة لها ، لكن في سورية كانت الأعمال العسكرية الصحيحة والسياسة الاستراتيجية هي التي تحتل المكانة ٠

وهناك موضوع يقدم تاريخ هرقل والموجز وبشكل خاص المخطوط « د » عنه قدرا كبيرا من المعلومات وهو مذكور بقدر صغير في المجرى العام للتواريخ (خلافا للعربية) الغربية ، إنه السياسة الداخلية للشرق الاوسط ، خاصة دولة ارمينية ، وعلاقاتها مع الدول الصليبية ، وهنا تتعزز قيمة التواريخ كثيرا أمام ندرة المصادر الاخرى ، وتزداد أكثر من أي شيء آخر ، لكن لا يجوز

التقليل من قيمة هذه المصادر وازدراؤها على هذا الاساس ، وفوق كل شيء هنا ربما أكثر من أي مكان آخر نحرز أفضل تبصر ، بالحالة التي كانت عليها مملكة بيت المقدس وامارة أنطاكية بين الدول المجاورة لها ، وهنا ندرك مدى البعد عن أوروبا وعن السياسة الأوروبية وفق ما كانت عليه آنذاك ، وعن قدر الانشغال بقارة مختلفة كليا ، مختلفة في عقليتها ، وفي آليتها السياسية ، وفي ثقافتها ككل ، وهذا بدوره يغير رأينا في أرنول وتاريخه ، ويجعلنا نرى أنه وإن كان مكتوبا بالفرنسية ، غير أن عوالمه منفصلة تماما عن عوالم التواريخ الفرنسية الحقيقية في تلك الفترة ، لنقل مثلا عن فلهاردين و جوانفيل ، إذ مع أن احدهما استقر في الشرق ، وأمضى الآخر عددا من السنوات هناك ، فإن كل منهما بقي فرنسيا لا في مجرد اللغة ، بل في العقلية ايضا ، وبالنسبة للقارىء الاوربي الغربي ان تاريخ ارنول كما يمكن تتبعه في المخطوط « د » بشكل خاص يكشف عن عالم جديد بصورة مؤكدة بالضبط مثلما تفعل كتابات معاصريه من العرب .

وباختصار اذا ، ان تاريخ أرنول قيم للغاية كمصدر تاريخي لأنه يعطينا معلومات لا يمكن الحصول عليها من اي مكان آخر ، ولأنه فريد تقريبا في تفاسيره ، وهو يقف في هذا المجال في منتصف الطريق بين نصين رئيسيين من التواريخ : عربي وأوروبي ، والروايات المختلفة من الهرقليات والموجز ذات أهمية بالدرجة الاولى على أساس معيار تمثيلها الصحيح لأرنول ، وبناء عليه ان القسم ١١٨٤ ـ ١١٩٧ من رواية « د » هو الى حد بعيد أعلى الجميع أهمية وقيمة ومع أن تاريخ أرنول قد حظي منذ وقت طويل بتقدير المؤرخين فإن هذا التقدير قد عطل ، والمدى الكامل لجدارة أرنول قد طمس بقدر كبير ، بايلاء الاهتمام للنصوص الخاطئة ، ومن ثم ظهر ارنول أضعف كثيرا ، قد لون باللون الغربي ، وذلك من خلال الممارسة العامة بالاشارة الى الموجز على أنه « ارنول » افتراضا على اساس ، النصف الأول من عنوان طبعة ماس لاتري ، وفي الحقيقة مال جميع المؤرخين منذ ايام ماس لاتري الى قبول آرائه

ومحصلاته حول مؤلف الموجز ، وذلك بتأكيد أعظم وقبول أشد مما هو نفسه قد ادعى أصلا ، وبالنسبة للهرقليات ، إن الرواية الرئيسية من طبعة راشيل أي رواية « أ ـ ب » هي التي كانت البؤرة الرئيسية لاهتمام المؤرخين ، لكون السبب افتراضا هو نفسه وهو انهم اتبعوا الدليل المعطى ضمنا في بنية الطبعة ومقدمتها ، وهكذا كانت قدرة المحقق في خلق وعدم خلق نصه ، وهكذا كانت قدرة التفاؤل التي تقبل بها قراؤه استنتاجاته مهما كانت درجة التردد التي قدم بها نفسه هذه الاستنتاجات ، وبناء عليه لم يكن عبثا ولانزوة أن ماس لاتري نفسه أعطى طبعته عنوانا مزدوجا هو « تاريخ أرذول وبرنارد الخازن » وقد أظهر فحص آخر النص ان هذا الحذر له ما يسوغه تماما ،لكن العنوان كان طويلا ، وقد قدر له أن يختصر بالاستعمال الدائم ، والنتيجة التي لا مفر منها ، حتى أن حذر ماس لاتري قد ذهب دون أن يؤبه به كثيرا .

وبشكل مثالي لانجاز المضمون الثالث لهذه الدراسة ، قد يحب المرء ان يرى تنقيحا كاملا للجهاز المضال للأسماء الذي أصبحت به النصوص بالتدريج مذ انه من الواضح ان الاسم المعطى الى نص ما هو عامل رئيسي في تحديد درجة المصداقية التي ينسبها القارىء اليه ، وسوف يرجح دائما في النهاية على اي شيء يمكن ان يقوله المحقق في المقدمة ، وبناء عليه يكون من الافضل ان لانسمي ان النص باسم ارذول ، طالما انه ولانص باق الآن يمكنه ان يتحمل المسؤولية

الكاملة لعمل أرذول غير المتبدل أو المعدل ، وحتى رواية « د» هي في احسن الاحوال عمل متبني القسم ١١٨٤ ـ ١١٧٩ ، والقسم المتقدم على ١١٨٤ معروف لدينا فقط في الرواية المختصرة كثيرا جدا ، والمزيفة للموجز وكما بين المخطط (١٢) كانت أصالة هذه النصوص بعيدة جدا عن البساطة ، وعلاوة على ذلك فإن المخطط يكون على مسافة أو عدة مسافات من المخطوط الأصلي لنصه ، مع

كل المداخلات الكتابية المربكة التي يتضمنها هذا ، وعليه بينما يعترف بنص المخطوط « د » على أنه من ١١٨٤ الى ١١٩٧ اقرب مالدينا من أرذول يجب أن نؤكد مع ذلك أن هناك مسافة معينة ، ويحتمل أن تكون مسافة كبيرة بينهما ، ذلك أن تاريخ أرذول الحقيقي مفقود بالنسبة لنا .

ماذا اذا نسمي النصوص ؟ ان اسم « تاريخ هرقل » غير ضار أبدا كعنوان لمتن الترجمة والذيول ، طالما أنه لايقول شيئا عن تأليف النص أو المصدر أو المضمون ، أو في الواقع عن أي شيء سوى الكلمات الافتتاحية ، ولهذا لاحاجة لنا لأي تحفظات حول الاستمرار في استعمال اسم الفئة التي ترشحه لوحدها بقوة ، هذا ويمكن لهذا الاسم ان يتبنى بطرق مختلفة ليصف الروايات العديدة : فنص « أ — ب » مثلا يمكن أن يسمى (كما هو الحال بالفعل) تاريخ هرقل برواية غولبرت فونتيذبلو ويمكن أن يصبح نص « غ ج » معروفا باسم رواية ذوالي لتاريخ هرقل ، متخذين له اسما كما فعل النص المعروف باسم « نيل دي روثلين » المستعار من اسم أقدم متملك معروف للمخطوط ، ويجب بالتأكيد أن يسمى نص « د » باسم تاريخ هرقل حسب مخطوطة ليون ، والاكثر صعوبة هي المشكلة المثارة بفعل الروايات العديدة للموجز ، وفيما يتعلق (١٣) بنص ١٢٣٢ إن العنوان البديهي هو تاريخ برنارد الخازن ، طالما أننا نعرف بالتأكيد أنه قد صنفه ، وأن أرذول عمل فقط كمصدر له ، غير أنه عرف باسم تاريخ أرذول لفترة طويلة جدا ، هي بكل دقة مائة سنة بالضبط حتى الآن حتى أن مثل هذا التغيير الكلي في الاسم سيسبب بلا شك تشويشا لا نهاية له و يحدث ضررا أكبر من الفائدة المقابلة ، وفي الوقت نفسه إنه من غير المرغوب فيه حقا في المضي في تسميته بتاريخ أرذول ليس فقط لأنه ليس تاريخه بل لأنه حتى ليس شبيها جيدا به في الجزء الأكثر جوهرية ، وهو ١١٨٤ — ١١٩٧ ، وقبل ١١٨٤ يمكن الاعتماد عليه فقط كحقيقة قائمة لعدم توفر الأفضل ، وأفضل تسوية كما يبدو هي أن ندعوه باسم « تاريخ أرذول — برنارد » وهو اسم

- ٣٧٤٦ -

مماثل بشكل معقول للاسم الحالي ، ثم إنه وإن لم يحمل الحقيقة الكاملة ، فانه يحمل على الاقل بعض الحقيقة حول النص ، وهي أن أرنول هو أحد مصادره الرئيسية ، وبرنارد هو مصنفه ، واقصر روايات الموجز التي تنتهي في ١٢٢٧ و ١٢٢٩ [١٤] لاتستعمل بالعادة منفصلة عن رواية ١٢٣٢ ، طالما أنها لاتقدم شيئا هاما لايوجد في أرنول – برنارد ، ولكن اذا دعت الحاجة الى اسم متميز ، على سبيل المثال لتسهيل مناقشة هذه النصوص يمكن أن يكون هذا الاسم هو « موجز أرنول » مقدما مرة أخرى رابطة ذات مثال متقدم ، وايضا تعديلا لصالح الدقة ، واذا ما أمكن تطوير مجال كامل الأسماء ، وتم تبنيه بهذه الطريقة ، فإنه سوف يعني أن استعمالا أكثر تمييزا من ذي قبل يمكن تحقيقه من النصوص ، لاسيما في الاماكن الحيوية حيث تتصادم مع بعضها بعضا ، طالما أننا عندئذ سنكون متأكدين مما يعنيه أحد بقوله « أرنول – برنارد » بينما في الوقت الحالي ، إن أحد النواحي بالغة التشويش في المناقشات النصية ، هي أن المرء لايستطيع مطلقا أن يكون متأكدا تماما مالذي يعنيه ناقد واحد مثلا ، بتاريخ أرنول ، ونظام الأسماء المقترح هنا ليس مثاليا بأي حال ولكنه على الاقل يعني أن قضية المصداقية في النصوص لن يحكم عليها تماما مسبقا في ذهن القارىء بالعناوين المستعملة لتسميتها وتمييزها.

ورابع المضامين المذكورة أعلاه وآخرها أن معالجة أكثر حذرا بكثير للتواريخ مرغوب فيها ، على أن يبقى في الذهن أي نوع من النصوص هم في الحقيقة . ومالذي قصده كل واحد من مؤلفيها أن يكتب ؟ وأبسط طريقة للاجابة على هذا السؤال الجوهري هي افتراض السلسلة المتصلة ، التي لها من طرف مصادر ، هي عبارة عن تقارير معاصرة للأحداث ، أو أحوال الامور – سجل الأبرشية أو الدائرة – مثلا وفي الطرف الآخر كل أنواع الابداع الأدبي الصرف ، الذي لم يكن لدى مؤلفيه تصور في أن يكون عملهم مستودعا لمعلومات دقيقة ، إنما قصدوا ببساطة شد انتباه قرائهم

اليهم ، ويمكن لكتاباتهم مع ذلك أن تقدم عرضيا كمصادر ، مع أن هذا سيكون بطريقة مختلفة تماما عن النوع الاول من الوثائق ، وحسبما قال غلادستون : ان أشعار هوميروس في أرفع معنى تاريخية ذلك أنها سجل للاخلاق والطبائع والمشاعر والأذواق ، والاعراف والبلاد والمبادىء والمؤسسات (١٥) .

ان هذه بينة ولكنها من أكثر الأنواع غير مباشرة ، ويجب أن تفسر بصورة مختلفة جدا عن بينة وثائق الوقائع المقصودة والاكثر صراحة ، وبين هذين الطرفين لأي نص بالضرورة مكان دائم في هذه السلسلة ، وعلى سبيل المثال بين تحليل الموجز كيف تفاوت انشغال مؤلفه بالوقائع الصحيحة بدرجة كبيرة من جزء في النص الى آخر (١٦) . ولكن من الجوهري أن نسأل أنفسنا قبل استعمال أي نص : مالذي أراد مصنف النص أن يكتب ؟ والاخفاق في طرح هذا السؤال ، والتمييز بين النصوص ، مع ارتباطها السطحي ببعضها بعضا ، مختلف جوهريا في النوع ، ويمكن أن تكون له نتائج غير مرغوب فيها وسنتفحص الآن مثلا منها .

أعطى مؤرخ واحد فقط بعض الاهتمام للترجمة الفرنسية لتاريخ وليم وأعني هنا برور ، ففي بحثه عن استعمار المملكة اللاتينية (١٧) ، استخدم مرارا وتكرارا الفروق بين التاريخ وترجمته ، وتعلق استخدامه الاعظم لهذه الفروق حول تأسيس قلعة الشوبك في سنة ١١١٥ ، فقد تحدث وليم الصوري كيف جلب الملك سكانا الى القلعة بقوله « ... وضع حامية من الفرسان والجنود المشاة هنالك وأعطاها ممتلكات واسعة » (١٨)

وعلق برور على كلمة « ممتلكات » : لأن ما معنى كلمة « ممتلكات » هذه لدى وليم الصوري ؟ وأزال المترجم والشارح الفرنسي جميع الشكوك ، وأضاف معلقا على الحادث بقوله :

'Il [i.e. rei] i fist remanoir de sa gent chevaliers, sergens, villains gaengneors, et à toz douna granz teneures en la terre selonc ce que chascun estoit.'

وهكذا بين انه كان بين الذين نالوا الممتلكات بعض الفلاحين ، ومن المهم ملاحظة انهم لم يكونوا من السكان الاصليين للمنطقة بل كانوا رجالا جلبهم الملك مع حملته الى الجنوب (١٩) وألآن ما الذي أراد المترجم أن يحققه في عمله ؟

يفترض برور هنا انه كان يعمل على إخراج ترجمة بقدر مايستطيع من الدقة لكتاب تاريخ وليم ، وفي الحقيقة يبقى أفضل ان نقول أن اضافاته غير الكثيرة الى نصه ، قصد بها أن تكون شرحا للكلمات الصعبة ، ولم تكن انحرافات عن روح نصه ومعناه ، بل كانت توضيحات تمت عن معرفة ،وفي الواقع واضح مما نعرف عنه ، وعن عمله أن كل اهتماماته تعلقت بالتبسيط الشعبي أكثر منه بالنقل بدقة ، وأنه كرجل فرنسي كان يعمل في الربع الثاني من القرن الثالث عشر ، لم يكن بأي حال في وضع يجعله يعرف التفاصيل الدقيقة من هذا النوع ، ويحتمل أنه كانت لديه فكرة صغيرة جدا عمن كان هؤلاء الذين نالوا الممتلكات ، ولاتقدم أي كلمة فرنسية قديمة نفسها كترجمة مباشرة لهذا الاصطلاح ، وهكذا اخرج هذا الأداء الحر مكملا النقص في المعرفة من خياله الخصيب ، ومعطيا رواية أكثر تلوينا عما كان عليه الاصل المحترم ، وكان يقدم للقارىء الفرنسي عملا مشهورا أكثر مما ينبغي لأن تكون حاجة للاشارات الخارجية للاحترام ، مما يعتقد أن الأسلوب الرفيع يمكن أن يمنحه ، ولعل الذي التمسه هو أن يجعله اجمل مايمكن لجمهور كان بالطبع مهتما بالتاريخ الذي كتبه وليم أكثر منه بقصة ساحرة عن انجازات الجيوش فيما وراء البحر ، وأكثر من سجل ذي دقة مطلقة بالوقائع ، وكان تاريخ هرقل يعرف أحيانا باسم « رومان دي ايراكل » وهذا لم يكن عنوانا دقيقا لأنه كان مايزال تاريخا في جوهره ، ولكن ليس تاريخا بدون دلالات .

وهذا المثال يخدم لبيان كيف أن المعالجة المختلفة لكاتبين (في هذه الحالة وليم ومترجمه) المادة نفسها يمكن أن تعني أن معالجة مختلفة كانت مطلوبة أيضا من كل من يحاول تفسير معانيهما ، وفحص هذه المجموعة من التواريخ قد بين أنها تغطي كامل المجال من الكتابة التاريخية الاكثر رصانة الى القصص الخيالية ، واوضح وليم لنا في تاريخه أنه راى في نفسه مؤرخا ، وأن هدفه من الكتابة كان تدوين سجل للأجيال المقبلة بأدق طريقه ممكنه وأكثرها حيادا دون أخذ بالاعتبار لمشاعره الخاصة بالأمر ، وموقفه الثيوقراطي الواضح لم يخرب رؤيته للتاريخ كسياق سبب وأثر ، وهو في الواقع كما وصفه رنسمان (٢٠) كان واحدا من أعظم مؤرخي العصور الوسطى ، ونحتاج فقط أن نأخذ بعين الاعتبار تعاطفه المعلن – الكهنوتي والملكي – وبعض عدم الدقة الذي لا مفر منه ، قبل أن نضع ثقتنا في عمله ، وبالمقابل كان مترجمه في اشتغاله وانشغاله المسبق رجل أدب ولم يكن مؤرخا ، ويمكن لعمله أن يخبرنا بشكل غير مباشر بقدر كبير حول الاختلافات في أذواق جمهور القراء ، مثلما هو الاختلاف المفترض بين مؤلف التاريخ ومترجمه ، وأيضا شيئا حول كيف تصورت فرنسا القرن الثالث عشر ، بلاد ما وراء البحار في القرن الثاني عشر ،ولكنه كمصدر للمعلومات الواقعية لا يحتاج التوصية بنفسه بالمرة ، وإذا استعمل هكذا يجب أن يكون فقط مع أكبر التحفظات . (٢١)

وتظهر هذه المقارنة بين التاريخ وترجمته الى الفرنسية بوضوح كيف يمكن لمنتجات مختلفة جدا أن تنطلق من المادة الاساسية نفسها ببساطة لأنها استخدمت بطريقة مختلفة ، وقصد متباين ، ويصبح هذا حتى أكثر وضوحا عندما نتأمل الهوة التي تفصل بين التواريخ الصحيحة والذيول الصحيحة من جهة والمصنفات المختلفة أي الموجز وتاريخ ما وراء البحار من جانب آخر ، وسيكون افراطا في التبسيط ، ولكنه ليس بدون فائدة ، الاعتقاد بأن الأول (الموجز) يمكن مقارنته (مع أنه أدنى بكثير) مع تاريخ وليم والثاني (تاريخ

ما وراء البحار) كأنه مؤلف بروح أكثر شبها بروح مترجم وليم ، وإن التمييز بالطبع بين الجنسين من التاريخ والخيال في أذهان مؤلفيها لا بد أنه كان كالتمييز بين الحقيقة والخيال بشكل عام ، وضبابي جدا لكي يكون غير مفهوم عمليا ، ولكن مازال ضروريا لنا أن نسأل أنفسنا عندما نستعمل هذه النصوص التي يميلون بأكبر قوة نحو مناقضتها ، بالتالي أي نوع من البينة منطقيا يمكن أن نتوقع منها ؟ ،

وهكذا فإن الموجز لكونه كما رأينا عمليا تبسيطا ، وإن يكن بالاحرى غير ناجح ، يمكن على المستوى الواقعي أن لا يفعل شيئا أكثر من تكمله مصادر أخرى أكثر اكتمالا ، ولكن يعطينا أيضا بالاهتمام الذي منحه للعام ١١٨٧ [٢٢] بعض التلميحات الى الأهمية الكبيرة التى أولاها الغرب لضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، والطريقة الدرامية التي تم التعامل بها مع هذه الأحداث ، ويرينا الاعداد المسرحي الذي هيء (والاستعارة اختيرت قصدا) لهم أيضا كيف أصبحت قصص بيت المقدس ترى من ضوء ليس غير مشابه للجو نصف الضبابي ، ونصف البطولي الذي أحاط بقصة أرثر ، وهذه ناحية قدر لها أن تجد تعبيرها النهائي والاكثر وضوحا مع كاكستون [٢٣]

ومثل هذا في حالة مواد تاريخ ما وراء البحار ، لا يمكن لاحتجاجات المصنف بنظرته بازدراء اليهم « كحكايات رومانسية » أن تخفي ميله الخاص اليهم حسبما تبين من الاقحامين الخياليين ، اللذين سبق ووصفناهما [٢٤] ، والمادة التاريخية الظاهرة التي يقدمها لنا هذا النص ، والتي ما أراد المؤلف حقا ان ينتجه كان قصصا رومانسيا عن صلاح الدين ، وفي هذا نجح بشكل مثير للاعجاب ، ونظرته للتمييز بين الحقيقة والخيال طفيفة. حتى أننا لا نستطيع أن نخاطر بالتصديق بدون فحص دقيق لأي شيء يقوله ، ولكن ما أراد لنا أن نصدقه كان صحيحا ، وبشكل خاص حول صلاح الدين نفسه ، وهذه هي الناحية الاكثر اهمية في

عمله ، وهي الناحية الأجدر بالدراسة القريبة ، وبكلمات أخرى : إن هذا النص ليس لديه على ما يبدو قدرا كبيرا يسهم به في معارفنا عن التاريخ السياسي للملكة اللاتينية ، ولكنه أضاف بينة جديدة للمسألة المساوية في الأهمية ، وهي مسألة الصورة الشعبية لصلاح الدين في الغرب .

ومع الذيول كما تتعارض مع هذه التواريخ القصيرة ، نحن فوق أرض أكثر أمنا بعض الشيء ، والفخ الرئيسي الواجب تفاديه هنا هو الاعتقاد أو الافتراض أن الذيول قد كتبت هكذا كما هي ، لأن هذا وان كان صحيحا بالنسبة لبعضها إنه غير صحيح بالنسبة الجميع ، فتاريخ أرذول وهو أحد المصادر الرئيسية التي استخدمها مصنفو الذيول ، يبدو أنه كتب كما رأينا كمسوغ لسياسات الابلينيين في فترة حرجة من تاريخ بلادهم ، وقد بقيت هذه الناحية بعد الآثار المعدلة للتنقيح بدرجات مختلفة في الروايات العديدة التي استخدمته ، ولكن بعيدا عن الانتقاص من قيمته بوساطة بينة انحياز آرذول ، ببساطة لأنه انحياز واضح جدا ، مما يفقده كثيرا من خطره ، ويضيف الى القيمة الاخبارية لعمله الفرصة المتاحة لنا لرؤية المملكة اللاتينية من خلال عيني فرنجي بلدي ، ويضيف هذا بدوره قليلا لمعرفتنا الهزيلة حول مجتمع خلف القليل جدا من الأثر الثقافي ، وهو مع أنه كان أوربيا بجذوره وموارثيه ، فإنه في الحقيقة أكثر غموضا بالنسبة لنا منه للجيران العرب الغرباء كليا ، والذين لديهم تراثهم الثقافي القوي جدا ، وتاريخ أرذول هو الى الحد الذي يمكننا فيه أن نتعقبه ، هو الى جانب كونه سجلا لكيفية سقوط بيت المقدس ، والصليب المقدس في أيدي المسلمين هو أيضا سجل « للأخلاق والطبائع والمشاعر والأذواق » لحضارة عاشت قليلا لكنها كانت حضارة متميزة .

ولا يمكننا أن نكرر كثيرا جدا الحقيقة المؤسفة أنه حتى تظهر مخطوطات جديدة ، الأكثر احتمالا أنه تاريخ أرذول سيظل مفقودا الى الأبد ، ولكننا نستطيع أن نخفف من وقع هذه الخسارة بعض

الشيء بتوجيه الاهتمام المستحق للنص الأكثر شبها به وصدورا عنه ، وأعني به قسم ١١٨٤ ـ ١١٩٧ من مخطوطة ليون من تاريخ هرقل (أي نص د) الذي لم يتلق حتى الآن الاهتمام الذي هو جدير به ، ويمكننا أيضا أن نتفادى الاضرار بأرنول باعارة اسمه لعمل قصير بسط شعبيا ذلك أنه غير لائق به بأي شكل من الأشكال ، أو إعارة مصداقيته لقطع أخرى من النص التي وضعها سوء الحظ وحده الى جانب عمله ، كما ويجب أن لا نضع ثقتنا في أي من هذه التواريخ على الأقل ليس الثقة التي لا تستدعي أي تساؤل ، لأننا يجب أن نأخذ دائما في الحسبان أنه من بين كل مؤلفيها ومصنفيها فقط الأول منها والأعظم أي وليم الصوري هو الذي كتب بوعي وضمير كمؤرخ لأيامه ، وكان لدى كل خلفائه بواعث أقل صفاء بكثير ، ويجب أن لا ندع لقناعتنا بأساليبهم مجالا لأن تدغدغنا بقبول غير متحرز بكل ما استهدفوا أن نصدقه ، وليس هذا القول بأن الهدف (أو ما يجب أن يؤمل ، أو النتيجة) من هذه الدراسة كان « إثبات سخف كل ماكتب حتى الآن واعادتنا الى الجهل مرة أخرى » بل الأحرى تقديم بعض المفاتيح لبناء هذه المتاهة المعقدة ، وفي الوقت نفسه تأكيد أننا لا يمكن مطلقا أن نتحمل التقليل من شأن تعقيدها ، ولكن الاستعمال الحكيم لهذه التواريخ يمكن أن يسمح لنا بأن نستخلص منها شيئا ما ، مع أنه ليس القصة التي تسبب أرنول بأن تسجل كتابة ، يمكنها أن تخبرنا بقدر كبير مما حدث في زمانه ، وكيف بدا ذلك لمعاصريه ، وهكذا فإن عمله كعمل وليم مع أنه بأسلوب أقل مباشرة يمكن في النهاية أن يستخدم كسجل لتقدم ثم سقوط المملكة اللاتينية في بيت المقدس .

الملحق رقم ١

مخطوطتا : القديس أومر ٧٢٢ وليون ٨٢٨

المخطوط رقم ٧٢٢ في مكتبة بلدية القديس أومر ، وهـو مجلد ورقـي مـن ١٦٣ ورقـة ، وبـالاضافة الى ورقتين فارغتين ، ومحتوياته كما يلي :

١ـ قطعة من « تاريخ القدس » تأليف جاك دي فيتري ـ أسقف عكا :

Incipit (f.1a): Innocens li apostoles de Rome vaut savoir les usages et les costumes les contrees des passages de le terre des Sarrasins. Explicit (f.4a): Toutes ces choses manda li patriarches al apostole Innocent et a l'eglyse de Rome.

٢ـ الأولمبياد أو فقدان القدس تأليف بيير دي بوفياس :

Incipit (f.4a): Lonc tans devant l'incarnation Nostre Segnor fu une chités en Gresse qui avoit non Elyde. Explicit (f.4b): A m ans et IIII vins et vii le reprist Salehadins. Or sont xiij fois. Encore le tiennent Sarrasin, Dieus par sa debonaireté le nous rende.

٣ـ تاريخ أرذول مع ذكر اسم المؤلف :

. Incipit (f.4b): Or entendés conment le terre de Iherusalem et le Sainte Crois fu conquise des Sarrasins sor Crestiiens (ff. 39b ff.)

يحتوي هذا النص على وصف فلسطين والقـدس ويأتـي على ذكر ارذول بالاسم

f. 32b, col 2: Dont fist descendre i sien vallet qui avoit non Ernous. Ce fu cil qui cest conte fist metre en escrit. Explicit (f.91b): Apres s'amassa grant gens et grant ost et ala encontre le roi Jehan. Et manda son fil en Alemaigne.

٤ـ حياة شارلمان :

Incipit (f.92a): Ci commence le vie KM si come il conquist Espaigne.

وهذا المخطوط لم يكن معروفا لماس لاتـري عندمـا أعد طبعتـه للموجز في ١٨٧١ ولكنه كان معروفا لدى راينت الذي ضمنه كرقـم ١٣ في كتابه « مصنف جـامع لمخـطوطات هـرقل » الذي نشر في سجلات الشرق اللاتيني لعام ١٨٨٠ ـ ١٨٨١ وهـو مفيد مـن عدة وجهات نظر تتجمع لتجعل منه قطعة هامة مفقودة في صورتنا الكاملة عن تطور الموجز .

ويمدنا مخطوط القديس أومر ، ٧٢٢ بنسختنا الثالثة من موجز ١٢٢٩ ، والأخرى هي بروكسل ١١١٤٢ (مخطوط ماس لاتـري الأساس) وب . ن . ف . فر ٧٨١ مع ذكر واسـع لاسـم أرنول كمؤلف بالاضافة الى هنين الاثنين والى موجز ١٢٢٧ الموجـود في برن ٤١ وهـو لايشابه النسختين الآخريين لموجـز ١٢٢٩ على أي حال من ناحية هامة ، اعني أنه لايرتبط به على أي صورة والقطعة التي تبدأ بجملة : « سـنة تجسـيد مـولانا » ، ويحـوي بروكسل-١١١٤٢ هذه بالصورة التي طبع بها من قبل مـاس لاتـري مثبتة في نهاية نص الموجـز ويحـويها ايضـا في ب ن ٧٨١ في النهاية في صورة حتى أطول تمتد لبعض الطـريق بعـد نهـاية رواية بروكسل ، وعليه فان مخطوط القديس أومـر ٧٢٢ هـو النسـخة الوحيدة من موجز ١٢٢٩ الذي لاتوجد فيه هذه الشريحـة والتـي يسمح لنا بأن نرى الشريحة لاجل ماهي قطعة من نص غير مـرتبط بالموجز الا بهوية مواضيعها ، وملتصقة بلا فائدة بنهاية مـن قبـل احد الكتاب الذي نسخ النص كمـا هـو مـوجود في القـديس أومر ٧٢٢ ، وأعتقـد أنه مـن المناسـب أن يتـابع الى شيء مشابه ، وهـو الذي على مـايبدو لم يتمـه أبـدا في بـروكسل١١١٤٢ بـالنظر للرواية الأطـول البـاقية في ب . ن ٧٨١ وبطريقة مابناء عليه يصور القديس أومر ٧٢٢ بـذاته عائلة مختلفة مـن النصـوص (اذا كان بـالامكان اسـتعمال كلمة « عائلة » حيث يوجد فقط عضو واحد) وهـذا هـو مـوجز ١٢٢٩ قبل ان تضاف الشريحة غير ذات العلاقة اليه ، ويشـوش قضية العلاقة بينه وبين القديس أومـر ٧٢٢ أن مـوجز ١٢٢٩ له

وجود مستقل ، ويصور النص في مرحلة أبكر في تطورة من أي من المخطوطات التي كانت معروفة لماس لاتري ، ويتوجب على أي محقق جديد للموجز أن يأخذ مخطوط القديس أومر بجدية أعظم ، وهناك امكانات كبيرة في أن تقوم طبعة جديدة عليه بدلا من القيام على مخطوط بروكسل ١١١٤٢ الذي يجب أن يغطي نصا تاليا دون اعتبار لتواريخ المخطوطات طالما أنه سبق للشريحة أن أضيفت هنا ، ويجب على المرء أن يضيف أنه مستحيل بشكل غير قابل للاثبات أن المصنف قد نسخ نصا من عائلة بروكسل١١١٤٢ مستبعدا الشريحة وهكذا أخرج نص القديس اومر ، ولكن يبدو أنه بكلمة واحدة ذلك غير وارد بالبتة .

أما بالنسبة لتاريخ مخطوط القديس أومر ٧٢٢ فهو قد أعطي في الفهرس ومن قبل راينت الذي يحتمل أنه قد اعتمد في هذا على تأريخ أمين المكتبة ــ على أنه القرن الرابع عشر ، ولكن الدكتور جارو سلاف فولدا من جامعة نورث كارولينا شابيل هل قد أثبت أن المنمنمات ومن ثم المخطوط ذاته لايمكن أن يكون تاريخه أبعد من القرن الثالث عشر (١) .

ونقطة واحدة أخيرة حول المخطوط هي أنه أتى من دير القديس بيرتين وهو بيت بندكتي (لم يبق منه سوى الأطلال) ومكانه في القديس أومر ، وهذا يثبت حتى بوضوح ارتباط الموجز بهذه المنطقة من فرنسا ، وماهو أكثر فان القديس أومر يقع على أقل من ..١ كيلو مترا من طيران الغراب عن بيت بندكتي أكثر شهرة ، هو غوربي ، ونعرف أنه كان اجراء شائعا بين البيوت الدينية ان تعير بعضها بعضا كتبا ، أحيانا لافساح المجال لأخذ نسخة لمكتبة الدير ولدينا الآن نصان ــ القديس أومر ٧٢٢ وتاريخ برنارد الخازن - المثبت باحكام ببيوت المرتبة نفسها وقريبة نسبيا من بعضها بعضا ، وعلاوة على ذلك فان تحديد هوية (مرة أخرى من قبل الدكتور فولدا) كل من مخطوطي تاريخ ماوراء البحار وب . ن . ف . فر . ٧٧. و ١٢٢. ، بأنهما زينا في هذا الجزء

نفسه من فرنسا يعطينا نصا متعلقا آخر ، مرتبط بالناحية نفسها ، ويبدو أن شمال شرق فرنسا وفلاندرز لم تعط فقط كثيرا من الحملات الصليبية بل ايضا كثيرا من التواريخ المتعلقة بالحروب الصليبية ، لأسباب يوجد هنا فقط وقت لذكرها كتخمينات : انها ربما الرخاء العام للمنطقة وكذلك الوجود الكثيف للبيوت البندكتيه ، التي أمكن لفرق النسخ فيها أن تقدم كل التسهيلات الضرورية ، وفوق كل شيء الطريق الذي مالت فيه الصليبية لأن تصبح تقليدا عائليا كما فعلت في عائلة جوانفيل وفي قادة قلاع القديس أومر ـ الفوكمبرغ ، وباختصار بأخذ القيمة الاجمالية لنص القديس أومر بحد ذاته بالاعتبار والبنية التي يقدمها عندما ينظر اليه في علاقته بالنصوص الأخرى ، وما سبق معرفته حولها ، نرى ان راينت لم يكن مبالغا بالحد الأدنى عندما وصف هذا المخطوط بالثمين جدا (٢) .

وبالانتقال الآن الى مخطوط ليون ، نجد حتى أكثر لنتعلم منه ، لا بل حتى الكثير من القيمة كما أصبح واضحا في مجرى هذه الدراسة انه مجلد من قطع الربع كبير « بقياس ١٢ بوصة × ٥ر٨ » بوصة مكون من ٣٨١ ورقة ، بالاضافة الى ثلاث ورقات بيضاء ، وهو مكتوب بأيد عديدة في عامودين من ٣٩ سطر للعامود وبه ٢٣ من المنمنمات ، وهذه كلها كبيرة نوعا ما ، وبشكل نموذجي بعمق ثلاث بوصات واتساع كامل العمود وذات أهمية خاصة لمؤرخي الفن ، الذين يعرفونها بأنها من عمل ورشة عكا (٣) .

ومايمكن ملاحظته ان المنمنمات ترد فقط في ترجمة وليم ، وليس في جزء النيل من النص ، والمخطوط ليس مؤرخا بالضبط ولكن الصور يعتقد من قبل بوخثال بأنها شبيهة جدا بصور مخطوط عكاوي آخر ، حتى أنه يمكن ادراك أنهما من عمل المعلم نفسه ، وأعطي هذا المخطوط الثاني تاريخا هو حوالي ١٢٨٠ ، وكان هذا المخطوط في أحد الأوقات تابعا للكلية

اليسوعية في ليون ، وتذكر رقعة مكتوبة أثبتت على أول الكتـاب انه قد أعطي لها في ١٦٩٨ من قبل شخص يدعى ملكور فيلبـرت وهـو الآن ملك لمكتبة المجلس البلدي ويحمـل رقـم ٨٢٨ (مـن قبـل ٨١٥ و ٧٣٢) في مجموعتهم .

والخط في القسم الأعظم كبير ، ومقروء بوضوح ولكن عددا مـن الصفحات قد بهتت وأصبح من الصعب ،ويجمل أحيانا من المتعذر ، قراءتها والصعوبات ليست على أي حال بقدر مايمكن بشكل معقـول استنتاجه ، من قراءة طبعة هـذا المخـطوط في صـور مختلفـة في راشيل ، حيث الكثير من المسافات الفـارغة غير الضرورية والكثير من القراءات الخاطئة بدرجة كبيرة ، ولاحاجة للاسهاب في الحـديث عن أهمية هـذا المخـطوط الناقـد التـاريخي ، والنص على السواء ـ وقد سبق أن رأينا أن نصـه فـريد وحيوي لفهمنا لتعـدد روايات الهرقليات ، والحاجة الى طبعة جديدة واضحة وفي الحقيقة يمكن المرء أن يقوم ببساطة بطبعة طـالما أن طبعـة راشـيل له غير مقروءة في صورتها ، وغير أهـل أيضـا للاعتمـاد عليهـا ، ولكن السؤال هـو ، مالذي يجب تحقيقه بالضبط ؟ وبـالنسبة للمـؤرخين ماهـو مطلوب هـو طبعة جزئية لهذا الجـزء مـن النص الذي يعتمـد مباشرة وبدقة على تـاريخ أرنول ، والذي يحـوي كثيرا جـدا مـن المعلومات القيمة لهم ، وهـو القسم ١١٨٤ ـ ١١٩٧ ، وهذا أيضا القسم الذي يهتم به أكثر دارس النص ، ولكن تبقى حقيقة أن طبعة جزئية في كثير من الاحوال غير مرضية كثيرا له. والبديل مع ذلك هـو تحقيق كامل النص ، اي جميع ال ٣٨١ ورقة منه ، وهذا سـيكون طويلا ، والى حد بعيد غير مثمر تماما لانه ما مـن احـد سـيكون مهتما بقراءة الترجمة الصحيحية ، ثم إن القسم ١١٩٨ ـ ١٢٣١ ليس فيه خلاف جوهري عن الموجز الذي سبق تحقيقه بشـكل واف ومناسب من قبل ماس لا تري .

والقسم ١٢٣١ ـ ١٢٤٨ مشابه تقريبا القسم نفسه من المخطوطات الاساسية في راشيل ، وهو مرة أخرى كاف بشكل مناسب في هذا المجال ، والمشكلات المثارة هكذا بفعل مسألة تحقيق هذا المخطوط هي في حد ذاتها ليست دلالة سيئة على التشكيلة الواسعة من الاهتمامات التي تخدمها ، وعندما نسأل انفسنا ، ماذا تكون حالة معرفتنا حول كتاب تاريخ هرقل بدون هذا المخطوط فإن الجواب سيكون محبطا بدرجة كافية ، وفيما يتعلق بتتبع الصورة الاصلية لتاريخ أرذول ، فإن هذا يكون مستحيلا ، وقد أصدر ماس لاتري تعليقا عابرا فقط حول النص (٤) ، لكنه كان مصيبا مرة أخرى.

الملحق رقم ٢

الفرنجة البلديون ـ البوليانز ـ

لا يتصل المعنى الذي ينسب عادة لهذه الكلمة من قبل مصنفي المعاجم بدقة الاستعمال الجاري لها من قبل مؤلفي اللغة الفرنسية القديمة ، ويتفق كل من توبلر لوماتش وغودفري ـ والملاحظة الواردة في نيل روثلين (راشيل ـ ج ٢ ص ٦٣٣ ، ملاحظة ب) في وصف البوليانز بأنهم أبناء زيجات مختلطة بين الفرنجة ، والسوريين ، ولكن النصوص لا تؤيد ذلك ، ويقتبس كل من توبلر لوماتش وغودفري فقرة من جوانفيل قيل فيها : « الناس من الفلاحين والبوليانز » فهو لم يقل شيئا حول تحدرهم المختلط ، وواضح من السياق أن كلمة « فلاحين » اصطلاح أراد به هنا بكل بساطة الفقراء من سكان فلسطين ، وهؤلاء « الفقراء » في مواجهة الاوربيين مثل جوانفيل نفسه ، لم يشكلوا طائفة اجتماعية ، ولم يكن من المستبعد أنها حوت أناسا من الشريحة الراقية ولدوا في الدول الصليبية ، ولم يستبعد أيضا الذين كانوا من سلالة فرنسية صرفة ، ويتفق هذا مع استعمال الاصطلاح نفسه في نص « د » من تاريخ هرقل (انظر راشيل ج ٢ ص ٦٣ ، « د » متنوع) حيث وصف البوليانز « بجيل الفقراء » و « بأبناء المملكة » وذلك في مقابل الفرنجة الوافدين ـ البوتيفينز ـ وهم الذين لم يلدوا في المملكة بل أنهم ، جاءوا من أوروبا مع غي لوزنغنان ، ومرة ثانية ما من شيء محدد حول تحدر البوليانز ، ومن المؤكد أن الطائفة المواجهة البوتيفينز حوت أعداد كبيرة من الناس الذين لم يكن تحدرهم الفرنسي وأصلهم الصافي موضع أي شك ، ولنضرب هنا مثلا بالاخوة الابلينيين ، وريموند صاحب طرابلس ، ونكتفي هنا بالاسماء ذات الشهرة الواسعة والوصف الاكثر تفصيلا ووضوحا

البوليانز موجود في « تاريخ المشرق » و « تاريخ القدس » لجاك دي فيتري حيث أن هناك فصل كامل (فصل ٧٣ من طبعة ١٥٩٧ و ٧٢ في النص الوارد في كتاب بونغراس أعمال الفرنجة) أوقف على وصف البوليانز ، ويوجد هنا عدة نقاط جديرة بالملاحظة ، أولاها أن جاك دي فيتري مثله مثل النصوص الاخرى لم يقل أي شيء عن البوليانز أنهم سلالة خليطة ، وكل ما قاله بكل بساطة أنهم انحدروا من الصليبيين الاصليين مع انهم غير جديرين بوراثة ما استولى عليه آبائهم:

'ex supradictis peregrinis . . . procedentes', albeit

مع انهم غير جدرين بوراثة ما استولى عليه ابائهم:

Generatio enim prava atque perversa, filii scelerati et degeneres, homines corrupti, et legis divinae praevaricatores, ex supradictis peregrinis, viris religiosis Deo acceptis, et hominibus gratiosis, tanquam faex ex vino, et amurca ex oleo, quasi lolium ex frumento, et rubigo ex argento procedentes, paternis possessionibus, sed non moribus successerunt; bonis temporalibus abutentes, quae parentes eorum ad honorem Dei contra impios strenue dimicantes, proprii sanguinis effusione sunt adepti. *Filii autem eorum, qui Pullani nominantur* . . . (Bongars i. 1088-9, my italics.)

وهذه الفقرة مشابهة بشكل مدهش لوصف وليم لابناء قومه ، كأبناء متدهورين لآباء نبلاء ، وفي الحقيقة استعمل المؤلفان الكلمة نفسها في عدة أماكن ، من ذلك قول وليم : « ونجد لدى دراستنا لهذا الوضع المعاصر بدقة وعمق ونحن متطلعون العون من الرب ، خالق كل شيء ، أن السبب الاول الذي يقدم نفسه هو أن أجدادنا كانوا رجالا متينين ويخافون الرب ، وقد قام مقامهم الآن جيل شرير وأبناء آثمون مزيفون للعقيدة المسيحية يتبعون سبل جمع الاشياء المحرمة دونما تمييز ، وهم أشبه ، أو حتى أسوأ من الذين قالوا لربهم : ابعدعنا ، وبمعرفة طرقك لانسر ، ويسحب الرب بعدل تأييده من هؤلاء بسبب خطاياهم ، وكأنما أثير سخطه ، هؤلاء هم رجال العصر الحالي ، وخاصة القاطنون في الشرق ، كما أن المرء الذي سيتولى بقلم حذر وصف أخلاقهم أو بالاحرى رذائلهم الوحشية المرعبة سيقف عاجزا أمام هول المادة وضخامتها ، وسيبدو بالاختصار بأنه يكتب مقطوعة هجائية أكثر

منه يصنف تاريخا » (راشيل ج ١ ص ١٠١٥ ـ الترجمة العربية ص ٩٧٩ ـ ٩٨٠) .

ولو أن البوليانز لدى رجال دي فيتري أو « الابناء الآثمون » لدى تاريخ وليم كانوا جزئيا من أصل سوري ، لكان هذا زود هذين المؤلفين بأحسن وسيلة للاعتذار ، لكن ما من واحد منهما فعل ذلك .
ثانيا : يتفق دي فيتري مع تاريخ هرقل في فصل البوليانز كطائفة ، ليس على أساس العرق ، بل بالأحرى على أساس أنهم قد ولدوا في الشرق ، وذلك مقابل الفرنسيين المتروبولتان ، أو أولئك الذين ولدوا في الغرب بشكل عام .

. . nisi Francos et *Occidentales populos* secum haberent, plusquam sexum foeminum non formidarent' (Bongars, loc. cit., my italics).

وفي مكان آخر ميزهم عن المجتمعات الايطالية المختلفة في فلسطين ، وهو ما يوحي ربما بأن البوليانز كانوا من أصل فرنسي أكثر منهم من أصل أوروبي بشكل عام .

ثالثا : ويصف دي فيتري الموقف السياسي للبوليانز نحو المسلمين كما يلي :

'Ipsi autem cum Saracenis foedus ineuntes . . . et bella civilia inter se concitantes, et plerumque ab inimicis fidei nostrae contra Christianos auxilium postulantes' (Bongars, loc. cit.).

وهذه بالضبط هي التهم التي وجهها المؤرخون الأوروبيون الى بارونات الفرنجة المولودين في سورية ، خاصة ريموند صاحب طرابلس وبالين دي ابلن ، في أنهم أبرموا مواثيق مع المسلمين ، وأضاعوا الوقت والطاقة وهم يتشاجرون فيما بينهم ، والتمسوا مساعدة المسلمين ضد المسيحيين .

وإذا كان دي فيتري قد عنى بالبوليانز شعبا من سلالة

فرنجية – سورية خليطة ، كان لديه فرصا عديدة ليقول هذا – أصله السوري جزئيا يمكن أن يقدم كأفضل التفاسير وضوحا من أي من المزايا والسمات المقتبسة أعلاه ، وأيضا من اخرى من عاداتهم التي ذكرها فيما بعد ، وهي في ابقاء زوجاتهم تحت حراسة مشددة داخل البيت ، وهذه الأخيرة عزاها لا لتحدرهم من شعب كان مثل هذا لديه عاديا ، ولكن لطبائعهم الغيورة . أما بالنسبة لاشتقاق كلمة بوليانز فإن توبلر لماتس ، فقد رآها كمعنى موسع للاسم الشائع : *polain<pullus,*

وهو صغير الحيوان ، وهذا يتطابق بالضبط مع ما رأيناه لدى استعماله من قبل جاك دي فيتري : كان البوليانز هم ذراري الصليبيين ، الذين قارنهم دي فيتري مثله مثل وليم مع آبائهم الصليبيين الأصليين ، وفي تاريخ هرقل أيضا هم ليسوا جيل المهاجرين الاول من أوروبا ، مثل غي وأتباعه ، بل : « أبناء المملكة » أي ، ذرية المهاجرين . مدعيا بأن هذا في الواقع هو أصل الكلمة ، الأمر الذي لا يبدو هناك أي سبب للشك فيه ، والمضمون النهائي هو أن البوليانز كانوا على الأقل مستعمرين من الجيل الثاني ، ولم يكونوا بالمرة من دم خليط .



ذيل

تاريخ وليم الصوري (١١٨٤ ـ ١١٩٧)

حققته مرغريت روث مورغان



تقديم

من المتوارث والمتعارف عليه أن مخطوط ونص نيل تاريخ وليم الصوري كثير التعقيد ، ولو عدنا الى ماقبل عشرين سنة لوجدنا انفسنا بعيدين عن أن نعرف كل شيء عن موضوعه ، وفيما يتعلق بالطبعة الحالية ، لها هدف واحد متواضع هو أن تضع في متناول مؤرخي الحروب الصليبية واحدا من نيول تاريخ وليم الصوري وهو المخطوط رقم ٨٢٨ في مكتبة مدينة ليون ، وليس المجال هنا متوفر للرجوع الى جميع تفاصيل الدراسة – المتقدمة – التي أوقفناها على النيول ، حيث كانت النتيجة هي لفت الانتباه الى أهمية نص ليون .

وسنكتفي هنا بتلخيص الجوهري والمهم من دراستنا المتقدمة مضيفين اليها بعض التعديلات مع شيء من التعمق الذي توفر نتيجة أبحاثنا منذ عام ١٩٧٣ ، هذا وسيتاح للقارىء تحديد النص المتعامل معه من بين المجموعات العائد اليها والتي لايمكن فصله عنها ، ذلك أنه يوجد اليوم تسع وأربعون مخطوطة معروفة من تاريخ هرقل ، وجاء تحت هذا الاسم منذ زمن بعيد الترجمة الفرنسية لتاريخ وليم الصوري الكبير مع النيول التي ألحقت به ، وكنا قد أعطينا المخطوطات الرئيسية رموزا ، هذا ونجد بين التسع وأربعين مخطوطة أربع وأربعين منها مرتبطة على الأقل بالمخطوطة الكبيرة « غ » ، ولايوجد طابع واحد يجمع المخطوطات في أسرة واحدة ، بل على العكس يمكن أن نرى عدة منها، ومع هذا ان هذه المخطوطات وان أعطتنا نصوصا ذات مجال قابل للتبديل ، وقراءات متنوعة ، انها تمنحنا المصنف نفسه ، وأعني بذلك النص نفسه الذي يقدم لنا المادة ذاتها ، وتبقى لدينا المخطوطات الخمس التي غضضنا النظر عنها وهي المخطوطات : أ – ب . س . و د من راشيل و المخطوطة «بلوتس»

« ٦١ ـ ١٠ » في مكتبة لورانتي في فلورنسا ، وقد استخدمت المخطوطة الأولى مع الثانية كأساس لطبعة راشيل ، وبدايتهما هي سنة ١١٨٤ (نهاية تاريخ وليم) ونهايتهما سنة ١٢٢٩ ، وهما تقدمان نصا متطابقا ـ فيما يخص أكبر جزء من الرواية ـ مع مجموعة « غ » مع شيء من الخلافات أحيانا ، ولكنها خلافات هامة ، ومنذ عام ١٢٢٩ فصاعدا يشكل المخطوطان « أ ـ ب » و مخطوط « غ » مخطوطا واحدا حتى سنة ١٢٤٨ ، حيث يبدأ المخطوط « أ » بالالتحاق بنديل روثلين ، في حين يتابع المخطوط « ب » التحاقه بالمخطوط « غ » حتى سنة ١٢٦٤ حيث يتوقف ، ومن الممكن القول إن العلاقات بين الروايات « أ ـ ب » و « غ » غير ثابتة الى بعض الحدود ، ويمكن للقارىء أن يرى بأم عينيه في راشيل وجود بعض التشابه بالمظاهر في الصيغ ، ومن فوائد وضعها في صفحة واحدة أنه تتضح لنا السبل التي تنفصل به هذه المخطوطات أو تنتظم عدة مرات .

ولننتقل الآن الى الرواية « س » هنا ، في هذه الحالة سنتردد طويلا بالحديث عن مؤلف مستقل مادام نصه لايمكن أن يبتعد كثيرا عن « غ » وهكذا سيجد قارىء « ي » من راشيل بعض النصوص الخاصة بمخطوط « س » ولكنه سيلاحظ أحيانا أن مصنف المخطوط « س » لم يقم الا بتعديل نص « غ » باختصاره كثيرا دون أن يجدد فيه شيئا ، وهكذا نرى في « س » نوعا من التقارب العائلي مع « غ » .

أما بالنسبة لمخطوط « د » الذي هو الأصل المعتمد لطبعتنا ، أجد انه من غير الضروري تكرار الأسباب العديدة التي حدت بنا أن نرى فيه بينة واحدة وثمينة جدا الحقبة ١١٨٤ ـ ١١٩٧ ، ولنذكر هنا بمسألة أساسية هي أن هذا النص لايحتوي على ماكتبه أرنول مباشرة ، ومع هذا إننا من خلاله نستطيع التوصل الى تحصيل فكرة عما كان عليه كتاب أرنول ، وهنا سبب من الأسباب الرئيسية التي فرضت علينا العمل

على طباعة مخطوط « د » هذا ، يضاف الى هذا أن مصنف هذا المخطوط كان أمامه أثناء عمله نموذج من عائلة « غ » ونموذج آخر من عائلة « ب » ونموذج ثالث ، ان لم يكن كتاب أرذول نفسه كان قريبا منه كثيرا .

ومن أجل حقبة ١١٨٤ ـ ١١٩٧ ، أحدث مصنف النص خليطا لم يكن دوما عقلانيا ، وقام ذلك على المصدرين الآخرين ، وانضم بعد هذا التاريخ (موت هنري دي شامبين وتتويج ايزابيل « سيبيل » نهائيا الى عائلة « غ » ولم يفارقها بعد ذلك ، ولهذا قد يقال بعد ذلك إن نص « د » يخلو اعتبارا من عام ١١٩٧ من الفائدة الخاصة لأنه لم يتعد كونه نسخة اضافية المؤلف « غ » ، ويعطينا نص « د » هذا التاريخ بالمشاركة مع « أ ـ ب » وأحيانا مع « غ » في جزء من أخباره كثيرا من النصوص الطويلة التي هي غير موجودة في أي مكان آخر ، مما يؤكد أنها بأصولها غير متصلة نهائيا لابالمخطوط « غ » ولابالمخطوط « أ ـ ب » وهكذا نشكر أصالة هذا المؤلف لأنه احتفظ لنا بالشيء الذي غيره من المؤلفين حكم لأسباب ما ، أنه غير مفيد ادخاله في مجموعة مصنفاتهم .

وتبقى أمامنا مخطوطة فلورانسا حيث يبدو أنها منقولة عن رواية « غ » وهكذا لم نضف أولها ، وفيما يتعلق بأكبر قسم بقي من النص يبقى التناظر دقيقا ، ولكن هناك بين صفحات ٢٩١ و ٣٠٣ بعض النصوص التي لايمكن أن تكون قد أتت من غير عائلة « د » وأحرص هنا على توجيه الشكر الى الدكتور ادبري الذي لفت انتباهي الى هذا القسم من مخطوطة فلورنسا ـ ويتبين لنا من تفحص مخطوطتي ليون أنه ولا واحدة من الاثنتين كانت نموذجا للأخرى ، انهما بالأحرى نسختان لا بل نقول انهما ايضا تكييفان من نموذج مشترك لهذا الجزء من النص فقط ، وباختصار تحتوي مخطوطة فلورنسا مجموعة خليطة لمؤلفي « غ » و « د » ، وأكبر جزء من نصها يخص فصيلة

عائلة « غ » وليس له فائدة محتملة لهذا المؤلف ، والجزء الآخر مختصر كثيرا ، ويتعلق بنص « د » ولهذا استعملناه ونشرناه مع « د » .

ومن جديد ماذا تعلمنا مخطوطة فلورنسا عن نيول تاريخ وليم الصوري ؟ انها من حيث المبدأ زادت عدد المؤلفات المعروفة في هذا الباب ، وعرفنا من قبل أن طرائق المصنفين قامت على جمع مواد وجدت في مصنفات أخرى مع اضافة بعض الشيء من لدنهم ، وهذه الطريقة ذاتها اتبعها مصنف مخطوطة فلورنسا ، فقد اعتمد كأساس له نص « غ » ثم وضع محل جزء من هذا النص شطرا قابله في نص « د » وأضاف الى هذا كله تنييلا جديدا من عنده بدأه من آخر نص « غ » حتى غاية عام ١٢٧٧ ، وبهذا توصل الى تصنيف نص جديد في مجمله ان لم يكن في عناصره .

وهكذا تطلعنا مخطوطة فلورنسا على أن مخطوطة « د » التي هي الآن وحيدة ، لم تكن دائما متوفرة ، وأن مصنف « د » قد وجد ربما منها مخطوطتان ، التي نعرفها الآن وأخرى استخدمها مصنف مخطوط فلورنسا وهي مفقودة الآن ، ونستخلص من هذا نتيجة هامة هي ان نص « د » لكونه كان قليل الانتشار لم يكن عملا محرفا أبعد عن الأصل من قبل الناسخ ، وبفضله لدينا مخطوطة ليون ، ونلاحظ أيضا بما أن الناسخ لربما نسخ أحيانا بشيء من قلة العناية المؤسفة ، و يضفي هذا على مخطوط فلورنسا مزيدا من الأهمية لكن لن نستفيد في التعرف الى محتوى المخطوطة المفقودة الا قليلا لأن الذي احتفظ به مصنف مخطوط فلورنسا كان قليلا ، ومع هذا هناك بعض الفوائد الثمينة ، فصحيح عرفنا أن صاحب نص فلورنسا اطلع على أصل يشبه أصل مخطوطة ليون ، لكن في نص فلورنسا نصين اسقطهما ناسخ مخطوطة « د » ، ومع ذلك يبدو أن ناسخ « د » لم يضف شيئا الى الاصل الذي اعتمده ، ومع هذا ينبغي علينا التمسك هنا بالجذر لأن مصنف مخطوطة فلورنسا برهن لنا في كل مكان عن اتجاهه نحو الاختصار ، فقد بتر شطرا من نصه

المتعلق بنص « غ » والشيء نفسه قام به مع الجزء الذي هو موضع اهتمامنا ، ولقد كان أحيانا يتبع مصدره كلمة كلمة ، لكنه غالبا ما اختصر وحذف مارآه زائدا من كلمات أو لأسباب لغوية ، وبتر أحيانا مقاطع مع نصوص كاملة ، لعله اعتبرها مفسرة ، ومن هنا قام بعض التعارض في روايته ، وظهر ذلك من خلال عرضه ، فمثلا روى لنا وفاة أسقف بيت لحم ودي أوبري دي ريمس وكأنه حدثنا عن ذلك من قبل ، مع أنه لم يفعل ذلك ، بل إنه قفز فوق المكان الذي له نظير في نص « د » حيث نحن أمام سفارتهم الى صلاح الدين .

لكن اذا كان هذا المصنف كان يميل الى الايجاز نعرف على العكس ان مصنف « د» كان يستطرد ثم يخرج بسهولة مبتعدا عن موضوعه ليقدم لنا منشورات تاريخية وتعليقات شخصية ، أو بكل بساطة تفاصيل جذابة أو مثيرة للاعجاب ، ونعرف أيضا أنه كان مصنفا أحمق أساء التوفيق بين مصادره وضاع في سياق الأحداث ، وكرر لنا الشيء نفسه ثلاث مرات حول أحاديث مختلفة ، وعلى عكسه كان مصنف نص فلورنسا ، لقد كان ذكيا وفنانا : قام بواجبه لينتج لنا أثرا جيد التأليف ، منسجما وواضحا وذلك انطلاقا من مادة صعبة وقاسية ، وذلك ان الحقيقة التاريخية لاتتم دائما الا بالرواية المنطقية المتسلسلة ، فهناك حوادث بعيدة الواحدة عن الأخرى بالمكان والزمان من الممكن ان تلتقي وتترابط بالتحليل السياسي ، وهنا هل ينبغي اتباع خط تسلسل الحوادث أم خط الفكر ؟ انها مسألة منهج وطريقة ، بيد أن مصنف مخطوطة ليون لم يعبث بنصه الى حد التشويه ، بل إنه أنتج من انعدام النظام لديه رواية حية هامة ومثقفة ، ومع ذلك انها غامضة ايضا لكنها توشك أثناء العرض ان تتصل بالقارىء ، وليس علينا الا أن ننظر الى الصفحة ١٠٨ ومايليها من الطبعة الحالية لنتعرف الى الطرائق المختلفة بالعرض لدى هذين المصنفين أثناء معالجة الحكاية لموضوع واحد ، ليكن مثلا احتلال قبرص أو احتلال عكا ، فهنا تتشابه الروايتان بشكل ضيق ، لكن تختلف بالوقت نفسه في وصف أحداث كثيرة في بلدان أخرى ، وبالنظر الى هذا التباين في الروايات وجدنا

من الضروري اضافة اعادات للأجزاء المقابلة الواردة في النص الآخر .

وأمام هذا التباين في العقليتين لانستطيع القول بالتأكيد فيما اذا كان هذا النص أو ذاك قد حذف من قبل أحدهما أو اضيف من قبل الآخر ، فالفصل الذي يصف وصول الألمان الى عكا موجود بالمكان نفسه في نصوص « أ - ب » وس و غ ، وفلورنسا ، ومن المحتمل ان عدم وجوده في مخطوطة « د » جاء بسبب اسقاطه من قبل ناسخها ، ان كان هذا الفصل قد وجد أصلا في مخطوطة الاصل التي اعتمدها ، وفي حالة تاريخ ملك أرمينية نذكب على استخلاص نتيجة عكسية ، حيث نعثر على هذا التاريخ في جميع الذيول ولكن بصيغ مختلفة وفي أماكن متنوعة ايضا ، ويبدو لنا أن هذا التاريخ قد انتشر تحت صيغة مستقلة (نشرة دعائية بدون شك لأن لاون توج ملكا على أرمينية من قبل هنري دي شامبين) واستخدمها كل مذيل اختياريا ، ففي مخطوطة « د » جاء مكان هذا التاريخ ووضعه سيئا جدا ، حيث عرض إثر الحديث عن وفاة هنري ، وذلك في الوقت الذي انضمت فيه مخطوطة « د » الى مخطوطة « غ » وعلى عكس ماقام به مخطوط « د » نجد أن مصنف مخطوطة فلورنسا - وهو منطقي دائما - فضل هنا أن يثبت هذا التاريخ في مكانه ضمن سياق الأحداث ، أي قبل موت هنري ، لكن مامن شيء يخبرنا أنه وجد ذلك في مخطوطة من عائلة « د » .

وفي الحالة العكسية التي تعني أن بعض النصوص موجودة في مخطوطة « د » ومحذوفة في مخطوطة فلورنسا يمكن القول بالتأكيد أن الاسقاط كان متعمدا من جانب مخطوط فلورنسا فقد حدثنا هذا المخطوط علنا أثناء رواية أخبار سفارة الألمان لدى اسحق كومينين عن نيته بحذف بعض التفاصيل التي تعيق تقدم روايته ، وبالعكس ان بعض النصوص الموجودة فقط في مخطوطة « د» ربما هي من عمل ناسخ هذه المخطوطة ، وهذا ماتبين لي عام ١٩٧٣ أثناء التعليق على طباع الامبراطور فريدريك الثاني ، الذي هو غير

موجود في مخطوطة فلورنسا ، وبشكل عام عمل نيل فلورنسا على اختصار مواده بمنهجية ، بينما تاه نيل ليون بكل سهولة ، وهذا ماحال بيننا وبين معرفة المضمون الدقيق لأصلهما المشترك .

ومن أجل سعة هذا النموذج الاصل ليس بامكان مخطوطة فلورنسا أبدا أن توضح لنا التاريخ الذي بدأت فيه الرواية ، وليس مؤكدا أن ذلك كان الوقت نفسه الذي بدأ فيه نيل فلورنسا ، وسبب هذا أننا نجد في مخطوط فلورنسا مقطعا واحداً لعله نقل بالصدفة من رواية « د » ليدخل في سياق الحديث ، وجاء هذا لدى روايته أخبار حصار القدس ، ونستنتج من ذلك أنه كان أمام عيني الناسخ أو المصنف نسخة من « د » احتوت على هذا الجزء من النيل ، لكنه لم يستخدم هذه النسخة بشكل منهجي الا من أجل الجزء الملحق بتصنيفه التنظيمي ، أما بالنسبة لنهاية النموذج المشترك بين « د » وفلورنسا لانعرف شيئا مطلقا ، وثابت بما أن مخطوط فلورنسا توقف عن اعطاء رواية « د » نفسها في الوقت الدقيق لموت هنري دي شامبين ، أن هذا يؤكد النتائج التي استخلصناها من بينات أخرى ، ومن الممكن أيضا أن مخطوط مصنف « د » الذي كان نموذجا أصيلا لمخطوطتي ليون وفلورنسا ، قد توقف في ذلك التاريخ ، ومن أجل ذلك بدأ آنذاك مصنف نص مخطوط ليون اكمال تنييله اعتمادا على مخطوطة من عائلة « غ » ومن المؤكد الى حدما أن نموذج أصل « د » وفلورنسا من النيول لم يقدم بعد ١١٩٧ مواد لها أهمية خاصة .

وخلاصة القول أن معرفتنا المعمقة عن مخطوطة فلورنسا لم تغير غير القليل من تقديرنا للنيول التي نعرف منها الآن خمسة مؤلفات هي « أ و ب وس » و «د » و«ف ل ، وغ » ومن مؤلف « غ » وحده انتشرت في أوربا ، وبين الأربع والاربعين مخطوطة من « غ » ثلاث منها أتت من عكا وواحدة من لومبارديا ، وواحدة من روما ، وواحدة من انكلترا ، وأتى الباقي جميعا أي الثمان والثلاثين مخطوطة من فرنسا ومن

فلاندرز ، ولاتوجد المؤلفات الاخرى الا في خمس مخطوطات هي التي تحمل في راشيل وفي عملنا الحروف الاولى « أ ـ ب ـ س ـ د ـ ف ل » ومخطوطة « أ » وحدها اتت من عكا ، ولايوجد نسخة أخرى عنها في مكان اخر .

وهكذا لاتتفق مخطوطة ليون ٨٢٨ في مجملها مع أي مخطوطة اخرى معروفة من النيول ، ونتعامل معها هنا كمخطوطة وحيدة النص الذي تحتويه ، ويجب أن نبين أن هذه لكونها نتاج ناسخ قليل العناية ، تحتوي على عدد معتبر من النصوص الغامضة والطنانة الى حد أن المنضد في مطبعتي ، وأن كان ملتزما ، وجد أن عليه التدخل والتصحيح ، ولهذا هناك ثلاث طرائق تبنيناها أثناء النشر ، جاء كل منها حسب الحالات ، ففي الحالات التي لايوجد المتعامل معه في أي مخطوطة أخرى أعطيناه اضطرارا قراءة حدسية او تخمينية ، وابدلنا في مكان اخر قراءة غير مقبولة في « د » بقراءة من « ب » وذلك في أجزاء من النص حيث وجدت علاقة واضحة بين المؤلفين ، وبدت لنا احيانا قراءات في « د » مقبولة ولكنها غامضة ، وحينئذ لم نصحح نص « د » ولكننا اقتصرنا عن التوضيح باعطاء قراءة من « ب » في الحاشية ، ومن أجل الجزء الأخير من النص الذي نتولى طباعته استخدمنا مخطوطة فلورنسا كأداة رقابة وضبط لمخطوطة « د » وطبعنا منها النص كاملا في مقابل نص ليون ، وفي الأماكن التي اتضح فيها أن ذلك كان مستحيلا بسبب الوضعية المختلفة المادة نفسها ، تولت الحواشي توجيه القارىء نحو الصفحات المقابلة في نص ليون .

المخطوطات التي استخدمناها هي كما يلي :

مخطوطة ٨٢٨ في مكتبة مدينة ليون ورمز اليها بحرف « د » من قبل الذين تولوا تحقيق راشيل ، واحتفظنا برمز الحرف الاول في

جميع الحالات الممكنة ، وبالنسبة لمخطوطة عكا التي يعود تاريخها الى حوالي سنة ١٢٨٠ ، فقد كان يتملكها في القرن السابع عشر ملكيور فيلبرت ، وهو تاجر من سكان مدينة ليون ، وقد أهدى هذا المخطوط في سنة ١٦٩٨ الى الكلية اليسوعية في ليون ، ومن الكلية هذه انتقل الى مكتبه بلدية ليون ، وهذا المخطوط ورقي ، صفحاته ذوات عمودين ، والكتابة بشكل عام مقروءة بشكل جيد ، باستثناء بعض المحلات ، حيث هي مطموسة جزئيا ، وكلمة واحدة قاومت جهودنا لحل رموز خطوطها ، وهي اسم أسقف « دي بوي » (ص ٩٨) ويبدو أن هذا الاسم قد محي عمدا ، ووصف هذا المخطوط بالتفصيل من قبل بوختال وكذلك من قبل فولدا .

ـ مخطوط بلوتوس ٦١ ـ ١٠ في مكتبة لورانتي في فلورنسا ، وهي نسخة ورقية كتبت على عمودين ، ونسخة من عكا تاريخها حوالي سنة ١٢٩٠ ، وقد دون على غلافها : « العبور الى الاراضي المقدسة واحتلالها باللغة الدارجة لأحد المؤلفين » وكتبت الاوراق ١ ـ ٨ على وجه واحد ، وامتلات بملاحق اختصرت تاريخ هرقل الموجود في بقية المخطوطة ، وفي هذه الملاحق ايضا بعض الاضافات لأحداث أخرى وقعت في دول الصليبيين ، وكانت هذه المخطوطة بين مخطوطات اسرة مدتشي ، خطها مقروء بشكل جيد في كل المواضع ، منمنماتها جميلة بشكل منقطع النظير وقد حظيت بدراسة مفصلة من قبل فولدا ، وقد رمز لها محققو راشيل بالحرفين « ف ل » وقد احتفظنا بهذا الرمز في الطبعة الحالية .

ـ مخطوط ٢٦٢٨ وهو ملك المكتبة الوطنية الفرنسية ، ورقي كتب على عمودين ، وقد نسخ الجزء الاول منه في عكا سنة ١٢٦٠ والجزء الثاني في حوالي سنة ١٢٨٠ ، ولقد استخدم أصلا من قبل محققي طبعة راشيل وهم الذين رمزوا له بحرف « ب » .

ولقد احترمت الكتابة السليمة للمخطوطات في كل مكان وكذلك التقسيمات والفصول والعناوين .

وأشكر هنا بكل اخلاص الاستاذة أوديت دي مورغوس ، والسيد م . فوستر ، والسيد أ . كوبي، وجميع الزملاء على كثرتهم الذين قدموا لي المساعدة بأشكال مختلفة ، وأشكر الأكاديمية البريطانية ، والسيد أرنست كاسل رئيس الهيئة التعليمية ، وجامعة كمبردج التي سهلت مساعداتها مهمتنا هذه ، ومكتبات ليون وفلورنسا وباريس ، والسيدة أ . م بولي دي لسدين ـ سكرتيرة القسم الروماني في معهد الدراسات التاريخية والنصوص ، شكري لجميع الذين أعانوني ، وفيما أنا أشكرهم جميعا أقدم هذه الطبعة لمؤرخي الحروب الصليبية على أمل أن تساعدهم وتكون بمثابة دليل داخل المتاهة الساحرة ، ألا وهي ذيول تاريخ وليم الصوري .

ذيل

تاريخ وليم الصوري ١١٨٤ ـ ١١٩٧

اعتمادا على مخطوطة مكتبة مدينة ليون رقم ٨٢٨

١ ـ وجدت كراهية شديدة بين الملك وكونت يافا ، وأخذت هذه الكراهية تزداد يوما تلو الآخر وبات هذا الشغل الشاغل الملك ، فسأل رئيس الأساقفة وليم الذي التقاه واشتكى اليه عن زواج أخته لأنه لم يكن صحيحا ولاقانونيا ، وعلم الكونت بهذا فأتى الى القدس حيث كانت زوجته مقيمة آنذاك ، وطلب منها بالحاح أن تغادر المدينة بالحال قبل أن يعود الملك من سفره ، وكان مرتابا بأن الملك لو وجدها هناك لن يسمح لها بالعودة اليه ، لذلك ألح عليها بالرجاء أن تعود الى عسقلان الى حيث كان يريد هو الذهاب حالا ، وعندما قدم الملك الى قصره بعث اليها برسالة طلب منها فيها العودة الى البلاط ، فأجابت أنها لاتستطيع فعل ذلك لأنها محتجزة بالمرض،ثم بعث اليها بعدة رسائل أخرى ، بعث بالواحدة تلو الأخرى لتعود غير أنها كانت تعتذر بسبب المرض ، وقال الملك بما أنها لاتريد الرجوع فأنا سأذهب اليها وأدعوها بنفسي ، وهكذا ارتحل يتبعه البارونات مباشرة وقصد عسقلان غير انه وجد الأبواب موصدة ، فنادى وأمر أن يفتح له ، لكن لم يأت أحد ولم يستجب انسان لما أصدره من أوامر ، وصعد أهالي المدينة الى الأسوار وتسلقوا الأبراج ووقفوا دون أن يتحرك أحد ، وهكذا انتظروا بعض الوقت ، وغادر الملك المكان مزعوجا جدا ، وأخذ طريقه مباشرة الى يافا ، وتلقاه الفرسان والجنود وصحبوه الى الداخل بدون أية مقاومة ، ثم ترك المدينة بعد ماعين لها حاكما ثم سافر من هناك الى

عكا ، ودعا الى مؤتمر يضم البارونات جميعا مع كل الاساقفة ، وعندما اجتمعوا تقدم البطريرك ومقدم الداوية (جيرارد دي ردفورت) ومقدم الاسبتارية (روجر دي مولين) من الملك وجثوا امامه وتوسلوا اليه بكل تواضع وتقوى ، وطالبوه أن يغفر المذنب ، على أساس أن يمثل كونت يافا أمامه ويعتذر اليه ، ولم يرد عليهم الملك ، وكل مافعله كان الاصغاء اليهم ، ثم أجاب مصرحا أنه لم يتخذه قط صديقا له ، ولهذا عبر عن كراهية شديدة له ، فالملك وأن كان ضعيفا في جسمه الا انه حمل حقدا عظيما في قلبه ، ثم غادر المجتمعون البلاط وتوجهوا الى خارج المدينة ،وكان على المجلس ان يجتمع ليرسل وفدا كبيرا الى فرنسا وغيرها من البلدان يطلب اغاثة بلاد يسوع المسيح وسكان الأرض ، ولكن البطريرك الذي كان عليه أن يتكلم عن هذه المسألة قد تحدث عن أمر آخر ، ولأنه لم ينجز شيئا ، فقد غادر المكان ومعه البارونات ورجالات الاكليروس ، وهكذا لم ينتج عن الاجتماع أمرا مفيدا ، ولم يتحقق ماجاءوا من أجله ، واجتمعوا للبت فيه . وسمع كونت يافا أن الملك لم يمدحه ولم يطره وأنه لا سلام ولا مصالحة،

ففكر حينئذ بما يمكن أن يزعجه به ، فقاد أكبر عدد ممكن من الفرسان ، وذهب الى قلعة الداروم حيث احتشد عدد كبير من البداة العرب الذين كانوا يرعون الحيوانات في المراعي ، وكانوا قد قدموا للملك حصة من دخولهم مقابل احاطتهم بعنايته ووضعهم تحت حمايته ورعايته ، وبذلك رقدوا بأمان ، ولم ينتابهم أدنى خوف ، وباغتهم الكونت والفرسان ولم يقتلوا أحدا غير أنهم أخذوا كغنيمة كل ما وجدوه لديهم من مواشي وأمتعة وألبسة ، وحملوا ذلك كله الى عسقلان ، ولدى عودة الملك من عكا الى القدس بلغه الخبر كيف انقض الكونت غي كونت يافا على ارض الداروم ، ونهب البدو الذين كانوا تحت حمايته ، مما أغضبهم وخيب آمالهم وبعد ذلك وقع الملك مريضا ، وقدأودى ذلك المرض بحياته ، وراسل آنذاك أمير طرابلس ، لأنه كان يثق بشخصه وأمانته ، وفوض اليه بذلك الاشراف على السلطة وعلى بارونات الأرض والمملكة ، وحصل بذلك فرح عظيم وعم السرور بين صفوف البارونات وباقي

الشعب ، لأنهم قالوا لم تكن البلاد في وضع جيد من قبل ، لأن الملك لم يكن قادرا قويا ، ولم تكن السلطات كلها تحت وصاية كونت طرا بلس .

٢ – وبينما كان الملك بلدوين على فراش الموت ، استدعى اليه جميع رجالات مملكة القدس ، وأمرهم بتأدية القسم لكونت طرا بلس (ريموند الثالث) بأن تكون المملكة تحت وصايته حتى يبلغ ابن أخته بلدوين السن المناسب ، وكان قد توجه أثناء حياته ، و جعله ملكا مثلما فعل معه عمه الملك بلدوين الثالث وبهذا الشكل صار الترتيب لو أن سوء الحظ ألم بابن أخته بلدوين الملك الصغير ، الذي كان ابن أخته سيبل من المركيز وليم بن وليم الثالث العجوز ، ومات بدون ولي العهد ، ولم يكن هناك وريثا لمملكة القدس ، عليهم تنصيب ريموند صاحب طرابلس ، وليس هناك حاجة لجلب ملك من وراء البحار ، لأن ريموند متمتع بالحكمة والارادة ، وكان الملك بلدوين الرابع يعرف جيدا ان مامن أحد آخر يوجد أصلا في مملكة القدس له الحق مثلما لكونت طرابلس ، لأنه كان ابن عم الملك بلدوين الثالث ، وسبب عدم وصوله الى الملك أنه عندما انتقل الملك بلدوين من الحياة الى الموت ، تم الاتفاق على أن يكون لأخيه عموري الملك في مملكة القدس ، لأنه كان ولي العهد الحقيقي والوريث الشرعي ، ومن بعده ابنه بلدوين لأنه كان ابن اخيه .

٣ – بعد موت من يعرف باسم الملك بلدوين الثالث ، جاء أخوه عموري الى بطريرك القدس والى بارونات المملكة وطالب بتاج الملك ، لأنه كان من حقه ويعود له وليس لغيره ، فأجابه البطريرك ليس من حقك أي شيء من هذا القبيل ، والذي في مثل وضعك ليس جديرا أن تكون مملكة القدس تحت حكمه ، لكونك تحت طائلة الخطيئة المميتة ومن كان مثلك لايمكن أن يؤول اليه التاج أو أن يحمل أي لقب شرف آخر ، والجريمة أو الذنب الذي أنب عليه

البطريرك الأمير عموري ، هو أن عموري كان قد تزوج من أغنس أخت الكونت جوسلين ، لوجود قرابة بينهما توجب الابتعاد والانفصال ، ورد عموري على البطريرك قائلا انه يريد أن ينال المغفرة برحمة من الكنيسة ومنه أيضا ، وأنه سيعمل ما في وسعه للامتثال لأوامره ، فأجابه البطريرك اذا لابد لك من أن تترك ابنة عمك وتنفصل عنها ، لأنك تزوجتها ضد الرب وضد العقل ، وعند ذلك يمكنك أن تحصل على تاج مملكة القدس ، وبعدما وافق عموري على الانفصال عن أغنس ، اتفق مع البطريرك ان يراسل روما ويطلب له من الكرسي الرسولي المقدس الغفران ، وتبرئة زوجته وأولاده من الذنب ، وبعدما انفصل عموري عن السيدة توج ملكا وبات سيدا لمملكة القدس ، وفي الوقت الذي بعث عموري برسائل الى بلاد روما اقترنت أغنس بهيو دي ابلين ، وفيما بعد تزوج عموري من ماري ابنة أخي الامبراطور مانويل (وكان ذلك في ٢٩ آب ١١٦٧) ومنها ولد ابنة سماها ايزابيل ، وهي التي أصبحت فيما بعد ملكة القدس ، ولم يكن الملك بلدوين المجذوم يرغب بدخول أي أجنبي الى مملكة القدس بدون موافقة الوصي على أمر المملكة ، فضلا عن ذلك كان يعرف معرفة أكيدة أن غي لوزنغنان ليس مناسبا أبدا لأن يحكم في القدس أو أن يتمكن من تثبيت الأوضاع فيها وفي المملكة ، ثم انه ليس لأخته سيبل أي حق بالملك لأن أمها عندما انفصلت عن أبيها لم تجر تبرئة الأولاد واعتبارهم شرعيين ، لهذا رأى ان أفضل الحلول منح الوصاية الى كونت طرابلس ، وإعطاء السلطة على بارونات المملكة ورجالاتها له وحده وليس لأي انسان آخر .

٤ ـ واستجاب الكونت ريموند صاحب طرابلس ، وقال انه سيتحمل أعباء السلطة بكل رغبة ، فهو لن يخشى من الطفل خلال السنوات العشر المقبلة ، اللهم اذا لم يصبه مكروه ، أو مات أو حدث أي شيء آخر له ، وأراد أن تكون القلاع والحصون تحت حماية فرسان الداوية والاسبتارية ، وآنذاك لم تكن هناك أية هدنة بين المسلمين والمسيحيين ، وأراد ريموند أن تتثبت له السلطة خلال

عشر سنوات (حتى يبلغ بلدوين الخامس سن الرشد) انما اذا مات الملك الطفل أثناء تلك المدة فتؤول السلطة لمن هو أحق بها، وذلك استنادا الى قرار مجمع السلطة الرسولية في روما وامبراطور المانيا وملك فرنسا وملك انكلترا، فالذي يقرر هؤلاء أن له الحق بالسلطة من الورثة بين الاختان سيبل التي كانت ابنة الأميرة أغنس او ايزابيل ابنة الملكة ماري، ذلك أن الملك عموري جاء من أم لها حق بالوراثة لانها البكر بين أخواتها من الملك والملكة، ولهذا السبب لم توكل الا لمن له حق الوراثة بالبكورة، أو استنادا الى أمر مجلس السلطة العليا حسبما ذكرناه ولم توكل الى قريب ملكة طرابلس، حتى لايقع الخلاف في البلاد اذا مات الطفل، ولذلك أرادوا التمسك بما يقره المجلس الثلاثي الذي ذكرناه.

٥ — وكان هذا التدبير لصالح الملك والبارونات، وقد ارتأى هؤلاء بأن يكون الكونت جوسلين وصيا على الولد لانه كان عم أمه، وأن يحكم كونت طرابلس مدينة بيروت وتوابعها، وكان هذا تعويضا له من قبل بارونات البلاد، وعندما آن الأوان أمر الملك بتتويج الطفل، وان يحمل الى كنيسة الضريح المقدس، ويوضع على رأسه التاج، وحمله احد الفرسان على ذراعه الى هيكل الرب، وذلك لانه كان صغيرا، وكان الفارس كبيرا وعاليا، وكان اسمه بالين دي ابلين، وكان واحد من بارونات البلاد، وكانت العادة انذاك في القدس اثناء تتويج الملك ان يحمل التاج الى الضريح المقدس، ثم يحمله راعي الضريح الى الهيكل حيث وضع يسوع المسيح، وهناك يترك التاج، ومن ثم الاحتفال بانقاذ الضيف، ففي العادة عندما كانت الأم تلد اول ولد ذكر يضحى له بحمل او بحمام او بشحرور، وعندما كان الملك يقدم تاجه الى هيكل سليمان، حيث يقيم مقدم فرسان الهيكل، كانت تنصب مائدة الطعام والأكل، وما عدا اهالي القدس، فهم الذين كانوا يتولون الخدمة، فقد كان من واجبهم خدمة الملك، عند تناوله للطعام بعد تتويجه.

وبعدما توج الملك مات الملك المجذوم ، وكان قبل وفاته استدعى كل رجاله للاجتماع به في القدس ، فقدموا جميعا ، وبعد قدومهم توفي الملك ، ووقتها كان جميع بارونات الارض بين الحضور . ودفن في اليوم التالي في الجلجلة حيث دفن بقية الملوك منذ ايام غودفري دي بوليون ، لقد دفنوا في جبل الجلجلة حيث صلب يسوع المسيح بعدما واجه الالام .

٦ ـ قبل وفاة الملك وايضا قبل تتويج الطفل تمت مراسم تقديم الولاء من قبل جميع بارونات غلبلاد حسبما يحصل بين النبيل والملك ، وقدم هذا الولاء الى كونت طرابلس صاحب السلطة ، الذي اقسم بدوره اليمين امام جميع بارونات وفرسان المملكة الذين استدعاهم ، كما حصل من الاختان على الوعد بمساعدته في الحفاظ على الارض خلال عشر سنوات ، الا اذا مات الطفل وعندما توفي الملك المجذوم ، وقبل تتويج الطفل كلف الكونت جوسلين بالمحافظة عليه واخذه الى عكا ، ليرعاه ويحافظ عليه باحسن مايمكنه ، واستلم ريموند كونت طرابلس سلطة الملك .

٧ ـ وكان مما حدث في السنة الاولى من بعد وفاة الملك بلدوين المجذوم ان السماء لم تمطر في القدس ، ووجد شح بالماء للشرب ، وحدث انه كان في القدس واحد من اهلها يدعى غيرمين ، كان يقدم الخير تلقائيا ، لابل الخير الكثير في سبيل الرب ، فقد احضر احواضا الى القدس للتخفيف من ضيق العيش فيها ، وكان يتركها كل يوم مملوءة بالماء ، واليها كان يذهب كل من اراد الشرب ، وعندما رأى غرمين ان مجاري المياه قد جفت لانعدام المطر ، تألم كثيرا لانه لم يعد بامكانه متابعة عمل الخير الذي اعتاد على القيام به .

٨ ـ ولم تكن مياه نبع سلوان صالحة للشرب لانها كانت ملوثة ، ففي مياه هذا النبع كان الانسان يغسل جلود المدينة القديمة كما كانوا يغسلون الالبسة ، وكان الناس يسقون البساتين القائمة

تحت النبع في الوادي ، ومياه هذا الينبوع لاتجري ياصديقي يوم السبت ، ففي هذا اليوم يكون كل شيء هادىء ، حتى لتتساءل ماالذي حدث لهذا الينبوع .

وذات يوم بينما كان يسوع المسيح متوجها عبر المنطقة ، كان مولانا انذاك في القدس بين رسله ، وعندما عبروا الطريق رأوا رجلا بائسا بدون عيون ، وحينذاك توجه الرسل الى يسوع المسيح يسألونه فيما اذا كانت حالته بسبب خطأ من الاب او الام او الاهل ، حتى صار هكذا بدون عيون ، فاجاب يسوع المسيح : هذه الحالة ليست نتيجة خطأ للاب او الام او الاقارب ، ولكن ذلك ماحصل له ، ثم جاء يسوع المسيح وجلس هناك وتناول كاسا ووضعه امام عيني الرجل ثم امره ان يذهب ليغتسل في مياه نبع سلوان ، فذهب واغتسل ، فعاد اليه البصر ورأى الاشياء ، وبعد هذا قصد مدينة القدس ، ومضى الى اهله الذين اندهشوا كثيرا ، لدى رؤيتهم انه اصبح قادرا على الرؤية بعدما تعافى من مرضه ، وسألوه كيف رد اليه بصره ، فروى لهم ماحدث معه ، ولم يستطع احد ان يفهم كنه ماحدث وتساءلوا عن السر ، وتعلقت القضية بالبصيرة قبل العين .

٩ ـ وسأحدثكم الان عن الكونت ريموند صاحب طرابلس ، الذي كان حاكم مملكة القدس ، فهو عندما رأى انحباس الامطار ، وان الامطار لم تنزل على الارض ، وان القمح الذي بذر لم ينمو بتاتا ، خاف من هذه الحالة والوقت الصعب فاستدعى بارونات البلاد مع مقدم الداوية ومقدم الاسبتارية وتوجه اليهم بالخطاب : اي نصيحة يمكن ان تقدموا لي بشأن انحباس المطر وتأخر نمو القمح ، واخشى ان يلاحظ المسلمون مانعاني منه في هذا الموسم الجاف والصعب ، ويتعرفوا على هذا الوضع السيء ، فما رأيكم ايها السادة ، وماهي النصيحة التي تقدموها الي ، هل اقدم على ابرام هدنة مع المسلمين ، واتوسل الى صلاح الدين من اجل ذلك ؟ وبالفعل اتصل بصلاح الدين وتوسل اليه فأعطاهم صلاح الدين هدنة سنة واحدة ، وبعدما عقدت الهدنة بين المسيحيين والمسلمين ، قدم المسلمون كثيرا

من الاغنية والمؤن الى المسيحيين ، ففرجوا عنهم خلال هذه السنة الصعبة والوقت القاسي ، والذين - من المسيحيين - لم يعقدوا هدنة مع المسلمين ، ماتوا جوعا ، ولعقد كونت طرابلس هذه الهدنة مع المسلمين ، احبه سكان البلاد كثيرا وبجلوه كثيرا وباركوه .

ونسيت عندما حدثتكم عن نبع سلوان ان احدثكم عن الاحسان الذي قام به واحد من اهالي القدس . فقد قام يوم الاربعاء من الاسبوع الرابع من الصيام ، وفقا لما تحدث عنه الانجيل عن الرجل الفقير الذي اعاد له يسوع المسيح الابصار بوساطة كأس الماء وعندما امره بالذهاب الى نبع سلوان ، فلبى طلبه فاسترد بصره وبات مبصرا ، وبمناسبة هذه الذكرى ومرورها كان يتم هذا الاحسان ، فقد كانوا يحملون الاحواض الى النبع ومن ثم ملأوها بالنبيذ ثم حملوا الجنود الخبز والخمر من كل نوع ، وقدم اليهم الناس الفقراء فحصلوا على الخبز والنبيذ كما حصلوا على الماء ، وشارك الرجال والنساء وساروا ذلك اليوم للاسهام بهذا الاحسان .

١٠ - وسأحدثكم الآن عن رجل صاحب مقام رفيع أصله من لومبارديا واسمه بونيفيس وهو أبو وليم صاحب السيف الطويل ، واسمه بالحقيقة وليم الثالث وابنه بونيفيس أخو وليم صاحب السيف الطويل كان بمرتبة مركيز ، وكان هذا المركيز جد الملك بولدين الذي كان ما يزال طفلا ، وكان أبوه وليم السيف الطويل ، وكان أبو هذا ملكا ايضا ، وعندما سمع أن أخوه البكر كان ملكا سر سرورا عظيما ، وقدم اليه ، وترك الأرض الى ابنه البكر ، وتوجه مسافرا الى بلاد ما وراء البحر ، وعندما وصل الى بلاد ما وارء البحر طمأنه كثيرا الملك وكونت طرابلس وبارونات البلاد ، فقد كانوا مسرورين بمجيئه ، وآنئذ قام الملك وأعطاه قلعة قرب النهر حيث صام يسوع المسيح أربعين يوما ، ويبعد هذا المكان ستة أميال عن القدس وميلان اثنان أيضا عن النهر بجانب جبل يدعى جبل القديس الياس ، ويروي بالنسبة لهذا المسمى هلياس أنه صام عند الجبل عدة أيام ثم نام فأرسل الرب اليه الى هناك طبقا

فيه قطعة من الخبز مع بعض الماء ، وقد أيقظه الملاك ليأكل ويشرب ، فأكل وشرب وبعدما حصل هذا في ذلك المكان الذي يدعى بلد القديس الياس والذي كان يدعى قديما أفرام أرسل الرب ملاكه الى جدعون (هنا التباس جغرافي بين منطقتين هما : افرون وعلى مقربة منها دير القديس الياس ، وجبل الأربعين قرب اريحا حيث قرية هلياس) الذي تحرك في الهواء وقال انه سيذفي المدينيين الذين جاءوا لهدم بلد القديس وتخريب أرضها ، وقال جدعون أعطني اشارة تبرهن بها وتجعلني أومن بها ، وطلب منه ذلك لأنه كات من أسرة فقيرة ، وبرهنت له الشارة المقدمة اليه مع المكافأة التي حصل عليها عن رضى الرب وأنه مرسل اليه ، فقد أصبحت أرضه مملوءة بالورد بعدما كانت جافة تقريبا ، وكان في هذا اشارة الى سيدتنا .

١١ ـ وكان للمركيز بونيفيس ولد يدعى كونراد ، وكان هذا قد قرر التوجه الى بلاد ما وراء البحار بعد سفر والده حيث ابن أخيه الذي كان ملك القدس ، وبعدما أصبح على ظهر البحر لم يرغب له مولانا بالعبور ، فبعث اليه من قادة الى القسطنطينية ، فهو قد فقدالأرض ، ولما اقترفه كونراد من الآثام هو وأتباعه ، وللآثام التي اقترفها الناس في أرض القدس ، وللاغراق في الترف الذي أمر مولانا بالنزوع عنه والاقلاع ، آخرهم هنا بعض الوقت ، وحصل معه تماما مثلما حصل مع سليمان عندما غضب الرب عليه للخطيئة التي اقترفها مع امراة وثنية كانت لديه ، والتي كان يجب الا يبقيها لديه ، وجعله يكفر ببناء معبد على الجبل الذي يبعد ميلان عن القدس وثلث المسافة عن جبل الزيتون ، ثم غضب الرب من بنائه للمعبد على جبل الزيتون أكثر من غضبة من الخطيئة التي اقترفها من قبل ، فمن هناك صعد يسوع المسيح الى السماء أمام رسله وذلك بعدما انبعث من الموت الى الحياة . وقال الرب آنذاك لسليمان لقد أغضبتني ، لكن من أجل حبه لأبيه داود هدم ما بناه ، ولهذا تألم سليمان كثيرا بالتأكيد طيلة حياته ، ولم يتسلم المملكة الا قليلا من بعده ، وتركه الرب هكذا حيا محبة لأبيه داود ، وهكذا لم تنشر المسيحية في الأرض إلا محبة البشر ، وايضا ترك سليمان بن داود ،

كما ترك أيضا المدينة باسمه، وعقد كونراد عقدا بالقسطنطينية واذا ما سألتم كيف حصل ذلك ؟

ولم يبرم كونراد هذا العقد في القسطنطينية عندما كان اسحق الثاني هو الامبراطور وقبل أن يفقد بصره ، فقد كان في القسطنطينية رجل كبير اسمه ليفرناس (ألكس برناس) وكان ابن عم الامبراطور مانويل (كوميذوس) وكان ليفرناس هذا متخفيا ومطاردا أيام الامبراطور أندرونيكوس (أندروكوميذوس) وسبب اختفائه أنه كان يتعرض لما تعرض له أقرباؤه على يدي أندرونيكوس ، وعندما قيل له ان أندرونيكوس قد توفي ، وأن اسحق الثاني أصبح الامبراطور خرج من مخبئه ، والتحق بالامبراطور الذي وثق به واعتمد عليه وتعلق به كثيرا ، وصار سيدا لامبراطورية القسطنطينية ، ولم ينزعج من شيء طيلة امبراطورية اسحق .

١٢ ـ وحدث عندما كان أندرونيكوس وصيا على الطفل الكسوس بن مانويل امبراطور القسطنطينية ، أن تآمر أندرونيكوس هذا وخطط لخيانة كبرى وذلك بنصيحة من واحد من كتابه واسمه لانغوس (ايتين هاغيوكرستوفارايت) وفي احدى الليالي أخذ الأمير الطفل الى ابنة ملك فرنسا (أغنس ابنة لويس السابع) لتحتفظ به لديها ولتضعه من بعد في كيس ثم تحمله في مركب الى قلب البحر ، وتلقيه هناك فيغرق ، ثم تمكن أندرونيكوس من وضع آل الامبراطور مانويل في السجن ، فقلع عيون بعضهم وقطع ألسنة بعضهم الآخر وشفاههم ، وبعدئذ فعل ذلك بكل من وصل اليه أو استطاع العثور عليه ، بعد هذا صار امبراطورا تزوج واحدث كثيرا من الشرور كما قلت لكم .

١٣ ـ وعندما صار أندرونيكوس امبراطورا لم تبق راهبة في دير أو ابنة فارس أو سيد الا وجلبت غليه بالقوة والغضب ، وبما أنه كان مكروها لخبثه وشروره تمنى جميع سكان القسطنطينية دماره وموته ، وجاء يوم كان فيه أندرونيكوس خارج القسطنطينية ونزل

هناك في أحد القصور ، وكان معه خادم من سلالة الامبراطور ما ذويل اسمه كيرساك (اسحق الثاني انجيلوس) وكان ابن أرملة وفقيرا جدا ، ولقد خدم أندرونيكوس في بلاطه وتحمله على مضض ، وأخذ منه ذات يوم أننا بالذهاب الى القسطنطينية ليأخذ مناشفه واغراضه الى الحمام فأعطاه أندرونيكوس الأذن . وبعدما غادر من عنده كيرساك ، غرق الامبراطور بالتفكير العميق ، فقد أراد أن يعرف كم ستكون حياته وكم ستطول ، فأرسل يسأل المنجمين كم سيعيش ، واستجاب المنجمون لطلبه ، وذهبوا ليسألوا الفلك فوجدوا أنه يعيش غير أيام ، وقال أقدمهم لآخر إن يشك أن تدوم حياته سوى أيام ، وأراد أن يخفي عنه ذلك حتى يخفف عليه الألم الشديد ، واتفقوا على ان يقولوا له ، إنه سيعيش أياما ، وبعدما تطابقوا على هذا القول مثلوا في حضرته وقالوا له : إنه سيعيش أياما ، وقد انزعج كثيرا لدى سماعه بذلك ، وسألهم من الذي سيكون الامبراطور من بعده ، وما هو اسمه ، فطلبوا منه امها لهم حتى يوم الغد ليخبروه ، فأعطاهم ذلك ، ثم عادوا اليه وقالوا له إن اسمه كيرساك ، فخيل لأندرونيكوس أن المعني هو (اسمه كوميذوس) دوق قبرص في ذلك الوقت ، فجهز جيشه برا وبحرا ، وأعلن الحرب ضد الخائن كيرساك ، الذي قالت النبوءة أنه ضد مولاه الامبراطور ويريد أن يسلبه عرش الامبراطورية ، وعندما أمر أندرونيكوس بهذا مثل في حضرته لانغوس وأخبره أنه يشك في كيرساك الخادم ، وأنه له كل الحق في قتله اذا كان مشكوكا به ، وفوضه أندرنيكوس في أن يعمل ما يريده ، فذهب الى القسطنطينية وتوجه الى بيت كيرساك ، وعندما سمع كيرساك صوت لانغوس قال لأمه : إن هذا الذي يناديني يريد قتلي ، لذلك قولي له إنني نائم ، وكان أهالي القسطنطينية يعرفون جيدا أن لانغوس عندما يطلب أحدا لايطلبه الا ليقتله ، وقالت أم كيرساك للانغوس إنه نائم ، فأجابها إن عليه الاسراع والمثول في حضرة الامبراطور ، فما كان من كيرساك الا أن استأذن أمه ومن أهله ونزل ومعه سيفه قد أخفاه تحت ثيابه ، وعندما مثل أمام لانغوس خاطبه بجذون وسأله أين

كان ، فأجابه : لماذا تسيء معاملتي ، لقد جئت برضى من الامبراطور ، فقال له لانغوس : إذا كنت مزعوجا مما أقوله فأنا مزعوج منذ أكثر ، ورفع يده التي كان يحمل بها سوطا ليضربه به وداراه كيرساك حتى وضع يده على سيفه فضربه فقطع رأسه .

١٤ ــ وفي الحال خرج كيرساك الى الطريق يحمل راس لانغوس ، فتجمهر الناس حوله وحملوه وهو ملطخ بالدماء الى« قصر بوكليون » ومن هناك أخذوا التاج ومضوا به الى كنيسة آياصوفيا وتوجوه امبراطورا ، وبعدما أنجزوا ذلك علا الصراخ في المدينة : مات الشيطان ، مات الشيطان ، وسمع أندرنيكوس الذي كان في منتجعه بذلك وعلم أن كيرساك قد توج امبراطورا ، فبادر على الفور بعبور البوسفور والعودة الى القسطنطينية ونزل في قصر بلاشرين ، وجهز قوسا ، وتمركز هناك ، وقال ان كيرساك سيمر بعد تتويجه من أمام القصر ، وعندها سيرميه ويقتله وبذلك يعود فيبقى امبراطورا وتعيش الامبراطورية بسلام ، وحدث هذا بالفعل ، لكن عندما مر كيرساك متوجا فوق أندرونيكوس قوسه نحوه وعندما أراد ارسال سهمه نحوه انكسر القوس بين يديه ، وأحبط سعيه ، واكتشف أمره ، فكان أن حاصره أهالي القسطنينية على الفور وقبضوا عليه ، وجاء كيرساك فأودعه في قصر بوكليون ، وقرر أن يميته شر ميته لأنه أغرق سيده في البحر مع أنه كان ولي عهد الامبراطور مانويل شرعيا ، ولأنه اقترف اساءات فظيعة ، ثم جاء كيرساك وعراه من ثيابه ، وأخذ منه القوس ، ثم صنع له تاجا وتوجه مثلما يتوج الملك ، ثم حاكمه ومدده على الصليب فقلع احدى عينيه وترك له الأخرى ليرى بها ما سيحل به من عذاب وما سيلحقه من عار ، وأركبوه بعد هذا على ظهر حمار بالمقلوب وجعلوه يمسك بذيله ، ثم قيد عبر شوارع القسطنينية وعلى رأسه التاج ، وسأقول لكم ما الذي فعلته النساء ، لقد أحضرن البول والأوساخ ورمينها على وجهه ، والنساء اللواتي لم يستطعن الوصول اليه صعدن الى أسطحة المنازل وألقوا أيضا على رأسه

البول والقاذورات ، وجرى هذا في كل شارع وأندرونيكوس حامل على رأسه التاج ثم حمل الى خارج المدينة حيث سلم الى النساء ، فركضن عليه مثل الكلاب الاليفة فمزقنه قطعة قطعة وأكلنه حتى آخر جزء منه ، وبعدما جردوا عظامه واضلاعه ، ولم يبق منه ما لم يؤكل ، قالوا إن اللواتي أكلن منه سينجين من كل عذاب لأنهن ساعدن على الثأر منه لآثامه التي اقترفها ضد الناس ، وبعدما مات وعذب كما وصفنا أخذ ما تبقى منه الى « ساحة موكوفليس » حيث كانت هناك مزبلة ، وهناك وضعوه ودفنوه في أسوأ مكان ، وهناك وجدوا وعاء أخضر فكتبوا عليه بالاغريقية « عندما يموت امبراطورا مجللا بالعار سيدفن هكذا »

١٥ ـ وكان الامبراطور كيرساك محبوبا كثيرا من سكان البلاد ، والكراهية التي حظي بها أندرونيكوس مع لانغوس لما اقترفاه من اساءات لم يبق دير في القسطنطينية الا وكتب على بابه لعنات عليهما ، وعندما توج كيرساك لم تكن له زوجة ، وبناء على نصيحة من رجاله أرسل الى ملك هنغاريا (بيلا الثالث) يطلب أخته لتكون زوجة له ، وكان هذا الملك مستجيبا ومتفهما لمطالبه ، فأرسلها الى القسطنطينية فتزوجها كيرساك وتوجها امبراطورة ، وحدث أن الامبراطور سافر عبر امبراطوريته ونزل في مدينة القيصر فيليب ، حيث ولد الاسكندر كما قيل ، وهي قرب القسطنطينية ، ذكرها القديس بولس في جزء من رسائله التي عرفت باسم رسائل الى أهل فيلبي ، وكان هناك مدينة تدعى استيف كانت تعج بالأقمشة الناعمة المستوردة من سورية . وفي دير هناك عاش ألكس أخوكيرساك ، وبتحريض من زوجته التي قالت له إنها إذا لم تكن امبراطورة فلن تعيش معه ، سافر الكس وتوجه الى عند أخيه ، فاستخدمه وشرفه ، وطبعا لم يحذر منه ولم يحترس ولم يخش خيانته ، وفي أحد الأيام دخل ألكس الى الغرفة التي كان فيها أخوه الامبراطور ، فانقض عليه وتناوله من شعره ثم رماه أرضا وجلس على صدره فاقتلع عينيه ، ثم جاء الى القسطنينية فتوج نفسه امبراطورا وتوج معه زوجته .

١٦ ــ بعدما تتوج الكس ، قامت الامبراطورة التي كانت زوجة كيرساك فزوجت ابنتها من فيليب بن الامبراطور فـريدريك (ايرين أنجليوس التي تزوجها فيليب دي سوابيا بن فريدريك بربروسا سنة ١١٩٦ كانت ابنة الزوجة الأولى لاسحق ولم تـكن ابنه مـرغريت) وبعثت أيضا ابنها الى أخيها وملك هنغاريا فأعتنى به ورباه وحافظ عليه حتى قدوم ملك فرنسا ، حسبما ستجدونه في المخطوطة ، وقام ليفرناس الذي ذكرته مـن قبـل ، وكان مـن أقـرب الناس الى الامبراطور مانويل ، فجمـع زعمـاء الناس ، وقـدم نحـو القسطنطينية ، وعندما عرف الكس أن ليفرناس زاحف ضـده أعلنه عدوا له ، وتـوسل الى المركيز كونراد ، الذي كان آنذاك في القسطنطينية ، أن يبقى هو ورجاله ويقف الى جانبه حتى ينتهي من حربه مع عدوه ، وطمأنه المركيز أنه سيقى وسيقف الى جانبه بـكل رغبة ، وجاء ليفـرناس الى القسـطنطينية وكله أمـل في معـاقبة المجرم ، وقبل نشوب القتال لم يرغب الكس في حشـد قـواته ضـد ليفرناس في خارج المدينة لأن له أعوان كثر في المدينة ، ولهذا جـاء المركيز ووقف ضد ليفـرناس ، ثـم قـام بمهـاجمته ، وآنذاك خيل لليفرناس ومن معه أن كونراد ترك المدينة وقـدم لمسـاعدتهم ، لكن عندما اقترب كونراد من ليفرناس وضربـه فـرماه مـن على ظهـر حصانه ميتا ، ثم عاد أدراجه نحـو القسـطنطينية ، وعندمـا رأى رجال القسطنطينية الذين أرادوا حصار المدينة أن سيدهم قد مـات هـربوا ، وحينئذ قـدم الامبـراطور الى عند كونراد وشـكره في قصره ، ذلك أنه لم يرغب في أن يلحق أدنى أذى بـأتباعه مـن أهـل المدينة ، وهنا رأى كونراد أن يستأذن الامبراطور ليسافر ، ذلك أنه جاء الى ما وراء البحار ليحافظ على المدينة التي وهبهـا الرب الى المسيحيين.

١٧ ــ وفيما يخص الملك بلدوين الطفـل الذي كان في عكا يعيش تحت رعاية خال أمه ، انتابه المرض وتـوفي سـنة ١١٨٦ في شـهر ايلول ، وحينذاك فكر الكونت جوسلين في خيانة عظمى قام بها ضـد كونت طرابلس ذات تأثير ، فقد قال له ناصحا اذهب الى طبرية ولا

تذهب مع الملك الى القدس لدفنه ، ولم يسمح جوسلين بذهاب أي بارون من البلاد الى القدس ، وعوضا عن ذلك أعطوا الجثة الى الداوية الذي توجب عليهم حمله إلى القدس لدفنه ، وأخذ كونت طرابلس بمشورته وعمل بها بكل حماقة ، وحمل رجال الدواية جثة الملك لدفنه في القدس وذهب كونت طرابلس الى طبرية ، وعند ذلك جاء الكونت جوسلين فاستولى على مدينة عكا ، ثم ذهب الى بيروت التى كانت تحت حماية كونت طرابلس ، وتورط في الأعمال الخيانية بشكل مؤكد حيث شحنها بالفرسان والاسيرجانتية ، ثم أرسل الى أميرة يافا التي كانت ابنة أخته لتأتي الى القدس مع جميع فرسانها ليقوموا جميعا بعد دفن ابنها بالاستيلاء على القدس والمحافظة عليها وبذلك يمكن تتويجها ملكة .

وعندما عرف أمير طرابلس أن الكونت جوسلين قد خانه بهذه الصورة ، بعث الى جميع بارونات البلاد ليجتمعوا به في نابلس ، وذهبوا كلهم للاجتماع به باستثناء الأمير أرناط وجوسلين ، ولم يرغب الكونت جوسلين بالتخلي عن عكا ، بل احتفظ بها وذهبت كونتسية يافا الى القدس ورافقها زوجها مع جميع فرسانهما ، وقامت بالاشراف على اجراءات دفن ابنها الملك ، وكان في القدس أيضا المركيز بونيفيس مع البطريرك مع مقدمي الداوية والاسبتارية .

وبعدما دفن الملك جاءت كونتسية يافا الى البطريوك والى مقدمي الاسبتارية والداوية وتوسلت اليهم ليجتمعوا بها ، وأخبرها البطريرك ومقدم فرسان الداوية أن عليها الا تشغل بالها تجاه هذه المسألة ولتأخذ الامور بالهونى ، فهما سيتوجانها على الرغم من آراء جميع الموجودين في بلاد سورية ، ومرد ذلك لحب البطريرك لأمها ولكراهية مقدم فرسان الداوية لكونت طرابلس ، وبعثوا وراء الأمير أرناط صاحب الكرك ، ليأتي الى القدس ، واستجاب وجاء الى القدس ، ثم تداولوا فيما ينبغي عليهم القيام به ، وكيف عليهم التصرف .

وأقر المجتمعون أن على الكونتيسة أن ترسل الى كونت طرابلس والبارونات الذين كانوا في نابلس تستدعيهم لحضور تتويجها ، لأن الملكية آلت اليها ، وبادرت على الفور بارسال رسول الى هناك ، وأجابها البارونات الذين كانوا في نابلس أنهم لن يحضروا ، وعوضا عن ذلك بعثوا باثنين من رعاة الديرة الى القدس للقاء البطريرك مع مقدمي الاسبتارية والداوية يحظرون عليهم أمام الرب والرسل القيام بتتويج كونتيسة يافا حتى ينعقد مؤتمر يضم جميع الذين أدوا يمين الولاء في أيام الملك المجذوم ، وذهب الراهبان الى القدس ومعهما فارسان هما جون دي بلسم ووليم دي كيوز الذي كان والد توماس دي سينت بيرتن وأبلغوهم الرسالة .

وأجابهم البطريرك ومقدم الداوية والأمير أرناط أنهم لا يحسبون أدنى حساب لقسم أو كلمة ، وبدلا عن ذلك سيتوجون السيدة ملكة ، ولم يرغب مقدم الاسبتارية أن يكون طرفا مشاركا ، ولا أن يحضر لأن كل شيء كانوا يقومون به هو ضد الرب ويمينهم . ثم أوصدت أبواب المدينة حتى لايتمكن أحدا من الخروج منها أو الدخول إليها ، لأنهم باتوا يخشون أن يقوم البارونات الذين كانوا في نابلس (على مسافة اثني عشر ميلا من هناك) بالدخول الى المدينة أثناء تتويج السيدة ، وأن قتالا قد يندلع .

١٨ ـ وعندما سمع البارونات الذين كانوا في نابلس بأن أبواب المدينة قد أوصدت ، وأن مامن احد يمكنه الدخول اليها أو الخروج ، أخذوا جنديا من الرجالة ، وكان من مواليد القدس واهلها ، وألبسوه ثياب راهب وأرسلوه الى القدس ليراقب عملية تتويج السيدة ، وتوجه هذا الرجل الى هناك غير أنه لم يتمكن من الدخول الى القدس عبر أي واحد من أبوابها ، فمضى الى دير مالدري المقدسي الذي كان مجاورا لسور المدينة وهنا أقنع راعي الدير بالسماح له بالدخول من باب خلفي من خلال الدير ، وقصد مباشرة الى كنيسة القيامة ، ومكث حتى شاهد وسمع وعرف كل ما بعث ليعرفه .

واصطحب مقدم الداوية والأمير أرناط السيدة الى كنيسة القيامة حيث كان البطريرك وذلك من أجل تتويجها ، وارتقى الأمير ارناط مكانا عاليا ثم وقف يخاطب الحضور من الشعب قائلا :أيها السادة انكم تعلمون أن الملك المجذوم وحفيده (ابن أخته ، الذي كان قد توجه هما الآن ميتان ، وهكذا باتت المملكة بلا وريث وبلا حاكم ، ونحن نرغب ، من بعد اذنكم أن نتوج سيبل ، التي هي موجودة هنا ، والتي هي ابنه الملك عموري وأخت الملك ، بلدوين المجذوم ، لأنها صاحبة الحق الأوفى والواضح والوريث الصحيح للملك ، وردد الشعب الذي كان موجودا هناك في صوت واحد بأنهم يفضلون أقرباء الملك عموري على أي واحد أخر ، وبذلك نسوا بالحال الأيمان التي أقسموها لكونت طرابلس ، ولهذا السبب لحقهم سوء الحظ منذ ذلك الحين .

وعندما كانت السيدة في كنيسة الضريح المقدس جاء البطريرك الى مقدم الداوية وطلب منه مفتاح خزانة الذخائر حيث كان التاج موضوعا ، وأعطاه مقدم الداوية المفتاح بكل رضى ، ثم طلب من مقدم الاسبتارية أن يحضر مفتاحه ، وأجابهما مقدم الاسبتارية أنه لن يعمل شيئا من هذا القبيل ، فضلا عن أنه لن يخطو خطوة واحدة الى هناك ، ما لم يكن التدبير صادرا عن ارادة مجلس بارونات البلاد ، ثم توجه البطريرك مع مقدم الداوية الى حيث كان مقدم الاسبتارية للحصول منه على المفتاح ، وعندما علم مقدم الاسبتارية انهما في طريقهما اليه ، أسرع للدخول الى دير الاسبتارية ، ولم يكن من السهل أبدا العثور عليه والتكلم اليه ، وعندما عثرا طلبا منه أن يعطيهما المفاتيح فأجابهما أنه لن يسلمهما اياها ، ولقد توسلا اليه ورجوه بحرارة ليفعل ذلك مما اغضبه والقى بالمفاتيح بعيدا عنه ، ثم التقطهم وأمسكهم بكلتا يديه خشية أن يلتقطهم واحد من رهبان الاسبتارية ويعطيهم الى البطريرك ، ثم جاء مقدم الداوية مع الامير أرناط وأخذا المفاتيح منه وذهبا الى الخزانة وأخرجا التاجين منها وسلماهما الى البطريرك ، فوضع البطريرك أحدهما على مذبح الضريح المقدس وتوج بالثاني كونتسية يافا .

وبعدما توجت الكونتسية ملكة خاطبها البطريرك قائلا : سيدتي إنك امرأة ، ومن الضروري أن يكون الى جانبك رجل يساعدك في حكم المملكة ، ويستطيع بالفعل أن يحكمها ، وجاءت وأخذت التاج ودعت اليها زوجها غي لوزنغنان الذي وقف أمامها ، وخاطبته بقولها : مولاي ، تقدم وتسلم هذا التاج ، لأنني لا أعرف استخداما له أفضل من اعطائه لك ، وجثا الرجل أمامها فوضعت التاج على رأسه ، ووضع مقدم الداوية يده عليه وساعدها في وضعه على رأسه وقال مخاطبا اياه : إن هذا التاج أفضل لك وأربح من الزواج من سيده البترون ، وبعد هذا قام البطريرك برسمه ومباركته ، وهكذا أصبحت ملكة وأصبح ملكا ، وتم هذا يوم جمعة في سنة ١١٨٦ لتجسيد مولانا المسيح ، ولم يحدث من قبل أن جرى تتويج ملك في القدس يوم جمعة ، ولم يحدث أيضا اغلاق الأبواب وقت ذلك .

وبعدما فرغ العسكري — الذي تخفى بزي راهب — من مشاهدة عملية التتويج غادر القدس من الباب الخلفي الذي دخل منه الى المدينة ، وانطلق نحو مدينة نابلس الى كونت طرابلس والبارونات الذين أرسلوه ، وأخبرهم بالذي رآه .

وعندما سمع بلدوين صاحب الرملة أن غي لوزنغنان بات ملكا للقدس قال : انني أراهن أنه لن يبقى بالملك سنة ، وبالفعل لم يبق ملكا لمدة سنة لأنه توج في منتصف ايلول وخسر المملكة في يوم القديس مارتن في الشطر الأول من حزيران (٤ — حزيران) .

ثم توجه بلدوين صاحب الرملة بالخطاب الى بارونات البلاد وقال : أيها السادة الكرام ابذلوا ما يمكنكم من جهد لأن البلاد قد ضاعت ، وسأقوم بمغادرة البلاد لأنني لا أرغب في أن أنتقد أو الام لمساهمتي بأي شكل من الاشكال في ضياع الارض ، ذلك أنني أعرف أن الملك الحالي معرفة جيدة ، إنه على درجة عالية من الحماقة ثم انه رجل سوء ، وإنه لن يفعل شيئا مفيدا بناء على مشورتكم ، وبدلا عن ذلك انه يفضل الضياع والضلال بوساطة بدع

هؤلاء الذين لايعرفون شيئا ، ولهذا السبب انني سأغادر البلاد ، فرد عليه كونت طرابلس قائلا : ياسيد بلدوين من أجل الرب ورحمة بالمسيحية دعنا نجتمع ونتداول حول كيف سيكون بامكاننا الحفاظ على سلامة البلاد ، لدينا ها هنا ابنة الملك عموري مع زوجها همفري ، اننا سنتوجها ومن ثم نقصد القدس ونستولي عليها ، لأننا نمتلك قوى بارونات البلاد مع قوى مقدم الاسبتارية ، وذلك باستثناء الأمير أرناط الموجود مع الملك في القدس ، ولدينا هدنة مع المسلمين ، يمكننا أن نمددها حسبما نريد ، ولن يأتينا أذى أو ضرر من جانبهم ، لا بل عوضا عن هذا انهم سيساعدوننا اذا ما احتجنا ، وهكذا تعاهدوا واقسموا أنهم سيتوجون في اليوم التالي همفري .

١٩ — وعندما عرف همفري أنهم يرغبون بتتويجه ملكا ، فكر عميقا بالمسألة ورأى أنه لن يكون أبدا قادرا على تحمل هذه المسؤولية ، وعندما حل الظلام امتطى حصانه وكذلك فعل فرسانه ، وساروا طوال الليل ، وبذلك هربوا الى القدس ، وعندما جاء صباح اليوم التالي ، وبعدما استيقظ البارونات أخذوا في اعداد انفسهم لتتويج همفري ، ثم سمعوا فيما بعد أنه هرب وذهب الى القدس .

وعندما وصل همفري الى القدس مثل في حضرة الملكة ، التي كان زوجا لأختها ، ورحبت به ثم قالت انها لا ترحب به لأنه عارضها ووقف ضدها ولم يحضر تتويجها ، فأخذ يحك رأسه حياء مثل الأطفال قائلا : مولاتي هذا ما لم أتمكن منه ، فقد احتفظوا بي وأرادوا أن يجعلوني ملكا بالقوة ، ورغبوا في تتويجي بالحال ، ولقد هربت لأنهم أرادوا جعلي ملكا بالقوة ، وردت عليه الملكة بقولها : ياسيد همفري أنت على حق ، إنهم أرادوا الاساءة اليك اساءة كبرى عندما رغبوا في جعلك ملكا ، وبما أنك تصرفت على هذه الشاكلة فسأجنبك غضبي اذهب الآن وقدم ولاءك للملك ، وشكر

همفري الملكة لأنها أعفته من غضبها وقدم الولاء الى الملك ، ومكث مع الملك في القدس .

ولدى سماع كونت طرابلس والبارونات الذين كانوا في نابلس أن همفري ذهب وقدم الولاء للملك حزنوا كثيرا ، ذلك أنهم خسروا بذهابه ما كانوا يخططون له لمساعدة أنفسهم للحفاظ على البلاد ، ولم يعودوا يعرفون ماذا سيعملون ، ثم جاء البارونات الى كونت القدس وخاطبوه قائلين : مولانا ، بحق محبة الرب ، أشر علينا ماذا يمكن أن نفعل بالنسبة لليمين الذي أخذه علينا الملك المجذوم نحوك ، ذلك أننا لا نرغب أن نقوم بأي عمل سننال من ورائه اللوم أو النقد ، فضلا عن أننا لا نود مطلقا أن نقدم على أي اجراء فيه أدنى ضرر نحوك ، وأخبرهم الكونت ان عليهم الاحتفاظ بيمينهم والا يبدلوا شيئا عما صنعوه من قبل ، فهو الآن لا يعرف رأيا أصوب ليقدمه لهم ، واجتمع البارونات فيما بينهم للتداول .

٢٠ ــ وبعدما تداولوا بين أنفسهم جاءوا الى الكونت وخاطبوه قائلين : مولانا ، بما أن الأمور سارت على هذا المنوال ، وأخذت هذا المنحى ، فبات هناك ملك في القدس ، لا يمكننا الآن أن نحكم ضده ، لأننا لو فعلنا ذلك فزنا بالملامة ، ولانحب أن نحصل على ذلك ، إننا نتوسل اليك ، من أجل الرب ولا تنزعج منا تجاه ذلك أو تشعر بالأذى أن تذهب إلى طبرية وأن تمكث هناك ، وسنذهب نحن إلى القدس ونقدم الولاء للملك ، وكل ما نستطيع أن نفعله لصالحك سنفعله الا ما تعارض مع كرامتنا ، وسنسعى لتأمين التعويضات عن كل ماأنفقته على البلاد ، الأمر الذي كان الملك المجذوم أعطاك ضمانا له مدينة بيروت ، ولم يرغب بلدوين صاحب الرملة في مشاركتهم بهذا الرأي والمسلك .

وعندما رأى كونت طرابلس أن جميع البارونات قد تخلوا عنه ، ذهب الى طبرية وذهب البارونات الى القدس لتقديم الولاء الى الملك ، باستثناء كونت الرملة ، فقد بعث بأصغر أولاده ، وطلب

من البارونات أن يتوسلوا للملك ليعطي ابنه حق وراثة الأرض عندما يقدم الولاء له .

وعندما قدم البارونات الولاء للملك أخذوا معهم ابن بلدوين صاحب الرملة ليمنحه وراثة أرض أبيه وليقدم له الولاء ، فأجاب الملك بأنه لن يمنحه حق الارث للأرض ولن يقبل الولاء منه حتى يأتي الأب بالذات ويقدم بنفسه الولاء الى الملك ، وعندما يقوم الأب بتقديم الولاء يمكن جعل الابن وريثا لأبيه ، وأضاف الملك أنه إذا لم يأت وليم صاحب الرملة لتقديم الولاء ، فسيصار الى مصادرة أرضه .

٢١ ـ واستدعى الملك غي اليه بلدوين دي ابلين (يبنا) ثم وجه الدعوة الى باقي بارونات البلاد للاجتماع به في عكا ، وقد استجابوا جميعا ، واجتمعوا في مقر رئيس كنيسة الصليب المقدس ، وفي البداية ارتقى الملك المنبر وأخذ يتحدث مبينا كيف توج ملكا على القدس ، وكيف أن الرب من عليه بهذه النعمة وجعله جديرا بالتاج ، وبعدما أنهى خطابه قال له الأمير أرناط الذي كان واقفا على مقربة منه : ادع الأمراء لتقديم الولاء لك وادع أيضا بلدوين دي ابلين ليقدم لك الولاء ، ومالبث الأمير أرناط أن توجه بالدعوة الى بلدوين عدة مرات ، ولما كان بلدوين رجلا حكيما عاقلا متزنا لم يرغب بتلبية طلبه ، ولما رأى الملك أن بلدوين دي ابلين لم يستجب لطلب الأمير أرناط ناداه بنفسه وقال : أصدقائي الكرام تقدموا لتأدية الولاء ، وليكن لكم الشجاعة بأن يكون الناس الطيبون هنا على رأسكم .

ورد الكونت بلدوين دي ابلين على الملك قائلا : بما أن والدي لم يقدم الولاء لوالدك ، فأنا لن أقدمه لك ولن أكون وفيا لك ، لكن هناك ابني توماس الذي مايزال صغيرا فعند بلوغه السن المناسبة سيأتي اليك ويمثل بحضرتك كما يمثل أمام سيده ، وسيقدم لك الولاء وسيقوم بكل ما يتوجب عليه وأنا سأترك المملكة في يوم قريب .

ثم التفت الى اخيه بالين واستأذنه وكلفه في أن يتولى حفظ ولده حتى بلوغ السن وبعد ذلك أخذ الطريق وقصد أنطاكية وبرفقته الفرسان الذين كانوا تحت إمرته ، ولدى سماع بوهيموند الثالث أمير أنطاكية أن بلدوين دي ابلين قادم اليه مع كثير من الفرسان ابتهج كثيرا ، وتوجه الى استقبالهم وتلقاهم ورحب بهم بسرور عظيم .

٢٢ ـ وبينما كانت الأمور تسير على هذا المنوال ، جاء رجل الى الأمير أرناط وأخبره أن قافلة عظيمة قادمة من مصر تريد دمشق لابد أن تمر قريبا في أرض قلعة الكرك ، فما كان من أرناط الا العودة الى الكرك ودخل الى هذه القلعة وجمع أكبر عدد من رجاله ، وتوجه بقصد الاستيلاء على القافلة ، وكان فيها أخت صلاح الدين ، وتمكن من ذلك .

وعندما سمع صلاح الدين أن الأمير أرناط استولى على القافلة واسر أخته غضب غضبا شديدا وتألم كثيرا ، وبعث بعدة رسائل الى الملك الجديد يطالب باسترداد القافلة مع أخته ، ولم يعلن الغاء الهدنة ، وأراد اعطاء الفرصة الى الملك الجديد الشاب ، وبالفعل أرسل الملك غي الى الأمير أرناط يطالبه باعادة القافلة الى صلاح الدين مع أخته التي أسرها عند الاستيلاء على القافلة ، فأجابه بأنه لن يعيد شيء قطعا ، لانه هو سيد أرضه كما أنه سيد بلاده ، ولايوجد بينه وبين المسلمين هدنة ، المهم أن الاستيلاء على هذه القافلة كان السبب في ضياع مملكة القدس ، حسبما اشرنا من قبل .

٢٣ ـ وعقد الملك غي اجتماعا في القدس مع مقدم فرسان الداوية ، وقال له : أن أمير طرابلس لم يقدم له الولاء والطاعة ، فأشار عليه أن يرسل قواته لمحاصرته في طبرية ، وعندما عرف أمير طرابلس بأن الملك غي أرسل جنده ضده انزعج كثيرا فراسل صلاح الدين في دمشق وأعلمه أن الملك غي قد أعد قواته

ليزحف ضده الى طبرية ، وتساءل فيما اذا كان بوسعه انقاذه فبعث اليه صلاح الدين بالفرسان والجنود مع كثير من السلاح ، وأوصى قواته : أنهم اذا حاصروه صباحا ، انقذوه مساء ، على هذا تدخل صلاح الدين فأرسل بقواته ، بعدما حشدها في بانياس ، وبعث منها الى طبرية مقدار ألف شخص .

وحشد الملك غي قواته في الناصرة ، وعندما فعل ذلك قدم اليه بالين دي ابلين وقال له : لماذا يامولاي جمعتم هذه الفيالق كلها ؟ والى أين ستزحف هذه القوات ؟ فالوقت غير مناسب للقتال ، فأجابه الملك بأنه يريد حصار طبرية ، فقال له بالين : من الذي أشار عليكم بالقيام بهذا العمل ؟ إنه رأي سيء ، ومامن رجل حكيم يوافقك على هذا التحرك ، وأعلم علم اليقين انه برأيي ورأي البارونات أنك لن تنجح في هذه المهمة لوجود عدد كبير من الفرسان داخل طبرية من المسيحيين والمسلمين ، ولديك قليل من الرجال لحصار طبرية ، ثم اعلم أنك اذا ذهبت للقيام بهذا العمل ، وعندما ستتولى حصارها سيقدم صلاح الدين الى انقاذها بعدد كبير من الرجال ، والآن اصرف قواتك وعندي عدد كبير من الرجال يمكن أن يذهبوا الى أمير طرابلس ، وسنعمل بقدر ماأوتينا من قوة لاصلاح ذات البين بينكما ، لأن الشحناء بينكما ليست مجدية .

واستجاب الملك فصرف قواته وبعث برسائله الى طبرية ، ولدى وصول الرسل الى طبرية التقوا بالأمير ريموند وتحدثوا معه بشأن احلال السلام بينه وبين الملك ، فأجابهم الأمير أنه لن يكون هناك سلم ولن يستجيب لأي مسعى للصلح مادام الاستيلاء على حصن بيروت مستمرا ، واذا مااستمروا في الاستيلاء على حصن بيروت الذي اغتصبوه ، فسيعمل ماسيراه مناسبا ، وعاد الرسل الى الملك ورووا له ماوجدوه لدى الكونت .

٢٤ ــ وهكذا ظلت الأحوال طيلة موسم الشتاء حتى قبيل حلول عيد الفصح ، وقبيل حلول عيد الفصح سمع الملك أن صلاح الدين

شرع بحشد قواته على نية غزو البلاد والدخول الى أراضي المملكة ، فبعث وراء جميع بارونات البلاد ، ورؤساء الأساقفة والاساقفة للقدوم اليه والاجتماع به في القدس ، واستجابوا لطلبه ، واجتمع به البارونات وبقية السادة فأخبرهم بتحركات صلاح الدين ، وطلب منهم تقديم الرأي والمشورة حول ماينبغي القيام به ، وقال له بارونات البلاد ناصحين ان عليك الاتفاق مع أمير طرابلس ، واذا لم تتفق معه لن يستطيع الجند التصدي للمسلمين ، وذلك انه لدى كونت طرابلس جيشه الكبير من الفرسان ، ثم أنه رجل حكيم مدبر واثق من نفسه ، استهدف دوما ضمان أمنه واظهار أنه لايخشى من أحد حتى من المسلمين ، ثم استطرد البارونات يقولون : مولاي لقد فقدتم أعظم فارس في أرضكم وأحكم رجل في بلادكم الا وهو بلدوين صاحب الرملة ، واذا ماخسرتم مساعدة أمير طرابلس ورأيه تكونون قد خسرتم كل شيء .

وعند ذلك قال الملك لابد من ازالة الخلاف والنزاع فيما بيننا واقامة مصالحة وسلام معه ، واذا ماوافق على ذلك بطيبة خاطر سيكون هذا مفيدا ، وسيكون حسنا فعل ، واثر ذلك استدعى اليه مقدم فرسان الداوية الاخ جيرارد دي ردفورت ، ومقدم فرسان الاسبتارية الاخ روجر دي مولين ، ويوسيه رئيس أساقفة صور ، وبالين دي ابلين وريذو صاحب صيدا ، ثم أمرهم بالتوجه الى طبرية للاجتماع بأمير طرابلس لعقد المصالحة معه واقامة السلام ، واعلامه أن الملك تائق لهذا السلم الذي سيعقدونه فيما بينهم .

وتحرك الوفد وذهب الى نابلس أولا ، وذلك باستثناء ريذو صاحب صيدا الذي سافر عبر طريق آخر ، ووصل ليلا الى نابلس ، ثم جاء بالين دي ابلين الى مقدمي الداوية والاسبتارية والى رئيس أساقفة صور وقال لهم : ان نهار الغد قصير ، وأنه

سيمكث بنابلس ثم يتحرك ليلا ، ويبقى مسافرا طوال الليل حتى يلتحق بهم عند مطلع النهار ، وهكذا سافر هؤلاء وبقي بالين .

٢٥ ــ وكان واحد من أبناء صلاح الدين عرف باسم نور الدين ، قد برز آنذاك وعبر عن نفسه كفارس شجاع ، وهو الذي حمل اسم الملك الأفضل ، وأصبح فيما بعد أمير مدينة دمشق ، وكان هذا الأمير معسكرا آنذاك عبر نهر الأردن ، على مقربة من مخاضة يعقوب ، وكان صلاح الدين ، والده قد أمره بالدخول الى أراضي المسيحيين بغية الانتقام منهم لحادثة القافلة التي استولى الأمير أرناط عليها وليثأر لأخته التي أسرها حين الاستيلاء على القافلة وأبقاها لديه سجينة ، ولأنه لم يكن بامكانه الدخول عن طريق آخر غير خلال ممتلكات طبرية التي عادت آنذاك لكونت طرابلس ، وبسبب أن الكونت المذكور كانت بينه وبين صلاح الدين هدنة قائمة وقد تسلم منه مساعدات كبيرة ، وعطايا تدل على صداقته نحوه ، لم يرغب صلاح الدين في الدخول الى أراضي المسيحيين بدون اذن وبالنظر لوجود شقاق بين كونت طرابلس والملك ، طلب من كونت طرابلس السماح له بالدخول الى أراضي المسيحيين من خلال أراضيه ، ومن ثم القيام بغارة هناك .

وعندما سمع الكونت بهذا الطلب أصيب باضطراب عظيم ، فهو إن رفض هذا المطلب الذي قدم اليه ، بات يخشى فقدان مساعدة صلاح الدين ومساندته ، واذا ماسمع بذلك فانه سيوصم بالعار ويوجه اليه اللوم الشديد في أوساط المسيحيين ، وأخيرا قرر أن يتصرف وفق مايلي : سيقوم بانذار المسيحيين وبذلك لن يخسروا شيئا ، وبناء على ذلك أعلم ابن صلاح الدين أنه على استعداد لاعطائه الأذن المطلوب بالدخول الى أراضيه والى أراضي المسيحيين في ظل بعض الشروط المحددة : عليه أن يعبر النهر عند شروق الشمس وأن يعود عند غروبها الى أراضيه بدون كرة ، وألا يسلب بيتا أو يستولي على شيء ما أو يلحق به أذى في أي مدينة أو بلدة ، ووافق ابن صلاح الدين على هذه الشروط والتقيد بها .

وعندما أتى صباح اليوم التالي ، عبر المسلمون النهر حسب الاتفاق ، ومروا من أمام أبواب طبرية ، ودخلوا الى أرض المسيحيين فأغلق كونت طرابلس أبواب طبرية حتى لايدخلوها فيحدثوا فيها الاضرار ، وكان هذا التصرف من كونت طرابلس أحمقا في ذلك اليوم ، لانه قام به قبيل وصول رسل الملك اليه ، ولتدارك الامور أعد الكونت رسالة وبعث بها مع رسول الى الناصرة الى الفرسان الذين كانوا هناك ليتنبهوا ويأخذوا حذرهم ، كما بعث ينذر أهالي البلاد جميعا لاسيما المناطق التي كان يعرف ان المسلمين لابد أن يمروا بها ، وطلب منهم الا يغادروا مدنهم ويغلقوها ويتحصنوا بها ويلتزموا بيوتهم ، لأن المسلمين لن يهاجموا مدينة مغلقة وسيلتزمون بالصمت ، لكن لسوء الحظ اذا وجدوا أحدا خارج المدن سيأسرونه أو يقتلونه ، وبموجب هذه الوصايا تصرف الكونت في طبرية وجهز سكان مدينته ، ثم بعث بعد ذلك بالرسل الى حصن الفولة حيث التقوا بمقدمي الداوية والاسبتارية وبرئيس أساقفة صور ، وقدموا اليهم الرسائل التي حملوها من كونت طرابلس .

ولدى اطلاع مقدم الداوية على الأخبار التي ذكرت أن المسلمين سيدخلون غدا الى البلاد ، بعث على الفور برسول الى دير الداوية الذي كان على مسافة أميال من حيث كان ، وطلب من فرسانه القدوم اليه لأن المسلمين سيدخلون يوم الغد الى البلاد في الصباح ، ولما سمع الفرسان استعدوا واحتشدوا ونفذوا أوامر مقدمهم فساروا نحوه فكانوا في منتصف الليل لديه حيث تمركزوا أمام حصن الفولة .

وعند حلول الصباح من اليوم التالي تحركوا وقصدوا مدينة الناصرة حيث كان بعض فرسان الداوية وفرسان الاسبتارية مع مقدمهم كما كان هناك الفرسان المخصصين لحماية الملك ، وعبر الناصرة نحوا من ألف فارس واخذوا اتجاه طبرية ، فوجدوا المسلمين عند نبع ماء اسمه كرسون ، وكانوا على نية العودة لعبور

نهر الأردن ، دون الحاق أدنى ضرر بالمسيحيين لأن المسيحيين كانوا قد صانوا أنفسهم بالالتزام بوصايا كونت طرابلس .

وكان في مقدمة فرسان الداوية فارس مقدام ازدرى كل الناس الآخرين واحتقرهم ، ولهذا لم يعر الاهتمام الى آراء مقدم الاسبتارية الأخ روجر دي ميلون ولاأيضا أوامر الأخ جاك دي ميالي مارشال فرسان الداوية ، حتى أنه خاطبه برعونة وقال إنه لن يسمع كلام رجل يستعد للفرار ، فأجابه المارشال بأنه سوف لن يهرب أبدا من المعركة ، وهكذا وقف في ساحة القتال ، غير أنه هرب فيما بعد مثل جندي خائن ، خلاصة القول اندفع مقدم الداوية والفرسان الذين كانوا بصحبته وألقوا بأنفسهم أمام المسلمين وكان معهم أيضا مقدم الاسبتارية ، فتلقاهم المسلمون بكل شدة ، وغرق المسيحيون بين صفوفهم ، فقد كان المسلمون مسلحين تسليحا جيدا ، ولم يكن المسيحيون كذلك ، وعلى أرض المعركة فقد مقدم الاسبتارية رأسه وفقد معظم فرسان الداوية كذلك رؤوسهم ، حيث قطعت جميعا ، ولم ينج غير مقدم الداوية مع ثلاث من فرسانه ، أما الفرسان الذين كانوا يتولون حماية الملك فقد أسروا جميعا ، وعندما رأى جنود الداوية والاسبتارية أن فرسانهم غرقوا في لجة جيش المسلمين ، هربوا وأخذوا معهم عتاد المسيحيين وهكذا لم يخسر المسيحيون شيئا من عتادهم .

٢٦ - وحدث أنه عندما كان مقدم الداوية يعبر الناصرة زاحفا ضد المسلمون أن بعث جنديا على ظهر حصان ليستنفر في الناصرة كل من هو قادر على حمل السلاح ليجتمعوا ويبادروا على الفور الى اللحاق به ، فعندما سيصلون اليه سيجدون المسلمين قد أصابهم الانهاك ، وبعدما احتشد أهل الناصرة وأسرعوا مغادرين لمدينتهم وركضوا ليصلوا الى حيث كانت المعركة ، وجدوا عندما وصلوا المسيحيين أمواتا مدمرين ، ومالبث أن انقض عليهم المسلمون وأسروهم جميعا ، وما أن فرغ المسلمون من عملهم ومـاأن أكملوا قتل المسيحيين وتحطيمهم قاموا بحمل رؤوس فرسان المسيحيين

الذين قاتلوهم على أسنة رماحهم ، واقتادوا الذين أسروهم نحو السجون ، ومروا في طريق عودتهم من أمام طبرية ، وعندما رأى مسيحيو طبرية أن المسيحيين قد دمروا وأن المسلمين حملوا رؤوس المسيحيين على أسنة رماحهم وأخذوا الباقي أسرى واقتادوهم أمامهم ، أصابتهم الام عظيمة .

وهكذا عبر ابن صلاح الدين ومعه رجاله النهر عائدين عند غروب الشمس ، وقد حافظوا تماما على مواثيقهم مع كونت طرابلس ، بحيث لم يتسبب أي منهم بأي أذى لقلعة أو مدينة أو لبيت من البيوت ، وفقط الذين صدفوهم على ساحة القتال نزل بهم مانزل ، ووقعت هذه المعركة يوم الجمعة ، وكان يصادف يوم عيد القديس جيمس مع القديس فيليب ، وهو أول أيام شهر أيار ، وجرى هذا كله بسبب استيلاء الأمير أرناط على القافلة في أراضي الكرك ، وكانت هذه بداية فقدان المملكة .

٢٧ ـ عند حلول الظلام تحرك بالين الذي كان في نابلس حسب الاتفاق ومايقتضيه الحال باتجاه مقدم الاسبتارية ومقدم الداوية وليطارد الأعداء ، لكن بعدما قطع مسافة عشرة أميال وصل الى البلدة التي تحمل اسم سبسطية ، وعندها لاحظ أن الفجر قد بزغ فآثر التوقف لسماع القداس وبناء عليه عاد وقصد بيت الأسقف وأيقظه وجلس معه وتحدث حتى شروق الشمس ، وعند ذلك ارتدى الأسقف لباس الصلاة ورتل القداس .

وبعد ماسمع بالين القداس بادر الى السفر بسرعة نحو مقدم الداوية ، وظل مندفعا حتى وصل الى حصن الفولة ، فوجد هناك خارج الحصن خيما منصوبة ولايوجد فيها أحد ، فاصيب بالذهول لعدم وجود أحد فيها ليسأله عن جلية الأمر ، وبناء على ذلك بعث بواحد من أتباعه الى داخل الحصن ليسأل من يجده فيه ، ودخل التابع الى الحصن وصاح في داخله فلم يجد أحدا ، ولم ير انسانا يطلعه عن خبر ، وفقط عثر على المرضى في احدى الغرف ، ولم

يستطيع هؤلاء ان يخبروه بشيء مطلقا ، وعند ذلك عاد الى سيده واخبره أنه لم يجد أحدا يخبره عن سر الأوضاع القائمة ، وهنا أمره سيده بامتطاء ظهر حصانه ويتبعه للذهاب الى الناصرة ، وماأن ابتعدوا قليلا عن الحصن ، حتى خرج منه أخو مقدم الداوية ممتطيا ظهر جواده وصاح طالبا انتظاره حتى يصل اليهم ، فانعطف نحوه بالين دي ابلين وسأله عن الأخبار فأجابه : انها سيئة ثم استطرد يقول : ان رأس مقدم الاسبتارية قد قطع مع جميع رؤوس فرسان الداوية باستثناء الذين لاذوا بالفرار ومنهم مقدم الداوية وثلاثة من فرسانه ، وقد وقع الفرسان الذين يتولون حراسة الملك بالأسر جميعا ، ولدى سماع بالين دي ابلين بهذه الأخبار تيقن أن المعركة كانت كبيرة وقاسية ، فاستدعى واحدا من جنوده وبعث به الى نابلس الى عند الكونتيسة زوجته ليطلعها على الأخبار ، وليقول لها بأن تأمر جميع فرسان نابلس ليأتوا اليه ليلا من نابلس ، ثم مالبث أن تصادف مع الجنود الذين كان معهم عتاد فرسان الهيكل ، أي الجنود الذين فروا من المعركة الضارية ، ولقد أدرك بالين أنه لو لم يذهب الى سبسطية ويتوقف لسماع القداس لكان أتى عليه ماأتى على الذين حضروا المعركة .

وعندما جاء بالين الى الناصرة سمع بحدوث فوضى كبيرة في المدينة بسبب سكانها الذين قتلوا أو أخذوا أسرى في المعركة ، وشكل هؤلاء أكثرية الذين لديهم منازل في المدينة ، وهناك وجد مقدم الداوية الذي هرب من المعركة ، وهناك أيضا مكث فرسانه ثم أعلم أمير طبرية أنه في الناصرة ، وعندما علم كونت طرابلس بما حدث في المعركة انزعج كثيرا ، وعندما جاء الغد بعث بفرسانه اليه ليصحبوه الى طبرية .

٢٨ ـ وعندما وجد الكونت بالين مقدم الداوية في الناصرة توجه اليه ، ومن ثم سأله كيف كانت المعركة ، فعرف انها كانت بمعركة حامية الوطيس قتل فيها العديد من المسيحيين من قبل

المسلمين ، فقد كان المسيحيون في وضع صعب جدا عندما اشتبكوا مع المسلمين فقد طوقوا من ثم هزموا ، وأثر ذلك تبادلوا الرأي لارسال جماعة الى مكان المعركة من أجل دفن أجساد الفرسان وفي سبيل ذلك جمعوا الخيول التي توفرت بالمدينة ، وأرسلوها لحمل هذه الأجساد الى الناصرة لأجل دفنها .

وفي اليوم التالي اجتمع بالين مع رئيس أساقفة صور ومقدم الداوية ، وتحركوا للذهاب الى طبرية ، وبعدما قطعوا مسافة قصيرة عاد مقدم الداوية.فقد وجد نفسه غير قادر على السفر بسبب ماعاناه من آلام حصلت له نتيجة الضربات التي تلقاها في معركة اليوم السالف.غير أن بالين ورئيس أساقفة صور تابعا سفرهما الى طبرية ، وعندما سمع كونت طرابلس بقدوم بالين مع رئيس أساقفة صور توجه لاستقبالهما ، مبديا ألمه الكبير وغضبه الشديد للفاجعة التي حصلت في اليوم الماضي ، فقد كان ذلك كله محصلة لرعونة مقدم الداوية ونتيجة لعجرفته ، وعندما التقى الكونت بالسفيرين استقبلهما بحفاوة عظيمة ، واصطحبهما الى قصره ، وفي ذلك الحين وصل ريذو صاحب صيدا ، وبعدما دخل السفراء الى القصر ، ومثلوا بين يدي الكونت ، قدموا له الرسالة التي حملوا ، وذكر لهم الكونت أنه متألم كثيرا ويشعر بالخجل العظيم بسبب الفاجعة التي حصلت ، وبعد هذا عمل على ابعاد المسلمين عن مدينة طبرية ، وعندما تحقق له هذا رافقهم وتوجه معهم لمقابلة الملك ، وكانوا قد بعثوا برسول الى الملك أعلموه بوساطته أنهم قادمون وبصحبتهم الأمير .

وعندما سمع الملك بمجيء كونت طرابلس نحوه ، وسمع بما حدث ، تألم كثيرا وانزعج غاية الانزعاج بسبب الأضرار التي لحقت بفرسان الداوية ، ومع هذا خرج من القدس حيث كان مقيما وذهب لتلقي أمير طرابلس ، وجاء كونت طرابلس بدوره للالتقاء بالملك ، وكان أن التقيا أمام حصن يدعى حصن القديس جوب ، لأن جوب عاش كما يقال هناك ، وكانت هذه قلعته ، ومن بعيد عندما

رأى الملك أمير طرابلس ترجل وذهب لملاقاته ، وعندما رأى الأمير الملك يترجل لملاقاته ، ترجل هو أيضا ، وذهب لملاقاة الملك ، وعندما اقترب الملك منه جثا أمامه فأقامه الملك وأحاط ذراعية برقبته وعانقه وقبله ، ثم عادا معا الى نابلس ، وتوجها الى القصر واعتذر الملك للأمير بشتى السبل لما حصل اثناء تتويجه ومن أجل ذلك ومن أجل أعمال أخرى ، وتحدث الأمير الى الملك وأعلمه أنه اذا سار وفق نصائحه وأخذ بمشورته ستكون المملكة قوية ومستقرة ومحكومة بشكل جيد ، لكن مالبث ذوي الحسد والبغضاء يشعرون بالالم نتيجة اصغاء الملك لنصائح الأمير وعمله وفقها .

وبعد هذا تحرك الملك والأمير وغادرا نابلس الى القدس حيث استقبلا بحفاوة كبرى ، وأقام السكان احتفالا كبيرا ، وعم السرور بين الناس لتوطد السلام بين الملك والأمير ، ومالبث أن استأذن الأمير الملك المغادرة ، فأمره الملك بأن يجمع جنده ويقودهم الى نبع الصفورية لأنه علم أن صلاح الدين يجمع عساكره ليقودهم الى داخل أرضه ، ونصحه الأمير أن يراسل أمير أنطاكية ويطلب منه ارسال النجدات له ، وقام الجميع بحشد فرسانهم وتقدمهم بذلك مقدما الداوية والاسبتارية ، وذهب أمير طرابلس الى صفورية ، وأرسل أمير أنطاكية ابنه البكر ريموند مع (خمسين من) فرسانه ، وبعد وصول الأنطاكيين أمر الملك البطريرك ليحضر له الصليب المقدس ، وأحضره البطريرك من القدس ، ثم عهد بحملة الى راعي الضريح المقدس ، وطلب منه أن يتولى حمله ويأخذه الى الملك لأنه هو نفسه لديه عذره بالتخلف وبعدم الذهاب ، وسيكون من الصعب عليه التفكير بالالتحاق بالجيش (وترك السيدة باسك دي رفري) وحقق هذا الملك النبوءة التي سبق لرئيس أساقفة صور أن عملها يوم جرى اختياره ليكون بطريركا ، لقد هزم هرقل الفرس وأعاد الصليب الى القدس ، وسيلقي به هرقل وسيفقد الى الابد ، ففي ذلك الوقت ألقى هرقل (البطريرك بالصليب الى خارج القدس ولهذا لم يعد مطلقا ، ولكنه فعل ذلك في المعركة التي سنسمع عنها :

وعندما حمل الصليب الى الملك استعدادا للمعركة ، جاء مقدم الاسبتارية ونصح الملك في أن يصدر الاوامر بحشد جميع الرجال في أرضه ليأتوا اليه ، وأن يذفق عليهم ببحبوحة وكرم من المبلغ الذي بعث به هنري الى بيت الداوية .

٢٩ ـ وكان عندما عذب الملك هنري القديس الشهيد توماس أوف كانتربري وسبب شهادته في ٢٩ ـ أيلول ١١٧٠ ـ اعتقد أنه اقترف اثما عظيما ، وندم كثيرا ، وراح يعمل للتكفير ، وتصدق بكثير من الخبز وغير ذلك ، على أمل أن يساعده الرب ويغفر آثامه وما اقترفه من أعمال أخرى ، لقد كان هذا ماحصل بعدما عذب القديس توماس ، وصار يرسل في كل عام واحدا من عنده ليأخذ الطريق الطويل حتى يضع بعض المال في خزينة كل من فرسان الداوية والاسبتارية في القدس .

واستهدف الملك هنري جمع كمية كبيرة من المال في القدس حتى يجد هذا المبلغ أمامه عندما سيصل الى الأراضي المقدسة ليساعدها وينقذها وأعطى مقدم فرسان الداوية خزانة المال التي كانت لديه الى الملك غي ، وقال له : أريدك أن تحشد أكبر عدد ممكن من الناس مثلما جمع المسلمون وأكثر ، فبذلك يمكنك أن تحارب وتثأر للعار والأضرار التي سببها المسلمون لي وللمسيحيين والمسيحية ، وأخذ الملك المال وأغرى به الفرسان والجنود ، وهكذا تمكن من جمع عدد كبير من الفرسان والآف من الرجالة ، وطلب أمير طرابلس الأذن ليذهب الى طبرية ويجهزها ذلك أنه سمع أن السلطان صلاح الدين قد جمع بالفعل آلافا من الرجال يمتطون الخيول ، وأراد أيضا أن يسوغ موقفه أمام الملك لأن الأخير عرف بوجود اتفاق بين أمير طرابلس وصلاح الدين لكن الآن تصالح هذا الأمير مع الملك لهذا توجه الأمير الى طبرية لتحصينها وتجهيزها بالعتاد اللازم والرجال ، وأمر زوجته التي تركها فيها ، وكذلك أمر أعوانه أنهم اذا رأوا قوات صلاح الدين كبيرة جدا الى حد أنهم لايمكنهم

مقاومتهم أن يتحصنوا داخل البحيرة ، وهو سينجدهم في أقرب وقت .

٢-في الوقت الذي غادر فيه الملك القدس وتوجه الى عكا نجد من جانب آخر كونت طرابلس يتوجه بدوره من طبرية الى عكا ، وفيما الجميع في عكا وصلت رسالة مستعجلة بشكل مفاجيء من طبرية أرسلتها أميرة طبرية تعلم فيها الملك أن صلاح الدين قد دخل الى المملكة وحاصر طبرية بقوة كبيرة من الرجال ، وتألم الملك كثيرا وتأثر لسماع هذا الخبر ثم أمر بدعوة الفرسان والبارونات ليتشاور معهم حول الأحداث التي علم بها ، وعندما حضر الجميع طلب الملك مساعدة الحضور من الرجال ونصيحة جميع الذين كانوا هناك ، وأشار مقدم الداوية مع الأمير أرناط ومعهم عدد آخر كبير على الملك أن يزحف مباشرة لطرد صلاح الدين من البلاد ووضعه خارج المملكة ، ففي هذا

محك لسلطته الملكية ، فصلاح الدين بعمله هذا جرده من سلطاته الملكية ، وبذلك اصطدم بالمسلمين ، ولقد احتقره صلاح الدين ، وهو ان لم يستطع ــ منذ هذه الساعة ــ الوقوف ضده وصده ، فهو على وشك أن يفقد المملكة ، وعند نهاية الاجتماع سأل الملك أمير طرابلس عن رأيه ونصيحته ، فخاطبه على مسمع من الذين كانوا هناك قائلا :

« مولاي انني انصحك واقترح عليك أن تشحن مدنك وقلاعك بالرجال والمؤن والعتاد والسلاح والمواد الأخرى المفيدة بالدفاع ، ومع أن أمير انطاكية قد بعث أبنه مع خمسين فارسا ، راسله ثانية ، واكتب أيضا الى بلدوين دي ابلين وأخبره أن صلاح الدين قد دخل الى أراضي المملكة مع جيش جبار ، وأن عليه القدوم لمساعدة المملكة ، فأنا أعرف انه سيقدم ، وانت تعرف أن الوقت الآن منتصف الصيف وهو الوقت الذي تصل فيه الحرارة الى الذروة خلال السنة كلها ، هذا وان عزلة المكان وخشونته

والطقس الحار سيهاجمونهم ، وفي تلك الأثناء سيمتلك بلدوين دي ابلين الوقت الكافي للوصول ، وفي الوقت الذي سيشعر فيه صلاح الدين بالامان سنكون جاهزين ، وسنهاجم ساقة قواته وسننزل بها ضربات مؤلمة ستمكننا - بمشيئة الرب - من ابقاء مملكتكم تعيش بسلام » .

٣١ - وعندما فرغ الامير من كلامه ، رد عليه مقدم الداوية مع الامير أرناط وقالا : ان النصيحة التي سمعناها غير جيدة ، ورأي غير مقبول ، فيه رائحة الخيانة ، هو مبرقع بجلد الذئب ، وعندما سمع الأمير ذلك التفت نحو الملك وقال له :« مولاي اسألك لا بل أدعوك أن تذهب لتقديم النجدة والعون الى طبرية » ، فرد عليه مقدم الداوية مع الأمير أرناط : ان الملك سيذهب بكل سرور الى النجدة ، وحينذاك تجهز الملك ومعه جميع فرق الفرسان في مملكة القدس ، وتحركوا جميعا من مدينة عكا ، وذهبوا للتمركز قرب نبع الصفورية ، وهناك أظهر الملك كرمه مرة أخرى فحصل على عدد معتبر من الفرسان والرجالة والخيالة ، ولهذا السبب أحضر الصليب المقدس من القدس ليحمله وليسير في حمايته كثير من الناس ، ووضع الملك ثقته برجاله بفضل يسوع المسيح الذي قدم الفداء على الصليب .

٣٢ - بعدما مارس الملك كرمه على هذه الصورة أراد أيضا أن يتشاور مع رجاله فبعث مجددا وراء كونت طرابلس ليستشيره وليستمع الى رأيه .

وأجابه ريموند ، بحكمة وعقل ، قائلا : اعلم ياسيدي أن أي ضرر يلحق بطبرية أنا مسؤول عنه ، ويقع على عاتقي وحدي وليس سواي ، وبالنسبة لزوجتي سيدة طبرية ولأولادي ، هم في طبرية داخل قلعتها ، وأن لا أرتضي بكل ما في الدنيا من ثروات مقابل لحاق الأذى بأي منهم ، ولهذا سبق لي أن أوعزت اليهم أنهم اذا ما وجدوا قوات صلاح الدين أكبر من أن يستطيعوا التصدي لها ، عليهم أن

يصعدوا على ظهر قواربهم ، ويفتشوا عن ملجأ داخل البحيرة حتى يأتي وقت نستطيع فيه القدوم لتقديم العون لهم ، وبعد هذا استطرد يقول : سيدي اذا كنت ترغب أن تدخل الحرب ضد صلاح الدين دعنا نرحل ونتمركز أمام عكا ، حيث نبقى على مقربة من قلاعنا ، إنني أعرف صلاح الدين ، انه رجل متكبر ، ومتشبث وشجاع ومقدام وماأظنه سيترك أراضي المملكة حتى يذشب القتال معك ، واذا ماجاء لمحاربتك أمام عكا وسارت الأمور لغير صالحنا ، وقانا الرب من ذلك ، يمكننا أن نطلب النجدات من عكا والمدن القريبة منه ، واذا مانصرنا الرب ،وتمكنا من الحاق الهزيمة به قبل وصوله الى أراضيه ، فسننزل به ضربة مميتة لن يتمكن من التعافي منها أبدا .

وعندما أنهى الكونت ريموند كلامه تمتم مقدم الداوية بشكل يسمعه قائلا : اني أشم رائحة الخيانة ، انه يتبرقع بجلدالذئب ، وعندما سمع الكونت قوله ، احتد واندبرى قائلا موجها خطابه الى الملك : سيدي أرجوك وأتمنى عليك أن تهب الآن للذهاب الى نجدة طبرية ، فأجابه بأنه يتمنى أن يفعل ذلك ، وفي تلك الساعة وصلت رسالة من صاحبة طبرية موجهة الى الملك طالبة القدوم لمساعدتها ، لأنها ومن معها عرضة للخطر الشديد ، ولدى سماع الفرسان لهذه الأخبار ضجوا وصرخوا جميعا في وسط الجيش : دعونا نذهب لحماية سيدات طبرية ونسائها .

٣٣ ــ لقد تحدثنا عن الملك وعن كتائب فرسانه التي كانت متمركزة قرب نبع الصفورية ، وبقدر مافعلنا ذلك نولي الاهتمام مسألة أخرى فنتساءل عن السبب في سوء التفاهم والتباغض بين مقدم الداوية الأخ جيرارد دي فورت وخصمه أمير طرابلس ، عندما جاء من قبل مقدم الداوية الى أرض القدس ، بات فارس عصره ، وقدره الملك عموري منذ أن كان أميرا ، ووعده ثم أجاز له أفضل زواج يحصل بين فرسانه ، وكان هناك وليم دوريك الذي كان قبل موته سيد البترون ، وهو الذي كان قد تزوج من استيفاني ابنة هنري دي بوفل ، وبعد وفاة وليم تزوجها هيو صاحب جبلة ومنها

جاء غي صاحب جبلة ، وقد كان لديه ابنة من امرأته الأولى ، وقبيل وفاته قدم الى البلاد رجل ثري يدعى بليفين ، وأحضر بليفين هذا له أموالا طائلة ، وطلب أمير طرابلس منه ابنته زوجة له ، وهي طبعا سيدة البترون ، ووعده الكونت بتلبية طلبه ، وكان ذلك بحضور جيرارد دي ردفورت ثم أعطاها له بكل سرور بحضور بليفين لأن بليفين أعطى الى أمير طرابلس أموالا طائلة في سبيل إتمام هذا الزواج ، حتى ليقال انهم وضعوا الآنسة في الميزان ووزنوها وأعطى الذهب الذي وزنته الى الأمير ، وأكثر من ذلك ، ومن أجل هذا المال الكبير ، أعطى الأمير ابنته الى بليفين ، ولم يعطها الى جيرارد .

وعندما رأى جيرارد دي ردفورت أن أمير طرابلس بصنيعه هذا قد رفضه وحرمه من الزواج بابنته غضب غضبا شديدا ، لأنه أعطاها ـ كما قال ـ الى رجل سافل ، ولهذا السبب عامل الفرنسيون الايطاليين بكل ازدراء ، فهذا الغني ماكان ليستفيد لو لم يكن سافلا ، فأكثر سكان إيطاليا عبيد وقراصنة أو تجار أو بحارة ، والفرنسيون فرسان ، لذلك احتقروا الايطاليين ، ولهذه الاسباب غضب جيرارد كثيرا من أمير طرابلس ثم سافر الى القدس ، وهناك أصابه مرض ولهذا التجأ الى بيت الداوية ، وبعدما توفي الاخ أرمانت صاحب قلعة الروج ومقدم الداوية ، انتخب رجال بيت الداوية الاخ جيرارد دي ردفورت مقدما ، وأثناء حادثة تتويج الملك غي ، عندما وضعت الملكة التاج على رأس الذي سيكون ملكا ، ساعد مقدم الداوية الملكة في وضع التاج على رأس البارون غي دي لوزنغنان ، وبعدما وضعته توجهت نحوه وقالت :« في هذا التاج سداد للبترون » ولقد كان هذا هو سبب البغضاء بين مقدم الداوية الأخ جيرارد رد فورت وأمير طرابلس .

بعد هذا استدعى الملك أمير طرابلس والبارونات ومقدم الداوية في المساء وتشاور معهم وسأل عما يرونه ، وأشار أمير طرابلس على الملك الا يتحرك من عند الينبوع حيث كانت اقامته والا يغيرها ، لأن

صلاح الدين كان لديه الكثير من الرجال والملك ليس لديه مايكفي من الرجال ليتمكن من التصادم معه ، وعليه البقاء حتى وأن هدم صلاح الدين طبرية أو استسلم من فيها له ، وسلم الملك والبارونات لصواب هذا الرأي ، وجرى اقرار ذلك في سرادقه .

وبعد هزيع من الليل دخل مقدم الداوية على الملك وخاطبه بقوله : سيدي لاتثق بمشورة الكونت ريموند ، لأنه رجل خائن وأنت تعرف أكثر من سواك أنه لايحبك ، ويتمنى أن يلحق العار بك ، وأن تفقد المملكة ، ولهذا أشير عليك بأن تمضي من هنا ، فنحن معك ، ونحن نرى أن علينا التوجه نحو صلاح الدين لالحاق الهزيمة به ، وهذا بالأصل واجبك الأول الذي عليك القيام به ، طبعاً بمشيئتك وحسب رغبتك ، وأعلم انك اذا لم ترحل من هذا الموقع ، فسيأتي صلاح الدين ويحاربك هنا ، واذا ماانسحبت من هذا الموقع خشية هجومه فسيلحق بك العار ، وسينصب لوم الناس عليك بشكل أعظم .

وعندما سمع الملك هذا أصدر أوامره بتحرك الجيش ، ولدى سماع بارونات الجيش بأنه أصدر الاوامر بالزحف توجهوا اليه ، وقد استولت عليهم الدهشة ، وخاطبوه بقولهم : أيها السيد ، لقد سلف أن وافقت معنا في اجتماعنا الاخير على قرار عدم التحرك من هنا ، فما الذي جعلك تصدر الأمر بتحرك الجيش ؟ فأجابهم بقوله : ليس من شأنكم توجيه مثل هذه الاسئلة ، ماعليكم سوى امتطاء خيولكم ، والتحرك حالا ودونما ابطاء نحو طبرية :

لقد كانوا رجال صدق واخلاص ، لهذا أطاعوا أوامر الملك التي أصدرها اليهم ، وليتهم لم يطيعوه ، فذلك كان أفضل للمسيحية ، وهنا أجد لزاما علي اخباركم بأمر عجيب حدث في ذلك اليوم ، فقد رفضت جميع حيوانات النقل والخيول في الجيش المسيحي شرب الماء من نبع صفورية وملامسته في اليوم والليلة قبل

الرحيل على الرغم من شدة الحر ، وظهر عليها الحزن الشديد كما ظهر على رجال الجيش الذين تحركوا وهم يبكون وينتحبون ، ولهذا تخلوا في اليوم التالي - أثناء العمل - عن أصحابهم لما لحق بهم من ضعف شديد ، وماتوا عطشا لانعدام الماء .

٣٥ - وعلي أيضا الا أغفل عن اخباركم بحادثة رهيبة نزلت برجالات الجيش ، مع أنها تبدو كأسطورة ، تحظر علينا الكنيسة المقدسة تصديق أمثالها والاعتقاد بصحتها : عندما انطلق الجيش من منطقة نبع صفورية ، وتجاوز الناصرة ، فكان على مسافة ميلين منها ، اجتاز سيرجانتية الجيش بامرأة مسلمة عجوز ممتطية حمارا ، واعتقد السيرجانتية بأنها عبدة آبقة ، فألقوا القبض عليها ، وتعرف عليها بعضهم وقال بأنها من الناصرة ، وسألها الجميع عن وجهتها في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، ولم تتمكن من تقديم جواب واضح لجميع الأسئلة ، فهددوها وتوعدوها ، فاعترفت اثر ذلك بأنها عبدة لأحد السوريين من أهالي الناصرة : فسألوها : الى أين أنت ذاهبة ؟ فأجابتهم بأنها ذاهبة الى صلاح الدين لتحصل على جائزة ، مقابل خدمة أدتها له ، فعرضوها لمزيد من العذاب الشديد ليعرفوا منها نوع الخدمة التي أدتها الى صلاح الدين ، فأخبرتهم أنها ساحرة ، وأنها نفثت سحرها على رجال الجيش لمدة ثلاثة أيام متوالية حيث دارت حولهم مرارا ، وألقت سحرها عليهم باسم الشيطان ليمنعهم من التحرك من مكان اقامتهم ، وقيدتهم بفن شيطاني ، حتى يتمكن صلاح الدين من قبضهم جميعا ، ولن يفلت أحد منهم من بين يديه ، ولقد كان حقا أن قلة من الفرسان هم الذين نجو من الموت أو الوقوع بالأسر ، ثم سألها الناس الذين وجدوها قائلين : هل تستطيعين الافراج عن الجذود الذين قيدتيهم ؟ فقالت : نعم اذا أرادوا العودة الى المكان الذي تحركوا منه ، وليس هناك من طريقة أخرى ، فاعتبروها محتالة ، لأنها مسلمة ، ثم لأنها اعترفت أنها ساحرة ، وبناء عليه قاموا بجمع كميات كبيرة من الأشواك والأعشاب الجافة ثم أوقدوا نارا عظيمة وألقوها فيها ، فقفزت منها

مرتين أو ثلاث مرات ، وكان هناك واحد من السيرجانتية وبيده بلطة هولندية ، فضربها ضربة عظيمة شطر بها رأسها شطرين ، وعندها ألقيت في النار فاحترقت ، وسمع صلاح الدين فيما بعد بقصتها فأسف أسفا شديدا لفقدانها ، ذلك أنها لو بقيت حية لفداها بمبلغ كبير من المال .

٣٦ ــ ولايستغربن أحد هذا الخبر لأننا نجد في كتاب الموسويين (سفر العدد) قد كتب أنه عندما عبر بنو اسرائيل صحراء سيناء ودخلوا الى مآب التي كنا ندعوها من قبل الكرك ومونتريال (الكرك والشوبك) وكان اسم ملك هذه الأرض بالاق ، وخوفا من بني اسرائيل استعان هذا الملك بأناس آخرين من الأراضي المجاورة ، وبعث اليهم برجاله محملين بالأموال وأمرهم أن يذهبوا الى بلعام الساحر الذي كان مقيما بالرها فيما وراء الفرات ويعطوه هذا المال ويعدوه بأكثر إن جاء ليلعن بني اسرائيل ويسحرهم ، ووصل اليه الرسل وأعطوه رسالتهم والهدايا التي حملوها ، فأمرهم بأن يعودوا اليه فيما بعد ، ثم قام في الليل وقدم قربانا للرب حسب العادة ، فقال له في المنام دع هذا وامتنع عن لعن بني اسرائيل ، وبينما هو يسير على الطريق أغفل الأمر الذي أعطاه الرب اياه ، وأراد أن يلعن بني اسرائيل ، فأرسل مولانا ملاكا التقى به بالطريق وهو يحمل سيفا ، وعندما رأت أتانه الملاك حاملا سيفه خافت وحادت عن الطريق الى داخل الحقل ، وبدأ بلعام يبحث عن الأتان ليعيدها الى الطريق ، وعندما عادت الأتان الى الطريق الضيق الذي كان على حدود كرمة ، وكان الملاك ايضا أمامها حاملا سيفه ، وخافت الأتان خوفا شديدا فأوقعت صاحبها ، وعندما سقط كسرت رجله ، ثم فتح مولانا فم الأتان وجعلها تتكلم وتخاطب بلعام قائلة له : مولاي ألست أنا أتانك التي يجب أن تحافظ عليها ، فلماذا تضربني ؟ فقال لها : لو كان لدي سيف لقتلتك ، لهذا الكلام ، ففتح مولانا عينيه فرأى الملاك حالا ، وعند ذلك قال له الملاك : طريقكم هذا ضدي ، فأجابه : مولاي انني سأرجع وأعود الى الوراء اذا كان هذا يرضيك ؟ فأجابه

-٣٨١٥-

الملاك : كلا أريدك أن تمضي في سبيلك على أن تمتنع عن لعنة بني اسرائيل .

واستقبله بالاق بكل حفاوة وتشريف واقتاده الى جبل مرتفع حتى يستطيع رؤية بني اسرائيل فيتمكن من لعنهم بشكل جيد ، وعندما توجه بلعام نحو بالاق قائلا : كيف يمكنني لعنة هؤلاء الذين باركهم الرب ، وعند ذلك تلا نبوءة سيدتنا مريم المباركة وحكى عن ولادة يسوع المسيح بأنها ستكون على الشكل التالي : أنها ستولد من نسل يعقوب ، وسيأتي رجل من بني اسرائيل ويهد أركان مآب .

وعندما عجز عن لعن بني اسرائيل وأن يتغلب عليهم بسحره وبأعماله السيئة أشار عليه أن يختار أجمل بنات أرضه وأن يعطي لكل منهن كمية من الخمر ويرسلهن الى الحانة أو النزل لأن الاسرائيليين الذي يشتغلون فيه سيشاهدون جمال الفتيات فسيأتون اليهن ويشربون الخمر معهن ، وهكذا سيأثمون فيغضبون الرب ، فيغضب عليهم « وهكذا يخطئون ويغضبون الرب فيغضب عليهم الرب ، واذا طردتموهن يعدن اليكم واعلموا أنهن يهدمكن » ، لقد منع بذوا اسرائيل الفتيات ولكنهم شربوا الخمرة .

ولايستغربن أحد اذا ضاعت أرض القدس ، فقد اقترفوا خطايا كثيرة فيها وفي القدس بالذات حتى غضب الرب عليهم كثيرا ، وبذلك سهل عمل عبيد الشيطان فتقدموا للعمل بين صفوفهم فرموا بالبغضاء فيما بينهم فضاعت المملكة بذلك من بين أيديهم .

٣٧ ـ وسأحدثكم الآن عن انتخاب البطريرك هرقل الذي كان رئيسا لأساقفة قيسارية .

عندما مات البطريرك أمالرك ، جاء رئيس أساقفة صور الذي كان يخشى الرب كثيرا وطبعا يحبه وكان نائب البطريرك الى اساقفة الضريح المقدس ورهبانه وجمعهم ، ثم توجه اليهم بالقول : تعلمون

أن الرب أخذ أمانته بموت أبينا البطريرك ، وأنتم مكلفون بـانتخاب البطريرك الجديد ، وأنصحكم بإيمان الا تنتخبوا أحـدا مـن هـذا الطرف من البحر ، لأنكم لن تستطيعوا ان تنتخبـوا مـن هنا كمـا تحبون ، ولذلك ستقع الخسائر على المملكة ، فـأما أن تنتخبـوني شخصيا ، أو تنتخبـوا هـرقل رئيس أسـاقفة قيسـارية ، وإذا انتخبتموه وقدمتموه الى الملك سـيستقبله بـكل طيبـة خـاطر لأن أمه (أغنس دي كورتني) تحبه كثيرا ، وأنتم تعرفون كيف عينته رئيسا لأساقفة قيسارية ، وأنكم على معـرفة تـامة بحياتـه وكيف هي ، تماما كما أنا أعلم شخصيا ، وإذا مارغبتهم بانتخاب واحد من وراء البحر ، أنا وسائر الأساقفة بالمملكة أنصحكم بـذلك بـكل طيبة خاطر ، وإذا شككتم بما قلت وارتبتم بالأمر لأنني أشرت عليكم هكذا ، اعلموا أنني قرأت في واحد من الكتـب : هـرقل قـد أحضر الصليب من بلاد الفرس ووضعه في القدس ، وهرقل سـيأخذه مـن القدس ولذلك سيفقد ، ولهذا السبب دعوتكم الى هذا الاجتماع .

ثم افترق رئيس أساقفة صور عن هؤلاء أساقفة الضريح المقدس ورهبانه ، وعندما أصبحوا لوحدهم ، عقدوا اجتماعا ، فرجتهم هنا أم الملك ان ينتخبوا المعـروف بـاسم هـرقل ، غير أنهـم لما كانوا مجتمعين قرروا انتخاب رئيس أساقفة صور وذلك بمـوافقة الجميع ودون ان يخالف أحد منهم ، ثم مـالبثوا أن اختـاروا كل مـن وليم رئيس أساقفة صور وهرقل رئيس أساقفة قيسـارية ليكون واحـد منهما بطريركا ، وقدموا بعد هذا الاسـمين الى الملك ، وقبـل الملك اللائحة بـكل سرور ، وهنا تـرجته أمـه أن يقـع اختياره على هرقل ، ويتخذه بطريركا ، وقبل الملك رجاء أمه ووافق على الاختيار الذي رفعه له أساقفة الضريح المقدس ورهبانه ، ولايمكن لأحـد أن يقول ان الملك لم يتلق اقتراحا مـن الأسـاقفة بشـأن تسـمية البطريرك ، وجرت العادة انه عندما يتولى أساقفة الضريح المقـدس اختيار البطريرك عليهم أن يقدموه الى الملك ، فاذا ما انتخبوا أحدا عند صلاة المساء يقدمون الاقتراح الى الملك فورا ، والملك يعـطيهم الجواب في الساعة الأولى من صباح اليوم التالي ، وإذا اختاروه في

ساعات الصباح يرفعونه الى الملك حتى يعطي جوابه عند المساء وبصراحة يقال كان الملك موجودا أثناء الاجتماع لاختيار بطريرك القدس ، وهذا مالم أجد من يؤكده وما سمعت أحدا يتكلم أنه شهده ، اذا لم يكن للملك أي تأثير مباشر على الاجتماع لأنه كان يعرف جيدا أن أثره وتأثيره سيظهر عند اللزوم ، ومع ذلك قضت القاعدة بالاختيار بالقرعة فهذا ماوجد في الكتاب المقدس حيث يروى أنه عندما كان الرسل مجتمعين (أعمال الرسل : ١-١٥) في جبل صهيون بعد عيد العنصرة وذلك بعد موت يهوذا رشحوا اثنين هما يوسف العادل ومتى ، ووضعوا اختيار القرعة عليهما ، فوقعت القرعة على متى ، ولهذا السبب يقول الناس أساقفة الضريح المقدس يختارون والملك يجري القرعة ويوافق .

٣٨ ــ وسأحدثكم الآن واصفا حياة البطريرك هرقل ، وكيف غدا بطريركا ، فهو كان ذكيا ، أديبا ، وكان أيضا شخصا جميلا ، وكانت أغنس أم الملك المجذوم تحبه كثيرا ، والمحبة العظيمة التي كانت تكنها له جعلته رئيس كهنة القدس ثم رئيس أساقفة قيسارية وبعد هذا بطريركا ، كما تحدثت عن ذلك من قبل ، وكانت هناك زوجة أحد السادة في نابلس ، التي تبعد ثلاثة وعشرين ميلا عن القدس ، وتدعى باسك دي رفري ، وقد وقع البطريرك بحبها وهام ، حتى غالبا ما كان يأتي بها الى القدس حيث كانت تمكث لديه يوما أو أكثر ، وكان البطريرك يغدق عليها الأموال وعلى البارونات حتى جعلهم أغنياء ، وذلك بسبب أن البارونات كانوا متطابقين مع ارادة البطريرك ، وعندما مات زوج هذه المرأة ، لم تبق لوحدها ، لأن البطريرك أحضرها الى عنده ، واشترى لها ملكية كبيرة من الأرض ، وزرع لها فيها أشجار التفاح ، وكانت تروح دوما وهي مزينة بالذهب داخل مدينة القدس ، وكانت كل امرأة أجنبية أميرة أم غنية تقدم لها الذهب والأحجار الثمينة لتزين بها جسمها ، وكان الناس الذين يعرفونها يقولون عندما تمر من أمامهم . « هذه البطريركة » .

٣٩ ـ وفي احدى المرات ، بينما كان البطريرك والملك وبـارونات المملكة في واحد من اجتماعات مجلسهم الذي اعتادوا على عقـده في قصر البطريرك للبحث في مصالح البلاد وحـاجات الشـعب ، جـاء واحد من الناس الى حيث كان مجمع الأسـياد وصـاح : « مـولاي البطريرك معي لك أخبار جـديدة سـأقولها لك إذا سـمحت لي على انفراد » ، وخيل للبطريرك والملك والبارونات الذين كانوا مجتمعين معا أنه يريد أن يقول للبطريرك أخبارا جديدة مفيدة للمسيحيه لأنهم كانوا يشعرون بالانزعاج عندمـا لا تـأتيهم أخبـار جـديدة إلى القدس ، وذهب مع البطريرك ليقول له ما حمله مـن أخبـار ، وعند ذلك قال له : هات ما عندك من أخبار جديدة ، عسى أن تـكون مفيدة لنا ، فقال له : لقد أنجبت السيدة باسك دي رفري ابنة ، فقـال له البطريرك : اسكت يا مجنون ولا تقل شيئا بعد ، ومـن أجـل هـذه السيرة التي كان يعرفها عنه رئيس أساقفة صور ، قال ما سمعتوه من قبل الى اساقفة الضريح المقدس وكهنته ، ومع هذا تصرفوا على عكس ما نقل اليهم ، مع أن مولانا قد تعذب بسـبب خـطايا أهـل القدس ومن أجلها .

وكان بعدما أصبح هرقل بطريركا أن قام يوم الخميس المقـدس (١١٨٣) على جبل صهيون فحرم رئيس أساقفة صـور ، بـدون دعوة مثارة ضده أو حجة وبدون أن يستدعيه اليه ليستجوبه ، وقام رئيس الأساقفة المذكور بناء عليه بالشكوى الى روما ، وعندما كان على نية السفر الى روما ليمثل أمام البابا الكسندر(الثـالث) بناء على طلبـه ، وليشـارك في المجمـع المسـكوني الذي كان سيعقده ، واستعد رئيس الأساقفة وتحرك ليسافر ، وهنا استأجر البطريرك كيماويا وأعطاه المال الكثير ليذهب الى رئيس الاسـاقفة وليم واستجاب المأجور وسممه .

وقام البطريرك بدوره بـالسفر فعبـر البحـر وذهـب الى مرسيليا ، ومن مـرسيليا ذهـب الى جلفـادان (جيفـودان) في بلاده ، وهنا عندما سمع البطريرك أن وليم رئيس أساقفة صور قـد

مات ، عاد من بلاده ، وجاء الى القدس ، متظاهرا بذلك أنه لم يكن موجودا من قبل عند وقوع حـادث التسـمم ، ولنتـذكر أن رجـال الاكليروس أعطوا في كل عصر المثل الصالح لكن من أجل خـطاياهـم الآن غضـب مـولانا كثيرا ، غضـب على الذين يسـكنون مملكة القدس ، وطهر الأرض من الخطيئة ومن الذين أقترفوها ، وحـدث أنه عندما أخذ صـلاح الدين القـدس ، وجـد في المدينة رجـالا مسنـين ، يدعى أحدهـم روبرت دي كودري ، وهـو ممـن كانوا مـع غودفري دي بوليون اثناء احتلال القدس ، واسـم الآخـر فـولتشر فويل ، وقد ولد بالقدس عندما احتلت للمرة الاولى ، كما وجد صلاح الدين رجالا مسنـين آخرين فأشفق عليهم ، وأخبروه أنهـم يودون البقاء في القدس وامضاء حياتهم فيها ، فـأذن لهـم بـكل طيبـة خاطر ، وأوعز أن يعطوا العمـل الذي يرغبـونه مـاداموا على قيد الحياة وكذلك ما يكفيهم لعيشـم ، وهنالك أمضوا حياتهم .

٤٠ ـ ونعود الان لنحدثكم عن الملك غي وجيشه ، فقد تحـركت قواته من موقعها قرب نبع الصفورية بقصد التوجه نحـو طبـرية ، ولكن ماأن ساروا قرابة مرحلة حتى جاءهـم صلاح الدين فصـدمهم من الامام وأرسل بمقاتليه فتحاربوا معهم من الصباح حتى الظهيرة. وكانت الحرارة شديدة ، ولم يستطع أحـد تقـديم المسـاعدة أو القدوم بها ، وأصيب الملك وجميع الناس الاخرين بالشرور والضياع إلى حد أنهم لميعرفوا ماالعمل ، وكانوا لايسـتطيعون التـراجع لأن الخسائر ستكون فادحة .

وبناء عليه بعث إلى كونت طرابلس الذي كان في خط الدفاع الأول فسأله عن رأيه وماالذي ينبغي عمله ، فـأجابه الكونت أنه لو سـمع نصيحته بالمقام الأول كما يود سماعها الان ، لكان ذلك أعظم فـائدة له ، ولأمكن انقاذ المسيحية ، ولكن الوقت تأخر الان كثيرا ولايمكنه أن يفكر بوسيلة مجدية أو مفيدة سوى التظاهـر بـالتوقف هنا ، وأن يقدم الملك على نصب خيمتـه هناك ، واخـذ الملك بهـذه النصـيحة الفاسدة ، على عكس ماكان يفعله مـن قبـل عندمـا كان يقـدم له

النصائح الجيدة فلا يأخذ بها ، ولم يكن على هذا الجانب غير المسيحيين ، ولم يعارض المسلمون التوقف وكذلك فعل صلاح الدين •

٤١ ـ وبينما المسيحيون في خيامهم أمر صلاح الدين رجاله أن يجمعوا أشواكا وأخشابا وأشياء أخرى ليشعلوا فيها النيران ، وأوقف المسلمون القتال مع قوات المسيحيين ، وبعدما نفذت أوامر صلاح الدين بحذافيرها ، وجاء الصباح أمر صلاح الدين باشعال النيران بين صفوف المسلمين وصفوف المسيحيين ، ونفذ الامر بشدة ودون تقاعس ، واشتعلت النيران وكان الدخان المنبعث من النار كبيرا ، وعلى هذا كانوا علاوة على الأذى الصادر عن الدخان وحرارة النار متضايقين جدا أيضا من حرارة الشمس ، وفي هذه الاثناء أمر صلاح الدين بأن يجلبوا بقوافل الجمال بالمياه من بحيرة طبرية ، وأفرغت المياه أمام المسيحيين الذين كانوا يتألمون كثيرا من شدة العطش .

وكانت قد حدثت حادثة غريبة شائنة لقوات المسيحيين يوم تمركزوا قرب نبع الصفورية الا وهي رفض الخيول الشرب من الماء في الليل ونهار اليوم التالي ، وهكذا أوشكوا على الموت لشدة العطش هم وفرسانهم .

وآنذاك جاء فارس الى الملك كان يدعى جيوفري دي فرانك ليوك وقال له : « مولاي حانت الساعة أن تسقط رؤوس السادة وتقص لحاهم جميعا » ، وكانت هذه احدى الوقائع التي حصلت لشدة بغض سكان هذه البلدة للملك غي والسادة ، فما أن أصبح غي ملكا أنشد أهل هذه البلدة أنشودة في القدس ، أزعجت كثيرا أهالي المملكة ، وتقول الانشودة :

على الرغم من البلديين
لدينا ملك من الوافدين
وجعلنا هذا البغض وهذا الحقد نفقد مملكة القدس

٤٢ ـ بعدما اندلعت النيران ، وارتفع الدخان الكثيف تقدم المسلمون وتسللوا بين صفوف المسيحيين ، وبدأوا يأسرون من المسيحيين بين الدخان . وهكذا حتى طوروا عملهم فضربوا وقتلوا الرجال والشجعان من الفرسان ، وعندما رأى الملك ما أصبحت عليه حالة جنوده واتباعه عموما استدعى مقدم الداوية والأمير أرناط وسألهما : ما رأيكما وما العمل ، فأشارا عليه بمتابعة القتال ضد المسلمين ، فاستدعى أخاه ايمري (أمالرك ـ عموري) ليعطي أوامره لكتائبه بالحملة ففعل ذلك ، وكان أمير طرابلس في المقدمة ، يقود أول الكتائب ، وكان أول من حمل ريموند ابن أمير انطاكية وفرسان كتيبته ، وكان هناك في المقدمة أيضا أولاد سيدة طبرية وهم : هيو ، ووليم وراؤول وأوتو ، وفي الوقت نفسه كان بالين دي ابلين والكونت جوسلين في ساقة القوات ، وبعدما انتظمت الكتائب واحتدم القتال واشتد ، تحرك خمسة من الفرسان من كتائب أمير طرابلس والتحقوا بقوات صلاح الدين ، وذهبوا اليه قالوا : « مولاي ما الذي تنتظره ، اذهب واستول على المسيحيين لأنهم جميعا في وضع ميؤوس منه » وعندما سمع هذا أمر كتائبه بالتقدم ، وتحرك هو الى الأمام نحو المسيحيين .

وعندما رأى الملك أن صلاح الدين قد زحف يريده ، وجه الأوامر الى كونت طرابلس بأن ينقض على المسلمين ، فهذا حق أسياد المملكة ، فعندما يكون الجنود مع اسيادهم على صاحب الارض أن ينشب القتال ويبدأ المعركة ، وأن تكون كتائبه أول الكتائب ، وأول من يهاجم أول الأهداف ، ويتولى عند مدخل الارض قيادة مقدمة الجيش ، وعند عودة الجيش يكون في الساقة ، ولهذا كان أمير طرابلس على رأس مقدمة القوات ، ذلك أن طبرية كانت تحت امرته ، وهكذا هاجم الأمير وكتيبته أول هدف المسلمين ، وكان ذلك الهدف اكبر كتائب المسلمين ، ففتح لهم المسلمون الطريق وسمحوا لهم بالمرور ، وعندما أصبحوا في وسطهم أطبقوا عليهم فلم يفلت من الحصار من فرسان الأمير غير قلة والأمير نفسه وأبناء سيدة طبرية

وريموند ابن أمير أنطاكية ، ولم يجرؤ ريمـوند أمير طـرابلس على الذهاب الى طبرية التي كانت قـريبة منه ، لأنه رأى أنهـم خـذلوا وهزموا ، وهكذا خشي من أن يحاصر هناك ، فيعرف صـلاح الدين بمكانه فيأتي للقبض عليه ، ولهذا سافر مع قسم كبير من رفاقه الى مدينة صور .

لقد هزمت الكتائب المسيحية ، وكان وقتهـا غضـب الرب كبيرا على الجنود المسيحيين ، وذلك بسبب خطاياهم ، فقد هزمهم صلاح الدين بمدة ساعات قليلة ، فمنذ الساعة الثالثة بعد الظهـر وحتـى حلول المساء احتل صلاح ساحة القتال بأكملها وأسر الملك ، ومقدم الداوية والأمير أرناط والمركيز بـونيفيس ، وايمـري كافـل المملكة ، وهمفري صـاحب تيرون ، وهيو صـاحب جبلة . وبليفين رئيس البترون ، وسادة آخرين كثـر ، مـع عدد كبير مـن الفرسان ، وفي الحقيقة يطول الحديث اذا ما ذكرنا اسـم كل واحـد ممن وقع في أسر صـلاح الدين ، وضـاع ايضـا صـليب الصلبوت ، وحدث في أيام هنري دي شامبين أن جـاء واحـد مـن فرسان الهيكل اليه ، وقال له بأن كان حاضرا في معمعـة الخـذلان الكبرى ، وقام بتهريب صليب الصلبوت ، ويعـرف جيدا أين هـو مـوجود ، وإذا سـمح له ، بـالذهاب الى ذلك المكان فسـيذهب لاحضاره ، وأعطاه الأمير هنري الأذن باحضاره ، وذهـب وفتش عليه ليلا ونهارا فلم يجده ، فمن ثم عاد الى مدينة عكا .

وحلت هذه الكارثة بالمسيحيين في مكان اسمه قرني حطين قـرب طبرية ، على بعد قرابة الثلاثة أميال منها ، وكانت في سـنة ١١٨٧ لتجسيد يسوع المسيح وذلك في اليوم الرابع من حزيران ، وكان يوم السبت نهار عيد القدس مارتين لي بـويلان ، وكان الجـالس على الكرسي الرسولي في كنيسة روما البابا أوربان الثالث ، وايضا أيام فريدريك (الأول بربروسا) امبراطور المانيا ، وايضـا أيام فيليب أوغسطس (ابن لويس السابع) ملك فرنسا ، وايضـا أيام هنري الثاني ملك انكلترا وأيام كيرساك امبراطور القسطنطينية .

وأثر هذا الخبر على المسيحيين وأحزنهم كثيرا ، وحز في نفوس المؤمنين بيسوع المسيح ، حتى أن البابا أوربان الذي كان في فراري مات متأثرا من الالم الذي حل بـه (ت ٢٠ تشرين أول ١١٨٧) وذلك اثر سماعه لهذا الخبر المؤلم ، وبعده كان غريغوري الذي كانت حياته كلها قداسة ، فقد بقي شهرا يشغل الكرسي الرسولي المقدس ، وقد توفي وانتقل الى رحمة الرب (انتخب في ٢١ تشرين أول ومات في ١٧ تشرين ثاني في ١١٨٧) وجاء بعد غريغوري كلمنت الثالث (١٩ تشرين ثاني ١١٨٧) واليه حمل جوسيه رئيس أساقفة صور هذا الخبر ، فهذا ما وجدته مكتوبا ومرويا من قبل .

٤٣ ـ وبعدما عاد صلاح الدين الى مخيمه وقد حقق النصر في المعركة ، شعر بفرح عظيم لأنه بالفعل نال نصراً كبيرا ، وما أن استقر في سرادقة حتى امر باحضار جميع الأسرى المسيحيين الذين اسروا في المعركة ، فأحضروا له اولا الملك ومقدم الداوية والأمير أرناط والمركيز بونيفيس ثم همفري صاحب البترون ثم ايمري كافل المملكة ، ثم هيو صاحب جبلة وعدد كبير آخر من الفرسان ، وعندما رآهم جميعا أمامه توجه بالخطاب الى الملك قائلا : انه يشعر بفرح عظيم ، وبفخر كبير لوقوع أسرى نبلاء من هذا القبيل تحت سلطته ، فيهم مثل ملك القدس ومقدم الداوية والبارونات الآخرين .

وعند ذلك أمر بأن يجلب له شراب ملطف في كأس من ذهب ، وبعدما تذوقه قدمه للملك لكي يشرب ، وقال له :« اشرب حتى ترتوي » ذلك أن الملك كان يشعر بعطش شديد ، وشرب الملك ثم قدم الكأس الى الأمير أرناط ، ولم يقبل الأمير أرناط أن يشرب ، وعندما راى صلاح الدين أنه قدم الكأس الى الأمير أرناط انزعج منه ، وعندئذ قال للأمير أرناط :« إشرب وإن كنت لن تشرب ثانية أبدا » فأجابه الأمير : إن شاء الرب لن أشرب من عندك ولن آكل. ثم سأل صلاح الدين الأمير أرناط :« ياأمير أرناط ، في شريعتكم اذا اسرتوني ووضعتموني في سجنكم كما عملت أنا معكم

كيف تعاملونني ؟ فأجابه :« لئن أعانني الرب أقطع رأسك » ولأنه أجاب صلاح الدين بهذه القساوة وبهـذا اللؤم تـأثر صـلاح الدين وغضب غضبا شديدا ، وقـال له عند ذلك :« ياخنزير أنت في أسري وتجيبني بمثل هذه الرعونة » ؟! وكان ممسكا بيده سيفا فـأدخله في جسمه ، وبـادر الحـراس الذين كانوا واقفين أمـامه فقـطعوا رأسه ، ثم أخذ صلاح الدين بعضا من دمه ودهن جسمه به ليعلم من كان هناك أنه ثأر منه ، ثم أمر أن يؤخذ رأسـه الى دمشـق ، وأن يطاف به في البلدان ليظهر الى المسلمين أن الأمير أساء اليه فـلاقى عقابه الشديد .

٤٤ ـ ثم أمر صلاح الدين بحمـل الملك والأسرى الآخـرين الى دمشق ، هذا وعندما سمعت سيده طبرية أن الملك وقع بالأسر ، وأن المسيحيين قد هزموا ، اعتقدت أن زوجها وأولادها قد هلكوا في هذه المعمعة ، فكان أن أرسلت الى صـلاح الدين تعـرض عليه تسـليم طبرية مقابل اعطائها الأمان للذهـاب إلى طـرابلس ، واسـتجاب صلاح الدين بكل سرور ، وأرسل فاستولى على طبـرية ، واقتـاد السيدة وأهالي طبرية اليه بسلام .

وبعد مضي ثلاثة أيام على المعركة أمـر صـلاح الدين ابـن أخيه الأمير الكبير الذي كان يدعى تقي الدين عمـر والذي كان أميرا على حماة ، أمره أن يذهب حالا الى عكا ، ونفذ الأمر وسافر فوصل الى مدخل المدينة ، وهكذا عندما وصل الى مكان عند مدخل عكا اسـمه سفران ، بادر جوسلين الذي كان مقيما في عكا ، بعدما فر اليها اثر الهزيمة العظمى ومعـه بـالين دي ابلين قـائد سـاقة جيش المسيحيين ، فهذا أيضا فر الى هذه المدينة ، بادر عندما سـمع أن القائد الكبير الامير تقي الدين قد جـاء مسرعا الى عكا فـاستدعى عددا من أهالي المدينة ، وتقرر بالتشاور معهم ارسال مفاتيح المدينة الى تقي الدين طـالبا منه الامـان حتـى يسـلم المدينة الى السلطان ، شرط منح أهالي المدينة رجـالا ونسـاء الأمـان مـع أموالهم ، وكان الذي حمـل المفـاتيح الى تقـي الدين مـع عرض

الاستسلام واحدا من أهالي عكا اسمه بيبربرايس ، وعندما سمع السادة من بقية الشعب أن الأمير جوسلين قد سلم مفاتيح المدينة الى المسلمين ثاروا وغضبوا أشد الغضب ، ولكون المدينة سلمت بدون قتال رأى هؤلاء اشعال النار في جميع أرجاء المدينة على أن يسلموها الى المسلمين ، وهكذا ألقى بعض هؤلاء الناس النار في مدينة عكا ، ومهما يكن من أمر أرسل تقي الدين الأخبار الى صلاح الدين قائلا ان المملكة بأكملها صارت اليه ، وطلب منه القدوم لأن أهالي عكا سلموا اليه المدينة والمفاتيح بين يديه .

وعندما سمع صلاح الدين هذه الأخبار سر سرورا عظيما ، وجاء حالا لكنه لدى وصوله وجد النيران تشتعل بالمدينة ، فتوجه بالخطاب الى سكان المدينة بكل مودة ولطف ، وطلب منهم القدوم الى حضرته وأعطاهم الأمان ، وطلب منهم اطفاء النار وأخبرهم انهم اذا أرادوا البقاء بالمدينة يمكنهم البقاء بأمان وسلام ، واستهدف ازالة الصراع بين المسيحيين و المسلمين ، وخبرهم انهم اذا لم يرغبوا البقاء فهو سيقودهم سالمين الى حيث يريدون الذهاب .

٤٥ ــ وعندما سمع أهالي عكا هذا الكلام أخذوا بالنصيحة واطفأوا النار وارسل صلاح الدين رجاله فاستولوا على المدينة وابراجها وقلاعها ، وأعطى مهلة بضعة أيام للذين كانوا في داخل المدينة حتى يستطيعوا أن يخرجوا نساءهم وأولادهم وامتعتهم ، وبعدما استولى صلاح الدين على مدينة عكا شحنها برجاله ، وسمح للناس الآخرين بالمغادرة وقادهم الى حيث أرادوا الذهاب ثم حاصر مدينة صور التي كان فيها بالين دي ابلين الذي كان يقود مؤخرة الجيش يوم المعركة ، فهو قد استقبل بعد فرارة في مدينة صور ، ولدى اقتراب صلاح الدين من صور توصل بالين الى صلاح الدين يرجوه ويتوسل اليه بأن يأذن له ويؤمنه ليذهب الى القدس حتى يجلب امرأته (ماريا كومينوس أرملة الملك عموري وأولادهم) ومن ثم ليذهب الى طرابلس ، وأجابه صلاح الدين

بقوله : انه معطيه الأمان بشكل سرور وأذن له بالذهاب الى القدس، شريطة أن يقسم اليمين في الدير على انجيل المسيحيين الا يبقى في القدس سوى ليلة واحدة ، وأن يغادرها في اليوم التالي ، وبعدما أقسم اليمين المطلوب مكنه صلاح الدين من الذهاب بأمان وسلام الى القدس .

وأدخل وصوله السرور كثيرا على قلوب أهل القدس مع البطريرك والسادة ، ونفذ بالين بعد وصوله الى القدس قسمه ، وأراد أن يغادر المدينة كما وعد صلاح الدين في الدير ، غير أن أهالي المدينة ذهبوا الى البطريرك وتوسلوا اليه باسم الرب في أن يحتفظ ببالين ويبقيه في المدينة لأنه لم يبق لهم مرشد أو حاكم غيره ، فهو يستطيع أن يرشدهم ويسوسهم ، وبعث البطريرك يسأل بالين ذلك ويطلب منه البقاء معهم فأجاب بالين البطريرك بأنه أقسم يمينا لصلاح الدين ، ولن يستطيع البقاء أبدا ، فقال له البطريرك لابأس ، ووعده بأن يحلله من هذا القسم الذي أداه لصالح الديانة المسيحية ، ووافق بالين على نصيحة البطريرك فتحلل من هذا القسم الذي أداه ومكث بالقدس حتى غادرها فيما بعد .

وبعد هذا الحدث ذهب صلاح الدين لالقاء الحصار على مدينة صور ، والذي حصل أنه واجه عند مدخل المدينة أمرا جديدا ، فقد وجدها محمية بشكل ممتاز بالجنود والناس والفرسان الذين فروا من المعركة ووجدوا الملاذ داخل هذه المدينة ، وعندما رأى أنه لن يستفيد شيئا ذهب وتحرك من هناك فقصد مدينة صيدا للاستيلاء عليها (٢٩ ـ تموز ١١٨٧) وبعد ذلك قصد بيروت (٦ آب ١١٨٧) فاستولى عليها ، ثم زحف نحو جبلة ، واقتاد معه (هيو) صاحبها الى مقابلة القلعة ، وجعله يتحدث الى رجاله ليعملوا على تخليصه من الأسر بتسليمها ، وأصغى رجال الحامية في قلعة جبلة واستجابوا فأنقذوا سيدهم ، ومن هناك زحف صلاح الدين ضد طرابلس فوجدها محمية بشكل ممتاز فتجاوزها ، وذهب من هناك الى أرض جبيل

فاستولى على مدينة جبيل ثم على اللاذقية ثم على قلعة صهيون ثم على القصر الابيض (طرطوس) ثم على بغراس ثم على بكسرائيل ثم ذهب لحصار قلعة فرسان الداوية المعروفة باسم قلعة المرقب ، وكان في هذه القلعة فارس ولد في صور يدعى جوهان غالية وكان قد فرمن المملكة ، وجاء الى هذه القلعة لانه كان قد قتل سيده ، وعندما جاء الى صلاح الدين عفا عن ابن عمه ليعلمه استخدام السلاح وحمله وفق طرائق الفرنجة ، كما علمه طرائق المبارزة بشكل جيد جدا ، أما التابع الذي كان يحرس الفارس فأراد الحصول على السلاح ليعود به الى عند المسيحيين ، فحصل على ذلك بكل يسر وطيبة خاطر ، وذهب صلاح الدين بعد هذا الى منطقة حلب واصطحب معه الفارس وتابعه ، وتركهما في منطقة حلب ، وأحيط جوهان غالية بالاكرام والتشريف والهبات ، فبعث برسالة الى فرسان الداوية في قلعة بغراس يخبرهم أنهم اذا أرادوا الحصول على ماأخذه من صلاح الدين من سلاح عن طريق الشراء فهو على استعداد لبيعهم اياه بكل سرور في أي دير يريدون ، فبعد اعطائهم السلاح سيعود الى مملكة القدس ، وتجاوب معه رجالات الداوية ، كما وأعطاه المسلمون الطيبون الأمان والسلام ، وبعدما طمأنه رجال الداوية جاء اليهم مع تابعه ، ودخل الى أراضي المسيحيين ، وهنالك تجهز رجال الداوية وأخذ الداوية التابع واقتادوه الى القلعة .

٤٦ ـ بعدما هزم صلاح الدين المسيحيين وأسر الملك ، بدأت أخته تلح عليه لايجاد من يستطيع اعادة ابنه الظاهر من حلب والح عليه كذلك تقي الدين من أجل إعادة ابنه وكان صلاح الدين يريد ذلك ايضا ، وذهب صلاح الدين ليحاصر كل من كان في القلعة ، وكان في داخلها رينو صاحب صيدا وكان قد فر من المعركة والتجأ الى مدينة صور ، وبعث هذا بفارس الى صلاح الدين الذي كان يحاصر قلعة كوكب يقول له إنه يريد تسليم مدينة صور ، ويريد شاراته وأعلامه لتوضع فوق القلعة ، وعندما سمع صلاح الدين بهذه الأنباء فرح كثيرا ، وأعطى الشارات المطلوبة الى الفارس الذي جاء اليه وطلب

أن تسلم اليه المدينة حالا ونهب الفارس الى صور وسلم الشارات الى رينو صاحب صيدا وفكر هذا بالذي عليه ان يعمله وكان الرب لايريد ان تسلم صور الى المسلمين ، بل أراد الحفاظ عليها للمسيحيين ، وخاف رينو صاحب صيدا من وضع الشارات والرايات على القلعة لخوفه من أهل المدينة فأرسل كتابا الى صلاح الدين حيث كان يحاصر كوكب قائلا بأنه لايجرؤ على أن يضع الاعلام والاشارات على قلعة صور ، اذا لم يأت هو بنفسه ، وأن عليه القدوم بسرعة اذا ماأراد الحصول على المدينة ، وماأن وصل الخبر الى صلاح الدين حتى تحرك وترك حصار قلعة كوكب ، وفيما هو في طريقه الى صور أرسل اليها الرب المركيز كونراد مونتفرات الذي كان في القسطنطينية منذ زمن طويل فاستولى على مدينة صور ، وحصنها ضد حملة صلاح الدين ، كما أنه طرد رينو صاحب صيدا من صور ، وأخذ الشارات والاعلام التي وجدها على القلعة فمزقها ورمى بها الى خارج القلعة ضد صلاح الدين ، وعند وصول صلاح الدين الى صور كان يتأمل في أن يجد رينو صاحب صيدا في انتظاره ليسلمها له ، فلم يجده أبدا ، بل على العكس وجد المدينة محمية بشكل جيد جدا ، فكان أن سافر من هناك لحصار قلعة عسقلان .

٤٧ ـ أنا سأحدثكم الآن عن قدوم الماركيز ، وكنت قد حدثتكم من قبل أن الماركيز كونراد قد تحرك من بلاده على نية القدوم الى القدس ليقوم بحجة ، لكن الأيام رمته في مدينة القسطنطينية ، ثم كان أن أعطاه الامبراطور كيرساك أخته لتكون زوجة له ، وذلك لأنه قتل ليفرناس ، وقد هدده أهل ليفرناس بالقتل ، وكان كونراد نفسه شجاعا باسلا حتى أن الامبراطور ألكس (أقرأ : كيرساك) كان يخاف منه كثيرا ، وهكذا أراد أن تنتزع عينيه ، وعرفت زوجته ذلك فأخبرته لأنها كانت تحبه كثيرا ، وترجته في أن يحتاط لنفسه حتى لايصاب بأذى ، فما كان منه الا أن استدعى الفرسان الذين كان قد أحضرهم معه من بلاده ، وأطلعهم على الكلام الذي نقلته له زوجته ، وترجاهم وقال لهم : عندما ستذهبون لتحية

الامبراطور ، عليكم أن تطلبوا منه اذنا يسمح لكم بموجبه بالذهاب الى القدس والقيام بالحج ، وأوصاهم الا يقبلوا من الامبراطور أي عطاء أو وعود سخية من أجل البقاء لأنهم لو قبلوا بالبقاء سيكونون تحت خطر الموت ، أو فقدان العيون .

وذهبوا في اليوم التالي لأداء التحية الى الامبراطور ، وكان بعدما أدوا التحية له أن طلبوا من الماركيز الأذن للذهاب لأداء الحج ، فترجاهم الماركيز للبقاء ، فأجابوه بالرفض وانهم لن يمكثوا أكثر مما فعلوا أبدا ، وسمع الامبراطور من رسوله أنهم يطلبون اذنا للذهاب والمغادرة فورا فترجاهم ووعدهم بالاموال الطائلة من أجل الحروب التي كان يقوم بها ، فأجابوه كلهم بالاجماع بأنهم لن يبقوا مطلقا ، ثم قال الماركيز للامبراطور بأنهم وعدوه ، وأقسموا له بالعودة اليه بعد تأديتهم الحج : وتلقى الامبراطور هذا الوعد بطيبة خاطر وسمح لهم بالسفر .

وكان لديه قطعة بحرية تابعة لأهالي بيزا ، تريد الذهاب الى سورية ، فطلب منهم نقلهم ، وزودهم الامبراطور باللحوم والمؤن وأعطاهم ايجار السفينة ، وأعطاهم الماركيز جميع الأموال التي كانت بحوزته في القسطنطينية ، وبينما كانت السفينة مستعدة للاقلاع ، كان الامبراطور قريبا من شاطىء البحر ، ولدى رؤية الماركيز السفينة جاهزة للسفر والبحر هادئا ، والوقت مناسبا للابحار والسفينة للانطلاق قال للامبراطور :« مولاي نسيت حاجة علي أن أعطيها الى واحد من الفرسان ليذقلها الى والدي وابن عمي » فقال له الامبراطور :« اذهب بأمان الرب وقل له ماتريد » وركب الماركيز في أحد الزوارق وذهب الى السفينة ، وعندما صعد الى ظهرها سأل بحارته عما اذا كان الوقت مناسبا للتحرك ، فأجابوه بالايجاب ، فقال لهم ارفعوا أشرعتكم وأقلعوا فورا بمشيئة الرب ، وبالفعل حركوا أشرعتهم ، ومنحهم الرب الوقت الجيد المناسب ، فوصلوا الى سورية وجاءوا الى أمام مدينة عكا ، وبذلك نجا الماركيز من الامبراطور .

٤٨ ـ كان في ذلك الوقت ـ الذي وصلوا فيه الى أمام مدينة عكا ـ عادة في المدينة أن يقرع الناقوس ساعة وصول أحد من وراء البحار ، وأن تسير ناقة الى السفينة ، وعندما وصل الماركيز لم يسمع أبدا صوت الناقوس ، فألقى بزورق بالبحر ووضع فيه مجموعة من الرجال الأكثر حكمة في السفينة ، وأرسلهم الى السفينة ليسألوا وليستطلعوا سبب عدم قرع الناقوس ، وليعرفوا له ماهي الأخبار بالبلد ، ووصل الزورق الى أمام برج موسى ، وسألوا هناك الذين صدفوهم : لمن تعود الآن ملكية هذه المدينة ، فأجابوهم أنها تعود الى صلاح الدين ، وقالوا لهم أيها الأخوة والأخوات أننا أتينا الى هنا بأمان صلاح الدين ، فقال لهم هؤلاء الرجال : ماكنا قدمنا الى هذه المدينة لو عرفنا أنها بحوزة المسلمين ، فقال لهم رجل من داخل البرج :« اذهبوا الى صور حيث سيأسركم مولاي صلاح الدين الذي استولى على صليبكم وأسر ملككم وأخذ جميع ممتلكات المسيحيين».

وعندما سمع الذين كانوا في الزورق هذا الكلام عادوا الى السفينة ، وأطلعوا الماركيز على هذا الخبر ، فتألم الماركيز لسماعه كثيرا ، ثم اقلعت السفينة من هناك الى أمام مدينة صور ، ولدى وصولهم اليها ابتهج المسيحيون الذين في المدينة كثيرا، وسروا لأن الرب أرسل اليهم السفينة في هذا الوقت وهم في أمس الحاجة اليها ، ثم بعث سكان المدينة من يستطلع لهم أمر السفينة وليعرف من كان على ظهرها ، وعندما عرفوا بأن الماركيز كونراد دي مونتفرات فيها ابتهجوا كثيرا .

وذهب عدد كبير من أهل المدينة اليه ورجوه بأن ينزل ويلتحق بهم ، وأن يأتي لانقاذ مدينة صور ، لأنه اذا لم يأت الرب وهو لانقاذ المدينة ، فحالما يغادر من هناك ويسافر سيسلموها الى المسلمين « لأن قوات صلاح الدين موجودة في المدينة » وعند ذلك استجاب المركيز لطلب أهل مدينة صور وقال :« أيها السادة انكم تقولون إنه اذا ماسافرت سوف تستسلم المدينة الى المسلمين

وسيخسرها المسيحيون ، اذا أردتم ان تستقبلوني لكم سيدا وأن تكون المدينة بحوزتي ، وتقسمون لي بأنه بعد وفاتي سيكون أولادي أسيادكم سأنزل عند رغبتكم وبعون الرب سأدافع عنها ضد المسلمين ، وبعدما تفرق سكان المدينة ، وعلموا أن صلاح الدين قادم للاستيلاء على المدينة ، نظروا في عرض الماركيز الذي تجرأ على التعهد بحكم المدينة والقيام بحمايتها ، وقدروا حق التقدير ارادته الطيبة ، وأقسموا له ولخلفائه من بعده حسبما طلب منهم ، واثر هذا نزل الماركيز الى اليابسة ، حيث استقبل بتشريف عظيم وبمسيرة كبرى الى داخل المدينة ، فاستولى حالا على المدينة وقلعتها والأبراج وذلك في الوقت الذي لم يتجرأ فيه ريذو صاحب صيدا الذي كان يريد تسليم المدينة الى صلاح الدين على الانتظار ، وركب في زورق وهرب الى طرابلس ، وغدا المركيز سيد مدينة صور .

٤٩ ـ ومالن فرغ من انزال ماكان في السفن المحملة من مؤن وأناس وصلوا الى صور واطمأن السكان فيها ، حتى وصل صلاح الدين للاستيلاء على المدينة وفق ماتم ترتيبه مع ريذو صاحب صيدا ،وبعدما تمركز أمام المدينة خيل اليه أن المدينة ستفتح أبوابها لاستقباله ، لكنه وجد نفسه مزعوجا لأن المركيز ـ كما سمعتم من قبل ـ كان قد استولى على المدينة ، ووجد في القلعة بعضا من قوات شحنة صلاح الدين ، فاعتقلهم وحملهم الى أعلى الأسوار ، ثم وقف مقابل تمركز صلاح الدين ، وألقى بهم نحو الخنادق تحديا لصلاح الدين ، ولدى مشاهدة صلاح الدين لهذا التحدي الذي جرى له حينما أوشك أن يستولي على المدينة أرسل الى دمشق ليحضروا له الماركيز بونيفيس ، وعندما أحضر هذا الأخير جعله يتكلم مع المركيز الذي كان في المدينة ويسأله إن كان يريد أن يسلم له صور فيعيد له والده الذي أسره ، ويعطيه كثيرا من المال ، فأجابه الماركيز بأنه لن يعطيه أصغر حجر من صور من أجل أبيه ،« ولكن اربطوه بوتد لأكون أول من يطلق سهما عليه لأنه شيخ طاعن بالسن ولاقيمة له أبدا » وقرب الماركيز الأب من أسوار المدينة

فصرخ : « بني ياكونراد أحرس المدينة بشكل جيد » وهنا أمسك كونراد قوسه وفوقه نحو أبيه وأطلق عليه ، وعندما سمع صلاح الدين بأنه أطلق على أبيه قال :« هذا مجرم شديد التوحش » .

وتخلى صلاح الدين عن متابعة حصار صور ، وقصد من هناك مدينة قيسارية فاستولى على أرسوف ثم على يافا (في شهر تموز ١١٨٧) وذهب من هناك لمحاصرة عسقلان ولم يستطع الاستيلاء عليها بالسهولة التي توقعها ، لأنها كانت مدينة محصنة وقوية ، فأرسل الى دمشق فأحضر له الملك غي ، وعندما حضر الى أمام عسقلان قال له :« أيها الملك اذا سلمتني مدينة عسقلان ، أعدك بأن أطلق سراحك وأدعك تذهب سالما » فأجابه الملك بأنه سيتكلم مع رجاله ، ولدى اقترابه من أسوار المدينة استدعى اليه رجال المدينة لانه لم يكن فيها ولا فارس ، وقال لهم :« أيها السادة ، قال لي صلاح الدين اذا سلمته هذه المدينة سيدعني أذهب سالما ، وهذا بالطبع ليس بالعمل الجيد ، وليس مناسبا قطعا أن تسلم هذه المدينة الجميلة من أجل رجل ، واذا علمتم انكم تستطيعون متابعة الدفاع عن عسقلان في سبيل المسيحية ومن أجلها فافعلوا ولاتسلموها ، واذا رأيتم أنكم لن تستطيعوا المحافظة عليها ، أرجوكم أن تسلموها وتحررروني من الاسر » واجتمع أعيان المدينة ، ورجالاتها وتشاوروا فيما بينهم فراوا أنهم لن يستطيعوا المحافظة على المدينة، ولا أمل لهم حيث لن تأتيهم نجدة من جهة ما ، ولو أنهم علموا أن نجدة ما ستأتيهم لكانوا استمروا بالمحافظة عليها ، وكان الرأي أن يسلموها ، وينقذوا حياتهم أفضل من ان يجوعوا . ويؤخذوا بالقوة ، وهكذا سلموها الى صلاح الدين الذي وفى لهم بوعوده ، فحفظ حياتهم ومعهم نساءهم وأولادهم وأموالهم وأوصلهم الى أرض المسيحيين ، ثم أفرج عن الملك ، فتحرر من سجن صلاح الدين ، وجرى أنذاك اختيار ايمري كافل المملكة ، مقدما لفرسان الداوية وهو أخو الملك ، واتخذ الملك لنفسه أحد الفرسان كاتبا ، وأعطى الفروسية الى واحد من

السريان ، وكان صلاح الدين قد أبقى الملك محتجزا لديه حتى نهاية آذار ، ثم أن عسقلان استسلمت في نهـاية آب (١١٨٧) وبعـدما حصل صلاح الدين على عسقلان أرسل الملك ليقيم في نابلس وبعـث الى الملكة لتذهب الى نابلس وتقيم مع زوجها هناك ، فهـو لم يرغب في بقائها في القدس عندما سيذهب لمحـاصرتها ، وعندمـا وصـلت الرسالة الى الملكة وسـمعت بهـا ذهبـت الى نابلس لتقيم مـع الملك ، وظلت هناك حتى استولى صلاح الدين على القدس .

وفي اليوم الدي استسلمت فيه عسقلان الى صلاح الدين عاد اليه من القدس الوفد الذي ارسـله الى آهلهـا يعـرض عليهـم شروط الاستسلام ، وكان اليوم يوم جمعة عندما تحرك ، وكانت الشـمس قد مالت الى الغروب حتى بدا أنه قد حل الظلام ، ولدى وصوله الى مشارف القدس بعـث الى رجـالات المدينة يقـول · انكم تعلمـون باستيلائي على كل الأرض باستثناء القدس ، فـاذا سـلمتموها لي فحسنا تصـنعون (لقـد نسـيت أن أقـول لكم أنه في اليوم الذي استسلمت فيه عسقلان الى صلاح الدين سـلمت اليه جميع القـلاع المجاورة) ورد سادة القدس على صلاح الدين بقـولهم : بمشـيئة الرب لن يسلموه المدينة ، فقال لهم صلاح الدين :« قولوا لي مالذي تودون صنعه اذن أعتقـد ان القـدس بيت الرب ، وايمـانكم هـــو ايماننا ، وسوف لن أحـاصر بيت الرب ، ولن أضـع فيه النار اذا استوليت عليه بـالسلم والمحبـة ، أريد أن أتسـلمه بـطيبة خاطر ، وسوف أعلمكم مالذي سأصنعه معـكم ، سأقدم لكم ألف مساعدة ومساعدة مقابل تخليكم عن القـدس وسـأعطيكم الحـرية لتذهبوا حول القدس الى حيث تودون ، واذا أردتم الحصـول على أي بضائع أو مؤن من أي مكان في الأرض ، لن تحصـلوا مـن أي سوق على الذي سأعطيكم اياه ، وسأمنحكم الآن هـدنة مـن اليوم حتى عيد العنصرة ، وفي هذا الوقت اذا حصلتم على مساعدة لتحموا أنفسكم مني افعلوا ، واذا لم تحصـلوا على أي مسـاعدة وتعيدون المدينة الي سـأقتادكم أنتـم وأمـوالكم بسـلام الى أرض المسـيحيين . فـردوا عليه · بمشـيئة الرب لن يسـلموا المدينة

المسلمين ، وانهم لن يسلموا المكان الذي سفك فيه المخلص دمه من أجل خلاصهم فلهذا السبب جاء .

وعندما سمع صلاح الدين الجواب وراه ، أقسم أنه لن يأخذها بالتسليم ولكنه سيأخذها بالقوة ، وهنا طلب بالين دي ابلين أن يعطى له الأمان ولامرأته ولأولاده ليذهبوا الى طرابلس ، وأعلن أنه لن يستطيع البقاء في القدس والمحافظة عليها ، وأرسل له صلاح الدين فارسا اقتادهم الى طرابلس ، وبذلك استولى على جميع ممتلكات مملكة القدس باستثناء صور والكرك والشوبك .

٥٠ ـ وغادر صلاح الدين عسقلان بقصد حصار القدس يوم الخميس مساء (١٧ ـ ايلول ١١٨٧) وبدأ بحصارها صباح الجمعة من جهة باب داود حتى باب القديس ايتين ، وفيما هو مقيم الحصار عليها أرسل الى سكان القدس يطالبهم بتسليم المدينة ، ويعرض عليهم ماوعدهم به أمام عسقلان ، وأنه على استعداد لتنفيذ وعوده بكل طيبة خاطر ، وهنا أدرك أهالي القدس بشكل جيد أنهم اذا لم يسلموا المدينة له سيشدد الحصار عليها ، وسوف لن يمنحهم الأمان وسيستولي عليها بالقوة لأنه أقسم يمينا أنه سيفعل ذلك .

وبعث سكان المدينة الى صلاح الدين يقولون مهما تفعل من خير أو شر لن نسلمك المدينة أبدا ، وحينئذ سلح صلاح الدين رجاله لحصار القدس ، وخرج المسيحيون منها وقاتلوا ضد المسلمين ، ولم تدم المعركة طويلا لأن شمس الصباح بهرت عيون المسلمين فانسحبوا الى الوراء ، وانتظروا حتى الزوال ، وعند حلول المساء بدأوا الهجوم وحاصروها طوال الليل ، وهكذا بقي صلاح الدين أياما يحاصر القدس ، وليس من ضعف أو خوف لم يستطع المسلمون الاستيلاء بالقوة على المدينة وقهر المسيحيين فيها ، فهؤلاء كانوا دوما يشتبكون بالمسلمين خارج الأبواب خلال النهار وكانوا يصدونهم الى الوراء حتى خيمهم وأماكن

اقامتهم ، ولم يستطع المسيحيون بدورهم اصابة المسلمين بالسلاح أو القذائف ، وقد تساءلون كيف حاصر المسلمون المدينة وحاربوا أهلها ، انهم لم يحاربوهم الا بعد مرور فترة الصباح ، عندما تغدوا الشمس وراء ظهورهم وفي وجوه المسيحيين ، وعند ذلك كانوا يحاصرونهم حتى الليل ، وهكذا اعتاد المسلمون أن يفعلوا وتولوا قذف المدينة بالمواد المشتعلة والمتفجرة ، كانوا يقذفون بقذائفهم نحو الأعلى ، وبذلك كان المسيحيون يتلقون منذ الزوال المواد المشتعلة والمتفجرة مع أشعة الشمس في وجوههم .

٥١ ـ وعندما رأى صلاح الدين أنه لم يستطع قهر المسيحيين من هذه الجهة نقل حصارة وحول قواته من باب القديس ايتين حتى جبل الزيتون ، لأن الذي يقف على جبل الزيتون يمكنه أن يرى كل مايجري داخل القدس ، وبذلك لايستطيع أحد الخروج أو الهرب أبدا من باب القديس ايتين حتى باب يهوشافاط حيث تشدد الحصار ، لذلك لم يبق باب يستطيع ان يخرج منه من هم داخل المدينة لمحاصرة المسلمين ، وذلك باستثناء باب مادلين الذي ترك مفتوحا للمرور بين الأسوار وداخلها ، وفي اليوم الذي تحرك فيه صلاح الدين من باب داود وجاء الى باب القديس ايتين ، في ذلك اليوم أرسل جيشه للانقضاض على أسوار المدينة ، كما وأرسل في الليل عددا كبيرا من الجنود والرجال المسلحين ، وبذلك انقضوا بشدة واندفعوا نحو اسوار المدينة ، وعندما جاء الصباح ، سلح صلاح الدين رجاله وألبسهم الخوذ ، ودفعهم للهجوم ومن ورائهم النبالة الذين حملوا القسي ، وانهمر النشاب كالمطر ، حتى أنه لم يوجد بين المسيحيين في المدينة رجل شجاع أو قوي تجرأ على أن يرفع اصبعه فوق الأسوار ، وكان المسلمون قد حفروا نفقا تحت السور ، ثم لغموا الحفرة ، وفي الصباح صبوا على الأخشاب الزيت ثم أضرموا النيران ، وهكذا سقط السور ، ولم يتمكن المسيحيون من الحيلولة دون اللغم كما وعجزوا عن المقاومة ضد هجمات المسلمين ، فقد خافوا من ضربهم بالأسلحة أو اصابتهم بالقذائف وشعروا أنهم لن يستطيعوا متابعة المقاومة .

٥٢ ــ وتكلم صلاح الدين أثناء حصاره للقدس بكل لباقة ، وظل يفعل ذلك لدى مخاطبته السكان وكان بلدوين دي ابلين عندما سافر من مملكة القدس ترك ابنه الذي يدعى توماسن تحت رعاية أخيه بالين ، وكان له طفل آخر اسمه وليم من ابنة ريموند صاحب جبلة وعندما سمع والدهما أن صلاح الدين قد حاصر القدس أرسل يتوسل اليه أن يطلق سراح ولديه اللذان هما في المدينة حتى لايقعا في الأسر وفي الحال أرسل صلاح الدين الى بالين الذي كان مقيما في القدس أن يبعث اليه ابن أخيه توماسن وابن أخيه بلدوين ووليم ابن ابنة ريموند صاحب جبلة ، وعندما عرف بالين بما رغب به وأراده بعث بهم بكل طيبة خاطر ، وعندما جلب الطفلان إلى حضرة صلاح الدين استقبلهما بكل احترام بما يليق بهما كأبناء أناس أشراف ، وخلع عليهما الالبسة وأعطاهما مالا ، وأمر أن يجلس أحدهما على ركبته اليمنى و الآخر على ركبته اليسرى ثم أخذ يبكي بحنان وعندما سأله بعض قادته عن سبب بكائه قال مجيبا :لا أحد يتعجب أو يستغرب لان كل شيء في هذا العصر أخذ وعطاء ، أو دين وسداد ، واقول لكم لماذا بكيت ، لأنني كما أعامل أولاد الآخرين سيعاملون أطفالي بعد وفاتي ، وأضيف لكم مثلما أعامل الأجانب وكل من هو ضد سلطتي ، وأخي سيف الدين ، الذي سيحافظ على أولادي بعد وفاتي سيعاملهم أيضا بالمثل ، وكانت نبوءة صحيحة ، لانه كما قال عاملهم سيف الدين

٥٣ —بسبب رغبة صلاح الدين في الاستيلاء على مدينة القدس سليمة ، لم يشدد عليها الحصار ليلا ونهارا بدون استراحة ، مع أن الذين كانوا داخل المدينة كانوا يشعرون بالانزعاج كما وكانوا قد هدهم الارهاق من العمل المتواصل وعندما تيقن هؤلاء انهم لن يستطيعوا الاستمرار بالدفاع طويلا ، اجتمع وقتها مسيحيو المدينة وأخذوا يتداولون حول أفضل السبل ، ويبحثون عن أفضل المخارج لما هم فيه ، ثم توجهوا الى البطريرك والى بالين دي ابلين وقالوا لهما بأنهم يريدون الخروج ليلا من المدينة والانقضاض على المسلمين ، لأنهم يفضلون الموت بشرف في المعركة على أن يؤخذوا

أسرى في المدينة ، وأيقنوا أن استمرارهم بالدفاع لن يجدي شيئا ، وفضلوا أن يموتوا حيث تألم يسوع المسيح من أجلهم ومات ، وآثروا ذلك أن يسلموا المدينة ووافق الفرسان وأعيان المدينة على هذا الرأي ، أما البطريرك فقد رأى عكس الذي رأوه حيث قال :أيها السادة أريد هذا الذي تريدون جيدا ، فهو التصرف الذي يعجبني ، ولكن يوجد شيء آخر ، فنحن اذا تخلصنا وأخذنا معنا كل مايمكننا من سلاح سيكون ذلك أفضل لنا.ان هذا الذي أراه شخصيا ، لأن لكل رجل في هذه المدينة زوجة وأطفال ، واذا متنا كلنا يأخذ المسلمون النساء والأطفال ، وهم لن يقتلونهم ، بل سيرغمونهم على ترك الايمان بيسوع المسيح ، وكلهم بذلك سوف يخسرهم الرب ، والأنسب أن نتوسل الى صلاح الدين بوساطة أحدنا حتى نتمكن من الخروج جميعا من المدينة والذهاب الى بلاد المسيحيين ، وهذا عندي الرأي الأفضل من أن نذهب الى الحرب لأننا لن نستطيع أن ننقذ منهم النساء والأطفال »

ووافق الجميع على هذا الراي ، وقدموا الرجاء الى بالين دي ابلين ليذهب الى صلاح الدين ليتفق معه على السلام الذي يريدون أن يقيموه معه ، وذهب بالين هذا الى صلاح الدين وتكلم معه حول هذا الموضوع ، وبينما هو في حضرة صلاح الدين انقض المسلمون على المدينة وقربوا بعض السلالم الى أسوار المدينة ، وبعدما اسندوها الى الأسوار صعدوا عليها حيث مهدوا السبيل لدخول المدينة ، ورفعوا أعلام صلاح الدين على أسوار المدينة .

وعندما رأى صلاح الدين أعلامه ورجاله وحاشيته فوق أسوار المدينة قال لبالين :« لماذا تطلب مني التباحث بشأن تسليم المدينة وأعقد معكم الصلح ؟ انظر فهاهم رجالي وأعواني فوق أسوار المدينة لقد تأخرت ، ان المدينة أصبحت لي ، ان الفقراء والحجاج وعلماء دين محمد (صلى الله عليه وسلم) سيحرجونني وسيلحون علي الا أثق بكم ، وهذا وقت الثأر للذين سفكت دماؤهم في شوارع القدس وفي الهيكل والانتقام لدماء المسلمين التي سفكها غودفري».

وفي تلك الساعة التي كان الحديث يجري على هذه الصورة سارع مولانا فأمد المسيحيين بالقوة والنصر على المسلمين الذين كانوا فوق الاسوار ، فألقوا بهم على أرض الخندق ثم طردوهم الى خارج الخندق ، وهنا خجل صلاح الدين وتألم كثيرا ، وطلب من بالين أن يعود الى المدينة دون أن يعمل شيئا .

وعند الصباح عاد بالين اليه ، فسمع كلامه بكل سرور ، وعند ذلك توسل اليه بالين وقال مخاطبا اياه : مولاي ، احمد الرب على كل حال لأن سكان المدينة يئسوا من حياتهم وهم يتسابقون أحدهم أمام الآخر مدافعين لئلا يؤخذوا بالقوة ان مذبحة كبيرة ستقع اذا ما استطعتم أخذ المدينة بالقوة كما تعتقدون .

٥٤ – وأحدثكم أنه وقع هجوم هائل من المسلمين أضر بأهالي المدينة وأخافهم كثيرا ، وكل الذين كانوا في الداخل والخارج استبد بهم الرعب ، وكان كل منهم يصرخ ويصيح « خيانة خيانة » واعتقد الذين كانوا في داخل المدينة أن المسلمين قد دخلوا الى المدينة ، وأن المسيحيين قد هوجموا وحوصروا .

وسأحدثكم الآن عما صنعه نساء القدس ، لقد أخذن أطباقا ، ووضعنها في الساحة أمام جبل الجلجلة ، وملأنها بالغذاء البارد ، ثم وضعن أطفالهن في الداخل وقطعن لهم قطعا وألقين بها بعيدا عنهن ، وسار الرهبان والأساقفة والراهبات جميعا حفاة الى أعلى الأسوار في موكب ، وكان الاساقفة يحملون القربان المقدس على رؤوسهم ، بيد أن مولانا أمر الا يسمح لا لصلاة ولا لصياح ولا حتى توسل بالدخول الى المدينة ، لأن القذارة العامة وروائح الانتان والخطيئة ضد الطبيعة لم تسمح بارتفاع الصلاة الى عند الرب ، فقد كان الرب غاضبا غضبا شديدا على شعب هذه المدينة ، وهكذا لم يبق فيها ولا رجل ولا امرأة سوى الاناس المسنين الذين لم يعيشوا طويلا .

٥٥ ـ ونحدثكم عما حدث بعد ذلك ، ففي هذا الجو الرهيب والرعب الشديد ذهب بالين دي ابلين الى صلاح الدين وأعلمه أن المسيحيين على استعداد لتسليمه المدينة مقابل الحفاظ على حياتهم ، فأجابه صلاح الدين لقد جئت متأخرا :« لانني عندما أردت ذلك وقدمت لهم أفضل الشروط اذا سلموا لي المدينة ، رفضوا القبول بما تقدمت به اليهم وعرضته عليهم ، وعند ذلك أقسمت بعدما رفض هذا العرض انني لن أتصالح معهم مطلقا ، بل سأقهرهم بالقوة ، والآن اذا أرادوا أن يستسلموا لرحمتي فسأعاملهم بارادتي كعبيد وقعوا بالاسر ، والا فلا » .

وعند ذلك جاء اليه بالين وقال له بصوت مرتفع : شكرا ، من أجل الرب أشفق عليهم ، وحينئذ أجاب صلاح الدين ورد على بالين بقوله :« محبة لله ولك سأقول لك ما سأصنعه ، سأشفق عليهم بطريقة ما حتى أبر بقسمي وأنفذه ، انهم سيستسلمون لي كأنهم أخذوا بالقوة ، وسأترك لهم أثاثهم وأموالهم طبقا لارادتي ، وسأزج بهم في سجني ، وكل من يستطيع أو يريد أن يفدي نفسه سأدعه يذهب بعد دفع فدية حرب ، والذي ليس لديه اي شيء يدفعه أو لايريد أن يفتدي نفسه سيظل في سجني وكأنه أخذ بالقوة » وعند ذلك قال له بالين : « مولاي ماهي قيمة الفدية »؟ فأجابه صلاح الدين قائلا : ستكون قيمة الفدية متساوية للفقراء كما هي للاغنياء ، مع اعفاء النساء والاطفال ، أما الذي لن يستطيع دفع الفدية سيكون عبدا » فأجابه بالين قائلا :« مولاي لايوجد في هذه المدينة سوى القليل من الناس الذين يستطيعون دفع الفدية ، لأن المدينة مكتظة بأعداد كبيرة من الذين جاءوا اليها من جوارها ، فكيف لهؤلاء الاستطاعة في هذه الحالة التعويض عن أنفسهم » ؟ فقال له صلاح الدين : تدبر الامر وتشاور معهم وتعال الي بالغد ، واستأذنه بالين ورجع الى المدينة ، والتقى بالبطريرك واستدعى ايضا جميع السادة ، ليقول لهم الذي وجده ، وعندما سمعوا ذلك غضبوا غضبا شديدا من أجل شعب المدينة .

ثم اجتمعوا اليه وأخبروه بوجود مبلغ معتبر في مقر الفرسان الاسبتارية جاء من ملك انكلترا ، واذا ماتمكنوا من الحصول على المال من بيت الاسبتارية ليفدو به قسما من الشعب سيكون ذلك عملا جيدا ، لأن الملك غي أخذ المال الذي في بيت الداوية ، وانفقه على الناس الذين جندهم معه ، ولقد هلك هؤلاء جميعا وفقدوا الصليب المقدس ، واذا ماأمكن الحصول على هذا المال من الاسبتارية فسيكون انفاقه افضل بكثير من انفاق مال الداوية ، وبناء عليه اجتمع البطريرك مع بالين واستدعيا اليهما رجال الاسبتارية وقالا لهم :« نريد مال ملك انكلترا الموجود في بيتكم لنفدي به العديد من شعب المدينة بقدر مانستطيع ويرضى صلاح الدين ، وأجابهم الاسبتاري الذي التقى بهم بأنه سيتشاور مع أخوته ، فأجاباه بأن سكان المدينة ينتظرون نتيجة التشاور ، ومعرفة فيما اذا كان هؤلاء سيدفعون المال لفدية الفقراء والمسيحيين ، وتشاور الاسبتاري مع الفرسان في بيتهم ، وقال الفرسان بما أن المال يخصهم فيودهم أن يفتدوا به الفقراء ، ثم عاد الاسبتاري الى البطريرك والآخرين وقال لهم : ان الاسبتارية يرغبون في تسليم مال ملك انكلترا اليهم لفداء الفقراء ، وبناء عليه توجهوا بالرجاء الى بالين ليذهب الى صلاح الدين ويعقد معه أفضل صفقة ممكنة وليدفع له ، وهكذا توجه بالين الى صلاح الدين وسط جيش المسلمين وسلم على صلاح الدين ، فسألة صلاح الدين : مالذي جاء بك ولماذا جئت وماذا تطلب ؟ فقال : انه جاء ينشد لطفه ورحمته وتنفيذ وعده من اجل الذين ترجاه ، فقال صلاح الدين انه سيكتفي بأخذ ما هو في بيت الاسبتارية ، واذا لم يكن في هذا البيت شيئا فلن يأخذ شيئا ابدا

» لأن المدينة وكل ما فيها ملكي » فأجابه بالين : حمدا للرب يا مولاي ، سير رجالك الى فقراء المدينة وسأعمل ما في وسعي كي يدفعوا لكم الفدية » فقال صلاح الدين من أجل الله من قبل ومن أجله من بعد تقرر عليهم الفدية بقدر ما يستطيعون بحيث يدفع الرجل القادر عشر قطع نقدية ، وتدفع المرأة خمس قطع ويدفع الطفل قطعة واحدة ، وسيجري تسديد هذه المبالغ عند أبواب المدينة

أثناء المغادرة ، وعند ذلك يتم احضار الرجال والنساء والأطفال ويتم طلب الفدية من الذين يستطيعون دفعها ، ويبحثوا فيما اذا كان لديهم أثاث أو متاع يمكنهم بيعه أو أخذه معهم دون أن يسبب أية اساءة أو ضرر لهم .

وبعدما هيأ على هذه الصورة مسألة فديتهم قال بالين لصلاح الدين : « مولاي اذا أخذنا الفدية من الذين هم لديهم القدرة على الدفع ، لن يبق في المدينة أحد يستطيع دفع فدية رجل واحد ، فمن أجل الرب خفض الفدية وحددها وسأطلب أنا من البطريرك ومن الداوية والاسبتارية دفع فدية الفقراء» وبناء عليه أجابه صلاح الدين انه سيستجيب لطلبه بكل طيبة خاطر ، وأنه أنقص قيمة الفدية وحددها بدينار بيزنطي واحد ، من دفعه سمح له بالذهاب ، وحينئذ قال بالين : « مولاي إن الذين يستطيعون دفع الفدية يفرج عنهم ويسمح لهم بالمغادرة ، ولم يبق سوى المبلغ الذي تطلبه من الفقراء » فأجابه صلاح الدين انه لن يتصرف خلاف ذلك ، وارتأى عند ذلك بالين أن من المستحسن الا تدفع المبالغ دفعة واحدة ولكن على أقساط ، فلعله سيحصل على مساعدة الرب لتأمين الدفعة الأخيرة ، ثم سأل صلاح الدين عن عدد الرجال الذين سيفرج عنهم ، فقال له صلاح الدين ، كل رجل مقابل دينار بيزنطي ، فقال له بالين :« مولاي ، بحق الرب ، اجعل ذلك مقابله ». ثم تحدث بالين مع صلاح الدين عن عدد الرجال القادرين ثم أحصيا عدد النساء والشيوخ والأطفال من مختلف الأعمار .

٥٦ ــ وبعدما تم الاتفاق ، أعطاهم صلاح الدين أربعين يوما ليبيعوا أغراضهم أو يرهنوها ومن ثم يدفعون الفدية ، وأنه من وجد بعد ذلك سيكون هو وماله لصلاح الدين ، ووعدهم صلاح الدين أنهم عندما يصبحون خارج المدينة سيرسلهم بأمان الى بلاد المسيحيين ، وقال لبالين من كان لديه سلاح فليحمله للدفاع عن الذات أثناء الطريق ، وبعدما أبرم اتفاق السلام طلب بالين الأذن

من صلاح الدين وقال له : « مولاي سأذهب الى المدينة واذا وافقوا على شروطكم ومطاليبكم سأحضر لكم المفاتيح ».

ومن ثم ذهب بالين الى المدينة ، ومضى الى البطريرك حيث جرى استدعاء رجالات الداوية والاسبتارية وأعيان المدينةوسادتها ، ليستمعوا الى موضوع السلام الذي حققه ، ويروا فيما اذا كان يوافقهم ، فقالوا بعدما شرح لهم جلية الأمر :« اذا لم يتوفر ما هو أفضل من هذا ، ولا يمكن القيام بعمل آخر فليكن ذلك ، وهكذا كان بعدما شرح لهم كل شيء وبين لهم طبيعة مفاوضاته مع صلاح الدين ، أخذوا مفاتيح الابواب وأحضروها الى صلاح الدين ، وبعدما حصل صلاح الدين على المفاتيح سر سرورا عظيما وشكر مولاه (الله) و(صلى على) محمد (صلى الله عليه وسلم) وأرسل شحنة من الجند من الفرسان والرجالة الى برج داود ، وأمر الا يسمح لمسيحي واحد بالمغادرة وذلك من أجل دفع الفدية ، ودخل المسلمون الى المدينة لشراء الاغراض التي كان المسيحيون يريدون بيعها ، وكان اليوم الذي سلمت فيه القدس الى صلاح الدين يوم جمعة ، وصادف ذلك الثاني من تشرين الأول .

٥٧ ـ زين صلاح الدين البرج وأبواب المدينة ، وما أن فرغ من ذلك ، نادى في المدينة بأن يحمل سكانها فديتهم الى برج داود ، حتى يدفعوها الى رجاله وكتابه الذين وضعهم لاستلام الفدية ، والا ينتظروا الأيام تمضي ، فكل ما يوجد فيما بعد من رجال ومال سيكون حقا لصلاح الدين ، وذهب البطريرك وبالين الى بيت الاسبتارية وأخذا المال ، ونقلاه الى برج داود لدفع فدية المسيحيين الفقراء ، وبعد دفع أموال الفدية استدعيا البارونات والسادة من كل شارع ومن كل منطقة ، وجعلوهم يقسمون الأيمان باسم القديسين ليعترفوا بألا يوفروا أحدا من رجل أو امرأة سواء من الأصدقاء أو الأهل الا ويحلفوهم بالقديسين ليعترف كل منهم بما يملك ، والا يأخذوا معهم إلا ما يكفيهم للذهاب الى بلاد المسيحيين ، وبعدما نفذوا هذا وجدوا أنفسهم أنهم ما عادوا يستطيعون التعويض عن

الفقراء ، ولقد سجلوا اسماء الفقراء كل حسب الشارع الذي يقطنه ، وحسب حالته المادية ، فبعضهم كان أفضل حالا من بعضهم الآخر ، واختلاف عدد الفقراء بين شارع وآخر ، وإثر ذلك وضع خارج المدينة الذين جرى التعويض عنهم ، وانقطع الاتصال بين هؤلاء والذين تخلفوا في المدينة ، ثم اجتمع البطريرك وباليان وأرسلا الى القائمين على بيتي الداوية والاسبتارية والى السادة ، وتوجها اليهم بالرجاء - من أجل الرب - للاجتماع بالناس الفقراء الذين لم يتمكنوا من الخروج من القدس لتقديم المساعدات اليهم ، وقدم بيتا الداوية والاسبتارية بعض المساعدات ، ولكنهما لم يدفعا مايكفي وما توجب عليهما ، ثم إن الداوية والاسبتارية لم يخافوا أبدا من أن يؤخذ منهم بالقوة ما كانوا يملكون لأن صلاح الدين أكد لهم الأمان ، ولو أنهم ظنوا أنهم سيعاملون بقسوة لكانوا قد دفعوا أكثر مما أعطوا ، ومع الذي أخذ من الفقراء الذين خرجوا دفع سادة القدس المزيد من أموالهم وعوضوا عن الناس الفقراء ، ولا أقدر أن أذكر لكم تعداد هؤلاء ، لكن سأحدثكم عن صلاح الدين وأصف لكم كيف حافظ على مدينة القدس ، وحرص الا يساء الى أحد المسيحيين الذين كانوا في المدينة ، من قبل المسلمين ، فقد وضع في كل شارع عددا من الفرسان والجنود للقيام بحراسة المدينة ، وبالفعل حرسوها بشكل جيد ، ولم يسمح أحد بأي اساءة قام بها رجل مسلم ضد أي مسيحي ، خاصة اذا ذكرنا ان المسيحيين كانوا يخرجون من القدس ويسكنون امام جنود المسلمين ، ولم يحدث أن أصيب أحدهم من أحد بسهم ، فقد أمر صلاح الدين جنوده بحراسة المسيحيين ليلا ونهارا لئلا يعتدى عليهم ، أو يزعجهم أحد اللصوص .

وعندما خرج من المدينة الذين أمكن التعويض عنهم ، بقي فيها الذين لم يعوض عنهم وكان هؤلاء الذين ظلوا في المدينة من الفقراء وكان عددهم كبيرا جدا ، وقال حينذاك سيف الدين لأخيه صلاح الدين : « مولاي لقد ساعدتك في الاستيلاء على الأرض وعلى مدينة القدس ، أرجوك ان تمنحني عددا من هؤلاء الفقراء في القدس

أتخذهم عبيدا لي » فسأله صلاح الدين ماذا سيصنع بهم ، فأجابه بأنه سيتصرف بهم وفق ارادته ، وبناء عليه أمر صلاح الدين اتباعه باعطائه ما اراده عبيدا ، ونفذ هؤلاء الاتباع أوامر صلاح الدين على الفور ، وقام سيف الدين اثر ذلك في اطلاق سراحهم جميعا وتركهم يذهبون بأمان الله ، واثر ذلك جاء البطريرك وباليان الى صلاح الدين ورجواه باسم الرب ، أن يطلق سراح الذين لم يستطيعوا دفع الفدية ، وقالا له :لقد اطلقت لنا عددا من رجال الاسبتارية والداوية والسادة وغيرهم ، فلو اطلقت لنا اكثر منهم لما كان هناك خسارة واضرار ، فالتفت صلاح الدين نحو رجاله وقال : بودي أن أتصدق وأحسن مثلما فعل أخوتي والبطريك وباليان ثم أمر صلاح الدين أتباعه في القدس أن يفتحوا مخرجا خلفيا أمام دير القديس لارد ، وأن يوضع هناك بعض الجنود ليقفوا عند هذا الباب ، كما وأمر المنادي بالنداء بالمدينة بأن يخرج الناس الفقراء من المدينة ، ثم أمر اتباعه أن يوعزوا الى الجنود عند باب داود ليفتشوا في السجون عن كل من يستطيع أن يدفع الفدية لاخراجهم ، وكان في السجون أعداد كبيرة من الشباب والشابات ، ثم أخرج المسنين الى خارج القدس ، ودامت هذه العملية من شروق الشمس حتى غروبها ، وخرج من المنفذ الذي اعد خصيصا جميع الفقراء الذين تصدق عليهم صلاح الدين ، وكانوا كثرة لم يعرف لذلك أحد عددهم .

ثم أوقف السماح بخروج الفقراء الذين بقيوا هناك ، وأقول لكم : لم يكن هذا اجراءا سيئا ، فقد مشى رجل مع عدد كبير آخر من الفقراء ، وكان يحمل جرة كبيرة من الخمر على كتفيه وقد ربطها بعصاه ، ولم يكن هناك بين الحشد ولا واحد من المسلمين ، بل الذي وجد عدد كبير من رجال الاكليروس ومن الرهبان مع الذين يدعون الحجاج ، وكان هؤلاء يشربون فيما بينهم كثيرا من الخمرة ، مع أننا نعد ذلك اسرافا ، ورأى واحد من الجنود هذا المشهد وظن أن الجرة كانت مليئة بالخمرة فقال : « أما آن أن يذهب هؤلاء الخنازير ونتخلص منهم ومن خمرهم ، أعاننا الله على

تنظيف المدينة منهم » ثم ضرب الجرة بعصا كان يمسكها فأفرغ ما كان بها ، واذا هو مال كثير ، فدهش الجنود والمسلمون كثيرا ، واعلموا صلاح الدين أن المسيحيين كانوا يحملون الاموال ، ولم يرغبوا ابدا في دفع الفدية عن الفقراء ، وبناء عليه أوقف صلاح الدين الخروج من المدينة ، ولم يعد يسمح لأحد بالذهاب دون دفع الفدية ، وهذه الحادثة رواها لي واحد ممن بقي في المدينة ، وحدثت أيضا أنه عندما علم البطريرك وباليان ببقاء عدد كبير في الأسرى ، مثلا أمام صلاح الدين وقالا له : « مولاي من أجل الرب ضعنا نحن الاثنين في السجن ، ودع هؤلاء الفقراء يذهبون ، وسنبقى رهينة في سجنك حتى نرسل واحدا ليجمع لك الفدية » لكن صلاح الدين رفض أن يضع أحد في السجن أما الذين كان قد أسرهم فلم يرغب بالحديث عنهم لاطلاق سراحهم ، ولهذا مكث بعض الناس طويلا أسرى في سجن صلاح الدين .

٥٨ ـ واحدثكم الآن عن الصنيع الطيب والمجاملة الرائعة التي قام بها صلاح الدين نحو سيدات القدس من نساء الفرسان وبناتهم ، الفرسان الذين ماتوا أو أسروا في المعركة ، فقد هربن الى القدس ، وبعدما دفعت فديتهن وخرجن من القدس ، ذهبن الى صلاح الدين وشكرنه بأعلى صوت ، وعندما رآهن صلاح الدين سأل عنهن وماذا يطلبن فقيل له انهن نساء وبنات الفرسان الذين ماتوا أو أسروا في المعركة ،وسأل ماذا يردن فقيل له انهن يردن أن يشفق عليهن ، وأن يطلق في سبيل الله من في أسره من أزواجهن وآبائهن ، فقد فقدوا الآن الأرض ، ويسألنه من أجل الله أن يجتمع بهم ليساعدهن ، وعندما رآهم صلاح الدين يبكين ، أشفق عليهن كثيرا وقال لهن انه سيبحث عن رجالهن وسيطلق سراحهم جميعا ، وبالفعل جرى التفتيش وأطلق صلاح الدين سراح كل الذين كانوا في سجنه ، وبعد ذلك أمر أن يعطى للسيدات والفتيات اللواتي توفي آباؤهن أو أزواجهم في المعركة كفاية كل واحدة منهن من المال ، وهكذا دفع لواحدة خلاف الاخرى أقل أو أكثر حسب

وضعهن ، ولقد أعطين بقدر ما توسلن لله مالا وشرفا أولاهــن اياه صلاح الدين .

وبعدما أخرج جميع المسيحيين من القدس ، تجمع الذين خرجوا من فقراء وأغنياء في الجهــة المقــابلة لجيش المســلمين ، وأصــيب المسلمون بالذهول لدى رؤيتهم الحشد الهائل من الشعب الذي تجمع هناك ، وهكذا اعلموا صلاح الدين أن عدد الشعب الذي خــرج مــن المدينة كان كبيرا جدا ، بحيث لا يمكن أن يسافروا كلهم معا .

٥٩ ــ وأمر صلاح الدين أن يوزعوا على ثلاثة أقســام ، فــأخذ الداوية قسما منهم ، وأخذ الاسبتارية قســما آخــر ، ثــم أخــذ البطريرك وبالين الثلث المتبقي ، وعندما أخذ كل قسمه ، كلف صلاح الدين بعضا من فــرسانه أن يقتــادوهم بســلام وأمــان الى أراضي المسيحيين . وسأحدثكم كيف اقتــادوهم : ســار بعض الفــرسان أمامهم في المقدمة وسار بعضهم الآخــر مــن خلفهــم ، وكان الذين يسيرون في المقدمة يتــوقفون عندمــا ينامــون لاعطـــاء العلف لخيولهم ، وتراهم بعد العشاء جميعا قد حملوا اسلحتهم وامتــطوا ظهور خيولهم ، وهم يطوفون طوال الليل بين المســيحيين وحــولهم حتى لا يهاجمهم أحــد اللصــوص ، وأمــا الفــرسان الذين كانوا يسيرون في المؤخرة ، فكانوا عندما يرون رجلا أو امرأة أو طفــلا لا يستطيعون السير يترجلون عن ظهــور خيولهــم ، ويســيرون على الأقدام ويحملون هؤلاء حتى أمــاكن الاســتراحة وكثيرا مــا كانوا أنفسهم يضعون على ظهور خيولهــم مـــن أمـــامهم أو خلفهـــم الأطفال ، وعندمــا كانوا يصــلون الى محــطات التــوقف ، كانوا يتناولون طعامهم وينامون ، واعتــاد الذين يســيرون هــذا اليوم في المقدمة على السير غدا في المؤخرة ، ويتقــدم الذين في المؤخــرة الى الأمام ، وجرت عادتهم لدى وصولهم الى ممر ضيق أو موضع ريبــة وخوف ، أنهم كانوا يسلحون بعض المسيحيين ، ويعــطوهم بعض الأسلحة التي يحملونها بغية حراسة الممــر الضــيق حتــى يعبـــر الجميع ، ولدى التوقف كان بائعو الخوم في الأرض يجلبون الحوم

بكثرة حتى أن المسيحيين أقاموا لذلك سوقا كبيرا ، وبالنسبة للقسمين الاولين اللذان عادا الى أرض المسيحيين ، كان أول من وصل مقدم الداوية ومعه قسمه ، ثم تلاه مقدم الاسبتارية ، وجاء بعد ذلك البطريرك وباليان لانهما فكرا في اقناع صلاح الدين بتوسلاتهما ليطلق سراح الأسرى الذين بقيوا في المدينة ، وقد أخفقا في اقناعه •

٦٠ ـ على هذه الصورة جرى اقتياد المسيحيين الى أرض طرابلس ، وبعدما عبروا أراضي كافل المملكة دخلوا الى أراضي صاحب البترون وهونين ، وأمر ريذو صاحب هونين بجمع جنوده وأوقفهم في مكان محدد من أرضه حيث أمرهم بتقديم المساعدات الى الناس بقدرما يستطيعون ثم استقبل بقية أهل القدس الذين تركهم صلاح الدين .

من الذي يستطيع وصف البكاء والآلام أو رواية أخبار هذه المحنة الحزينة التي عانت منها مدينة القدس المقدسة ، هذه المدينة التي كانت تدعى سيدة المدن جميعا أصبحت الآن خادمة وتابعة ، هذه التي كان ينبغي ان تحكم بجدارة باتت محكومة .

وأساء صاحب هونين معاملة الذين التجأوا اليه ، فذهبوا الى طرابلس ، ظانين أنهم سيستقبلون بشكل لائق داخل طرابلس و لكن كونت طرابلس أمر باقفال أبواب طرابلس في وجوههم ، والا يسمح بدخول اي شخص اليها ، ثم بعث رجاله الى قلعة كوكب ، فأخذ هؤلاء سادة القدس وأغنيائها وعاملوهم معاملة سيئة ، ولا بد هنا من الاقرار ان اهالي طرابلس وهونين عاملوا أهل القدس أسوأ معاملة ، وبما أن المساعدة أمر يجب الاقرار به لم تكن معاملة أهل طرابلس وهونين مثل معاملة المسلمين لأن المسلمين كما سمعتم من قبل اقتادوهم بأمان وقدموا لهم مساعدات كبرى ، بينما أساء هؤلاء معاملتهم ولم يستقبلوهم واقتص المولى من صاحب هونين ، لأجل ما اقترفه من آثام ، اقتص منه في حياته

حيث فقد بصره ، وخسرت أخواته أزواجهن وهن أحياء ، ولم يخلفه أحد لا هو ولا أخواته من بعده ، وحصل القصاص نفسه ونزل ليس فقط بأهالي هونين بل بكل المتآمرين والذين يعملون الشر ، وذهب فقراء أهل القدس الى أنطاكية ودخل بعضهم الى الأراضي البيزنطية ، وبقي قسم منهم أمام مدينة طرابلس ، وذهب سكان قادس وعسقلان مع قسم من أهالي القدس الى الاسكندرية حيث أحسن استقبالهم في أراضي المسلمين ، بينما الذين ذهبوا الى طرابلس لم تحسن معاملتهم هناك .

وعندما جاء هؤلاء الى أرض الاسكندرية ، استقبلهم والي الاسكندرية استقبالا جيدا ، فوضع حرسا بينهم وحافظ عليهم ليلا ونهارا ، واستمر يعاملهم بمثل هذه المعاملة الطيبة وبحمايتهم طيلة الشتاء ، فقد مكثوا هناك حتى شهر آذار ، حيث ذهبوا اثر ذلك الى أرض المسيحيين فيما وراء البحار .

٦١ ـ وأحدثكم الآن عما كان يقوم به المسلمون في الاسكندرية كل يوم ، كان أعيان المدينة يخرجون فيقدمون الهدايا والأعطيات الكبيرة الى المسيحيين وكانت من الخبز والخمر والمال ، ثم إن أغنياء المسيحيين الذين كانوا يملكون الأموال قاموا فاستخدموهم كسلعة فربحوا منهم ربحا كبيرا عندما عبروا البحر .

وأروي لكم الآن خبر المخاطرة الكبيرة التي تعرضوا لها ، فقد ذهبوا الى ميناء مدينة الاسكندرية ، ووقفوا أمام أهالي : بيزا والبندقية وجنوى وقوم آخرين ، فقد كان يعقد لهؤلاء في شهر آذار سوق كبير للعبور ، وعندما جاء شهر آذار استقبلوا هناك ، ثم قام مقدموهم بالذهاب الى والي الاسكندرية ليسددوا ماعليهم من حقوق وطلبوا منه أن يعطيهم حكام هؤلاء وقادتهم ، حتى عندما يحين الوقت يستطيعون الذهاب معهم ، فقال لهم : انه لن يحرر حكامهم اذ لم يتسلموا الفقراء منهم ، فأجابوا بأنهم لن يتسلموا الفقراء لأن القوانين لاتسمح لهم بذلك ، وليس لديهم مساعدات ليقدموها

لهم ، فقال لرجاله :« مـــاذا تـــرون ان نعمـــل ومـــاذا تريدون ؟ » فقالوا :« نقيدهـم » ثم توجه هذا الوالي بالخطاب اليهم قائلا :« غريب أمـركم الا تفـكرون ، هـل تـــريدونهم أن يهلكوا ويصبحوا عبيدا للمسلمين بخرق الأمان الذي أعطـاهـم اياه صـلاح الدين ؟ هذا لن يكون ، خذوهـم معكم ، وسأخبركم ماالذي سأعمله للمحافظة على الامـــان ، ســأعطيهم الخبـز والمســاعدات الكافية ، وتتسلموهـم أنتم وتصبحوا مسؤولين عنهم ، وبخلاف ذلك لن تستطيعوا الحصول على حكامكم ».

وعندما رأى اصحاب السفن أن لامناص أمامهم ، سمحوا لهـم بالصعود الى ظهر السـفن ، ولقـد كان الوالي حـكيما وكان يخشى الله ، هل تعلم ماالذي قاله هـــذا المســـلم للســـادة وقبـــاطنة السفن :« تقدموا واقسموا لي على انجيلكم بأنكم ستنقلونهم نقـلا جيدا وستعاملونهم بكرامة حتى يصلوا الى مرسى السـلام في أرض المسيحيين ، وأن تضعوهـم حيث تضعون الأغنياء والا تسيئوا اليهم أو تزعجوهـم ، واذا سمعت يوما من الأيام أنكم أسأتم معاملتهم أو أزعجتموهـم سأضايق تجـار بـــلادكم الذين يأتـــون الى هـــذا البلد » وهـكذا ذهب المسيحيون الذين أمضوا الشتاء في الاســكندرية بسلام الى بلادهـم عبر أرض مصر .

٦٢ ـ وســأحدثكم الآن عن الذي صـنعه صـلاح الدين عندمـا استولى على القدس ، إنه لم يغادر المدينة قبل أن يصلي في المســجد الأقصى ، فقد بعث فجلب أخته التي أسرها وغصبها نفسـها الامير ارناط حتى تصلي معه في المســجد الاقصى ، ليقـدما الشـكر لله وليصليا على محمد(صـلى الله وعليه وســلم) لعـظيم الشرف الذي اولاه اياه الله ، وعندما سمعت هذا النداء حملت الجمال بـالهدايا والمساعدات ، وتحركت للقدوم الى القدس .

وقبل ان يدخل صلاح الدين واخته الى المســجد الاقصى ، عمـلا على تنظيف هذا المسجد وتخليقه بالعطور ، وامر رجال الاكليروس

والاساقفة بالعودة الى الكنائس التي قد انتهكت ، ذلك ان المسلمين قالوا : لاخنزير ولارجل يأكل الخنزير يجوز ان يدخل الى هذا المسجد ، الذي اوقفه صلاح الدين على عبادة الله : وتوجه عدد من المسلمين الى الضريح المقدس ، وانزلوا الصليب الذي كان فوقه ، وبعدما حطمه المسلمون سحبوه الى باب داود ، وتعالى قبل ذلك وبعده صراخ ضد المسيحيين ، ويقول بعض الناس بأنه نقل الى الكرك اثر استيلاء صلاح الدين عليه ، ويقول اخرون : انه حطم فوق المسجد الاقصى ، وامر صلاح الدين بغسل المسجد الاقصى بالعطور التي احضرت من دمشق ، ثم دخل الى المسجد الاقصى ، فصلى وشكر الله على منحه السيادة على بيته المقدس ، وبعدما خرج من القدس ذهب الى طبرية ، ثم مر من امام قلعة كان يسيطر عليها مقدم الاسبتارية واسمها شقيف ارذون ، فاستردها ثم جاء الى صفد التي كان يحكمها مقدم الداوية ، وكان الداوية بداخلها فاستسلموا له ، وبعدما ان استولى على جميع المدن والقلاع التي كانت على ضفتي نهر الاردن ذهب لمحاصرة قلعة الكرك ، وكان مقدرا ومعتقدا انه حين يصل اليها ستستسلم له ، وكان بداخلها اناس طيبون كانوا لايريدون ان يصيبهم العار ، ولاان يسببوا الضرر للمسيحيين ، فقاموا ودافعوا بكل قواهم ، وبينما كانوا يدافعون عن انفسهم اكلوا الكلاب والهررة وكل مافي القلعة من حيوانات ، وحاصرهم صلاح الدين وشدد عليهم الحصار ، لكنه كان يفكر بصور لانه اراد ان يستولي عليها ، وحاصر ايضا قلعة الشوبك التي تقع على مسافة خمسة وثلاثين ميلا من الكرك ، وتقع الشوبك في بلادأدوم بينما تقع الكرك في بلاد مآب ، وعانى المسيحيون من الحصار الى حد ان نساءهم واولادهم جاءوا يستجدون الخبز من المسلمين ، وفقد سكان الشوبك ابصارهم ولم يعودوا قادرين على النظر لانهم عانوا من قلة الغذاء والمواد المغذية التي انعدمت من بينهم ، ولم يرغبوا بمغادرة القلعة ، وانتظروا ودافعوا الايام بالايام علّ الرب يرسل لهم النجدة ، وعرض عليهم صلاح الدين مرارا وتكرارا الاموال الطائلة ووعدهم بان يقودهم سالمين الى ارض المسيحيين فلم يقبلوا .

وتخلى صلاح الدين عن قيادة الحصار ، ولم يتابع الوقوف امام القلاع ، وذهب إلى دمشق ، وهناك جهز اسلحته وجيشه وذهب الي صور ، وارسل الى مصر فاحضر سفنه البحرية وحاصر صور برا وبحرا ، واحضر ابا الماركيز الذي كان في سجنه قرب صور ، كما احضر قسما كبيرا من سكان القدس ، وجعلهم يعبرون امام صور ، وكان امامهم فرقة من جنوده واستهدف ان يراهم الماركيز مع مسيحيي صور حتى يرتعدوا ويخافوا فيسلموه صور في اقرب وقت ، غير ان الماركيز ، المسيطر على المدينة ، لم يرتعد ولم يخف مما رآه .

٦٣ ـ وطلب صلاح الدين من الماركيز ان يتمعن ويتفكر جيدا كيف انه استولى على القدس ، واسر والده ورماه بالسجن ، واعلمه انه لو رغب في تسليم صور لاعاد اليه والده واعطاه مالا كثيرا ، فاجابه الماركيز سيعمل ويبذل كل جهده من خير وشر ولن يعيد له ابدا صور اذا اراد الرب ، وسيدافع عنها بعون الرب .

وعندما سمع صلاح الدين هذا الكلام امر قادة البحر ان يحاصروا مدينة صور ، ويشددوا الحصار عليها حتى لايستطيع احد ان يخرج منها او يدخل اليها ، وامر ان يوجه الى اهل صور الانذار بالتسليم ، فوجهوا اليهم عدة انذارات ليلا ونهارا ، لكنهم لم يلحقوا ضررا بسكان المدينة ، حيث لم يمض النهار حتى انقض المسيحيون على المسلمين بمساعدة فارس من اسبانيا كان في صور واسمه شانجه مارتين ، كان يحمل سلاحا اخضر ، وعندما خرج هذا الفارس استنفر المسلمون جميعا لينظروا الى هندامه الجميل ، وكان اهالي صور يسمونه الفارس الاخضر ، وكان يحمل قرون غزلان وضعها على ثيابه ، قد احضرها له كثير من الناس .

وصنع الماركيز مراكب مغلفة بالجلد في داخلها نوافذ جلس امامها جنود الدفاع ، وكانت هذه المراكب خفيفة جدا تقاد بسهولة الى

الشاطيء ، والحق هؤلاء الجنود اضرارا بالغة بالمسلمين ، ذلك ان المراكب الاخرى لم تستطع الاقتراب منهم .

وعندما رأى الماركيز انه قد حوصر من البحر والبر سلح مركبا واخرجه من صور ليلا وبصمت ، وبعث به الى امير طرابلس يطلب منه المساعدة بالرجال والعتاد ، وماان سمع امير طرابلس هذا الخبر حتى جهز سفنه الحربية ووضع داخلها الفرسان والعتاد وامرهم بالذهاب الى صور ، لكن عندما وصلوا الى قرب صور ، لم يشأ الرب ان يدخلوا الى المدينة ، فقد بعث بريح عاصف مما ارغمهم جميعا على العودة الى طرابلس دون احداث اية اضرار .

وعندما رأى الماركيز انه لم يستطع الحصول على النجدة من احد ، توسل الى الرب ان يرشده ويساعده في حماية صور ومداومة السيطرة عليها ، وساعده الرب ، فقد روي انه حدث مايلي : قام واحد من امراء المسلمين ، وكان ابن قائد الاسطول بالفرار من والده بعدما غضب منه ، فهرب من جيش المسلمين ودخل الى مدينةصور ، وقد جعله الماركيز يصير مسيحيا ، وسأحدثكم الان عن الذي فعله الماركيز : عندما كان هذا الامير في احدى القاعات الكبيرة داخل مدينة صور ، كتب الماركيز بوساطة هذا الذي تحول الى المسيحية رسائل الى صلاح الدين ، بعث فيها بتحياته الى مولاه صلاح الدين وكتب اليه يفيده بما علمه عما كان يحصل داخل مدينة صور ، واخبره ان المسيحيين يعدون الان العدة للهرب من المدينة بحرا ، وانه إذا لم يصدق ليذهب لرصد المرفأ ، حيث سيسمع ضجيج الناس الذين اخذوا يتجمعون في المراكب بهدف الفرار ليلا ، وبعدما كتب هذه الرسائل ارسلها الماركيز الى جنود المسلمين ، مع واحد من حراس مدينة صور .

٦٤ ــ وعندما وقف المسلمون على الرسائل المبعوثة اليهم حملوها الى صلاح الدين ، فقرأها ثم اطلع عليها قادة البحر وسواهم ، ثم امر باستنفار جنود الاسطول ليكونوا جاهزين للعمل

ضد المسيحيين ، وفي الوقت نفسه زاد الماركيز من تحصينات البرج القائم فوق الباب الرئيسي ، كما وحصن السور الرئيسي ، حتى اذا مارغب المسلمون بالهجوم عليه امكن صدهم والدفاع عنه ، وامر الرجال الذين كانوا يعملون بالتحصينات ان يلزموا جميعا الصمت والا يحدثوا ادنى ضجيج فذلك سر المهنة .

واثر ذلك اغلق الابواب ، ولم يسمح لاحد بالدخول او الخروج وظل طيلة النهار داخل المدينة ، وبعدما فرغ من تحصين البرج والاسوار ، توجه الى المرفأ ، وسلح المراكب ، وامر جميع الناس الذين يستطيعون حمل السلاح ان يكونوا ليلا في المرفأ ، فكانوا كلهم هناك ، وهكذا لاحظ المسلمون ان الرسائل التي بعث بها الامير كانت صحيحة .

وتسلح المسلمون وصعدوا الى مراكبهم وتأهبوا لمواجهة المسيحيين ، وعندما حل النهار جاء المسلمون الى الميناء ، فوجدوا المنطقة خالية ، فخيل اليهم ان المسيحيين اضطروا الى الخروج قبيل هذا الوقت والفرار ، وقام المركيز بهذا العمل لانه اراد التغرير بسفن المسلمين حتى تدخل الى ميناء المدينة ، بعدما جعلهم يرون وهما جموع الناس التي تجهزت في الميناء واثارت الفوضى في اليوم الفائت .

وعندما رأى المسلمون خلو المرفأ من جموع الناس ، شرعوا بالولوج الى هذا المرفأ رويدا رويدا ، ودخلت المراكب المسلمة الى الميناء ، وهنا عندما رأى الماركيز ان المراكب قد دخلت الى المرفأ امر الناس المتمركزين في الخفاء بالانطلاق ، وفورا اندفع المسيحيون بشكل مفاجىء الى المراكب المسلمة ، فاخرجوا جميع المسلمين منها واستولوا عليها ، وبسرعة سلح الماركيز مراكب المسلمين التي استولى عليها مع المراكب التي وجدها في مدينة صور ووضع في داخلها عددا كبيرا من الفرسان والجنود المسلحين بمختلف الاسلحة ومع مجيء فجر اليوم التالي ، أخرج هذه المراكب

بكل هدوء فانقضت على بقية سفن المسلمين ، وعندما رأى المسلمون انه ليس بامكانهم مقاومة هجوم المسيحيين انسحبوا نحو اليابسة بالحال ، وجاءوا الى مقربة رجالهم ، واندفع فرسان جيش صلاح الدين باعداد غفيره وهم على ظهور خيولهم نحو الشاطىء ، وخاضوا في البحر لمساعدة جنود المراكب ، وقد لحق بالمسلمين اضرار بالغة حيث فقدوا عددا كبيرا من جنودهم بين قتلى وغرقى ، ولقد فقدوا ايضا بعض خيولهم ، وعندما وجدوا انفسهم غير قادرين على صد الهجوم ومتابعة المقاومة انسحبوا الى اليابسة، ثم رفعوا الحصار وذهبوا الى بيروت حيث احدثوا فيها ضررا كبيرا والحقوا بالمسيحيين خسائر لم يسبق لها مثيل .

٦٥ ـ واحدثكم الان عن المسلمين وعن نشاطهم فوق الارض ، فقد احضروا سلالم وحملوها حتى وصلوا الى السور الرئيس ، وهناك ارادوا استعمال السلالم ، لكنهم وجدوا ان الاسوار كانت عالية جدا ، فلم يستطيعوا البلوغ اليها ، وهكذا لم يتمكنوا من الحاق الضرر من خلالها بسبب التحصينات المعدة فوق الاسوار ، وعندما وجدوا انهم غير قادرين على الصعود الى اعلى الاسوار ، احضروا النقابين فلغموا الاسوار ، وبعدما لغموها نسفوها وبذلك لم يبق مايحمي المسيحيين ، فدخلوا الى المدينة واشتبكوا مع المسيحيين ، وفي تلك الساعة ارسل الرب عونة ، فبعدما دحر المسيحيون المسلمين من البحر ، علموا ان المسلمين اخترقوا اسوار المدينة ، وان الساحات باتت مليئة بالمسلمين .

ومان سمع الماركيز بذلك حتى عاد وبادر الى فتح الباب الرئيس للمدينة ، واخرج جميع القوات التي لديه دفعة واحدة ضد المسلمين ، وعندما رأى المسلمون حملة المسيحيين من سكان المدينة الكبيرة ضدهم ، تخلوا عن مواقعهم ، وتدبروا امورهم قدر الامكان وعادوا الى جيش صلاح الدين ، ثم تم القاء جميع القتلى في البحر ممن مات في الساحات ، وحصلت هذه الهزيمة في اليوم الاول من السنة الجديدة ، فقد بدأ الحصار في يوم عيد جميع القديسين ودام حتى

اليوم الاول من كانون الثاني من سنة ١١٨٦ لتجسيد المسيح (في الحقيقة ١١٨٨) •

٦٦ — ورأى صلاح الدين انه اخفق في البر والبحر ، فاوقف الحصار على المدينة ورفعه ، وعند حلول الظلام اضرم النيران في المراكب التي هربت واحرق كل شيء ثم انسحب ليلا حيث اتخذ مواقع جديدة له بعيدا عن صور ، ووجد قلعة لم يكن قد سيطر عليها بعد تدعى قلعة الشقيف ، ورأى ان الاستيلاء على هذه القلعة سيمكنه من اضعاف صور كثيرا ، وبذلك يمكن السيطرة عليها في وقت مقبل ، وكان صلاح يعرف ان ريذو صاحب صيدا موجودا داخل القلعة ، فبعدما طرده الماركيز من صور ذهب اولا الى طرابلس ، ثم توجه الى الشقيف .

٦٧ — وعندما وقف صلاح الدين امام قلعة الشقيف ورأى حصانتها ادرك انه لن يستطيع تحصيل اي شيء بالقوة ، ففكر بعمل خياني مميت ، فقد راسل ريذو واعطاه الامان ليأتي للحديث اليه ، غير ان ريذو رفض طلبه ، ولم يشأ الذهاب ، لانه يجب عدم الثقة بغير المؤمن ، وامره صلاح الدين عدة مرات بالقدوم اليه وتهدده انه اذا لم يأت سيقوم بالاستيلاء على القلعة بالقوة ومن ثم سيقوم باحراقه هو وكل من في القلعة ، وقد تشكك ريذو بذلك غير انه بعدما طلب منه ذلك مرة اخرى اجتمع ريذو برجاله وتشاور معهم وسألهم :

هل يذهب ام يبقى ؟ واشار عليه رجاله ونصحوه بعدم الذهاب مطلقا ، لانه اذا ذهب سيعتقله رجاله ورفض مشورتهم ، فذهب مخالفا لنصحهم ، دافعا ثقته بالطرف الاخر ، وقبل ان يتحرك من القلعة اقسم متعهدا لرجاله بالمحافظة على القلعة وان يسعى لانقاذها لصالح المسيحيين ، وعلى الا يسلموها مطلقا الى صلاح الدين ، مهما كلفهم الامر ، وهكذا غادر القلعة وجاء الى صلاح الدين ، فاستقبله استقبالا جيدا ، ثم ابدى له عظيم السرور بقدومه .

٦٨ ـ ما أن اصبح صاحب صيدا المتولى على قلعة الشقيف بين يدي صلاح الدين حتى تأكد من حصوله على هذه القلعة ، وهكذا بعث اليه بالهدايا الجميلة والجواهر الثمينة وفق ما جرت عليه عادات المسلمين في اغراء المسيحيين ، ثم أحاطه بالحراس ، وهنا شعر ريذو بمؤامرة مدبرة ضده ، واشتم رائحة الخيانة المدبرة ضده ، وبناء عليه طلب مهلة ليذهب بسلام الى حصنه تحت حماية صلاح الدين كما جاء اليه تحت حمايته ، وهكذا عندما أدرك صلاح الدين أن ريذو شعر بالمؤامرة ، أعطاه المهلة المطلوبة .

وبعدما سافر ريذو من عند صلاح الدين وبات قريبا من بيروت ، واقترب من الشقيف ، جاء كاتب من الشقيف ، كان في خدمة ريذو واسمه بلهيس ، الى صلاح الدين وسأله : لماذا سمحت لصاحب صيدا بالذهاب ؟ فأجابه صلاح الدين بأنه جاء بأمان منه ، ولم يرغب في خرق الامان االذي أعطاه اياه ، فقال له بلهيس :إنه إن دخل القلعة لن تتمكن من اخراجه منها ابدا ، ان أمانك الذي أعطيته اياه قد انتهى منذ أن سافر من عندك ، فقال صلاح الدين : إن محاولة القبض عليه ستكون بدون جدوى ، فقال الكاتب مجيبا صلاح الدين : أعطني رجالا يأتمرون بأمري يسيرون وفق ارادتي وأنا أذهب فألقي القبض عليه وأجلبه لك ، فأمر صلاح الدين فرقة من رجاله بالذهاب مع الكاتب وتنفيذ أوامره ، وتحرك هؤلاء الجند ، فأمرهم الكاتب بأن يمضوا بسرعة ويقوموا بأسر صاحب صيدا ومن معه من الرجال الذين سيدخلون الى القلعة برفقته ،وقال الرجال الذين كانوا برفقة صاحب صيدا : « مولاي هناك عدد غفير من الناس قادمون خلفنا » فأجابهم صاحب صيدا : « نعم أعرف جيدا أنني خدعت ، فهؤلاء الناس قادمون لالقاء القبض علي ، تسلحوا جيدا وحافظوا على القلعة بقدر ما تستطيعون ، واحتراما لي أرجو الا تسلموها ، وأن تدافعوا عنها وتحافظوا عليها لصالح المسيحيين ، ولا أرغب بهذا الأمر من أجل انقاذي انا ثم امر الفرسان الذين كانوا معه بالصعود الى القلعة ، ووصل المسلمون فاعتقلوا صاحب صيدا واقتادوه الى صلاح الدين

٦٩ ـ ما أن ألقى صلاح الدين القبض على صاحب صيدا حتى تأكد من أن قلعة الشقيف قد تم الاستيلاء عليها ، وهنا أحضر صاحب صيدا الى حضرة صلاح الدين فطلب منه تسليم قلعة الشقيف ، فأجابه ريذو ، رجاء من أجل الرب يا مولاي ، ولكونك عظيما بين الرجال ، والله قد أكرمك بشكل جيد ، لا تخرق أمانك من أجل هذه القلعة المتواضعة ، فقد حافظت على كل أمان أعطيته لأحد من الناس ، فأجابه صلاح الدين : يا ريذو علمني نبيي محمد (صلى الله عليه وسلم) أن أقبض على كل عدو لله ، وأن أتوكل على الله وأثق به ، هذا من جانب ومن جانب آخر : لقد أقسمت يمينا بألا أدع قلعة ولا مدينة دون أن أسعى للاستيلاء عليها بجميع الأساليب التي أتمكن من استخدامها ، دون أن أقترف خطأ أو جريمة ، فأجابه ريذو : يا مولاي رجاء من أجل الرب ، دعني أذهب الى القلعة ومن ثم سأسلمك اياها ، فأجابه صلاح الدين : دع عنك هذا الكلام ومن مصلحتك أن تسلم القلعة وإلا سأميتك شر ميتة ، وسلم ريذو أمره الى الرب وقال صلاح الدين : جسدي بين يديك ، أما الروح فبيد الله ، وتستطيع أن تعمل بجسدي الذي تريده ، لكنك لن تحصل أبدا على القلعة .

٧٠ ـ وبعدما سمع صلاح الدين كلام ريذو هذا غضب غضبا شديدا ، واقتاده الى أمام القلعة ، وهناك جعل يضربه ويعذبه بقسوة ، وعلقه من يديه ورجليه أمام رجاله في القلعة ، الذين أشفقوا عليه ، وقام حيث كان يعذب فصرخ الى رجاله :« قاوموا جيدا ، ولا تغضبوني حافظوا على القلعة من أجل المسيحيين »

وعندما رأى صلاح الدين ريذو يتحمل العذاب ، ولا يريد تسليم القلعة ، شدد عليه العذاب ، ولما لم يعد ريذو يستطيع تحمل العذاب ، وفي الوقت نفسه لم يقدر أن يموت من شدة العذاب الذي عانى منه ، وقضت ارادة الرب أن يبقى حيا ليحصل على ذويه ويراهم ، عند ذلك طلب أن يقاد الى قرب القلعة ، وطلب من رجاله السماح وقال :« لم أعد أستطيع تحمل العذاب ، وأحلكم من القسم الذي أقسمتموه لي ، سلموا القلعة وأنقذوني ، فأنا أخشى أنه اذا لم

تحررونني أن أهلك جسدا وروحا » ، فتشاور هؤلاء فيما بينهم ، وسلموا القلعة الى صلاح الدين من أجل انقاذ سيدهم ، وهكذا سيطر عليها المسلمون وظلوا مسيطرين حتى مجيء ملك نافار . (ثيبوت دي شامبين ـ وصل الى عكا في شهر ايلول سنة ١٢٣٩).

٧١ ـ فرح صلاح الدين فرحا عظيما عندما استطاع الاستيلاء على قلعة الشقيف ، لأن مدينة صور ، ضعفت من جراء ذلك ضعفا شديدا ، وبعدما أصبحت القلعة تحت سلطته ، أعطى ريذو من أجل الخيانة التي قام بها بتنازله له عنها أعطاه نصف صيدا وكل ما كان يقتنيه ، ولم يطالبه بشيء أبدا ، وحافظ على ذلك طيلة حياته ، وكذلك فعل من بعده ابنه بالين حتى تاريخ الهدنة التي أبرمها الملك الكامل ، ملك مصر مع الامبراطور فريدريك (شغل بالين صاحب صيدا دور الوسيط في مفاوضات الهدنة بين الكامل و فردريك الثاني في ١١ شباط سنة ١٢٢٩ ، أما منحه صيدا من قبل صلاح الدين فكانت في سنة ١١٩٠) . و بالين هذا صاحب صيدا كان ابن ابنة بالين الذي يعرف باسم هلفس ، وأمه (أي بالين بن ريذو) الملكة ماريا ، وكان ريذو هذا الذي تحدثنا عنه قد تزوج من هذه الفتاة بعد أن فقد الأرض ، أي إثر تحرره من بين أيدي صلاح الدين . هذا وسافر صلاح الدين من هناك ، وذهب الى دمشق ليقيم فيها هو وحاشيته أيضا .

٧٢ ـ والآن سنريحكم من الحديث عن صلاح الدين ، لأنني سأحدثكم عن جوسيه رئيس أساقفة صور ، فقد كان قد سافر الى مدينة روما ، رسولا يحمل معه أخبار الكارثة الحربية التي ألمت بأرض الميعاد ، ولقد سافر في مركب طلي كله بلون السواد ، واستهدف من طليه بهذا اللون ، أنه عندما يصل المركب الى قرب الشاطيء يعرف الناس أنه يحمل اخبارا سيئة ، لا بل مميتة ، ووصلت هذه السفينة الى بلاد الملك وليم الذي كان حاكم بلاد : صقلية ، وأبوليا وكالبريا ، وكان الملك وليم هذا متزوجا من

ابنة هنري (الثاني) ملك انكلترا ، وكان اسم هذه السيدة جوهاني ، وكان الملك وليم موجودا في المكان الذي وصل اليه رئيس أساقفة صور ، وعلم رئيس الأساقفة أن الملك وليم كان قريبا من المكان الذي وصل اليه ، فذهب اليه وحدثه عن الخسارة الفادحة التي حلت بأرض القدس ، وعندما علم الملك بهذه الأخبار تألم كثيرا ، وتذكر أنه كان هو أيضا مسؤولا عن ذلك الأمر مثلما هو مسؤول عن ضياع الأرض ، وسأروي لكم كيف :

عندما سمل الكسي عيني أخيه الذي كان امبراطورا ، وأصبح هو الامبراطور ، اجتمع الملك وليم مع رجاله وأخبرهم أنه سيرسل عددا كبيرا من الناس الى القسطنطينية ليستعيد بوساطتهم الأرض ، ووعدهم بكل تأكيد أنه سيقوم بذلك ، وأعد اسطولا كبيرا ، من الشواني ومختلف أنواع السفن ، وبعث به الى بلاد ما وراء البحر ، والى جميع البلدان التي كان فيها فرسان وجنود وأعطاهم السلاح والعتاد كل حسب حاجته واختصاصه ، واحتفظ بهؤلاء الحجاج وحال دون مرور غيرهم ، فقد كان متعذرا على أي حاج الذهاب الى بلاد ما وراء البحار الا عبر الممر الذي احتفظ به في بلاده ، وهكذا ضعفت بلاد ما وراء البحر ، وعندما هزم الملك غي كان ذلك بسبب العدد القليل جدا من الرجال الذين كانوا لديه ، فقد كان قد جلب الى ساحة المعركة كل ما استطاع حشده من الرجال ، وهكذا استسلمت جميعها له ، باستثناء مدينة صور ، ونتيجة لهذه الهزيمة قال الملك وليم بأنه كان مخطئا ومسؤولا عن خسارة الأرض.

٧٣ ـ وسأحدثكم الآن عما حدث لهذا الأسطول ، وبعده عن النجدة التي أرسلها الى ما وراء البحار ، ولم يذهب الملك وليم مع هذا الاسطول وبقي حيث هو ليرسل بالعتاد والرجال الحاقا بالاسطول وارسل الملك وليم خيرة رجاله وأرقاهم في بلاده ليتولوا حراسة هؤلاء الناس وادارة أمورهم ، وبعدما جهزت الشواني والسفن اجتمعت ثم تحركت مقلعة في البحر حتى وصلت الى

دورازو ، فاستولوا عليها وحصنوها ، ثم ذهبوا نحو سالونيك فاحتلوا البلاد الواقعة ما بين دورازو وسالونيك ، واثر هذا استولوا على سالونيك وحصنوها ، (احتلت هذه المدينة من قبل النورمانديين في شهر آب ١١٨٥) ثم اجتازوا سالونيك وتوجهوا نحو القسطنطينية ، وعندما رأى كونت هنغاريا أنهم استولوا على كثير من البلدان تألم وشعبه كثيرا ، غير أنهم قالوا لهم : أهلا وسهلا ، وتأثروا كثيرا من قدومهم ، ثم أعلموهم أنهم سينضمون اليهم اذا ما ثأروا للذي سملت عيناه ، وأعلموهم أنه خطأ كبير التوجه بحرا الى القسطنطينية ، والافضل السفر برا ، وهكذا اقتادوهم برا ، وذهبوا معهم ، وأحضروا معهم مساعدات كبيرة ، ذلك أنهم كانوا لا يحبون الامبراطور ، واصطحب فرسان الاسطول كونت هنغاريا واتباعه ، وتخلوا عن الاسطول وساروا برا حتى كانوا هناك في الوادي ، وكان عندما اقتاد كونت هنغاريا رجال الاسطول برا ، انتشر الخبر في طول البلاد وعرضها ، وتجمع السكان قرب فيلبه وتسلحوا ثم هاجموا في اليوم التالي رجال الاسطول ، وهزموهم وأسروهم باستثناء عدد قليل فروا وعادوا الى الاسطول ، وهكذا دمر الاسطول .

وسأحدثكم الآن عن الملك وليم ، وأبين لكم نوع النجدة التي أرسلها الى بلاد ما وراء البحار ، فقد أرسل بالمراكب وحملها بالفرسان وبعث بهم لحماية البلاد التي بقيت للمسيحيين ، ثم جهز بعد ذلك اسطولا كبيرا من الشواني ومختلف أنواع السفن ، وقدم مع ملك انكلترا الذي كانت أخته زوجة للملك وليم ، ولم أقل انه عبر مع الصليبيين ، ذلك أنه لم يمكث طويلا بعدما بدأ بهذه الحملة ، فقد مات بدون وريث ، ومن ثم قام أهالي صقلية وأبوليا وكالبريا فاختاروا ابن عمه تانكرد واتخذوه ملكا ، وحدث هذا في سنة ١١٨٧ لتجسيد يسوع المسيح (مات وليم الثاني بالفعل في ١٨ ـ تشرين الثاني ١١٨٩) .

٧٤ ـ وسأحدثكم الآن عما حدث مع تانكرد في ذلك الوقت ، وعما

سيحدث معه فيما بعد ، كما وسأحدثكم عن جوسيه رئيس أساقفة مدينة صور الذي وصل الى بلاد الملك وليم ، فقد أعطى الملك وليم الى جوسيه هذا بعض الخيول وما لزمه من نفقات للذهاب الى روما ، غير أن رئيس الأساقفة هذا وجد البابا أوربان في مدينة فيراري ، فروى له أخبار الكارثة وحدثه عن الخسائر الفادحة التي لحقت بالمسيحيين في أرض مملكة القدس ، وشرح له كيف استولى عليها المسلمون ، وعندما سمع البابا ذلك كله تولاه الغضب والحزن معا ، وتألم كثيرا حتى أنه مات من شدة الألم ، وكان الذي حدث معجزة ، فهرقل ــ الامبراطور ــ وضع الصليب في القدس ، وهرقل ــ البطريرك ــ أخرجه من القدس ففقد ، وفي أيام أوربان الثاني جرى احتلال القدس ، وفي أيام اوربان الثالث سقطت القدس ، لأن المسلمين استولوا عليها .

وبعد وفاة أوربان ، صار غريغوري الانساني بابا ، لكنه عاش فقط لمدة شهر واحد ، وتولى عرش البابوية بعده كليمنت الثالث ، وهو الذي بعث برسله الى جميع البلدان المسيحية لاطلاعها على فحوى الأخبار السيئة التي وصلت اليه من أرض الميعاد ، وبعث الى جميع وجهاء المسيحية والى كل امبراطور والى الملوك والأمراء والفرسان والقادة بعدهم بأن كل الذين سيكونون صليبيين ويبدون الاستعداد للذهاب الى أرض الميعاد سيغفر لهم كل خطاياهم ، فهو الذي سيتحملها ويمحوها عنهم أمام الرب ، واعلن ان كل االذين يريدون خوض الحرب المقدسة ، سيخولهم السلطة من أجل خدمة الرب وعبادته .

وبعدما سمع هذا الخبر والنداء رجالات المسيحية من ملك وامبراطور ورئيس أساقفة وأساقفة وغيرهم كثير أصبحوا صليبيين ، وكان أول من تحرك ، وركب الطريق فريدريك امبراطور المانيا (فريدريك الأول بربروسا) وقد سافر عبر الطريق البرية ، فكان أن وصل الى أراضي بيزنطية وذلك حسبما جاء الحديث عنه من قبل ، وكان لهذا الامبراطور عدة أولاد ، البكر منهم

يدعى هنري ، وهـذا سيكون فيما بعد الامبراطور (هنري السادس) وهو الذي تزوج من كونستانس ، وهي عمة الملك وليم واخت ابيه ، وكان اسم الولد الثاني أوتو (أمير بورغون) وهو الذي تزوج من (مرغريت) ابنة ثيبوت (الخامس) أمير بلوا ، وقد توفي بدون أولاد ، ودعي الابن الثالث باسم فيليب ، وهو الذي كان رئيس دير بافنبيرك ، وقد خلع لباسه الكهنوتي بعد وفاة والده واخيه فردريك امير سوابيا (في كانون ثاني ١١٩١) ، وتزوج هذا الاخير من ابنة كيرساك امبراطور القسطنطينية ، وهي التي كانت من قبل زوجة وليم الشاب ملك صقلية ، وقد اصطحبها معه الى ارض المعياد ، ثم مات فيما بعد في مدينة عكا .

وتفجرت حرب كبيرة بين فيليب ملك فرنسا وهنري ملك انكلترا ، وقد نشبت في اسقفية بورغ قرب المدينة التي اسمها ياسودون ، وكانت الصفوف معبأة والمعركة معدة وكل شيء مرتب لخوض القتال والمواجهة العنيفة ، عندما وصل الى هناك رسل كنيسة روما ، فعندما جاء هؤلاء الرسل وجدوا المعركة وشيكة الوقوع ، فكل شيء معد لها ، ولكن بفضل مواعظهم المباركة ونصائحهم القدسية ، حلت نعمة روح القدس على الملكين ، حتى تخليا عن الحرب التي اوشكت على النشوب بينهما ، وقد عقدا سلاما بينهما ، واصبحا بدورهما صليبين ، واثر هذا غدا الفرسان وسكان المملكتين من الصليبيين وذلك قدوة باسيادهم ، ولم يتحرك ملكا فرنسا وانكلترا ، ولم يسافرا كما فعل الامبراطور ، هذا ولم أحدثكم عن السبب في تفجر الحرب بين ملكي فرنسا وانكلترا ، وسأدع هذا حتى مناسبة اخرى ، فانا سأحدثكم اولا عن صلاح الدين الذي دخل الارض واستولى عليها .

٧٥ ــ ووصلت الاخبار الى صلاح الدين تتحدث عن امبراطور المانيا وكذلك عن ملكي فرنسا وانكلترا ، وجميع بارونات ماوراء البحر ، وتخبر انهم جميعا صاروا صليبيين بهدف القدوم لمحاربته ، ولم يذف صلاح الدين هذه الاخبار ولم يصدقها كما هي ، غير انه

اقدم على تحصين عكا بشكل جيد وشحنها بالسلاح والعتاد والمؤن ، وسكرها في وجه من يرومها ، ورابط فيها الجند المسلحين ، ولنقل ارقى الرجال وافضلهم ممن وثق بهم ، فهو كان مدركا انه إذا لم يأخذ مع رجاله باسلوب اليقظة والحذر فقد تأتي قوة مسيحية الى مرفأ عكا لتستولي على المدينة ، هذا وامر صلاح الدين الذين عهد اليهم بحراسة عكا من الداخل الا يتخلوا عنها وان يقاوموا كل من يأتي لحصارها ، وحظر عليهم الخروج منها واوجب عليهم مقاومة من يهاجمها حتى النهاية مهما اشتدت الضغوط ، واذا ماجاء المسيحيون لحصارهم عليهم اعلامه ليأتي حالا للتفريج عنهم ، فاذا جاءه الرسل وهو جالس الى مائدة الطعام لن يكمل طعامه بل سيتحرك فورا لانجادهم ، واذا وصل اليه الرسل ليلا او نهارا سيبادر الى التحرك نحوهم حتى وان كان مريضا مدنفا ، وبعد مافرغ صلاح الدين من تحصين عكا ، التفت الى حصون الساحل ومدنه فحصنها ، وبعد هذا جهز جيشه للذهاب نحو طرابلس وحصارها .

وفي الوقت الذي وصل فيه صلاح الدين الى طرابلس لالقاء الحصار عليها ، وصل اسطول الملك وليم الى صور المحصنة بالقوات والفرسان ، ولهذا اعد الماركيز اسطوله وسلح سفنه الحربية وشحنها بهدف التحرك لنجدة طرابلس ، وطلب بالوقت نفسه من فرسان وليم وقواته مرافقته لانقاذ مدينة طرابلس ، وهكذا توجهوا نحوها جميعا ومعهم الفارس الاخضر ، وبعدما وصلوا الى غايتهم واستراحوا قليلا هاجموا جيش المسلمين ، وكان الفارس الاخضر في المقدمة ، وهنا اعلم المسلمون صلاح الدين ان الفارس الاخضر جاء مع قوات نجدة طرابلس ، فراسله صلاح الدين ورجاه ان يأتي لزيارته ، فلبى الدعوة وحضر امام صلاح الدين ، فرحب به وقدم اليه الخيل والذهب وصنوف المال ، واظهر له السرور بقدومه وذكر أنه لايريد منه شيئا سوى رؤيته ، وعرض عليه أنه اذا أراد البقاء عنده فسيعطيه أرضا كبيرة ، فأجابه انه لم يأت الا للزيارة ولن

يمكث عند المسلمين بل سيحاربهم ويعطل خططهم بقدر مايستطيع ، ثم استأذن وتوجه الى طرابلس .

وعندما أدرك صلاح الدين أنه لن يحقق النجاح أمام طرابلس لوصول النجدات الكبيرة اليها ، غادر موقعه وتوجه الى المدينة التي اسمها طرطوس وهي واقعة أيضا على شاطىء البحر وإثر مغادرته الى طرطوس راسلته الملكة سيبيل زوجة الملك غي ، وكانت تعيش داخل طرابلس وطلبت منه تنفيذ الاتفاقية التي أبرمها مع البارون عندما سلمه مدينة عسقلان ، فقد حان وقت تحرير الأسرى المتفق على تحريرهم ، فأجابها صلاح الدين بأنه سيعمل على تحريرهم بكل طيبة خاطر .

فبعث أوامره الى دمشق بأن يرسلوا له الملك مع عشرة من الفرسان حددهم بغية اطلاق سراحهم ، وكان قد حدد هؤلاء واختارهم من قبل ، كما وبعث صلاح الدين يأمر بأن يرسل اليه الى طرطوس الماركيز بونيفيس والأسرى الأخرين الى حيث كانت عساكره تحاصر طرطوس ، ونفذت أوامره وحمل رجال صلاح الدين الأسرى الى طرطوس ، وبعد وصولهم أخذ صلاح الدين العهد على الملك وعلى جميع البارونات الذين أطلق سراحهم وجعهلم يقسمون الأيمان الا يحملوا السلاح ضده أبدا ، ثم أعطاهم حرياتهم شرط أن يعبروا البحر .

وركب الملك في السفينة وانتقل الى جزيرة (أرواد) الكائنة مقابل مدينة طرطوس ،وأخبر رسل صلاح الدين الذين رافقوه أنه بهذا برهن على أنه عبر البحر ونفذ ماتعهد به ، ومن هناك سافر بونيفيس الى ابنه الموجود في صور ، ثم ذهب الى الكرك واصطحب معه همفري الذي كان محتجزا أيضا في سجنه ، وعندما وصل الى القلعة كلف همفري ان يتكلم الى سكان القلعة ، وبالفعل خاطبهم همفري بقوله :« ايها السادة اذا استطعتم الحفاظ على القلعة لصالح المسيحيين ، تمسكوا بها ، لكن اذا رأيتم أن لن تستطيعوا

ذلك أرجوكم أن تسلموها وتحرروني » وكان سكان القلعة في ضيق شديد ، فاجتمعوا وتداولوا بالأمر وقرروا أنه اذا أعطاهم صلاح الدين الامان لهم ولأزواجهم واولادهم وأموالهم في ان يذهبوا الى بلاد المسيحيين وأن يحرر سادتهم فسيسلمون القلعة اليه .

وتلقى صلاح الدين هذا الكلام بكل سرور ، ووافق على العرض وزاد بأن وعدهم باطلاق سراح نسائهم وأولادهم الأسرى عنده أينما وجدوا في البلاد ، وبعدما أبرمت هذه الاتفاقية بينهم وبين صلاح الدين سلموه القلعة ، ومن هناك ذهب صلاح الدين الى الشوبك التي وجد سكانها أنهم بعد سنة ونصف السنة من تاريخ الاستيلاء على القدس لم يحصلوا على اية نجدة ، وجدوا من الأنسب التسليم ، وهذا ماكان ، واصطحب صلاح الدين همفري الى أمه ، واقتاد سكان القلعة بسلام الى أنطاكية ، ثم عاد من هناك نحو طرطوس لاستئناف حصارها ، وبعدما عسكر أمامها فترة وجيزة ، وبعدما فرغ من أمرها توجه نحو مدينة أخرى على مسافة خمسة أميال منها تدعى بلنياس فاستولى عليها ، وكان فوقها حصن حصين فوق الجبل لم يرغب في اضاعة الوقت أمامه ، ثم توجه الى أراضي أمارة انطاكية واستولى على مدينتين هناك وحصنهما ، وكان اسم الأولى جبلة والثانية اللاذقية ، ومن هناك توجه حتى اقترب من أنطاكية ، فوجدها محصنة تحصينا جيدا ، وعلم ذلك من جون غاله الذي كان ايضا في الروج ، وذهب ليحاصر الروج فلم يستطع الاستيلاء عليها ، لهذا عاد من هناك وتوجه الى دمشق ليريح جيشه ويجعله يستجم قليلا ، فقد أراد أن ينزل ضربة شديدة بالداوية ، الذين اشتد غضبه عليهم لأنهم اسروا ابن عمه ، وساندوا جون غالة ضده .

٧٦ ــ وعندما كان صلاح الدين في دمشق ،فكر بخطة سيئة جدا ، فقد أمر باخراج جميع فرسان الداوية الذين أسرهم في المعركة مع جميع الناس الآخرين الذين أخذهم أسرى ايضا ، وأمر رجاله جميعا وكل الذين لديهم أسرى أن يأتوا بهم ، وماأن أمر بذلك

وسمع رجاله حتى أحضروا الأسرى الذين كانوا لديهم ، وهكذا عندما جمع الأسرى أمام صلاح الدين توجه اليهم بالخطاب قائلا :« أنتم أيها الفرسان ورجال السلاح لكم عندي فوائد عظيمة يمكن أن تعمكم جميعا ، انتم تعلمون أولا أنني استوليت على أراضي المسيحيين الكائنة شرقي البحر بمجملها ، واستوليت على صليبكم ، وأسرت ملككم وأكثر البارونات ماتوا أو اسروا ، ولقد أشفقت عليكم ، لأنكم فرسان ، وشبان طيبون ، ويمكن أن تتأتى منكم فوائد كبرى للبلاد ، واذا أطعتم أوامري يمكنكم أن تعيشوا ، وسأعطيكم وأرد عليكم النساء والأطفال ، وأمنحكم الذهب والمال وأقطعكم بعض الأرض التي استوليت عليها مثلما فعلت مع رجالي » فسألوه عن الشيء الذي يريدهم أن يفعلوه ، فقال لهم الذي أريد فعله أن تتنكروا لعقيدتكم والصليب والايمان بيسوع المسيح ومن ثم الهداية والتحول الى شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) وعقيدته ، فأجابوه بالاجماع وبصوت واحد : انه اذا شاء الرب لن يتنكروا لعقيدة يسوع المسيح وشريعته ، ويسوع المسيح هو الذي صلبة اليهود في القدس « فهو كما تحمل العذاب من أجلنا على الصليب نريد ان نتألم حتى الموت على يديك من أجله ، لأننا نؤمن أن عقيدة محمد(صلى الله عليه وسلم) وشريعته خطأ وخداع » .

٧٧ ـ وعندما سمع صلاح الدين هذا الكلام تأثر كثيرا ، وشعر بغضب شديد ، فأمر بالحال بقتل فرسان الداوية ، وما أن أصدر أمره حتى شرع أتباعه بقتلهم ، وكان الألم شديدا ، والاضطراب عظيما وكذلك الموت وسفك الدماء ، فهو قد خيل اليه أنه بقتله للمسيحيين يقدم تقدمه كبيرة لله وقربانا عظيما وكما قال مولانا لحوارييه في الانجيل :« بل ستأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب لله قربانا » (يوحنا : ١٦ /٢) ، وفيما صلاح الدين يشرف على تنفيذ أوامره رأى مسلم مسن اسمه قراقوش رؤيا فيها غودفري دي بوليون الذي كان أول بارونات الاحتلال يقول لصلاح

الدين :« إنك لم توفق أبدا بقتلك لفرسان الداوية ، فهل تعتقد أنك أنهيت حربك ؟ أنني أعلمك أن الفرسان الداوية سيولدون بلحاهم التامة ، وأقول لك علاوة على ماقلت : ان أصدقاءهم وأهليهم لن يدعوا موتهم يذهب سدى ، ولكنهم سيثأرون لكل واحد منهم »، وكما ذكرنا من قبل ظهر له هذا عندما جاء دي آفين لحصار عكا ، ثم أنه عندما سمع البابا كليمنت الثالث بما حدث ، غضب غضبا عظيما ، وبعث برسله لمزيد من التحريض للاسراع بالحملات الصليبية .

٧٨ ـ في سنة ١١٨٨ لتجسيد المسيح ، بعدما استولى صلاح الدين على القدس وأطلق سراح الملك غي ، عاشت أراضي المملكة بسلام لمدة عامين أو أكثر ، وذلك حتى سمع سكان بلاد ماوراء البحار بأخبار هذه الفواجع والآلام التي حلت بمملكة القدس ، فقد قام جفري دي لوزنغنان ، وكان أخا للملك غي ، غير أنه كان حكيما متشددا ، فلم ينتظر لا ملك فرنسا ولاملك انكلترا ، بل أسرع لاجتياز البحر ، فقد استهدف تقديم النجدة للملك ، وعبر معه رجل نبيل اسمه أندرو دي برن ، فقد كانا رفيقا سلاح ، ولهذا أسرعا بالعبور قبل الآخرين ومعهما عدد كبير من الفرسان ، فوصلوا الى مدينة صور ، وفي صور سمع جفري الأخبار عن أخيه وعن مملكة القدس ، فقد حدثوه عن هزيمة الملك وأسره ، ثم أخبروه أنه قد أطلق سراحه ، وعندما سمع جفري هذه الأخبار وقع بارتباك شديد ، وضاقت نفسه وشعر بخجل أشد من الخجل الذي حصل لأخيه ، ثم سأل أين يستطيع أن يجد الملك ، فقيل له أنه ذهب الى أنطاكية .

٧٩ ـ ولم يلبث أن سافر من صور ، وذهب الى طرابلس ، حيث استقبل بحفاوة كبيرة هناك ، وعم الفرح العظيم بين الناس الذين كانوا هناك لدى سماعهم الاخبار التي تحدثت عن حملة التي ستعبر اليهم ، وبعدما ارتاح جفري واصحابه من وعثاء السفر ، اصطحبهم أمير طرابلس حتى انطاكية ، وهناك التقى

جفري بأخيه الذي فرح بقدومه فرحا عظيما ، ولدى اجتماع جفري والملك وايمري مقدم الداوية - كافل المملكة ، وأخوه بالوقت نفسه ، قاموا بحشد فرسانهم الذين فروا من المعركة ، وتحركوا يريدون الدخول الى أراضي مملكة القدس ، وعندما وصلوا أمام مدينة صور فكر الملك والملكة بالدخول الى هذه المدينة وكأنها تابعة لهما ، لكن الماركيز مونتفرات الذي حال بين صلاح الدين و بين الاستيلاء على صور ، منع ملك القدس من الدخول الى صور ، لأن سكان المدينة كانوا قد استقبلوه سيداً لهم ، وحدث ذلك في الوقت الذي كان فيه الملك في سجن صلاح الدين .

٨٠ - وعندما رأى الملك عجرفة الماركيز ونذالته ومنعه اياه من الدخول الى المدينة ، وأنه لم يعد لديه في المملكة قصر أو دار يعيش فيها شعر بألم عظيم حل فؤاده ، وأحب أن يموت بشرف على أن يعيش في الذل ، وبناء عليه اجتمع مع جفري ، ومع مقدم الداوية وبقية البارونات الذين كانوا معه ، وقد قالوا له : انهم يعرفون أهل البلد وموقفهم ، فهم يعرفونه أنه فوق كل شيء سيدهم وملكهم لكن المسيطر الآن على المدينة اناس غرباء ، وعمل هؤلاء مايسر الماركيز ومايرضي ارادته ، وقال له أخوه جفري : ان امبراطور المانيا وملك انكلترا وملك فرنسا وعدد كبير آخر من البارونات قد باتوا الآن من الصليبيين ، وقد اقترب وقت وصولهم ، وسألهم الملك بعدما سمع منهم ما سمع فيما اذا كانوا يريدون أن يتبعوه حيثما ذهب ، فأجابوه أنهم ماجاءوا من وراء البحار الا من أجل هذا وأنهم على استعداد للعمل حسب أوامره حتى الموت .

٨١ - وعندما سمع الملك غي كلام هؤلاء السادة فرح فرحا عظيما للارادة الطيبة التي توفرت لديهم ، وعلم أن مولانا لن يحارب أبدا ضد المسيحيين ، لذلك شد من عزيمته واسترد شجاعته وثبتها ، وأوكل مصيره الى الرب ، وأخذ الطريق وسار ليتمركز في أحواز مدينة عكا ، ولا شك أن ايمان المؤمنين بالرب كان عظيما ، وذلك عندما تجرأ حفنة من الرجال على القيام بمثل هذا

العمل الكبير ، اي بمحاصرة عكا ، وبما أنه كان هناك عدد كبير جدا من المسلمين داخل مدينة عكا ، وبالكاد وجد مسيحي واحد مقابل عشرة من المسلمين ، فان المسيحيين حين قدموا الى عكا قد وضعوا أنفسهم بين المطرقة والسندان ، فلو رأى سكان المدينة ذلك ، لكانوا التهموا المسيحيين واستولوا عليهم مثلما يستولى الباشق على الطير الصغير .

٨٢ ـ وبعث في تلك الأثناء صلاح الدين الى جميع سكان مملكته من دمشق الى مصر والى مناطق البلاد التي كان عماله يحكمون فيها فاستنفرهم وقواتهم للقدوم عليه بهدف الحاق ضربة فاصلة بالمسيحيين الذين فروا من المعركة ، ويقومون بتشديد الحصار على عكا ، واستجاب المسلمون لاوامر صلاح الدين وقدموا اليه .

٨٣ ـ وعندما جمع صلاح الدين رجاله واطمأن الى جيشه زحف فتمركز على مسافة ميل واحد من عكا ، ومنطقة مخيمة تعرف الآن باسم ضاحية صلاح الدين لأنه تمركز هناك ، فقد توفر حشد كبير من المسلمين ، وتولى هؤلاء حصار الذين جاءوا لحصار مدينة عكا ، ومرارا قال رجالات الاسلام وقادة الجيش وأعوان صلاح الدين لصلاح الدين :« دعنا نمضي فنستولي على معسكر هؤلاء ونهزمهم وبذلك سنرتاح في المستقبل ، ولسوف لن نجد أحدا يأتي لمحاربتنا » ، فأجابهم صلاح الدين بأنه يود انتظار قدوم أخيه سيف الدين الذي كان قد أرسله الى خليفة بغداد ، فهو يريده أن يكون حاضرا أثناء تحقيق هذا الانتصار وأن يشارك في الفرحة بذلك .

وعندما رأى المسيحيون الجهود التي يبذلها المسلمون الذين سبق لهم أن الحقوا بهم الهزيمة خافوا خوفا عظيما ، ووقعوا في شك رهيب ، ولم يكن ذلك بغريب ، فاستسلموا لهذا الى ملك الرحمة مثلما استسلموا لعبادته من قبل ، واستجاب لهم فأرسل اليهم بالنصيحة التالية قائلا :« تمسكوا بمنهجكم في السلاح والعتاد » ولم يبق سوى أعداء الصليب الذين ماعادوا يخافون من

المسيحيين مثلما كانوا من قبل ، ومع ذلك زار مولانا المسيحيين ومنحهم مشورته وشجعهم لأنهم استسلموا اليه بقلب طيب وفكر نقي .

٨٤ - فبينما كان صلاح الدين يجهز حشوده ، تفقد مولانا - كما تعلمون - أتباعه بنعمته فبعث اليهم من وراء البحار برجل عظيم هو جاك دي آفين والقادة الذين كانوا برفقته ، وينبغي الا يساور أحد الشك في أن الرب قد أرسل هذه النجدة وهذا العون الى هؤلاء الذين استسلموا اليه ووثقوا بنعمته ورحمته ، وفيما كان صلاح الدين يتجول في أحد الأيام وبرفقته الأمير قراقوش قال عندما رأى تقاطر القادة الفرنجة واجتماعهم:« العياذ بالله يبدو لي أن الفرنجة جن جنونهم وهم مقبلون على ركوب المخاطر في البحر » ورد عليه قراقوش قائلا :« مولاي ان هذه نجدات قادمة الى الفرنجة ، لقد سبق وقلت لك عندما أمرت بالتخلص من فرسان الداوية بأن هؤلاء سيلدون ثانية مع لحاهم » وعندما ذكره بهذه النبوءة غضب منه صلاح الدين ولهذا أمر قراقوش بالدخول الى مدينة عكا ، وحدث أنه في اليوم نفسه الذي دخل فيه قراقوش الى مدينة عكا أن وصل القادة الى عكا ، وفي الثلث الاول من الشهر بدأ الملك بحصار عكا ، وعندما وصل القادة مع الملك ، بذل المسلمون غاية جهدهم للحيلولة بين الفرنجة وبين العسكرة وانزالهم لعتادهم الذي كان معهم ، لكن الذي حدث هو أن مولانا ساعد اتباعه وتم بنجاح وأمان انزال العتاد ، ومن ثم المعسكرة ، وهنا تأكد فرسان يسوع المسيح من العناية الربانية التي خصوا بها .

وتمركز جاك دي آفين على الشاطىء الرملي أمام عكا ، في حين تولى الألمان والفريزيون والبريتانيون الذين قدموا معه تطويق عكا ووضعها تحت الحصار ، وحفروا بينهم وبين المسلمين خندقا وأقاموا الحواجز والسواتر من الأشجار وسواها ، واستولوا في الوقت نفسه على النهر الذي كان يجري أمام المدينة قرب المتمركزين على الشاطىء الرملي ، وبهذا شرع الذين كانوا داخل المدينة

بالعطش وعاذوا كثيرا من قلة توفر مياه الشرب ، حيث لم تتوفر لهم داخل المدينة مياه الشرب الا من مياه الأمطار المخزنة بالصهاريج .

وعندما رأى صلاح الدين التزايد المضطرد في أعداد المسيحيين ، أمر رجاله بالانقضاض عليهم بكل شدة ودون اضاعة للوقت والجهد ، وبات الآن على المسيحيين أن يتولوا الدفاع عن أنفسهم من جهتين ، ومع هذا استمرت حالة الحصار هذه - حسبما وصفناها لكم - حتى قدوم كل من ملكي فرنسا وانكلترا ، ومر الزمن وتخلل ذلك عدة أشكال من المعارك الشديدة ، وكان بارونات ماوراء البحار قد عاذوا كثيرا منذ أن أصبحوا صليبيين ، وتكبدوا مشاق هائلة أثناء عبورهم البحر ، لكن عندما وصلوا قدموا مساعدات هامة للاستيلاء على عكا .

٨٥ - وفي هذا الوقت بينما الملك غي يحاصر مدينة عكا جاء لامداده عدد كبير من بارونات مملكة فرنسا والممالك الاخرى ، وشاركوا في هذا الحصار ، وكان صلاح الدين متمركزا في الجهة المقابلة لرجالنا ، ومعه أعوانه جميعا وقواته ،وتمكن صلاح الدين من صد الفرنجة وقمعهم حتى أنهم لم يعد بامكانهم الحصول على المساعدة من أي جهة لاسيما بعدما تناقصت امداداتهم وكلف شح الامداد وتدمير المؤن عددا كبيرا من رجال قواتنا حياتهم ، ووصلوا الى حد لم يعودوا يستطيعون فيه تحمل سوء الحالة التي عاشوها ، ولهذا دعا الملك البارونات وقادة القوات الى الاجتماع في مؤتمر لدراسة الاوضاع ، وفي هذا المؤتمر تم الاتفاق على الزحف ضد معسكر المسلمين وسحقه ، وهذا ماكان فقد زحفوا ضد معسكر صلاح الدين والمسلمين وكان جيرالد دي ردفورت ، مقدم الداوية في المقدمة ، وكان أندريه دي برن في الساقة أما الملك غي ومعه أخوه جفري دي لوزنغنان فقد تـوليا مـواقفة القوات المتمركزة داخل المدينة خوفا من خروجها وهجومها عليهم .

وعندما رأى صلاح الدين زحف قوات الفرنجة ضد معسكره، أفرغ هذا المعسكر وانسحب الى الوراء ، ودخل المسيحيون الى معسكر المسلمين وكانوا جميعا يعانون من الجوع ، ولسوء حظ المسيحيين الذين وجدوا هناك أن حصانا واحدا من خيول الحجاج فر هاربا ، فاندفع الحجاج لامساكه ، فاضطربت صفوفهم وهاجوا وماجوا ، وشرع رجال القوات الرديفة يتصرفون خلافا لما كان عليهم أن يفعلوه ، وارتبكوا ولم يعودوا يعرفون كيف يتصرفون ، وشاهد صلاح الدين من مكان تمركزه اضطراب أوضاع الفرنجة وسوء أحوالهم فسأل واحدا من أعوانه الذين كانوا بصحبته عما يجري في صفوف الفرنجة ، ولماذا الاضطراب فيما بينهم فأجابه :« مولاي مرد هذا الوضع المضطرب هو أنه لم يبق لديهم فرسان ، ولذا اذا هاجمتهم حالا ستتمكن من هزيمتهم وأسرهم جميعا » .

ورأى صلاح الدين الحجاج الفرنجة يخرجون من معسكرهم ويدخلون الى معسكر صلاح الدين فتلاشت اماله بالعودة الى معسكره الاول ، فقد كانت اعدادهم كبيرة جدا وقواهم عظيمة ، ومع هذا انقض صلاح الدين على الفرنجة ، فلم يستطيعوا الصمود له ، فأخذوا يتقهقرون وينهزمون ، وتدفق المسلمون ضد المسيحيين مثل نهر كان يجري بالدم ، وهكذا قهروهم ، ولهذا السبب هب المسيحيون الاخرون والملك غي واندريه دي برن ومقدم الداوية ومعهم اعداد كبيرة من الاتباع والاعوان لنجدة المسيحيين والتفريج عنهم .

٨٦ ــ وكان المسلمون الذين تمركزوا داخل مدينة عكا ، قد رأوا معسكر الفرنجة قد اخلي ، والذين كانوا متمركزين فيه قبالتهم قد ذهبوا مع الملك لنجدة المسيحيين ، لذلك خرجوا من المدينة وسط ضجيج كبير وجلبة عظيمة ، وسعوا الى الاستيلاء على معسكر الفرنجة ، وكادوا يفعلون ذلك لولا ان الرب انقذ المسيحيين بوساطة جفري دي لوزنغنان ، فقد واقف المسلمين ودفعهم وصدمد في وجههم

طوال النهار مع حفنة من الرجال الذين تركهم الملك برفقته للدفاع عن المعسكر ، لقد دافع هذا الفارس بشدة وتصميم عن المعسكر فقد كان شجاعا وقويا ، لذلك لم يستطع المسلمون السيطرة على المعسكر ، فقد صدهم بالقوة والسيف وقاتلهم امام باب القديس نيقولا وقاومهم بيديه ، وكذلك فعل الذين كانوا معه .

اما الملك ومقدم الداوية واندريه وجميع الذين كانوا معهم فقد هجموا على المسلمين وقدموا المساعدة للذين قد دخلوا الى معسكر صلاح الدين وانجدوهم ، لكن انقضاض تقي الدين ابن اخي صلاح الدين ومعه قواته المسلمة وهجومه العنيف كبد الملك ورفاقه خسارة كبيرة حتى اوشكوا – بعد قليل من الوقت على الهلاك جميعا ، وكان مقدم الداوية واندريه في مؤخرة الجيش ، وقد قاوما بعنف من اجل خروج الناس وانسحابهم سالمين ، وفي انقضاض تقي الدين تكبدت قواتهما خسائر كبرى واضطربت وتمزقت صفوفها وأبيدت ، فكان أن قتل مقدم الداوية وقتل معه أندريه هناك ، وحدثت بلبلة عظيمة ، وحل الم عظيم بين صفوف المعسكر لموت هذين القائدين الكبيرين ، وقام فرسان الداوية بعد موتهما باختيار مقدم جديد لهم ، كان وقتها في المعسكر ، هو روبرت دي سابلوي (اختير روبرت الثالث دي سابلوي ابن روبرت الثاني دي سابلوي مقدما للداوية في ١١٩١).

٨٧ – وبعد هذه الهزيمة الساحقة والخسارة الكبرى كتب صلاح الدين الى الملك غي يقول له بانه لم يحافظ على قسمة ولا على الاتفاقية التي ابرمت عندما حرره من السجن ، وكان من واجبه الا يحمل السلاح ضده ، فضلا عن ذلك كان قد وعده بعبور البحر ، واجابه الملك بانه نفذ وعده وبر بقسمه بشكل جيد ، فهو قد وعده بعبور البحر وبالفعل عبر البحر مع اتباعه ، غير انه لم يستطع القول انه لم يشهر السلاح ضده ، وفي الحقيقة كان حصانه يحمل في لجامه سيفا ودرعا في ظهره ، لئلا تؤنبه النبال ، وبهذه الصور سوغ الملك غي لصلاح الدين اعتذاره عن القسم الذي اداه .

٨٨ ـ وفي فترة الحصار الذي القي حول عكا ، اعد الامبراطور فردريك الكبير حملته ، وزحف برا وقد جلب معه عددا كبيرا جدا من فرسان المانيا مع العتاد والمال والثروات ، فقد سار وكأنه يعمل في سبيل التاج الامبراطوري ، وعبر الى الاراضي البيزنطية من هنغاريا ، وبذل امبراطور القسطنطينية (اسحق الثاني) ما وسعه من جهد ، وحاول بكل جد وجهد وشدة ان يمنع الامبراطور السالف الذكر من العبور من بلاده ، ولهذا بعث اليه الامبراطور فردريك الكبير بوفد ضم هيرمانت رئيس اساقفة موسترير مع رجال اخرين من الاشراف .

ولدى وصول الوفد الى القسطنطينية طلبوا من الامبراطور تجهيز الطريق حتى يتمكن سيدهم امبراطور المانيا من العبور ومعه رجاله ، بغية الذهاب لاسترداد ارض القدس ، وانقاذها ، لكن الامبراطور في القسطنطينية رفض الطلب ، وأعلن انه لم يسمح بالمرور عبر اراضي بلاده ، ثم اوقف الوفد والقاه بالسجن ، ولايستغربن هذا التصرف احد ابدا ، لان الاغريق كانوا يبغضون دوما كنيسة روما والمسيحيين اللاتين .

وعندما علم الامبراطور فريدريك بخبر رفض طلبه وسجن وفده غضب كثيرا وابدى امتعاضه ، ورأى الان ان من مصلحته تمضية ذلك الشتاء بمجمله في الاراضي البيزنطية ليتمكن من حرب امبراطور القسطنطينية حتى يترك له جزءا من اراضيه للعبور ، وعندما رأى الامبراطور الاخير ان الامبراطور فردريك قد استولى على جزء من امبراطوريته خشي من ان يستولي على الجزء الباقي ، ولهذا عقد مفاوضات مع خصمه وقرر التراجع عن موقفه ، فقد اجتمع وفدان من السادة مثلا الجهتين المتصارعتين وتوصلا الى عقد سلام وتوافق بين الامبراطورين ، وبناء عليه حرر امبراطور القسطنطينية رئيس الوفد والسادة اعضاءه ، اي هيرمانت رئيس اساقفة موسترير والذين كانوا برفقته ، واذن هذا الامبراطور للذين يريدون السفر بحرا بالمرور الى ميناء نيغربونت والعبور من هناك ، اما

الذين كانوا يريدون السفر برا فقد اعطاهم مبالغ كبيرة من المال ، وقدم اليهم المساعدات والمعونات من اجل استرداد اراضي القدس .

٨٩ ـ وعندما سمع سلطان قونيه (قلج ارسلان الثاني) بما حدث وعرف ان الامبراطورين قد عقدا سلما فيما بينهما ، وان امبراطور المانيا سيعبر من خلال ارضه ، انزعج كثيرا ، وحاول صده فقد جمع رجاله جميعا ، وحصن جميع الممرات والطرق التي سيعبر عبرها الامبراطور ، وعندما سمع الامبراطور بدوره بانه يريد صده ، وانه قطع المعابر واغلق الممرات على الطريق الذي سيسلكه ، فترك هذا الطريق ، وذهب الى طريق اخر ، فقد وجد بعض المزارعين ليدلوه على الطريق ، وفي الوقت نفسه لم يدر بخلد المسلمين بان المسيحيين سيعبرون على الطريق الذي اختاره الامبراطور ، واستغربوا كيف وقع اختياره عليه لانه كان طريقا مزعجا وقاسيا ، يمر عبر الجبال والجروف والشعاب ، وهو بعيد عن الطريق الاخر المستقيم .

وبعدما عبر الامبراطور صحراء صعبة حيث قاسى كثيرا من المشاق ومن الجوع والعطش ، اخيرا وصل الى ارض منبسطة ، وكانت محصنة ومحمية ، وقد تكبد الامبراطور خسائر كبرى في رجاله وفرسانه وعندما وصل الامبراطور الى هذا المكان ، ارتأى الذهاب الى قونيه ، حيث خيل اليه أنه سيجد طريقا أفضل لا يصد فيه ، هذا ما فكر فيه ، فكر أنه سيجد طريقا صالحا ، غير أنه وجد مصاعب جمة وغضايقات لا عد لها ولا حصر ، فمرارا لم يكن أحد يستطييع المرور لا على الأقدام ولا على ظهور الخيل ، ولهذا أمر الامبراطور بتمهيد الطريق للمشاة ، كما أنه أمر بالقاء الخيول الميتة في الممرات الصعبة لتكون جسرا للعابرين ، والذي حصل أنه كما أمر نفذت أوامره ، وبعدما عبروا هذا الممر الضيق والخطير بمعونة الرب ، وصلوا الى قونيه ، وهنا خرج حاكم قونيه التصدي لهم ومعه جميع قواته ، ولقد فكر بعرقلة الطريق أمام الامبراطور المذكور .

وعندما رأى الامبراطور أن قوات المسلمين كانت كبيرة وقوية ، رتب جنوده ورجاله المعركة ، وكان ابنه فريدريك أمير سافوى في الساقة ، وكان رجلاً ديناً وشريفاً يتمتع بشهرة عالية وبسمعة طيبة ، وكان أبوه يقف في المقدمة يتولى القيادة بحكمه ومقدرة ، واستطاعوا - بنعمة الرب - أن يهزموا صاحب قونيه ، وأتبعوا ذلك الاستيلاء على المدينة المذكورة ، وهرب الاتراك مع نسائهم وأولادهم ، وآلت المدينة الى الامبراطور (في ١٨ - أيار ١١٩٠ ، وبعد خمسة أيام عقدت معاهدة السلام مع صاحبها).

٩٠ - بعد أمد قصير من استيلاء الامبراطور فريدريك على مدينة قونية ، عقد حاكمها هدنة مع الامبراطور حتى أنه وضع نفسه تحت امرته وأعطاه رهائن مناسبة ضماناً للهدنة ، وزوده بكميات من الاغذية والعتاد ، كل ذلك حتى يثبت له اخلاصه وحسن سلوكه ليتسلم منه مدينة قونية ويستردها لحكمه ، والتقى الامبراطور بهذا الحاكم واستمع الى كلامه واعجب به ، ولأن اهتمام الامبراطور كان مصروفاً باتجاه مملكة القدس ، فقد أعلن عن توصله الى عقد هدنة مع حاكم نيقية ، على أساس تسلمه منه رهائن من علية القوم ، وأبرمت الهدنة حسب شروط التفاوض والاتفاق ، واقسم حاكم قونية على التمسك بشروط الهدنة وكذلك فعل الامبراطور ، وفقاً لما جرت عليه العادة بين السادة الحكام ، وما أن أبرمت الاتفاقية حتى خرج الامبراطور من مدينة قونية ومعه جميع رجاله ، وتمركز أمام المدينة ، فعلى هذا تم الاتفاق حسبما ذكرنا ، ولقد حصل رجالنا على الأموال والاعتدة والاشياء التي كانوا بحاجة اليها ، وقد حصل هذا كله في شهر حزيران

٩١ - واستمعوا الآن لما سأحدثكم به ، عما فعله الالمان بالاتراك بعدما جرى اعلان الهدنة مع صاحب قونية واستلام رهائنه ، وشعر الالمان أن لا قانون يلزمهم ولا رادع لكونهم في موقف القوة ، مع أنهم اعتادوا عندما يكونون في موقف صعب على ملازمة الحق واعتبار جميع الناس أصدقاء لهم طيبون ، المهم أنهم

الآن وجدوا أنفسهم في موقف القوة لذلك بدأوا يسببون الاضرار للمسلمين الأتراك وأخذوا في ازعاجهم ، ولأنهم وجدوا أنفسهم في موقف قوة تصرفوا بشكل فوقي فكانوا يأخذون المؤن ويستولون على كل شيء كانوا يجدونه في السوق من دون أن يدفعوا ثمنهم ، واذا حدث وطالبهم بعض الناس بدفع ثمن الأشياء التي أخذوها ، كانوا يعرضونهم جميعا للموت ، وتم اطلاع حاكم قونية على الطرائق التي يعامل بها الألمان رجاله ، فبادر الى ارسال وفد من عنده لاطلاع الامبراطور على الأمر ، غير أن الامبراطور لم يقدم على تغريم أحد من أتباعه ولم يعاقب أحدا أبدا من الذين اساءوا الى المسلمين ، وعندما ازدادت الشكوى وعم الضجيج من تصرفات الألمان الذين لم يرعووا مطلقا بل ساءت تصرفاتهم أكثر من ذي قبل ، هنا خاف حاكم قونية من ان يحدث له أسوأ مما حدث من قبل ، لهذا أمر رجاله بالاستعداد بالخيل والسلاح لملاحقة جنود الألمان ، والسعي بشكل خاص للثأر من الجرائم الت اقترفها امبراطور الألمان ورجاله بحق المسلمين .

وتابع الامبراطور سيره ومعه جميع الرهائن الذين أخذهم من حاكم قونية ، وتوجه مباشرة نحو أرمينية ، وهو يخيل اليه أنه في أمان يتمتع بشروط الهدنة التي عقدها مع حاكم قونية ، غير أن هذه الهدنة لم تفده كثيرا ، لأن حاكم قونية قام بالانقضاض عليه من دون اعذار ولا انذار ، فهذه عادة المشارقة عندما يرون أن من المناسب لهم خرق الهدنة .

على هذا عندما تحرك الامبراطور مطمئنا يريد الوصول الى ارغينية خرق الحاكم المذكور الهدنة وحنث بالوعود التي تعهد بها ، ولم يحافظ على يمينه الذي أقسمه ، فلقد اتفق مع الامبراطور وتعهد له ألا يلحق أحد من رجاله أدنى ضرر بجنود الامبراطور المذكور ، ومهما يكن من أمر ، لقد جمع هذا الحاكم جنوده جميعا ، وبدأ بخرق الهدنة التي تعهد بها ، وأقسم اليمين على

رعايتها ، فكان في كل يوم يهاجم جنود الامبراطور ، ولهـذا لحـق رجال الامبراطور — مرارا وتكرار — الكثير من المضار والانزعاج .

وعندما وجـد الامبـراطور أن المسـلمين كانوا يتآمـرون عليه وينقضون على قواته بشكل أخذ يزداد كل يوم — استدعى اليه قواده الحكماء والأشداء وأوصاهم باليقظة والانتباه ، ووقف الامبـراطور في المقدمة وتولى ابنه رعاية الساقة وقيادة قـواتها ، وهـكذا دافـع الامبراطور بكل انتباه وحذر عن رجاله ، ومع هـذا كان المشـارقة ينقضون مـرات عديدة على رجـال الامبـراطور فيأسرون منهـم ويقتلون ، وكانوا ينفذون عملهم هذا بكل دقة ، ومـع هـذا استمر الامبراطور يدافع عن رجـاله الذين حشـدهم ولملم أطـرافهم بـكل مهارة ، وبهذه الوساطة وهذا النظام قاد الامبارطور رجاله المشـاة والفرسان بدون توقف وبدون اسـتراحة ، فقـد سـار بهـم ليلا ونهارا ، وبوساطة هذا الجهـد المضـني وصـلوا أخيرا الى أرض ارمينية ، فهناك شعروا أنهم باتوا بأمان .

٩٢ — وعندما وجد الامبراطور أن السلطان لم يحافظ على عهده وحنث بأيمانه ، لم يسرح له رهائنه ، وأخذ بعد هذا بقطع رؤوسهم في عدة أمكنة ، فقد ألحـق السـلطان بجنوده المضـار وقتـل بعضهم ، ومن هؤلاء كان (غودفري) أسـقف وورزبـرغ ، وكان رجلا حكيما ، من أصل نبيل ، وكان أيضا خـطيبا مفـوها وأديبـا رفيعا ، وقد عمل مستشارا للامبراطور ، وكان هذا الأسقف يشجع المسيحيين بعظاته المدسة ، وبنصائحه القيمة ، ويعـزيهم ويخفـف عنهم بأن المسـاويء التـي كانوا يتحملونهـا كانت في سـبيل الرب ، ومن أجل التكفير عن خطاياهم .

٩٣ — وعندما وصل الامبراطور الى أرمينية كان يحـكمها أمير اسـمه لاون (الثـاني) الكبير ، وكان قـد تـوج آنذاك ملكا على أرمينية ، وكما حدثناكم من قبل جعلت الشهرة الكبيرة التي رافقـت مجيء الامبراطور المسـلمين يخـافون ، ولهـذا تخلى الذين كانوا

يسيطرون على قلعة بغراس عنها ، وهذه القلعة كان قد استولى عليها صلاح الدين بعد استيلائه على مملكة القدس ، وعلم فاوق دي بوليون ابن عم لاون بأن المسلمين قد أخلوا قلعة بغراس فدخلها وسيطر عليها وحكمها عدة سنوات .

وفي هذه الآونة حارب لاون الأمير بوهيموند (الرابع) وذلك بعد موت أبيه، وكان سبب الحرب بينهما من أجل روبن بن بوهيموند (الثالث) وحدث آنذاك أيضا أن طالب فرسان الداوية بهذه القلعة (بغراس) لأنها كانت تخصهم ، وقد حاصروها في احدى المرات بأمر من البابا انوسنت ، وعقد لاون اتفاقية مع رجالات الداوية وعدهم فيها أنه عندما سيستولي على أنطاكية وينتزعها لصالح ابن اخته روبن (ريموند روبن ابن اليس الأرمنية وابن أخت لاون الثاني) سيعيد اليهم هذه القلعة ، وهكذا عادت القلعة بنعمة من الرب الى المسيحيين ، وسيعيدها لاون بدوره الى فرسان الداوية الذين كانوا يمتلكونها من قبل ، وهذا ماسأشرحه لكم فيما بعد .

٩٤ ـ في فصل الصيف ، عندما كانت الشمس حارة والناس منهكين من شدة الحرارة ، في ذلك الوقت وصل الامبراطور فريدريك مع قواته جميعا الى أرمينية (دولة أرمينية الصغرى في كليكية) ، وهناك كانوا بأمان أكثر مما كانوا عليه من قبل ، لأن سلطان قونية قد تخلى عنهم وعاد الى بلاده ، وعسكر الامبراطور عند أول أرمينية على ضفة نهر قرب قلعة سلوقية التي تسيطر على مجرى نهر السن (غوك سو) حيث غرق بربروسا .

وكان صاحب أرمينية قد توجه لملاقاة الامبراطور عبر بلاده وذلك ليرحب به ويسلم عليه ، غير أنه لم يستطع الوصول اليه لكثافة عدد الجنود وازدحامهم الشديد ، وكان هذا الازدحام على جسر توجب عليهم عبوره ، وعندما أخفق لاون في العبور الى الامبراطور أوفد اليه رجلين من الأعيان في بلادش ، وكانا أخوين يدعى أحدهما كونستانس ، والآخر بلدوين دي كمرديس سيواس ، ووصل هذان

الرجلان الى معسكر الامبراطور الألماني ، وأبلغا باسم سيدهما لاون بالتحيات وأنه أرسلهما الى الامبراطور ليرشداه الى الطريق الى مدخل أرمينية ، واصطحبهما القادة الألمان الى الامبراطور ، وعندما مثلا في حضرته انحنيا أمامه وأبلغاه برساله لاون ٠

وتلقى الامبراطور بسرور بالغ ما بعث به لاون اليه ، وسأل مبعثيه عما اذا كانا يعرفان طريقا آخر غير طريق الجسر يمكن العبور عليه بدون صعوبة ، فأجاباه بالايجاب وقالا من الممكن عبور النهر « لان النهر صغير سهل العبور وليس كبيرا » فامتطى حصانه ومعه فريدريك ابنه أمير سافوى (سوابيا) وقالا له :« دعنا يا مولاي نعبر الى الضفة الثانية أمامك لنداك على الممر ، ونقودك الى المخاضة من حيث تستطيع أن تعبر بأمان » ، وأوعز الامبراطور اليهما ان يعبرا أمامه ، فعبرا أمامه الى الضفة الثانية ثم عادا ليسيرا خلفه ويرشداه فأمرهما بأن يعبرا مع ابنه الأمير ، ففعلا ثم عادا الى الامبراطور ليرشداه ، وهكذا بدأ الامبراطور بعبور النهر والفارسان الارمينيان أمامه والرجال الآخرون من حوله وأمامه وخلفه ، وعندما أصبح الامبراطور في وسط النهر كبابه فرسه الذي كان يمتطيه فتقنطر عن ظهره وسقط في النهر ، ولشدة الحرارة التي قاساها ولبرودة الماء الشديدة حيث وقع ، فقد قوته ، ولم يتملك نفسه فعجز أن ينجو ، وتيبست عروق جسمه فغرق ، وتقهقر رجاله ودبت فيهم الفوضى حتى أنهم لم يستطيعوا أن يجتمعوا لايجاد وسيلة يستطيعون بها انقاذ سيدهم .

٩٥ ـ وتكبدت المسيحية خسارة عظمى بوفاة سيد كبير وقدير ، جاء ليسترد أرض مملكة القدس المباركة بكرامة وتقوى ، فمن الذي يستطيع أن يروي أو أن يصف آلام السادة الذين جاءوا معه وبكائهم عليه ، فلقد تحسر الفرسان وتألموا والناس جميعا لفداحة الخسارة التي لحقت بهم بوفاة سيدهم بسرعة

خاطفة ، وفيه تحقق مادون في كتاب سليمان : « جعلوك سيدا ، فكن أيضا مثل واحد منهم » .

هذا الذي كان امبراطورا عظيما تواضع في قيادة الفرسان المسيحيين ، فهو الذي كان الناس من الفقراء يعدونه أخا لهم ، لقد كان مثله مثل وردة المحبة ذبلت في طريقها وذوت ، فهو لم يذهب من الحاضر حتى أنهكته المتاعب ، ولأنه كان متواضعا وطيبا وتكبد المسيحيون خسارة كبرى بوفاته ، وحصل هذا كله وحدثت هذه الواقعة في يوم أحد كان هو الخامس عشر من شهر آب لسنة ١١٩٠ لتجسيد يسوع المسيح ، وأخرج جسمانه من النهر ثم حنط وكفن كما يليق به كامبراطور ، ثم نقل الى مدينة أنطاكية حيث دفن في كنيسة القديس بطرس وسط حزن شديد ، قرب ضريح أدهمر أسقف لي بوي ، والى اليمين من ذلك المكان عثر على الحربة التي حملها لونغيس بعدما انتزعها من جسد مولانا يسوع المسيح على جبل الجلجلة .

٩٦ — وسأحدثكم الآن عن السبب الذي دفع به للقدوم الى الأرض المقدسة ، فهو عندما كان امبراطورا في المانيا ، جاء اليه أحد المنجمين ليقدم استشارته ، فقد كان الامبراطور عالي الثقافة كثيرا ، لهذا كان بعض رجال الاكليروس يأتون اليه ليستشيروه وليسألوه رأيه أحيانا حول بعض القضايا الدينية واللاهوتية التي كانوا يتناقشون حولها ، وكان يستدعيهم اليه كلما راق له الحال ، فيتحلقون حوله فيفيدهم كثيرا بنصائحه ، لهذا كانوا يمدحونه كثيرا ، وقد سأل في أحد الأيام منجمه عن شكل الموت الذي سيلقاه ، فطلب منه المنجم بعض الوقت حتى يتمكن من اجابته على سؤاله ، ومنحه الامبراطور المهلة التي أرادها ، وبعد انقضاء المهلة جاء المنجم الى الامبراطور وقال له : « مولاي يناسبك أن تموت في الماء ».

وحفظ الامبراطور هذا الكلام في قلبه ، ولم ينسه أبدا ، وعندما

غدا صليبيا تذكر كلام المنجم ولهـــذا عبـــر البحـــر وجـــاء الى الأرض ، وكانت معجزة كبرى عندما لم يغرق أحد ممن عبـر النهـر سوى الامبراطور ، فهو وحـــده الذي ســقط وغرق ، والمدهش أنه تخلص من خطر البحر الذي اجتازه ، وواجه هذا الخطر في النهر .

وقام صلاح الدين لشدة خوفه من قدوم الامبراطور فأمر بتـدمير أسوار اللاذقية وجبلة وجبيل وبيروت وجميع المدن الأخـرى الكائنة على شاطىء البحر حتى لا يستولي عليها المسيحويون ، ولخوفه من مرور الامبراطور فعل هذا كله بالمدن والقلاع لئلا يأتي الامبـراطور اليها ويستولي عليها ويحصنها ، ثـم يلتفـت بعـد ذلك الى تـكبيد المسلمين الخسائر ، ولهذا دمر ـ كمـا قلنا ـ صـلاح الدين المدن والقلاع القائمة على شاطىء البحر .

٩٧ ـ بات جيش الامبراطور الكبير بدون قائد بعد وفاته ، ولهذا تشتت في عدة أمكنة مثل قطيع بلا راعي ، وعندمـا وصـل فـريدريك أمير سافوى ابن الامبراطور الى سهول أرمينية كان مصابا بمرض شديد ، ولشدة مرضه لم يستطع الصعود إلى الجبل ، ذلك أن سهول أرمينية حارة في الصـيف ومغلقـة ، في حين كان الجبـل رطبـا وصحيا ، ولذلك اعتاد سكان البلاد على الصـعود الى الجبـل حيث كانوا يمكثون هناك أيام اشتداد حرارة الصـيف مـن بـداية شـهر حزيران حتى منتصف شـهر ايلول ، فمنذ ذلك الحين كانوا ينزلون الى السهل لأن الأرض تكون معتدلة وأقل انغلاقا .

ونقل الأمير الى أنطاكية كما هو في حالته المرضية ، وجاء معـه قسم من الجيش ، ووجد هؤلاء الراحة في أنطـاكية بعـد الأشـغال القاسية والمآسي التي عانوا منها ، فأخذوا يأكلون هناك ويشربـون حيث استقبلوا في انطاكية بكل حفاوة .

وبعد وفاة الامبراطور وزوال وعثاء السفر ، بـدأ بعض فـرسان ألمانيا والناس الذين هربوا من حطين والقدس بالتجمع ، وسـاروا

مع الأمير الألماني الى عكا (وصل فريدريك دي سوابيا الى عكا في ٧ ـ تشرين أول ١١٩٠ توفي في ٢٠ كانون ثاني ١١٩١) وقد مات هذا الأمير نفسه في عكا بعد الاستيلاء عليها بعدما أدخل الى بيت الألمان ، وفي ذلك الوقت لم يكن بامكان اسبتارية الألمان الاحتفاظ بالمرضى لأنه لم يكن لهم مشفاهم الخاص بعد ، فقد ادعى أصحاب مشفى القديس يوحنا (الاسبتارية) بأنهم وحدهم فقط يمتلكون من روما حق اقامة مشفى في عكا ، ولا يجوز لأحد أن يكون لديه مشفى إن لم يكن من اتباعهم ، ولهذا عندما كان يموت واحد من الرجال العظماء في مدينة عكا ، حتى وان كان في بيت الألمان ، كانوا يأخذونه ليدفنوه في مقبرتهم ، ولهذا السبب طلب هذا الأمير في أواخر أيام حياته من الألمان ألا يكرموه كثيرا عند موته ، وأن يدفنوه في قبر متواضع بين قبور الفقراء ، لأنه كان يعرف بشكل مؤكد أن أصحاب مشفى القديس يوحنا سيعملون على تكريمه بالقوة ، ولهذا فضل الدفن في مكان متواضع .

وما أن توفي حتى جاء أصحاب مشفى القديس يوحنا ليطلبوه لكنهم لم يجدوه أبدا ، ولم يستطيعوا معرفته بين الأموات ، وفي ذلك الوقت لم يخش اسبتارية الألمان من هذا الأمر كثيرا ، فاللباس الذي كانوا يرتدونه تحت معطفهم لونه أحمر مع نصف صليب أسود ، أما الرهبان الفرسان فكان معطف كل منهم من الصوف (المصنع في استامفورد في انكلترا) ولم يتجرأ الفرسان على ارتداء المعطف الأبيض الا في جيش دمياط ، فيومها كان المعطف أبيض والصليب أحمر (استولى الفرنسيون على دمياط في ٥ تشرين ثاني ١٢١٩ وأرغموا على اعادتها الى السلطان في نهاية شهر آب ١٢٢١) .

وطالبهم اسبتارية القديس يوحنا بعدما توفي مقدمهم بتعيين مقدم جديد لهم ، وهكذا توجب على الأعيان والرهبان اختيار مقدم لهم ، وطالب أصحاب مشفى القديس يوحنا الألمان بأن يكون المقدم منهم ، وهذا ماحاولوه هذه المرة ، غير أن الألمان رفضوا طلبهم

وأعلموهم أنهم لن يعطوهم أعيانا آخرين من أجل اختيار مقدم لهم ، وهكذا نشب الخلاف فيما بينهم .

٩٨ ــ ودفن الألمان فيما بعد الأمير في بيتهم ، ولأجل دفنهم له على هذه الصورة كوفئوا مكافأة عظمى ، وشهد كثير من الناس بكفاءة الأمير ومهارته وخاصة أنه كان مايزال في ريعان الشباب .

وبعدما سمع الألمان بوفاة الامبراطور فردريك توجوا ابنه البكر هنري الذي كان ملك ألمانيا ، توجوه امبراطورا ، وتولى تتويجه البابا كلستين ، الذي كان يشغل في ذلك الوقت الكرسي الرسولي في روما (انتخب كلستين الثالث بابا في ٣٠ آذار ١١٩١ ، وهو الذي توج هنري السادس في ١٥ نيسان ١١٩١ ، أي توجه غداة انتخابه بابا) ، وتزوج الامبراطور هنري (السادس) من كوستانس عمة النبيل وليم صاحب صقلية ، الذي كانت المملكة من حقه بعد وفاة ابن عمه ابن أخي الملك وليم ، لأن هذا الملك قد توفي بدون وريث ، ولهذا خلفه الامبراطور السالف الذكر فردريك (الثالث) الذي غدا فيما بعد امبراطورا وملكا لصقلية .

ولنعد الآن الى موضوعنا لنحدثكم عن ملكي فرنسا وانكلترا ، وعن الحرب التي كانت أن تنشب بينهما ، وهي التي كانت بسبب رتشارد كونت بواتيه ، وكان للملك هنري أربعة أولاد وثلاث بنات من المملكة اليانور ، التي كانت من قبل زوجة لويس ملك فرنسا ، وكان ابنه البكر يدعى هنري وهو الذي تزوج من أخت فيليب ملك فرنسا ، وهي ابنة ملك اسبانيا (هي مرغريت ابنة لويس السابع من زوجته كنستانس ابنة ألفونسو ملك صقلية) وكان الولد الثاني يدعى رتشارد ، وهو الذي أعطي امارة بواتيه ، وكان الولد الثالث يدعى جفري ، وهو الذي أصبح أمير بريتاني ، وكان الولد الرابع يدعى يوحنا سان تيرا ، ومن بناته الثلاث أعطى احداهن للملك ألفونسو صاحب كاستيلا ، ومنها ولدت الملكة بلانشي (اليانور قد تزوجت من ألفونسو الثامن ملك كاستيلا

وابنتها بلانشي تزوجت من لويس الثامن وهي أم القديس لويس التاسع) وتزوجت الابنة الثانية من أمير سكسونيا (هي ماتيلدا زوجة هنري الأسد أمير ساكسونيا) وتزوجت (جوانا) الابنة الثالثة من وليم ملك صقلية ، ويروى أن يوحنا الذي أصبح فيما بعد ملكا لانكلترا قام باغراق أولاد أخيه جفري .

٩٩ ــ مات الكونت هنري ابن الملك هنري ، وبعدما حدث ذلك جرى في تلك الأثناء تعذيب القديس توماس الشهيد ، وأعقب ذلك أن الملك أراد أن يتوج ابنه الصغير يوحنا ملكا ، وعندما سمع بهذا الخبر الكونت رتشارد انزعج كثيرا ، وقصد فيليب ملك فرنسا وخاطبه بقوله :« مولاي بودي أن أعلمك أن والدي يريد أن يحرمني ، ويقترف خطأ فقد رأى تفضيل أخي الأصغر علي وتتويجه ملكا ، وانك تعلم تماما أنني رجالك المعتمد ، (في تشرين الثاني ١١٨٨ أدى قسم الولاء لفيليب أغسطس فتكرم عليه فأعطاه جميع الأراضي التي كان يملكها في فرنسا) لذلك أرجوك أن تساعدني بالحصول على حقي » ، ووعده الملك بكل سرور أن يقدم له المساعدة ، وبناء عليه حشد جنوده وساقهم فدخل بهم الى الاراضي التابعة لسيطرة الملك هنري فيما وراء البحار ، فاستولى على ماذس وتوروشيذون ، وحولها الى رتشارد ، وعندما سمع الملك هنري أن الملك فيليب انتزع منه الاراضي التي كان يملكها فيما وراء البحر ، جمع جنوده ، وعبر البحر وساق حتى وصل الى المنطقة التي ذسكر فيها الملك فيليب ، وفيما الجيشان يستعدان لانشاب القتال ، وصل رسل الكرسي الرسولي يحملون الرسائل والأخبار عما حدث في أرض القدس التي خسروها ، ولم يسترد الملك هنري أراضيه من الملك فيليب ، وفي الوقت نفسه ترك على العرش ابنه يوحنا ، ولم يلغ تتويجه وعاد الملك هنري الى انكلترا ولم يلبث أن مات نتيجة الحزن والالم لخسارته اراضي أوفرن وتركه لها لصالح ملك فرنسا ، وكانت هذه الأراضي غنية ، واثر هذا جاء ابنه رتشارد الى ملك فرنسا وشكره على الأراضي التي سلمه اياها في

بلاد ماوراء البحر ، واقسم أنه سيتزوج أخته (أليس دي فرانس) بعدما يتوج ملكا في لندن .

١٠٠ - وذهب رتشارد الى ملك فرنسا طواعية وبطيب خاطر ، وأخذا يتداولان حول تحديد الموعد لتحركهما والذهاب في سبيل استرداد مملكة القدس ، وحدد له ملك فرنسا يوم الاثنين الاول بعد عيد القديس يوحنا من سنة ١١٩٠ لتجسيد يسوع المسيح ، ومن هناك سافر رتشارد الى لندن حيث تتوج ملكا (في ٣ - ايلول ١١٠٩) وبعدما استولى على المملكة سحب حاشيته وجاء الى فرنسا الى عند الملك فيليب ، وعندما جاء الى فرنسا توسل الى الملك وطلب منه مايلي قائلا :« مولاي ، بودي أن أذكرك أنني رجل شاب ، وقد توجت من جديد ملكا ، ثم ركبت هذا الطريق - كما تعلم - للذهاب الى ماوراء البحر ، وبرضاك أريد أن أتوسل إليك أن تؤخر لي هذا الزواج حتى عودتي من وراء البحر ، واقسم لك بأنني سأتزوج من أختك خلال أيام من عودتي » ، وصدق الملك كلامه ، وتلقى بكل سرور هذا الاقتراح وأعطاه المهلة التي طلبها ومن ثم التزما بالصمت .

١٠١ - وأعد فيليب ملك فرنسا عدته للجواز من غنز ، أما ملك انكلترا فقرر السفر من مرسيليا ، وذلك يوم القديس يوحنا ، وذهب ملك فرنسا الى سانت دينس للاستراحة والاستجمام ، والى هناك وصل اليه رتشارد ملك انكلترا (في ٢٤ - حزيران ١١٩٠) وتبادلا الأيمان في أن يكونا رفيقين مخلصين ، وأن يحملا الايمان والكرامة وأن يكن كل واحد منهما للآخر الاحترعم ، وذهب ملك فرنسا الى غنز ، كما ذهب رتشارد الى مرسيليا حسبما كان مقررا ، وفي تلك الاثناء تحرك العديد من كبار رجال فرنسا لمرافقة الملك ، وكان منهم فيليب دي فلاندرز ، وهنري دي شامبين والامير ثيبوت دي بلوا والامير استين دي سانكوري وشيوج أمير بورغون وفيليب أسقف دي بوفو ، ووليم دي باري مع عدد كبير آخر من الفرسان ، وأعداد غفيرة من

النبلاء ، وكان لملك فرنسا ابن من الملكة ايزابيل ، التـي كانت ابنة كونت هيذوت (ايزابيل هـــي ابنة بلدوين الخـــامس كونت هيذوت ، وهـي أم ملك فـرنسا المقبـل لويس الثـامن الذي ولد سنة ١١٨٧) وقد ترك ملك فرنسا ابنه لحماية المملكة ، وترك معـه عمه وليم رئيس اساقفة رينز ، والكونت ريذو دي بونثيو (الحقيقة أن كونت بونثيو حمل الصـليب في الوقـت نفسـه الذي حمله فيليب أوغسطس ، وكان اسمه جان وقد مات في أثناء حصار عكا) ٠

وعندما وصـل الملك الى غنز شـحن سـفنه وأعد مـراكبه الحربية ، ومثله فعل الملك رتشارد في مرسيليا ، وأقلع ملك فـرنسا مسافرا يريد الأراضي المقدسة ، ومنذ اقلاعه من غنز رافقتـه أنواء سيئة وظل هـكذا حتـى وصـل الى مسـينا (في ١٦ ـ ايلول ١١٩٠) وقد أصيب بخسـائر كبيرة ولحقتـه أضرار جمة في السفن والعتـاد ، وذلك كله بسـبب سـوء الأحـوال الجوية ، وعندما سمع الملك تانكرد أن ملك فرنسا وصـل الى بـلاده ذهب الى استقباله ، فرحب به بكل حرارة ووضـع تحـت تصرفـه مملكة صقلية بأكملها ، وقال له كل شيء في المملكة سيكون وقفـا على ارادتك وسرورك ، ورجاه أن يمكث في بلاده ما شاء من وقت.

ولما رأى الملك ماحل بعتاده وسفنه من أضرار رأى عين الصواب في نصيحة الملك تانكرد فمكث بعض الوقت في صقلية ، وفي تلك الأثناء كان الملك رتشارد قد تحرك من مرسيليا ، وعندما وصل الى جـزيرة صقلية فكر بالذهاب لرؤية أخته الملكة جوانا ، التي كانت زوجة الملك وليم ، واستهدف ايضا أن يسأل فيما اذا كان ملك فرنسا قد وصـل الى هناك ، وهكذا عندما اقترب من جزيرة صقلية سأل عن أخبـار وصول ملك فرنسا اليها ، فقيل له نعم وصـل وهـو مقيم في مـدينة بلرم (في الحقيقـة كان في مسـينا ، وكان تـاريخ وصـول الملك رتشارد ٣ ـ ايلول) المدينة الرئيسية لمملكة صقلية ، ذلك أن فيهـا أغنى القصور في العالم وأفخمهـا ٠ ففـي هـذه المدينة أقـام ملك

فرنسا ، فقد افرغ الملك تانكرد أحد القصور ووضعه تحت تصرفه تشريفا له .

١٠٢ ـ وعندما علم رتشارد ملك انكلترا أن ملك فرنسا كان مقيما في بلرم فرح فرحا عظيما ، وأمر رجاله أن يجدوا لأنفسهم مقرا هناك ، فهو قد عزم على البقاء هناك مع الملك حتى ينقضي الشتاء ، ولهذا جرى اعفاء الفرسان والجنود من مهامهم ، وبدوره عندما سمع ملك فرنسا أن ملك انكلترا قد وصل الى هناك فرح كثيرا وجاء لملاقاته ، فابتهج الملكان معا وسر كل واحد منهما بالآخر ، وتولدت محبة كبيرة بين كل من ملك فرنسا وملك انكلترا في تلك الأثناء واقسما لبعضهما الايمان بأن يظلا رفيقين مخلصين دوما ، وأن يحمل كل واحد منهما للآخر المشاعر الطيبة والثقة الغالية والايمان المتبادل ، ولم أعرف من قبل من الذي بدأ الحرب فيما بينهما ، أعني بين الاثنين ، لأنه نجمت خسائر كبيرة ووقعت مضار عظيمة منذ أن نشبت الحرب بينهما ، بيد أنهما عندما سافرا الى بلاد ماوراء البحار واتجها نحو أرض الميعاد كانا صديقين حميمين الواحد منهما للآخر ، وكان الواحد منهما يدعو الآخر « ياسيدي » ولو دام حبهما لبعضهما لازدادا شرفا مع الأيام ولانتصرت الديانة المسيحية المقدسة بهما ، وستجدون في هذا الكتاب خبر من بدأ الحرب بين الملكين .

وبعدما سلم ملك انكلترا على ملك فرنسا وتبادلا التحيات تقدم تانكرد ملك صقلية من ملك انكلترا ورحب به واحسن استقباله ودعاه للاقامة في القصر نفسه في بلرم حيث أقام ملك فرنسا ، ذلك أن القصر كان كبيرا ومتسعا ، وبامكان الملكان الاقامة معا ، وعندما سمع ملك انكلترا ان ملك فرنسا قد أقام في القصر ، وأن الملك تانكرد يعرض عليه الاقامة معه شكر الملك تانكرد شكرا كثيرا ، وقال له بأنه لايرغب في أن يضايق ملك فرنسا في اقامته ، وهكذا افضل الاقامة في مكان آخر ، وظل ملك فرنسا مقيما في القصر ، كما ذكرنا لكم ذلك من قبل ، لكن ملك انكلترا فضل

الاقامة في ضاحية المدينة ، ولهذا سبب آخر لأنه كما قال كان يعرف أن الفرنسيين متكبرين متعجرفين ، والانكليز حملان متواضعين ، فهو قد آثر الاقامة بعيدا عن ملك فرنسا حتى لايكون هناك اختلاط وخلاف .

وبعد أن أقام الانكليز هناك حدث تنافر بينهم وبين سكان البلاد ، ولذلك نشب خلاف كبير بين رجال ملك انكلترا ورجال الملك تانكرد ، أدى الى الحرب بينهما ، ولهذا السبب تحصن الملك في القلعة بعض الوقت ، وأغلقها على نفسه ووضع عليها الرنك الملكي (الغرفين) الانكليزي ، وذلك بسبب الحاجة والضرورة ولانقلاب رجال البلاد ضده ، وعندما رأى الملك تانكرد أن الملك قد أغلق هذه القلعة عليه ، وتحصن بها جاء لتقديم العون له والتفريج عنه ، ثم أقنع رجال الشعب الذين شكاوا بأن يقدموا له الغفران ، واستقبلهم الملك بسرور وتمت المصالحة وباتوا في سلام ، وقد ظلوا هناك حتى شهر آذار .

١٠٣ ـ وذهب الملك رتشارد لزيارة أخته جوانا ورؤيتها ، ففرحت به فرحا عظيما ، وسرت كثيرا لقدوم أخيها وزيارته لها .

وكان الآن قد انقضى على حصار عكا وتطويقها سنة ، وتوجه الى عكا للمشاركة في الحصار وعبر قبل عبور الملكين كل : من الكونت هنري (دي شامبين) والكونت ثيبوت (دي بلوا) والكونت استين دي سانكوري وفيليب اسقف دي بوفو ، ووصلوا الى عكا وقدموا المساعدات وآلات الحصار ، وهذه الآلات كانت مما جهزة ملك فرنسا ووصل قبل عبوره ، وقام الكونت بتقديم المساعدات التي جلبها ، وحالما وصل ملك فرنسا وجه هنري آلات الحصار نحو سور مدينة عكا والصقها به .

وكان الجيش قد عانى من غلاء عظيم حتى أن المكيال الواحد من

القمح بات يباع بثلاثين بيزنتــه ، ومــكيال الطحين بســتين ، ولم يتوفر لحم البقر ولالحم الغنم ، وكانت البيضة الواحدة تباع بــأحد عشر ديناري ، وكان افضل لحم يأكله الجنود هــو لحــم الخيول أو البغال أو الحمير ، وكانت المجاعة كبيرة وشاملة قــاسية حتــى أن الفقراء كانوا اذا ماوجدوا حيوانا ميتا أكلوه بنهم ، وبدأ الجنود بعد مجيء كونت شامبين يضرحــون بــالشكوى لعــدم تــوفر المؤن لديهم ، وأخذوا يعلنون نقدهم للسادة وكبار القــادة الذين شــاركوا بالحصار ، ووجهوا اللوم اليهم ، واتهموهم بعدم الرغبة بــالزحف ضد صلاح الدين وحربه ، ورأى الاشراف والنبلاء بدورهم أنهم لن يستطيعوا حرب صلاح الدين مــادامت مــدينة عكا تحــت ســيطرة المسلمين .

وفي داخل المعسكر لم يعد الفرسان يتجــرأون على التحــرك مــن مكان الى آخر ، لأن كل واحد منهم بات عرضــة للشــتم والاهــانة بالكلام ، فقد تمرد الجنود والسيرجانية على الفرسان ، واعتقــدوا أنه لاقيمة للفرسان وأنهم لم يعودوا بحاجة اليهم ، وخيل اليهــم أن بامكانهم لوحدهم خوض الحرب ضد صلاح الدين ، وأنهــم ليســوا بحاجة الى مساعدة الفرسان .

وطلب السيرجانية من الملك والبارونات مرارا وتكرارا بأن يسمح لهم بالخروج من المعسكر ، وعندما وجدوا أنفسهم غير قادرين على اقناعهم أو اجبارهم أعلنوا أنهم سيخرجون ولو قاد ذلك الى هلاكهم فهم اذا جاء الخير أو الشر ســيفرحون كثيرا ، لأن الامــر ســواء عندهم ، وهم ايضا مدركون تمام الادراك أنه اذا ماحاق بهم ســوء الحظ فلن يجدوا أحدا سيأتي الى نجدتهم .

وخرج السيرجانتيه والجنود وزحفوا ضــد المســلمين ، ولما رأى صلاح الدين أنهم خرجوا لوحدهم أفرغ لهم معسكره ، وماأن شاهد السيرجانية والجنود أن معسكر صلاح الدين قــد أخلي أسرعوا الى هناك مطمئنين واثقين ، وتركهم صلاح الدين حتى اطمــأنوا وأكلوا

ونهبوا وتأكد في الوقت نفسه أنه لا وجــود للفــرسان بينهــم ، وهنا انقض عليهم في مكان وقوفهم ، وقتل منهم أعداد كبيرة جــدا حتــى مات منهـــم الكثير الكثير ، فقـــد قيل أنه لم يفلت أحـــد مـــن السيرجانتية ، بل ماتوا جميعا في فترة وجيزة .

ولقد تألم مولانا كثيرا للنازلة التي حلت بين صفوف السيرجانتية والجنود ، فقد انتقــم مــن رعونة هؤلاء القــوم الذين تمــردوا على فرسانهم وسادتهم ، واثر ذلك أمر صلاح الدين رجــاله أن يقــوموا بجر جثث القتلى ورميها في النهر ، وكانوا مــن الكثــرة بمــكان أن النهر فاض عدة أيام بدماء القتلى وجثثهم ، حتى أن الجنود لم يعــد بامكانهم شرب الماء منه ، وواقــع الحــال أن الضــيق في معســكر المسيحيين كان في ذلك العام شديدا فــوق حــد الوصــف ، وكذلك في معسكر المسلمين فلكثرة جثث القتلى ، انتشرت روائح النتن وكثــر الذباب الى درجة بات من الصعب جدا البقاء في أماكن العسكرة هذه من الجانبين ، وحدث هذا في يوم عيد القديس جاك الموافق للخامس والعشرين من حزيران ، وماتت في هــذا الفصــل الملكة ســيبل ملكة القــدس (في تشرين الأول ١١٩٠) ومــــات ابنتـــاها أليس وماري ، ولم يبق لها ولد ، وهكذا انتقلت المملكة بحــق الميراث الى ايزابيل زوجة هنفري صاحب تيرون ، وهي ابنة الملك عموري والملكة ماري .

١٠٤ ــ بعد وفــاة الملكة ســيبل ، عرف الماركيز كونراد ، الذي كان مستوليا على مدينة صور أنه لم يبق لمملكة القــديس مــن وريث شرعي سوى التي تدعى ايزابيل التي ورد ذكرهـا من قبل ، وللطموح الذي توفر لديه بالحصول على المملكة أقنع الملكة مــاريا التــي كانت والدة ايزابيل أن تثير دعوى ضد زواج ابنتهــا مــن هنفــري ، وأن تحصل على مــوافقة الابنة على هــذا التحــرك الذي اســتهدف الطلاق ، وتكلمت الملكة مع ابنتها وحاولت اقناعها لتــوافق وتعمــل للانفصال عن هنفري من ثــم الزواج مــن الماركيز ، غيرأنهــا لم توافق على ذلك لأنها كانت تحب زوجهــا هنفــري وهــذا مــاأزعج

أمها ، وقد بينت الام لها مرارا السبب الذي يحـول بينهـا وبين أن تكون سيدة المملكة ، وقالت : لن تصل الى ذلك مالم تنفصلي عن هنفري ، وذكرتها بالاخطاء التي اقترفها هنفري ، خاصة عندما أراد كونت طرابلس والبارونات الذين كانوا مجتمعين في نابلس تتويجها ملكة وتتويجه ملكا ، فهرب الى القدس وطلب المغفرة وقدم الولاء الى الملك والملكة ، واوضحت لها أنها مادامت زوجته فلن تستطيع الحصـول على المكانة والتشريف ونيلهـا مملكة ابيها ، وزادت على جميع ماتقدم بقولها أنها عندما تزوجت لم تكن في سن الزواج ، ولهذا السبب يمكن الادعاء ضد الزواج القائم ، وبعد طول وقت وافقت على ماأرادت أمها ، والذي أرادته أمها هو الزواج من المركيز ، وكانت الملكة الام تكره هنفري لسبب لغر هو أنه عندما تزوج من ابنتها بدأ يكره الملكة الام ماري ، ولم يرد أن ترى ابنتها ، وكان يفعل ذلك بمشورة من أمه استيفاني التي كانت سيدة قلعة الكرك .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى غادر الماركيز مدينة صور وجاء للمشاركة في حصار مدينة عكا وتحدث الى فيليب أسقف بوفو ، والى هيوبرت رئيس اساقفة بيزا ، الذي كان يحظى بمكانة عالية في كنيسة روما ، وطلب منهما المساعدة والمشورة للحصول على الزواج المرغوب ، وتمكن عن طريق اغداق العطايا والاموال من شراء ذمم عدد كبير من الناس وافسد كثيرا من رجال الجيش بمنحه ووعوده ، وتمكن بشكل خاص من أتباع رئيس أساقفة بيزا وأعوان أسقف بوفو ، ورتب كل شيء وأعد الاجواء ، وهكذا عندما رفعت الملكة ماري دعواها ضد هذا الزواج ، تم الانفصال حالا وبدون معيقات ، وكانت مسوغات الدعوى التي رفعتها الملكة ماري ووضعتها أمام رئيس اساقفة بيزا وممثل روما أن ابنتها لم يكن عمرها سوى ثلاث عشرة سنة عندما تزوجت ، وهي على هذا لم تكن في سن الزواج وقتذاك ، وبناء عليه تم استدعاء هنفري لسماع هذه الشكوى والاجابة عما لديه من معلومات ونفي هذا الادعاء حتى تبقى السيدة زوجة له ، فقال هنفري انه عندما سئلت السيدة وقتها

وافقت على الزواج ، وكان بين الشهود قاروراتي شرايدار) اسمه سناس (غي الثالث دي سناس) فكذب هنفري وتحداه قائلا : ان السيدة لم توافق مطلقا على الزواج ، وكل مافعله الملك بلدوين (الرابع) كان ضد ارادة السيدة وأمها ، واذا كان لديك شيئا لغير تقوله فتبرهن به على صحة أقوالك وتدحض به خصومك فهاته ، وشعر هنفري أنه قد طعن في الصميم ، ومع هذا تراجع ولم يجرؤ على التحدي ، وقام الذين أفسدتهم عطاءات الماركيز فأشاروا على هنفري ونصحوه بفسخ هذا الزواج والانسحاب منه ، وأقنعوه أنه لن يستطيع حكم المملكة ، وصعب عليه الأمر كثيرا ، ومع هذا استمع الى نصائحهم ووثق بأقوالهم ، وفسخ الزواج وانسحب منه .

١٠٥ ـ وقام رجل الدين البيزاوي المخول ففسخ الزواج وفصل بين الزوجين ، ولو أنه أراد خلاف ذلك لم يفسخ الزواج مطلقا ، حيث لم يتوفر سبب كبير يترتب عليه فسخ الزواج ، ولكن رجل الدين المخول نفذ الفسخ لصالح الماركيز ، لأن البيازنة هم الذين اصطحبوا هذا الماركيز من القسطنطينية الى مدينة صور ، وهم الذين ثبتوه هناك ، وفكروا بالحصول على عرفان الجميل وعطايا عظمى من مملكة القدس اذا ما امتدت أيام الماركيز .

١٠٦ ـ لايمكن لأي عمل جبار يبدأ تنفيذه بالخداع أن ينتهي نهاية طيبة .

بعد تقديم هذه الحجج وسماع هذه الشهادات أمام رجل الدين أحضرت الملكة ماري ابنتها لاستماع رأيها ولسماع قرار الحكم ، وأعطى رجل الدين المذكور تخويلا كاملا وحرية مطلقة للسيدة ، وأخبرها أنها تستطيع الزواج من أي شخص تريده وصدر هذا القرار وفقا لاحكام الناموس وارادة الرب ، والرب وحده يعلم ذلك ، وهكذا لم تعد السيدة تحت سلطة البارون وولايته ، بل

أصبحت تحت ولاية الماركيز وسلطانة فقد تزوج منها بعدما صدر القرار بالفسخ .

وبعدما قدمت السيدة ايزابيل طالبت بالمملكة على أنها حق لها ، وقدم لها البارونات الذين كانوا هناك الولاء ، واعتبروها الوريث الشرعي للمملكة ، وعندما استلمت حقها من الميراث تحدثت بحضور بارونات المملكة وقالت أنها منذ أن انفصلت عن زوجها الاول لم تتوفر لديها رغبة في أن تجرد من حقها بالميراث لا هي ولا ذويها واستطردت تقول : « انني أسترد جميع الممتلكات التي منحها لي أخي (بلدوين الرابع) عندما تزوج مني (هنفري) ، أن هذا ما ينبغي اخذ العلم به ، وهذه الممتلكات : قلعة تيرون ، والقلعة الجديدة وجميع ماتحتويه وكل ما أودعه فيهما والدي وجدي ».

وبعد هذا الخطاب تزوج الماركيز من ايزابيل ، وقد قيل انه تزوجها حسب الايمان والشرع ، لان زواجها الاول تم بشكل خاص ، بينما عقد الثاني في الكنيسة ، ولم تعد هذه السيدة لتكون ثانية تحت ولاية زوجها هنفري ، لانها لم توافق مطلقا على الانفصال فيما بعد . ومرة ثانية لا شك أن مملكة القدس لم تعلم أنها تسير نحو الخطر والتقهقر بسبب هذا الحدث .

(نص مخطوطه فلورنسا)

وثبت ملك انكلترا مواقعه قرب مسينا ، وشرع في وضع الرنك (غريفن) الملكي الانكليزي على واحد من الابراج بكل هدوء ، وذلك بأن عمل على احضار جميع رجال الحرف الى القلعة ، وقد وافق ملك فرنسا على عمله هذا .

وصف وصول ملك فرنسا الى عكا :

وامضى فيليب ملك فرنسا ورتشارد ملك انكلترا الشتاء في صقلية ، وفي أثناء اقامة الملك رتشارد هناك رجا أخته أن تبيع ممتلكاتها وتذهب معه وتشاركه في مشروع الحج هذا ، واقسم لها يمينا تعهد فيه أنه حالما تعود معه الى انكلترا سيعيد اليها ثمن كل ما باعته ، ويعوض عليها ما منحته اياه ، وسيزوجها بشكل رفيع وبحفلة بهية جدا ، وأجابته بانها توافق على مطالبه وتقبل بكل اقتراحاته وبدون تردد ، وقد زوجها فيما بعد من الأمير صنجيل وقد انجبت له ولدا أصبح فيما بعد أميرا لكونتيه سان جايل ، وذلك بعدما عقدت معاهدة ألبي جيوس (تزوجت جوان الانكليزية من ريموند السادس كونت سانت جايل وطولوز — في تشرين أول ١١٩٦ ، ووقع فيما بعد ريموند السابع في سنة ١٢٢٩ معاهدة ميوكس) .

وعندما حصل الملك رتشارد على موافقة أخته على بيع ممتلكاتها ، تحدث حول الموضوع مع تانكرد ملك صقلية الذي اشترى هذه الممتلكات بكل طيبة خاطر بناء على نصيحة رجاله ومشورتهم وبعدما انقضى شهر آذار شحن ملكا فرنسا وانكلترا سفنهما بالعتاد وبكل الاشياء المحتاج اليها ، وما أن فرغا من

الجهاز حتى حان وقت الاقلاع ، وتحـرك ملك فـرنسا فـوصل الى عكا ، لكن ملك انكلترا لم يصل معـه ، لأن حـادثا واجـه هـذا الملك ، وهو ما ستعرفونه فيما بعد

وعندما وصل ملك فرنسا الى عكا استقبل هناك استقبالا مشرفا من قبل النبلاء الذين كانوا هناك ، فقد فرحوا بـوصوله فـرحا عظيما ، ذلك أنهم انتظروا هذا الوصول منذ زمن طـويل ، وحـالما وصل الى هناك امتطى فرسه ليستطلع المنطقة وليختار الجهة التـي يمكنه منها الاستيلاء على المدينة بسهولة ، ثـم أقـام حـول المدينة سواتر دفاعية .

١٠٧ ـ أمضى فيليب ملك فرنسا وررتشارد ملك انكلترا الشتاء في صقلية ، وكان الملك رتشارد بارعا ، ذلك أنه ما أن وصل الى هناك لم يتوان عن التوسل إلى أخته و الطلب منها أن تبيع ممتلكاتها هناك ومن ثم الذهاب معه و مـرافقته في حملتـه إلى الأراضي المقـدسة ، وأقسم لها وتعهد أنه عندما سيعود الى انكلترا سيعيد اليها كل مـا تلقاه منها من ثمـن أمـلاكها ، وأن يزوجهـا زواجـا راقيا وغنيا ، وأصغت هذه السـيدة الى نصـيحة أخيهـا وأخـذت بها ، ووافقت على ماأراده فباعت ممتلكاتها وأخذت أثمانها .

وفرح الملك رتشادر كثيرا عندما خولته أخته ببيع املاكها ، وكان قد تحادث من قبل مع الملك تـانكرد حـول مـوضوع بيع اختـه لأملاكها ، واسـتشار الملك تـانكرد رجـاله فـأشاروا عليه بالشراء ، وبناء عليه تسـاوم مـع الملك رتشـارد لشراء أمـلاك السيدة ، وحالما استلم الملك رتشارد المال من الملك تـانكرد ، اسرع للسفر ، فأعد سفنه في آذار للعبور ، وأعطاه الملك تانكرد الكثير من المساعدات ، وكذلك أعطـى ملك فـرنسا ، وتحـرك الملكان مـن هناك ، وتوجها يريدان المشاركة في حصار عكا ، ولم تتمكن جـوانا ملكة صقلية وأخت الملك رتشارد من السفر مع أخيها الملك ، لوجود

مشاغل كثيرة توجب عليها انجازها فيما يتعلق بممتلكاتها ، ثم أنها ارادت ان تسافر بكل راحة وهدوء .

وبعدما غادر الملكان مسينا ، قصد فيليب ملك فرنسا الوصول مباشرة الى سورية ومعه جميع اتباعه ، وقد وصل الى ميناء عكا حيث كان الحصار قائما حول عكا ، وكان النبلاء الذين كانوا هناك ينتظرون وصوله بفارغ الصبر ، ويتمنون مجيئه منذ زمن طويل ، وما أن وصل حتى استقبل بكل حفاوة ، استقبل بما يليق برجل كبير مثل ملك فرنسا ، وابتهج أفراد الجيش كثيرا بقدومه ، ذلك أنه أحضر معه ومع اتباعه سفنا محملة بالاغذية وباشياء أخرى مفيدة ، كما جلب معه عددا من البارونات والفرسان حسبما يليق بتاج فرنسا وبالسادة الآخرين مثل فيليب كونت فلاندرز ، وهيوكونت بورغون ووليم كونت براس ، ولنشوب بعض الخلافات لم تبدأ الحرب مباشرة .

١٠٨ ـ وحالما وصل الملك فيليب امتطى فرسه وطاف حول الجيش وحول مدينة عكا ليستطلع الموقع وليبحث عن المكان المناسب والجهة التي يمكنه منها الدخول الى المدينة والاستيلاء عليها بكل يسر ، وما أن أكمل استطلاعه وتعرف الى المكان قال : « مدهش ورائع قدرة وحكمة هؤلاء الذين بدأوا الحصار ، كيف أمكنهم الحصول على المكان المعسكرين فيه » ثم أمر باقامة حواجز وسواتر حول المدينة ، وكانت مصنعة من الحديد المغطس بالقصدير الأبيض حتى أنها كانت تبرق كالفضة ، وأمر رجاله وفرسانه أن يشددوا الحراسة بدون هوادة حتى لا يستطيع أحد من داخل المدينة أن يرفع اصبعه فوق اسوار المدينة .

وعندما رأى سكان المدينة انفسهم وقد حوصروا بشدة ، رفعوا بأيديهم من جانبهم سواتر حديدية وثبتوها على أسوار القلعة البيضاء ، وكانت تلمع كالفضة ، ثم نشروا جنودهم من الرماة القناصة والمجانيق بهدف احباط اية محاولة للتسلق فوق أسوار

المدينة ، وتابع ملك فرنسا حصار سكان مدينة عكا حتى مجيء ملك انكلترا ، وقام اللغامون فلغموا الاسوار التي كانت على مقربة من برج الذبان ، فقد دفع البيازنة كبشا الى قرب أسوار المدينة ، ولكن المسلمين أضرموا النار فيه بعدما ألقوا عليه بالزيت والاسفلت من فوق الشرافات وأحرقوا ايضا كل المعدات التي كانت موجودة قرب الاسوار مع الذين كانوا فيها ، وأضرم الملغمون النار بالأخشاب التي وضعوها في اللغم الذي عملوه تحت السور ، فانهار هذا السور ، وحاول مارشال الجيش الفرنسي ومعه اعداد كبيرة من رفاقه الفرسان الدخول الى المدينة من حيث سقط السور ، ولكن تصدى لهم المسلمون وا شتبكوا معهم بقوة ، وقتل في تلك الاثناء المارشال الفرنسي وكثير ممن كان معه من الفرسان ، وهذا ما أزعج كثيرا ملك فرنسا والبارونات الآخرين الذين كانوا معه هناك ، ومع هذا لو أراد ملك فرنسا اقتحام المدينة والاستيلاء عليها لكان بامكانه ذلك ، لكنه آثر انتظار ملك انكلترا ، لأنهما كانا مترافقين بالسفر ، وقد تحالفا معا منذ ان تحركا واتفقا حول جميع ما سيستوليان عليه من أماكن ولهذا انتظره ليشاطره الفرح في الاستيلاء الذي سيقومان به على مدينة عكا .

يوجد ثلاثة وعشرون كتابا تتحدث ، عن كيفية عبور كل من ملكي انكترا وفرنسا الى سورية ، وعن احتلالهما لجزء من هذه البلاد ، واحداثهما أضرارا بالغة في أراضي سورية ، وتتحدث كيف أن الملك رتشارد توقف عند مجيئه في جزيرة قبرص التي احتلها ثم باعها الى الملك غي لوزنغنان .

وكان الملك رتشارد عندما عزم على التوجه لنجدة مملكة القدس ، قد أقسم آنذاك يمينا لأخت فيليب ملك فرنسا ، تعهد فيه بأنه سيتزوجها بعد أربعين يوما ، من عودته ، وعندما سمعت أمه الملكة اليانور ــ التي كانت مرة ملكة فرنسا ، والآن ملكة انكلترا ــ أن ابنها سيتزوج من أخت ملك فرنسا انزعجت كثيرا ، لأنها كانت تكره أقارب الملك لويس ملك فرنسا الذي كان

زوجا لهـــا ، وأرادت أن تحبـط هـــذا الزواج الذي وعد ابنهـــا به ، وهكذا بحثت وسألت أين يمكن أن تجد زوجة لابنها .

وقام على مقـــربة مـــن كنيســـة القـــديس لينارد رابية صغيرة ، سيطرت عليها وتحكمت بها ، وأخـذ أصـحاب الكنيســة يلوحون من فوق الرابية الى قوات المسلمين ليقدموا لنجدتهم وتقديم العون لهم ، وكمن هناك بعض الفرنسيين ، وهكذا عندمـا اقتـرب المسلمون انقض هؤلاء عليهم ولم يستطيعوا المقاومة .

ومع هذا أبقى ملك فرنسا على الذين كانوا داخل مدينة عكا حتى وصول ملك انكلترا ، ولقد ندب الملغمين للغم الســور الذي كان على مقربة من برج الذبـان ، وقـام البيازنة بصـنع آلة كبيرة اسـمها الكبش ، وسحبوها حتى ألصـقوها بـالسور حيث كان الملغمـون يلغمون ، وأضرم المسلمون النار من داخـل المدينة وصـبوا الزيوت والاسفلت على آلة الكبش ثم رموها بالنار مـن الداخـل والخـارج فأحرقوها والذين كانوا فيها ، وحـدث في الوقـت نفسـه أن نجـح الملغمون في لغم السور واضرام النار تحتـه فـانهارت قـطعة مـن السور ، وبادر مارشال فـرنسا وبصـحبته عدد كبير مـن رفـاقه الفرسان بالدخول الى المدينة من الثلمة التـي فتحـت بـالسور لكن تصدى لهم المسلمون بكل قوة ومنعوهم من الدخـول ، وقتـل في تلك الأثناء مارشال فـرنسا مـع عدد كبير مـن الفـرسان الذين كانوا معه ، وقد أزعج هذا الحـادث ملك فـرنسا كثيرا وكذلك أزعج بقية البارونات الذين كانوا معه .

١٠٩ ــ ولو أراد ملك فرنسا اقتحام المدينة والاسـتيلاء عليهـا لكان بامكانه فعل ذلك ، لكنه آثر انتظار ملك انكلترا ، لأنهمـا كانا مترافقين بالسفر ، وقد تحالفا معا منذ ان تحركا ، واتفقـا حـول جميع ما سيستوليان عليه من أماكن ، ولهذا انتظره ليشاطره الفرح في الاستيلاء المشترك الذي سيقومان له على مدينة عكا .

١١٠ - وكان الملك رتشارد عندما عزم على التوجه لنجدة مملكة القدس قد أقسم يمينا وقت ذاك تعهد فيه لأخت فيليب ملك فرنسا أنه سيتزوجها بعد أربعين يوما من عودته ، وذكرنا من قبل ان الملكة اليانور أم الملك رتشارد أرادت احباط زواج ابنها من أخت ملك فرنسا ، لأنها كانت تكره اقارب الملك لويس ملك فرنسا ، الذي كان زوجا لها من قبل ، وهكذا بحثت وتقصت علها تجد زوجة مناسبة لابنها .

فأخبرت بوجود ضالتها في اسبانيا ، وقيل لها بأن ملك نافار لديه أخوات وإذا ما سمعت يمكنها الحصول على احدى هؤلاء الأخوات لتكون زوجة لابنها ، وبالفعل بعثت الى الملك المذكور تخطب احدى أخواته لتزوجها من ابنها ولتجعلها ملكة انكلترا ، وفرح ملك نافار بهذا الطلب كثيرا ، ووافق عليه ، وجهز أخته الكبرى التي تدعى بيرنير بجهاز ثمين وأكرمها غاية الاكرام ، وبعث بها في موكب حافل الى بواتو حيث كانت ملكة انكلترا بانتظارها ، وفرحت هذه الملكة بقدومها كثيرا ، ثم جهزت نفسها وبادرت الى السفر ، فقد أرادت الوصول الى صقلية لتعقد قران ابنها على الأميرة النافارية قبل أن يسافر من صقلية ، وعندما غادرت بواتو متجهة نحو صقلية سمعت خبرا أفاد أن ابنها الملك رتشارد وكذلك ملك فرنسا قد تحركا وغادرا صقلية وسافرا ، وأن أخت رتشارد الملكة جوانا ملكة صقلية قد باعت ممتلكاتها في الجزيرة ، وجهزت نفسها للسفر بغية اللحاق بأخيها الى سورية ، وبالفعل توجهت الى مسينا لتقوم بذلك ، وفرحت الملكة بهذه الأخبار كثيرا ، وأسرعت مسافرة الى صقلية ، وقد استهدفت الوصول الى ابنتها لترسل معها بالفتاة النافارية بكل تشريف وكرامة حتى تتأكد من ان الزواج منها سيتم ، وبهذا تنفذ ارادتها وتحقق رغباتها .

شرح صورة سفر ملكة صقلية الى سورية :

سافرت الملكة اليانور مسرعة نحو صقلية ، وعندما وصلتها

وجدت ابنتها هناك فاستقبلتها بتشريف عظيم ، وابتهج بقدومها سكان البلاد ابتهاجا كبيرا ، وكان على ملكة صقلية أن تتحرك وتسافر بأسرع وقت ، وقد تولت أمر العناية بالفتاة ، وقبلت أن تنقلها معها ، وأن تعمل وفق ارادة أمها فتزوجها من الملك رتشارد ، وأن لا توفر جهداً لاتمام هذا الزواج من هذه الفتاة ، وبعد هذا افترقوا عن بعضهم بعضا ، فعادت الملكة اليانور الى بواتو ، وقصدت الملك جوانا بلاد سورية .

وعندما وصلت الى شواطىء جزيرة قبرص وأبصرت أراضيها ، قالت الملكة لمرافقيها ان بودها الحصول على أخبار اخيها ومعرفة فيما اذا كان قد عبر من هناك ، فاستأذنوها بالاقتراب من الساحل حتى يمكن السؤال ، وفي الوقت ذاته كان اسحق صاحب قبرص قد نشر رجاله على الشواطىء لحراسة الجزيرة لأنه كان خائفا من ملكي فرنسا وانكلترا ، وخشي من أن يستوليا على جزيرة قبرص عند وصولهما اليها ، ولهذا عندما رأى عددا من السفن تقترب من الشاطىء بعث بمن يستطلع له خبر القادمين ، وليعرف من أين قدموا ، فقيل له هذا اسطول ملكة صقلية أخت الملك رتشارد الذي سافر قاصدا سورية بهدف الحج ، وسأل رجال الاسطول القبارصة عما اذا كانت لديهم معلومات عن عبور الملكين السالفي الذكر ، فأجيبوا بعدم توفر أي معلومات .

وسافرت ملكة انكلترا من بواتو ، وأمت جزيرة صقلية ، وفعلت ذلك بعدما استقبلت الاميرة النافارية حيث كانت تنتظر قدومها ، وقد سرت بوصولها سرورا عظيما ، ومن ثم جهزت موكبها بالحال ، وتحركت مسافرة نحو صقلية ، فقد أرادت الوصول الى هذه الجزيرة لتعقد قران ابنها على الاميرة النافارية قبل أن يسافر من صقلية ، عندما غادرت بواتو قاصدة صقلية سمعت خبرا مفاده أن ابنها الملك رتشارد وكذلك ملك فرنسا قد تحركا وبارحا صقلية وسافرا ، وأن أخت رتشارد الملكة جوانا ملكة

صقلية ، قد باعت ممتلكاتها في الجزيرة ، وجهزت نفسها للسفر بغية اللحاق باخيها الى سورية ، وبالفعل توجهت الى مسينا لتقوم بذلك ، وفرحت الملكة بهذه الاخبار كثيرا ، وأسرعت مسافرة الى صقلية ، وقد استهدفت الوصول الى ابنتها لترسل معها الفتاة النافارية ، بكل تشريف وكرامة حتى تتأكد من أن الزواج منها سيتم ، وبهذا تنفذ ارادتها وتحقق رغباتها .

١١١ ـ وسافرت الملكة اليانور مسرعة نحو مسينا ، وعندما وصلتها وجدت ابنتها هناك ، فاستقبلها بتشريف عظيم ـ وابتهج بقدومها سكان المدينة ابتهاجا عظيما ، وكان على ملكة صقلية أن تتحرك وتسافر بأسرع وقت ، وقد تولت أمر العناية بالفتاة ، وقبلت أن تبقيها معها ، وأن تعمل وفق ارادة أمها فتزوجها من الملك رتشارد ، والا توفر جهدا لاتمام هذا الزواج من هذه الفتاة ، وبعد هذا افترقوا عن بعضهم بعضا ، فعادت الملكة اليانور الى بواتو ، وقصدت الملكة جوانا بلاد سورية .

وعندما اقتربت من شواطئ قبرص ـ وأبصرت أراضيها قالت الملكة لمرافقيها إن بودها الحصول على أخبار أخيها ـ ومعرفة فيما اذا كان قد عبر من هناك ، فاستأذنوها بالاقتراب من الساحل حتى يمكن السؤال ، وفي الوقت ذاته كان اسحق صاحب قبرص ، وقد نشر رجاله على الشواطىء لحراسة الجزيرة ، لأنه كان خائفا من ملكي فرنسا وانكلترا ، وقد خشي من أن يستوليا على جزيرة قبرص عند وصولهما اليها،ولهذا عندما رأى عددا من السفن تقترب من الشاطىء بعث بمن يستطلع له خبر القادمين وليعرف من أين قدموا ، فقيل له هذا اسطول ملكة صقلية أخت الملك رتشارد الذي سافر قاصدا سورية بهدف الحج ، وسأل رجال الاسطول القبارصة عما اذا كان لديهم معلومات عن عبور الملكين السالفي الذكر ، فأجيبوا بعدم توفر أي معلومات .

حول خبث سكان قبرص :

وعاد القبارصة فأطلعوا اسحق على خبر وصول ملكة صقلية ، وانها جاءت لتلحق بأخيها الى سورية ، وكان اسحق يكره اللاتين كثيرا ، فخطط لعمل خياني ومكيدة ضد الصقليين ، فبعث بوفدين من لدنه الى السيدة ليتوسل اليها ويطلب منها القدوم لتقيم في قبرص في حسن ضيافته ورعايته حتى يحصل لها على أخبار أخيها ، واستشارت الملكة رجالها ، وبناء عليه قالت للقبارصة بأنها تشكر سيدهم لمبادرته لكنها لاتجرؤ على النزول الى اليابسة بدون اذن أخيها وأوامره ، وعاد القبارصة فأعلموا سيدهم بجواب الملكة ، وأنها قالت لهم كل ماترجوه هو تزويد رجالها بالماء ، وعندما سمع اسحق ذلك فكر ، ثم أمر رجاله أن يقدموا الماء الى ركاب سفينة الملكة ، ثم تصرف بحذر شديد فقد كان لايريد أن يقترب أحد من شواطىء قبرص ــ لهذا جهز جنوده للاستيلاء على السفينة بالقوة ، ولاحظ رجال السفينة مكيدة اسحق ، فرفعوا مرساتهم ، ونشروا أشرعتهم ، ثم ابتعدوا الى عرض البحر ، وقد التقوا في اليوم التالي بالملك رتشارد ، الذي فرح بهم فرحا عظيما .

كيف كانت سفن الحجاج تمر بجزيرة قبرص :

في تلك الآونة التي أحدثكم عنها كانت هناك سفينتان محملتان بالحجاج الذين جاءوا لنجدة مملكة القدس ، وخيل لهؤلاء الحجاج عندما وصلوا الى قبرص أنهم قد سلموا من مخاطر البحر ، وأنهم باتوا بأمان أعظم ، لكن العكس هو الذي كان ، حيث تعرضوا لخطر جسيم أعظم ، حين قام قراصنة قبرص بالاستيلاء على سفينتيهما وقادوهم بقسوة وعنف الى اسحق الذي كان يكره اللاتين كثيرا ، وكان قد اتحد بالزواج مع طوروس ملك مملكة أرمينية الصغرى في كليكية ، فقد أعطاه طوروس ابنته زوجة له ، ومن ثم

انجب منها الابنة التي أخذها الملك رتشارد ، وحملها فيما بعد الى ماوراء البحار ، بعد الاستيلاء على جزيرة قبرص .

وكما حدثتكم من قبل عندما جلب الحجاج ليمثلوا أمام اسحق ، أمر بعرضهم جميعا على السيف وأن تقطع رؤوسهم ، وقد وسم بعمله هذا بالاسراف بالقسوة ، فهو قد أمر بقتل أناس لم يسيئوا إليه أبدا ، ولم يأتوا العمل ضده ، انما جاءوا في سبيل الرب ، ولكي يثأروا للعار الذي الحقه بهم المسلمون ، فواجهوا قسوة كبرى عند هؤلاء الذين يسمون أنفسهم مسيحيين وهي قسوة ماكانوا ليواجهوها عند مجرمي المسلمين .

١١٢ ـ وعاد القبارصة الذين بعثهم اسحق ليخبروه بوصول ملكة صقلية ، وأنها جاءت وبنيتها الالتحاق بأخيها الملك رتشارد ، أي السفر الى سورية ، وكان اسحق يكره اللاتين كراهية عظيمة ، لهذا خطط لعمل خياني ومكيدة ضد ملكة صقلية وأتباعها ، فبعث بوفد من لدنه الى هذه السيدة ليتوسل اليها ويدعوها للنزول في قبرص والاقامة فيها بضيافته الكريمة ، ولتعش برعايته حتى يحصل لها على أخبار أخيها ، وتشاورت الملكة مع رجالها ، وبعد ذلك قالت لرسل اسحق بأنها تشكر سيدهم على مبادرته الكريمة ، وأنها لاتجرؤ على النزول الى اليابسة بدون اذن من أخيها الملك وأمر مباشر منه ، وعاد الرسل القبارصة الى سيدهم وأعلموه بجواب الملكة ، وأنها قالت لهم كل ما ترجوه هو تزويد رجالها بالماء .

واستمع اسحق لهذا الجواب ثم أمر رجاله بتقديم الماء الى ركاب سفينة الملكة ، ثم تصرف بحذر شديد ، وخطط للاستيلاء على السفينة بالقوة ، غير أن رجال السفينة انتبهوا لمكيدة اسحق وخيانته فأخذوا حذرهم ورفعوا مرساة سفينتهم ، ثم نشروا أشرعتها ومن ثم أقلعوا فابتعدوا الى عرض البحر ، وفي اليوم

التالي التقوا بأخي الملكة الملك رتشارد ، الذي فرح بهم فرحا عظيما .

١١٣ ــ في تلك الآونة التي أحدثكم عنها كانت هناك ثلاث سفن محملة بالحجاج الذين جاءوا لنجدة مملكة القدس وقد خيل لهؤلاء الحجاج عندما وصلوا الى قبرص انهم قد سلموا من مخاطر البحر ، وأنهم باتوا بأمان عظيم ، لكن العكس هو الذي كان ، حيث تعرضوا لخطر جسيم أعظم حين قام قراصنة قبرص بالاستيلاء على سفنهم وقادوهم بقسوة وعنف الى اسحق الذي كان يكره اللاتين كثيرا ، وكان اسحق قد ارتبط بالزواج مع طوروس ملك مملكة أرمينية الصغرى في كليكية فقد أعطاه طوروس ابنته زوجة له ، ومن ثم انجب منها الابنة التي أخذها الملك رتشارد وحملها فيما بعد الى ماوراء البحار وذلك بعد الاستيلاء على قبرص .

وعندما أصدر اسحق أوامره بقتل الحجاج اقتادهم القراصنة لتنفيذ ذلك ، وكان هناك في خدمة اسحق فارس من أصل نورماندي اسمه سوديو اسحق ، وقد تأثر بقلبه للمصير الذي سيؤول اليه الحجاج وحزن عليهم وأشفق كثيرا لانهم لم يقترفوا ذنبا يستحقون عليه الموت بهذه الطريقة القاسية ، فما كان منه الا أن حمل سلاحه باسم الرب ، وقرر التخلي عن جسده حبا بالخالق والشهادة ، وفضل أن يموت هو على أن يهلك جميع الحجاج ، وهكذا جاء الى المكان الذي كان من المفترض أن تقطع فيه رؤوس الحجاج والزوار ، وأمر الذين أوكل اليهم أمر تنفيذ الاعدامات التي أمر بها اسحق ، بالتوقف وعدم تنفيذ أي شيء وخيل لهؤلاء انه قد أرسل من قبل سيدهم ، ولذلك صدقوه لأنه كان من أتباعه المقربين اليه ، فأقلعوا عن الفتك بالحجاج ، وقال هذا الفارس الذي رغب في أن يتمكن من انقاذ الحجاج من الموت المحقق ــ للحجاج ان عليهم الفرار والاختباء في الجزيرة حيث يلهمهم الرب وييسر لهم ، وتوسل اليهم أن يتضرعوا الى الرب حتى يمنحه السلام والقوة ، فهو كان يعلم جيدا أن الاجساد ستقدم

الحجاج من الموت المحقق للحجاج ان عليهم الفرار والاختباء في الجزيرة حيث يلهمهم الرب وييسر لهم وتوسل اليهم أن يصلوا للرب من أجل نفسه وسلامة روحه ، لأنه كان يعرف معرفة يقينية أن جسمانه سيقدم للشهادة وانه بات عرضة للقتل بسبب انقاذه لهم ، وظلوا على هذه الحالة حتى وصل الرب لنجدتهم ، وثأر لهم بوساطة الملك رتشارد كما سنشرح لكم ذلك فيما بعد .

١١٥ — وعندما علم اسحق أن الفارس قد تصرف ضد أوامره ، وانقذ الحجاج من السيف ، أمر بقطع رأسه ، وبالحال نفذ أمره ، ذلك ان الاغريق حاصروا الحجاج الفرنجة ، واعتقدوا أنهم يرضون الرب ويسرونه عندما يقتلون لاتينيا .

١١٦ — وبعد هذا الحادث خاف اسحق كثيرا وخشي من قدوم الملك رتشارد ، وبسبب خشيته الاعمال السيئة التي اقترفها بحق المسيحيين بجزيرة قبرص ، وهكذا جاء بالحال الى مدينة ليماسول وحصنها بجنود من الرجالة وجنود من الفرسان ، وأمر باليقظة والتشديد في حراسة الشاطىء وأمر جنده بالتمركز أمام الشاطىء وأوعز اليهم أنهم ما أن يروا السفن الحربية حتى ينذروه .

وبعدما فر اسحق من القتال تولى هاربا في الأرض وهنا أمر الملك بتنزيل الحمولات من على ظهور خيوله ، وهكذا بعدما خفف من أثقاله ، استأنف مجددا مطاردة اسحق وجنوده في السهول والجبال ، وقد لحق باسحق وجنده في الجبال ، وهناك هزمهم مرة أخرى قرب قناة تدعى كولوس ، وعندما وجد اسحق نفسه قد هزم مجددا تابع فراره وسط الجبال حيث لم يجد الماء ولم يحصل على المساعدة في المناطق الاخرى من الجزيرة ، ولم يجد مكانا يعتصم فيه ويأمن به من سطوة الملك.ومع هذا حشد قواته من اللصوص الارمن والقرصان ورجال الجزيرة ليعاود الهجوم على الملك رتشارد ويطرده بالقوة من الجزيرة ، ولكن الرب جاء بالملك رتشارد الطيب الى هناك ليزرع عقيدة روما فيها لانها العقيدة الجيدة وليقتلع أعمال

القراصنة ويعم رحمته ، وزحف الملك ضد قلعة كيريذس واستولى عليها فورا ، ووجد فيها ابنة اسحق مع ثروة عظيمة ومال كثير فاستولى عليه ، ثم جاد به ووزعه كرما منه على رجاله .

وبعد هذا : كله اطمأن الملك وشرع بترميم اسطوله وتدعيمه .

وحشد اسحق كل رجاله وجميع الذين كانوا تحت سيادته ، وتمركز بين نيقوسيا وفيماغوستا ، وهناك انتظر الملك رتشارد ليثار منه اذا استطاع ، ولكن العناية الربانية والمساعدة السماوية التي لاتخيب ذويها أعطت القوة والدعم الى الملك رتشارد حتى تمكن من هزيمة اسحق وجميع رجاله الفرسان ، وعندما رأى الملك اسحق انه قد انهزم وهلك رجاله جميعا ، ولم تبق له سلطة في قبرص ولاقدرة للوقوف ضد الملك حاول جاهدا ان يؤمن نفسه ويصون ذاته في قلعة محصنة اسمها بوفوفنت ، لكن الملك توجه نحو هذه القلعة قبله ووصلها واستولى عليها وعلى ماكان داخلها ، وهكذا اخضع ملك انكلترا بمساعدة من الرب جميع سادة قبرص ووضعهم تحت سلطانه وحكمه ، وأعاد الجزيرة الى حظيرة الكنيسة الرومانية ، ومن ثم بات الن رئيسا لاساقفة نيقوسيا، وذلك بعدما كان راعي دير القديس جرجس في رامس .

كيف سافر ملك انكلترا من قبرص وتوجه لحصار عكا :

بعدما هزم الملك رتشارد اسحق واستولى على جزيرة قبرص وانقذها من حكم قراصنة اسحق ، ذهب الى ليماسول ، وهناك كانت أخته والفتاة التي أرسلتها أمه ليتزوجها ، وحال وصوله الى المدينة تزوجها في كنيسة القديس جورج ، ثم جهز اسطوله وسافر من هناك في البحر ومعه جلده حتى وصل امام مدينة عكا ، وأحضر معه اسحق وابنته .

للمسلمين ، وكان في داخلها ثعابين حية كثيرة جدا ، أراد ارسالها الى جيش المسيحيين كي ترهبهم وتسممهم ، وتوجه ركابها نحو الصليبيين وحاربوا بشدة ، غير أن مولانا أعطى في النهاية شرف النصر الى ملك انكلترا ، وغرقت السفينة وهلك من كان فيها .

وعندما رأى اسحق نفسه انه انهزم وهلك رجاله جميعا ، ولم تبق له سلطة في قبرص ولا قدرة على الوقوف ضد الملك رتشارد ، حاول ان يؤمن نفسه ويصون ذاته في قلعة محصنة اسمها بوفونت ، غير ان الملك قصد هذه القلعة ووصلها قبله فاستولى عليها وعلى ماكان في داخلها ، وهكذا اخضع ملك انكلترا بمعونة من الرب جميع سادة قبرص ووضعهم تحت سلطانه وحكمه ، واقام فيها العقيدة اللاتينية ، فعين الان رئيسا لاساقفة نيقوسيا ، وكان من قبل راعي دير القديس جرجس في رامس .

١١٩ ـ وبعدما هزم الملك رتشارد اسحق ، واستولى على جزيرة قبرص وانقذها من حكم قراصنة اسحق ، ذهب الى ليماسول ، وهناك كانت اخته والفتاة التي ارسلتها امه ليتزوج منها ، وبعيد وصوله الى مدينة ليماسول تزوجها في كنيسة القديس جورج ، ثم جهز اسطوله وسافر من هناك في البحر ومعه جنده حتى وصل الى امام مدينة عكا ، وقد احضر معه اسحق وابنته .

وفرح ملك فرنسا بقدومه فرحا عظيما ، وكذلك فعل جميع الذين كانوا امام عكا ، وبالمقابل انزعج المسلمون وتألموا ، واستقبل رتشارد استقبالا حافلا من قبل قادة الفرنجة الذين كانوا امام عكا ، وقد خف ملك فرنسا لاستقباله لدى نزوله على الشاطىء ، ونزل الملك رتشارد الى اليابسة وانزل معه زوجته ، وعندما اكتشف ملك فرنسا امر زواج رتشارد غضب غضبا شديدا ، وانزعج من الملك رتشارد لانه تزوج من بيرنيرا اخت ملك نافار ، ولم يف بتعهده بالزواج من اخت ملك فرنسا .

١٢٠ ـ وبعد وصول الملك ريتشارد الى عكا ، احضر صلاح الدين سفينة كبيرة من مصر ، وكانت مشحونة بالرجال المسلحين والمدعومين بالمال والعتاد ، وقدمت هذه السفينة بهدف تقديم العون المسلمين ولالحاق الضرر بالمسيحيين ، وجاءت هذه لتقديم النجدة للمسلمين ، وكان في داخلها ثعابين وافاعي حية كثيرة لتسريحها

وتأثر ملك فرنسا مما حدث كثيرا ، وقام وهو في حالة من الغضب الشديد باعطاء الاوامر الى رجاله بحمل اسلحتهم لمهاجمة ملك انكلترا الذي لم يأبه بالامان الذي اعطاه المسلمين .

كيف سلم المسلمون عكا الى رجالنا :

وتصالح ملكا انكلترا وفرنسا ، ثم قاما معا بمهاجمة المدينة بكل قوة ، وشعر المسلمون الذين كانوا في داخلها ، لا بل أدركوا تمام الادراك أنهم لن يستطيعوا متابعة المقاومة ، ولهذا كتبوا الى صلاح الدين يطلبون انجادهم ، وإلا فسيضطرون الى تسليم المدينة ، وأجابهم صلاح الدين بأن عليهم التصرف وفق أفضل الشروط الممكنة ، وعندما سمع الأمير قراقوش الذي كان سيد المدينة ، بهذا ، بعث الى الملكين يطلب التباحث معهما ، ووافقا على ذلك ، لكن بحذر .

وخرج قراقوش من المدينة وتوجه الى خيمة ملك فرنسا ، فهناك كان مجتمعا به ملك انكلترا وبقية البارونات ، وأعلمهم أنه على استعداد لتسليمهم مدينة عكا بكل طيبة خاطر ، مقابل سلامة حياته وحياة المسلمين الذين في داخل المدينة ، يضاف الى هذا أن صلاح الدين سيعيد اليهم الصليب المقدس الذي فقده المسيحيون يوم قرني حطين ، عندما هزم الملك غي ، وأسر ، وسيطلق أيضا سراح الذين في سجنه من الأسرى ، ويدعهم يذهبون بسلام ، وإذا لم ينفذ صلاح الدين ما أعدكم به ، سنبقى تحت رحمة سلطانكم ونعيش كعبيد لكم .

ووافق الملكان على اقتراح قراقوش ، وهكذا سلم المسلمون المدينة للمسيحيين وكان ذلك في الحادي عشر من آذار من سنة ١١٩١ لتجسيد يسوع المسيح ، وابتهج المسيحيون كثيرا ، ودخلوا الى المدينة شاكرين الرب الذي حرر مدينة عكا من أيدي المسلمين .

-٣٩١٧-

اعادة ترتيب الأوضاع :

وبعدما سلمت المدينة الى المسيحيين خاطب ملكا فرنسا وانكلترا رجال الجيش ، وأصدرا الاوامر بأن يتمركز الجيش بالمدينة وفيها يقيم ، وأقام ملك فرنسا في القلعة أما ملك انكلترا فقد نزل بدار الداوية ، ونزل بقية الفرسان في بيوت أعيان أهل عكا الذين كانوا فيها قبل صلاح الدين ، وعندما قصد هؤلاء الأعيان بيوتهم للاقامة بها ، منعهم الفرسان الذين استولوا عليها وأقاموا فيها ، وهنا ذهب هؤلاء الأعيان الى ملك فرنسا ، ورفعوا اليه ظلامتهم ، والتمسوا منه مساعدتهم في استرداد ميراثهم وملكياتهم ، لأن المسلمين كانوا قد انتزعوها منهم بالقوة وقالوا له : « قد متم يا مولاي لاسترداد مملكة القدس ، ومن غير المعقول أن تحرمونا من ممتلكاتنا ، ذلك أن الفرسان قد احتلوا بيوتنا ، ويقولون انهم استولوا عليها من المسلمين ».

ومنح الأمان للمسلمين ، واصطحبهم حتى المدينة ، وأعطاهم مهلة ، وأوصاهم بأن يدافعوا عن حقهم وأنفسهم ، وقام ملك فرنسا وهو في حالة من الغضب الشديد باصدار الأوامر الى رجاله بأن يتسلحوا ليذهبوا معه لمهاجمة ملك انكلترا .

وكان مثل هذا الخلاف قد حدث من قبل ، ولولا تدخل البارونات ووساطتهم في ازالة الغضب وتهدئة الخواطر لوقع ضرر كبير بين المسيحيين نتيجة لهذا الخلاف .

ودخل المسلمون الى المدينة ، ودافعوا عن أنفسهم ضد رتشارد بكل قوة ، فلم يستطع الانتصار عليهم ، بل إنه خسر كثيرا من رجاله .

١٢٣ ــ وبعدما تصالح ملكا فرنسا وانكلترا ، قاما بمهاجمة

واحدا من المسيحيين حسب رتبته ، وعندما حل يوم تنفيذ ما وعد به بعث الى المسيحيين يطلب منهم امهاله الى يوم آخر ، لأنه لم يتح له احضار ما تـــوجب عليه احضـــاره ، وأعطـــاه رجـــالنا المهلة المطلوبة ، ذلك أنهم كانوا يعدون حصـــولهم على الصــليب المقــدس انجازا رائعا ، وكذلك تحريرهـم للأسرى الذين كانوا في سجونه .

وعندما حل الموعد المتفق عليه فيما بينهم استعد الملكان والفرسان جميعا ورجـــال الجيش والاســــاقفة والرهبـــان ورجـــال الاكليروس ، وارتدوا أفخر ما لديهم من ملابس وخرجوا جميعا من المدينة بخشوع تام وتقوى عظيمة ، وساروا الى المكان الذي حـــدده لهم صلاح الدين ، وعندمـــا وصـــلوا الى هناك كانوا يعتقـــدون أن صلاح الدين سيعيد اليهم صـــليب الصـــلبوت ، غير أنه أخلف وعده معهم .

وغضب ملكا فرنسا وانكلترا لذلك غضبا شديدا ، وشـــعر الناس من المسيحيين بآلام عظيمة في قلوبهم ونفوسهم ، وذرفـــوا الدمـــوع الغزيرة طيلة الأيام التالية •

قدمتم لاسترداد مملكة القدس ، ومن غير المعقول أن تحرمونا من ممتلكاتنا ، ذلك أن الفـــرسان قـــد احتلوا بيوتنا ، ويقـــولون انهـــم استولوا عليها من المسلمين .

وبعث ملك فرنسا يطلب ملك انكلترا وبقية البـــارونات للاجتمـــاع معا ، وبعدما التأم الجمع توجه ملك فرنسا بـــالخطاب الى الســـادة الذين طالبوا باعادة بيوتهم وممتلكاتهـــم اليهـــم قـــائلا :« أيهـــا السادة ، نحـــن لم نأت أبـــدا لاحتـــلال أراضي أو أمـــلاك أو بيوت الآخرين ، إننا قدمنا من أجل الرب وفي سبيله ، ولتقديم المســـاعدة لجيوشنا ولاسترداد مملكة القـــدس التـــي اغتصـــبها المســـلمون وانتـــزعوها مـــن المســـيحيين ، واعادة ممتلكات المســـيحيين

اليهم ، ويبدو لي أنه كان من المناسب فعــل ذلك بعــدما منحنا الرب السلطان والقدرة على احتلال المدينة ، ولقد كان من الواجــب القيام بذلك ، إن هذا ما أراه وأقترحه إذا كنتم توافقون ؟

ووافق ملك انكلترا والبارونات الأخــرون على مــا اقتــرحه ملك فرنسا ، وقالوا :إن كل من يبرهن على أن ما حصل هو ملكه وحقه يسمح له بالبقاء به ، ثم أصدروا الأوامر للفــرسان بــاخلاء البيوت التي استولوا عليها واعادتها الى أصحابها .

١٢٥ ـ وبعد تسليم عكا ، وعد صلاح الدين كل من ملكي فرنسا وانكلترا باعادة الصليب المقدس الى المسيحيين ، وأن يعطي مقابل كل واحد من المسلمين واحدا من المسيحيين حسب رتبته ، وعندمــا حل يوم تنفيذ ما وعد به بعث الى المسيحيين يطلب منهم امهــاله الى يوم أخر ، لأنه لم يتمكن بعد من احضار ما توجب عليه احضــاره . وأعطاه رجالنا المهلة المطلوبة ، ذلك أنهم كانوا يعدون حصولهم على صليب الصلبوت المقدس انجــازا عظيمــا ومفخــرة كبيرة ، وكذلك نظروا الى تحريرهم للأسرى الذين كانوا في سجونه .

وعندما حل الموعد المتفــق عليه فيمــا بينهــم ، اســـتعد الملكان والفرسان جميعا ورجــال الجيش والأســاقفة والرهبــان ورجــال الاكليروس ، وارتدوا أفخر ما لديهم من ملابس ، وخرجوا جميعــا من المدينة بخشوع تام وتقوى عظيمــة ، وســاروا الى المكان الذي حدده لهم صلاح الدين وعندما وصلوا الى هناك ، كانوا يعتقدون أن صلاح الدين سيعيد اليهــم صــليب الصــلبوت غير أنه أخلف وعده معهم .

وغضب ملكا فرنسا وانكلترا لذلك غضبا شديدا ، وشــعر الناس من المسيحيين بآلام عظيمة في قلوبهم ونفوسهم ، وذرفــوا الدمــوع الغزيرة طيلة الأيام التالية ، وعندما شاهد الملك رتشــارد الشــعب

وساروا الى المكان الذي حدده لهم صلاح الدين ، وعندما وصلوا الى هناك كانوا يعتقدون أن صلاح الدين سيعيد اليهم صليب الصلبوت غير أنه أخلف وعده معهم .

وغضب ملكا فرنسا وانكلترا لذلك غضبا شديدا ، وشعر الناس من المسيحيين بآلام عظيمة في قلوبهم ونفوسهم ، وذرفوا الدموع الغزيرة طيلة الأيام التالية .

وخاف صلاح الدين كثيرا عندما رأى ماحدث ، وخشي من أن يتمكن الفرنجة من استعادة مملكة القدس ، ثم أنه تحرك من هناك ، وقصد مدينة عسقلان ، وقام هناك بخوض الحرب ، ولقد خاف صلاح الدين من استيلاء المسيحيين على عسقلان ، لأن هذه المدينة كانت واقعة على الشاطىء ، فاذا مااستولوا عليها وحصنوها ، توجب عليه الذهاب الى مصر عبر طريق آخر غير طريق غزة ، الذي كان أقصر طريق وأسهله للسفر من سورية الى مصر .

١٢٦ ـ وعندما شاهد الملك رتشارد الشعب يبكي لاخلاف صلاح الدين بوعده ، ثار غضبه ، وأشفق عليهم كثيرا ، وأراد أن يخفف من آلامهم وأحزانهم ، فأمر باحضار المسلمين الذين كان قد أودعهم في سجنه ، وقام على مرأى من المسلمين الذين كانوا على مقربة منه باعدامهم وقطع رؤوسهم .

١٢٧ ـ وبعد وقت قصير أصيب الكونت دي فلاندرز بمرض خطير ، وهو المرض الذي مات منه (حزيران ١١٩١) وقبل موته أرسل الى ملك فرنسا وطلب منه أن يأتي اليه واستجاب هذا الملك وقدم لعيادته وقد تحدثا معا ، وأعلمه الكونت أن عليه الاحتراس الشديد ، وأن يكثر من الحذر لأن في الجيش عناصر أقسمت الأيمان على التخلص منه وقتله ، واهتم الملك بهذا الكلام ، وحصره في دخيلته ، وغضب كثيرا ، وخاف حتى أنه أصيب من جراء ذلك بمرض شديد ، سيتوفى بعد أمد من جرائه .

وفي أثناء مرض ملك فرنسا عمل الملك رتشارد على حبك مؤامرة خيانية كبيرة ، فقد أراد قتل ملك فرنسا دون أن يبدو أن له يد بذلك ، لكن الملك رتشارد شعر أنه مذنب بحق الملك الفرنسي ، فقد أساء اليه كثيرا وأذنب بحقه مثل زواجه من بيرنيرا أخت ملك نافار ، ثم محاولاته اجتذاب رجاله اليه بالعطايا والوعود المختلفة مع ازعاجات أخرى سببها له أثناء حصار عكا ، ولهذا ندم الملك رتشارد كثيرا .

وحين عزم الملك رتشارد (إقرأ : فيليب) على السفر دعا كل من دوق بورغونيا ووليم دي باراس وكل من كان في حاشيته ، ونظرا لولائهم له ، طلب منهم اعلامه عما اذا كان لديهم أخبار عن موت لويس ابن ملك فرنسا ، فاذا كان ، يجب عليهم اطلاعه عليها ، فقال له دوق بورغونيا : « مولاي منذ أن قدمت لحصار عكا لم يأت مركب من بلاد ماوراء البحار لينقل مثل هذا الخبر » ، ولقد أراد ملك انكلترا اشاعة هذا الخبر ليزيد من ازعاج ملك فرنسا في مرضه ، ولدى اطلاع ملك فرنسا على تفاصيل هذا التصرف ، لم يظهر ذلك ، بل استدعى بعض الحكماء ومنحهم أشياء ثمينة ليضعوا حدا لمرضه وليعملوا من أجل شفائه ، وعمل هؤلاء وفق طلبه ، وأعطاه الرب النعمة واستجيب لطلبه بالشفاء

كيف عاد ملك فرنسا .

عندما شفي ملك فرنسا من مرضه أمر بتجهيز سفنه من أجل العودة الى بلاده ، واستدعى اليه دوق بورغونيا وجميع فرسان فرنسا ، وأمرهم أن يكونوا تحت إمرة هذا الدوق ، ثم منحه شطرا كبيرا من خزينته ، وأمره أن يتخلف ويأخذ مكانه .

ثم صعد الى سفينة ومن ثم أقلع باسطوله لعبور البحر ، وعندما وصل الى خليج ساتاليا هاجت عاصفة في البحر دامت يوما

أن قاموا بتحصين عكا ، ثم شحنوا السفن بالعتاد وأرسلوها الى يافا ، ثم سافر الجيش برا ، وتقرر أن يكون ملك انكلترا والكونت همفري في المقدمة ، ودوق دي بورغونيا ، وجاك دي أفانس في الساقة .

وعندما علم صلاح الدين بنواياهم ومقاصدهم ، جمع قواته كلها ليناوش هؤلاء وليعيق تقدمهم وليحبط خططهم ، وسار بقواته خلفهم وكان يغير عليهم من اليمين ومن الشمال ويصيق عليهم بجنوده ، وقد هاجمهم بالنشاب ، هذا وعندما جاءوا لعبور نهر القصب سلح الملك الساقة تسليحا جيدا ، ونشر قواته تم صفها وعبأها تعبئة القتال ، وبعد هذا وجه قواته ضد صلاح الدين فصدها والحق بها الهزيمة ، ومع هذا مات كثير من الطرفين ، وكان من بين القتلى جاك دي أفن وعدد كبير اخر من الفرسان ، المهم تكبد المسيحيون خسائر كبيرة ، ولكن بمعونة يسوع المسيح خرج المسيحيون من المعركة أفضل حالا من خصومهم

وتراجع صلاح الدين مع الدين نجو من المعركة من أصحابه الى الوراء ، وتوجهت قواتنا الى بيت نوبة وهو واد بين يافا والقدس ، وعسكروا هناك لتمضية الليل ، وأمروا بأن يتولى الملك رتشارد قيادة المؤخرة ، وأن يتولى دوق بورغونيا المقدمة ، ونهب كل منهما الى قاعدته .

وعندما رأى دوق بورغونيا ماحدث ، وبعدما إستقر في موقعه ، استدعى للاجتماع به رجالات فرنسا الذين كانوا يحبون كثيرا التا ٠الملكي ، وتوجه اليهم قائلا ": ايها السادة ، أنتم تعلمون أن مولانا ملك فرنسا قد ذهب وبقيت نخبة فرسانه ، بينما ليس مع ملك انكلترا سوى قلة من الجند ، وهاهم أمامنا ، فاذا ذهبنا قبلهم واستولينا على القدس ، لن يكون بمقدورهم أن يقولوا فيما بعد لم يكن هناك فرنسيون ، ثم أن يقولوا أيضا : لقد استولى ملك انكلترا عليها ، أما ملك فرنسا فقد فر هاربا ، فبسبب ذلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلطيخ سمعة الملك وسمعة المملكة بالعار ، وأنتم تعلمون أنه لم يسبق لأحد أن وجه الملامة لفرنسا ، لذلك يجب أن نذهب قبلهم » ، ووافق بعضهم على رغبته ، ولم يوافق بعضهم الآخر ، وحينذاك قال لهم الدوق :« من أراد أن يتبعني فليفعل »، وأما بالنسبة لملك انكلترا الذي لم يعرف شيئا عن هذا المؤتمر ، فقد استعد في اليوم التالي ، وزحف باتجاه القدس ، أما دوق بورغونيا فقد سلح الفرنسيين .

وقصد صاحب الكرسي الرسولي وهناك تحدث عن الأخطاء التي اقترفها الجيش الذي كان في ارض القدس ، ثم أنه اسرع في الذهاب حتى لايتسلم أحد امارة فلاندرز ، لأن الكونت فيليب دي فلاندرز قد توفي وباتت الامارة خالية .

١٣١ ـ وسنتحدث الآن عن ملك فرنسا ، كما وسنتحدث عن ملك انكلترا وعن باروناته الذين مكثوا هناك فقد أعلم ملك انكلترا ان المسلمين قد أخلوا مدينة القدس، وأن الفرصة التي توفرت له ممتازة ، فهو يستطيع الآن الاستيلاء عليها دون قتال أو مقاومة ، وأطلع الملك دوق بورغونيا وبارونات الجيش على ذلك ، واجتمعوا للتداول حول المسألة وقرروا في الاجتماع أن يذهبوا الى تحصين مدينة عكا ، ثم حملوا الأعتدة على السفن وأرسلوها الى يافا ، ثم اقتسموا الوظائف والأدوار ، اي اتفقوا على من سيقود المؤخرة وعلى من سيكون في المقدمة ، وتقرر أن يتولى الملك رتشارد ومعه الكونت ايمري المقدمة ، وأن يقف دوق بورغونيا وجاك دي أفانس في المؤخرة .

وعندما سمع صلاح الدين أنهم على نية قصد هذه المناطق ، جمع قواته كلها ، وحاول أن يمنع المسيحيين من الذهاب الى يافا ، وطاردهم من الخلف ، وهاجمهم من اليمين ومن اليسار ، وقمعهم بجنوده وأطلق عليهم الحراب والسهام من جميع الجهات ، وكان عدد الجنود كبيرا ، وحين جاءوا لعبور نهر القصب

وعندما أصبح الملك هناك رأى مدينة القدس المقدسة ، فنزل لكي يؤدي صلواته فهذا مايقوم به جميع الحجاج الذين يقصدون القدس فهناك يصلون ومن هناك يمكن رؤية الهيكل والضريح المقدس .

وبعدما أدى الملك صلواته وصلته رسالة من قبل أحد أصدقاء الجيش تقول أن دوق بورغونيا وصل الى عكا وكذلك عاد غالبية الفرنسيين الى عكا ، وعندما سمع الملك أن الدوق قد عاد ، غضب غضبا شديدا ، وعاد فورا الى يافا .

وعندما وصل دوق بورغونيا الى عكا ، لم يتجول بها بل توفي ودفن في مقبرة القديس نيقولا ولقد ألحق مؤتمره وما قام به ضررا عظيما بالمسيحيين ، ولولا خلافه مع الملك بشأن الذهاب الى القدس ، لتمكنت حملة ملك انكلترا من الاستيلاء على القدس وعلى جميع أراضي المملكة ، وأغلق ملك انكلترا يافا وقام بتحصينها وشحنها بالرجال المسلحين وبالعتاد ثم ارتحل قاصدا مدينة عكا

كيف استولى فرسان الداوية على جزيرة قبرص ثم تخلوا عنها :

بعدما استولى ملك انكلترا على جزيرة قبرص وبات سيدها باعها الى الداوية بمبلغ مائة ألف دينار اسلامي ، وبعدما استولى رجال الداوية على جزيرة قبرص أرادوا أن يعاملوا سكان قبرص مثل معاملتهم لسكان اقطاعية قلعة من أراضي القدس ، وأرادوا أن يجبروا سكان الجزيرة على الخضوع لحكم وارادة عشرين من رهبان الداوية ، وعندما رأى القبارصة مايلحقهم من أذى ومساوىء ، فضلا عن أنهم كانوا يكرهون اسيادهم هؤلاء ويتألمون كثيرا لزيادتهم ثرواتهم ، لم يعودوا قادرين على تحمل الأعباء التي أثقلهم بها رجال الداوية ، لذلك هبوا ضدهم وزحفوا

لحصارهم في قلعة نيقوسيا ، ولما رأى رجال الداوية حشدا كبيرا من الناس زحفوا لحصارهم انزعجوا كثيرا وخافوا .

ولما رأى فرسان الداوية أن القبارصة لن يشفقوا عليهم مع أنهم كانوا مسيحيين مثلهم ، وأنهم بالوقت نفسه لم يأتوا الى قبرص بجميع قواتهم ، عرفوا انهم سيعذبونهم ، حتى يخرجوهم من جزيرة قبرص ، فعرضوا عليهم الخروج عن طيبة خاطر ، لكن عندما رأى القبارصة أن فرسان الداوية قد تواضعوا أمامهم كثيرا تعجرفوا وركبوا رؤوسهم وقالوا : انهم لن يسمحوا لهم بالخروج ، بل سينتقمون منهم ومن أهلهم ، ومن أصدقائهم لأن اللاتين حطموهم وقتلوهم ، وعندما رأى فرسان الداوية أن القبارصة لن يشفقوا عليهم مع أنهم ..

كيف يمكنه الحصول على المال والقروض ، فسأله الأسقف عن المدة المستوجب عليه فيها تسديد المبلغ ، فأجابه الملك أن عليه أن يسدد ثمنها خلال شهرين ، وبناء عليه ذهب الأسقف الى طرابلس واقترض من أعيان المدينة مبلغا من المال ، وما أن انقضى أول شهر حتى أحضر المال الى الملك غي ، فقام هذا بدوره فأعطاه الى ملك انكلترا حسب الاتفاق المعقود بينهما ، وأراد الذهاب الى جزيرة قبرص ، وهنا طالبه الملك رتشارد بالمبلغ المتبقي عليه وقدره أربعين الف دينار ، فطلب منه الملك أن يسامحه به ، لأنه كان فقيرا ، وليس لديه مال ، وكان رتشارد كريما فلم يطالبه بشيء فيما بعد .

...كانوا مسيحيين مثلهم ، وأنهم بالوقت نفسه لم يأتوا الى قبرص بجميع قواتهم ، عرفوا أنهم سيعذبونهم حتى يخرجوهم من جزيرة قبرص ، فعرضوا عليهم الخروج عن طيبة خاطر ، ولكن عندما رأى القبارصة أن فرسان الداوية قد تواضعوا أمامهم كثيرا تعجرفوا وركبوا رؤوسهم ، وقالوا : إنهم لن يسمحوا لهم بالخروج ، بل سينتقمون منهم ومن ذويهم ومن أصدقائهم ، لأن اللاتين حطموهم وقتلوهم .

وعندما سمع الأخ رينو بوكارت الذي كان مقدمهم والاخوة الفرسان الآخرون أن القبارصة ليس لديهم أدنى شفقة نحوهم ، توسلوا الى الرب وسلموا أمرهم له ، واعترفوا وتناولوا القربان المقدس ، وتسلحوا وخرجوا ضد القبارصة ، فأعطى الرب بعنايته النصر الى فرسان الداوية ، وهكذا هزموهم ، وقتلوا عددا كبيرا منهم ، كما أسروا بعضا آخر منهم ، وإثر هذا ذهبوا الى عكا وأطلعوا مقدم الداوية على تفاصيل ما حدث ، ثم تشاوروا فيما بينهم وتداولوا ، وأخيرا اتفقوا على الا يتمسكوا بالجزيرة ،وان يعيدوها الى الملك رتشارد إذا أعاد إليهم القلعة التي أعطوه إياها .

١٣٤ ـ وقام الفارس روبرت دي سابلوي مقدم الداوية ورجالات الدير بالتوجه الى الملك رتشارد ، والتمسوا منه أن يعيد اليهم القلعة التي منحوه اياها ، وأن يسترد بالمقابل الجزيرة ، لأنها لم تكن ابدا المكان الذي يستطيعون التمسك به ، وقد تأثروا كثيرا من أعماق قلوبهم لأنهم لا يستطيعون ، لا بل لا يجرؤون على التمسك بالجزيرة والاحتفاظ بها ، وعندما سمع الملك رغبتهم ، قرر تسلم الجزيرة منهم ، فطالبوه بالمال الذي أعطوه اياه ، فأجابهم هذا الملك بأنه لن يعيد المال اليهم مطلقا ، لأنه أخذ قلعتهم بثمن مرتفع مع انها لا تساوي نصف أو ربع السعر الذي دفعه •

ولما استرد الملك رتشارد جزيرة قبرص من فرسان الداوية ألحقها بمملكته ، وإثر ذلك جاء اليه الملك غي الذي بقي بدون إرث وبدون

مملكة ، وخاطب الملك رتشارد بقوله : « مــولاي ، انك تعلم بــأنني بدون ارث وبدون مملكة ، لذلك التمس منك أن تبيعني جزيرة قبرص بقدر ما بعتها لفرسان الداوية » ، ووافق الملك رتشارد ، وقــال انه راض ببيعها له بمثل ما بــاعها لفــرسان الداوية ، وفــرح الملك غي فرحا عظيما ، ومالبث أن تحــدث الى مســتشاره بييردي أنفــويم أسقف طرابلس في ذلك الحين ، وأعلمــه كيف انه اشــترى جــزيرة قبــرص ، ولكونهمــا صــديقان طلب منه أن يبين له كيف يمــكنه الحصول على المال أو من أين يمكن اقتراضه ، فساله : « ما هــي الفترة المتفق عليها لدفع هذا المال »؟ فأجابه : انه من المتوجب عليه أن يسدد ثمنها خلال شهرين ، فأجابه الأسقف انه خــلال شــهرين سيعينه الرب على ذلك ، ثم سافر الأسقف فــورا بــوساطة احــدى السفن الى مدينة طرابلس ، فاقترض مــن ســايس الذي كان مــن اعيان طرابلس ومن يوهان دي لي موناي ومن اثرياء آخرين مبلغــا من المال ، وبعدما انقضى شهر على ذلك حمل هذا المال الى الملك غي فدفعه بدوره الى الملك رتشارد حسب الاتفاق المعقود بينهما.

وعندما قصد الملك قبرص للاستيلاء عليها ، اصطحب معــه عددا من فرسان المملكة الفقراء . وأرســل الملك غي رســالة الى صــلاح الدين يستشيره كيف يمكنه السيطرة على جــزيرة قبــرص ، ولدى تسلم صلاح الدين الرسالة منه قال انه لا يحب الملك غي ، ولكن بما أنه طلب مشورته فسينصحه بكل أمانة ويقول له ما يملكه مــن آراء مفيدة له ، ثم التفت نحو الرسل قــائلا : « قــولوا للملك غي انه اذا اراد التملك في جزيرة قبرص فليضم الجزيرة كلها وليضعها بأكملها تحت سلطانه ». وعاد الرسل الى الملك غي وأعلموه بالذي نصح بــه صلاح الدين ، وبنصيحته أخذ ، فبعث برسله الى أرمينية وانطاكية وعكا معلنا أن كل من يود القدوم الى قبرص والسكن بها فسـيعطيه ما يحتاجه للعيش ، وهكذا ذهب الى قبرص الفرسان والسيرجانتية والفرنجة الذين جردهم المسلمون من ممتلكاتهم والنســاء الأرامــل اللواتي فقدن أزواجهن ، والفتيات اللواتي فقدن آباءهن ، فــأعطى الملك لهؤلاء أراضي واسعة ، وكل من جاء اليه حصــل على مــارغب بالحصول عليه ، وتزوجت الارامل والفتيات اليتامى مــن الشــبان الذي قدموا الى الجزيرة ، وســاعدهم الملك بمــا له ، وأعطى لكل فارس ثلاثة اقــطاعات ولكل واحــد مـــن الســـيرجانتية الخيالة اقــطاعين ، أمـــا البقية الذين ســـكنوا المدن فـــأعطاهم أراضي واسعة ، ومنح كبيرة ، وقد وزع كل شيء حتى لم يبــق لديه الا مــا يكفي لعشرين من فــرسانه ، وهــكذا ســـكن الملك غي جـــزيرة قبرص ، ولو أن الامبراطور بولدوين فعل الشيء نفسه عندما ســكن القســطنطينية ، لما كان فقــدها ، لكنه طمـــــع بحيازة كل شيء لنفسه ، فكان أن فقد حياته وكل البلاد .

ونهب الملك غي ليتسلم جزيرة قبرص ، ومن ثم ليقيم نفسه سيدا عليها ، فطالبه الملك رتشارد بمبلغ الاربعين ألف دينار المتبقي عليه ، وهنا التمس منه الملك غي أن يسامحه ويعفيه من دفع هذا المبلغ ، لما كان يعانيه من الفقر ، فضلا عن انه لم يرث شيئا من اهله ، والآن عندما بات ملكا لقبرص صار واحدا من رجاله ، ولهذا تمنى عليه أن يسقط عنه المطالبة بهذا المبلغ ، وكان الملك رتشارد كريما لذلك سامحه ولم يطالبه فيما بعد بشيء .

١٣٥ ــ وبعدما أعفى ملك انكلترا الملك غي من دفع مبلغ الاربعين ألف دينار ، ذهب الى قبرص واصطحب معه عددا من فرسان المملكة الفقراء ، ثم أرسل الملك غي رسالة الى صلاح الدين يستشيره كيف يمكنه السيطرة على جزيرة قبرص ، ولدى تسلم صلاح الدين الرسالة منه قال انه لا يحب الملك غي ، ولكن بما أنه طلب مشورته فسينصحه بكل أمانة ، وسيقول له ما يملكه من آراء مفيدة له ، ثم التفت الى الرسل قائلا : « قولوا للملك غي أنه اذا اراد التملك في جزيرة قبرص فليضم الجزيرة كلها وليضعها بأكملها تحت سلطانه ، وعاد الرسل الى الملك غي وأعلموه بالذي نصح له صلاح الدين .

١٣٦ ــ وسأحدثكم الآن عما فعله الملك غي بعدما تسلم جزيرة قبرص ، فقد أرسل رسلا من قبله الى أرمينية والى انطاكية والى عكا والى كل البلدان معلنا : أنه كل من أراد القدوم الى قبرص للسكنى بها سيؤمن لهم كل سبل العيش فيها .

وعندما سمع الفرسان والسيرجانتية والفرنجة الذين جردهم المسلمون من ممتلكاتهم نداء الملك غي تحركوا وسافروا الى عنده ومعهم فتيات ويتامى كثيرون من أبناء البارونات والفرسان والجنود الذين ماتوا في سورية أو فقدوا فيها ، فأعطاهم الامان وقدم اليهم المساعدات ، وكذلك أمن القبارصة الذين ثاروا على الداوية والحقهم بخدمته مثلهم مثل الفرسان الذين اصطحبهم معه .

وكذلك رعى البنائين والكتاب ، وهكذا بحمد الرب صاروا جميعا فرسانا وحماتا كبارا لجزيرة قبرص ، كما أنه زوج النساء اللائي قدمن الى الجزيرة وأعطاهن من ماله مساعدة نالها كل من تزوج»، وهكذا استقروا جميعا في قبرص بسلام .

لقد منح أراضي الى كل هؤلاء والى الفرسان والسيرجانتية الخيالة ، أما اهل المدن الذين سكنوا الآن في المدن فقد اعطاهم اراضي وأشياء كثيرة ، وقد وزع كل شيء حتى أنه لم يبق من جزيرة قبرص الا ما يكفي لعشرين فارسا جعلهم تحت سيطرته المباشرة ، وهكذا سكن الملك غي مع هؤلاء في جزيرة قبرص ، وأقول لكم لو أن الامبراطور بلدوين أسكن الناس في القسطنطينية مثلما فعل الملك غي في قبرص لما كان خسرها ، ولكنه مات لأنه أراد الاحتفاظ بكل ما في الامبراطورية له شخصيا ، ولذلك فقد كل شيء ، ويقول المثل « من يحاول احتضان كل شيء يخسر كل شيء ».

كيف فتك الحشيشية بالماركيز :

وحدث أن وصلت سفينة من سفن تجار المسلمين من بلاد الحشيشية الى مدينة صور ، وكان الماركيز هو سيد المدينة يتصرف فيها وفق هواه ، وهكذا بعث برجاله فاستولوا على السفينة ، وعندما علم مقدم الحشيشية بما حدث بعث برسالة الى الماركيز تهدده بها ، وطلب منه اعادة ماانتزعه من رجاله والا فسيقتله ، فأجابه الماركيز بأنه لن يعيد شيئا أبدا ، وعند ذلك طلب مقدم الحشيشية من اثنين من رجاله الذهاب الى مدينة صور ليقتلا الماركيز ، فنفذا الأمر وارتحلا ، وعندما وصلا الى صور تظاهرا أنهما مسيحيين فقد لبسا لباسهم ، وقصد أحدهما الماركيز وقصد الآخر بالين الذي كان متزوجا من الملكة ماري ، والمقيمة آنذاك بصور .

وحدث في احد الأيام أن ايزابيل زوجة الماركيز كانت بالحمام ، ولم يشأ الماركيز تناول طعامه حتى تعود ، غير انها مكثت مدة طويلة بالحمام وهو راغب بالاكل ، لذلك امتطى فرسه هو وبعض الفرسان وذهب الى بيت رئيس الاساقفة دي بوا ف ليتناول الطعام معه ، غير أنه عندما وصل اليه وجده قد تناول طعامه فقال له : « مولاي الأسقف لقد جئت لتناول الطعام معكم ، ولكن بما أنكم قد تناولتم طعامكم فسأعود من حيث أتيت » وسر الاسقف بقدومه ورجاه بالبقاء حتى يقدم له ما يأكله ، لكنه لم يقبل ، وأخذ الطريق عائدا الى بيته ، وفيما هو في طريق العودة مر بطريق ضيق ، واذا به برجلين وقفا على جانبي الطريق ، كل واحد منهما على جانب ، وقد وقفا أمامه ، وتقدم واحد منهما منه وناوله رسالة ، ومد الماركيز يده لتناول الرسالة ، فما كان من الآخر الا أن استل مدية هاجمه بها وطعنه عدة طعنات فأرداه قتيلا ، ولقد دفن في بيت فرسان الاسبتارية ، وحدث هذا في سنة ١١٩١ لتجسيد يسوع المسيح .

كيف تزوج الأمير هنري دي شامبين من ايزابيل التي كانت زوجة الماركيز :

وسمع ملك انكلترا الذي كان مقيما في يافا أن فيليب ملك فرنسا قد وصل الى بلاده .

١٣٧ ـ وسأحدثكم الآن عما قدم من قبرص التي قامت صلات بينها وبين سورية وبلاد ما وراء البحر ـ فقد حدث أن وصلت سفينة عليها تجار من بلاد المسلمين ، ومن بلاد مقدم الحشيشية الى مدينة صور ، وكان الماركيز هو المتصرف بشؤون مدينة صور والمتحكم بها ، ولذلك بعث رجاله فاستولوا على السفينة ، وعندما علم مقدم الحشيشية بما قام به الماركيز ، كتب اليه يتهدده وطلب منه اعادة ما انتزعه من رجاله واطلاق سراحهم والا سيقتله ، فرد

عليه الماركيز بأنه لن يعيد اليه شيئا ، ثم راسله مقدم الحشيشية ثانية وكرر طلبه ، لكن الماركيز كرر الرفض ، وبناء عليه أصدر مقدم الحشيشية أوامره الى اثنين من رجاله للذهاب الى مدينة صور واغتيال الماركيز ، فنفذا الامر وارتحلا ، وعندما وصلا الى مدينة صور دخلاها وهما متظاهرين بأنهما من المسيحيين ، فقد لبسا لباسهم ، وقصد أحدهما الماركيز وأما الآخر فقد قصد الى بالين الذي كان متزوجا من الملكة ماري ، التي كانت مقيمة في مدينة صور .

وحدث في أحد الأيام أن كانت ايزابيل زوجة الماركيز بالحمام ، ولم يرغب الماركيز بتناول طعامه حتى تعود ، غير أنها مكثت مدة طويلة بالحمام ، وبما أنه كان راغبا بالاكل فقد امتطى ظهر حصانه وقام برفقة بعض الفرسان بالذهاب الى بيت دي بوا ف رئيس اساقفة صور مستهدفا تناول الطعام منه ، لكنه عندما وصل اليه وجده قد تناول طعامه ، ومع هذا قال للأسقف :« مولاي الاسقف لقد جئت لاتناول الطعام معكم ، ولكن بما أنكم قد تناولتم طعامكم فسأعود من حيث أتيت » .

وابتهج الاسقف بقدومه وترجاه بالبقاء حتى يقدم مايأكله ، لكنه لم يقبل ، ثم مالبث الماركيز أن أخذ الطريق عائدا الى بيته ، وفيما هو خارج من بوابة بيت رئيس اساقفة صور ، واذا به برجلين قد وقف كل واحد منهما على أحد الجانبين ، ثم تقدما منه ، وقام أحدهما بمناولته رسالة ، ومد الماركيز يده لتناول الرسالة ، فما كان من الآخر الا أن استل مدية ووثب عليه فطعنه بها عدة طعنات فأرداه قتيلا ، وجرى اعتقال القاتلين ، ثم حمل جثمان الماركيز حيث جرى دفنه في مقر فرسان الاسبتارية ، وقد حدث هذا في سنة ١١٩١ لتجسيد مولانا يسوع المسيح (الصحيح ٢٨ ــ نيسان ١١٩٢) .

١٣٨ ــ وكان ملك انكلترا مقيما في يافا ، وقد سمع تقارير وردت

من بلاد ماوراء البحار تفيد أن الملك فيليب ملك فرنسا قد عاد سالما الى مملكته ، ودخل الى فرنسا واستقر في غيسورت ، وهنا أراد ملك انكلترا الاستيلاء على كل البلاد والسيطرة عليها لنفسه ، فغادر يافا وقصد مدينة عكا ، ثم مالبث أن وصلت الاخبار تتحدث عن اغتيال الماركيز من قبل الحشيشية ووجهت اصابع الاتهام والملامة الى الملك رتشارد وقيل انه قتل الماركيز بالتآمر مع الحشيشية والاتفاق معهم .

واستقر في غيسورت ، وهنا أراد ملك انكلترا السيطرة على كل البلاد فغادر يافا الى عكا ، ومالبث ان وصلت الاخبار تتحدث عن اغتيال الماركيز من قبل الحشيشية ووجهت اصابع الاتهام والملامة الى الملك رتشارد .

وسرت اشاعات ان الملك رتشارد قد تآمر مع مقدم الحشيشية ليرسل رجاله للفتك بملك فرنسا ، ولاندري مدى صحة هذه الاخبار ، وقد اطلع ملك فرنسا على هذه المؤامرة ، فما كان منه بعدما سمع بذلك الا أن شدد الحراسة حول نفسه وهكذا لم يسمح لزمن طويل لرجل غريب أو أجنبي من الاقتراب منه .

ووجه آخرون الاتهام والملامة الى الملك غي بسبب الاهانة التي وجهت اليه عندما جاء ومعه الملكة سيبل من طرابلس ، ووقفا أمام مدينة صور فمنعهما الماركيز من الدخول اليها .

وعندما تأكد ملك انكلترا من صحة خبر وفاة الماركيز ، استدعى بارونات مملكة القدس للتشاور معهم بشأن مدينة صور ، واصطحب معه الكونت هنري ليزوجه من ايزابيل أرملة الماركيز ، وبعدما فاتحه الملك رتشارد بهذا الموضوع قال له الكونت : ان هذه السيدة التي تريد ان تزوجني منها حامل من الماركيز ، واذا ماولدت ولدا ذكرا فهو الذي سيرث المملكة ، ثم استطرد يقول : وسأكون وقتها مزعوجا من السيدة ، وأنت تعلم شخصيا السبب الذي يجعلني غير

قادر على الذهاب الى شامبين ، فقال له الملك :« سأعطيك كل مايلزم من مساعدة للذهاب الى شامبين ، واعدك أيضا أنني إذا مامكنني الرب من الذهاب الى انكلترا ، سأجهز جيشا اقدم على رأسه لأساعدك به على اعادة احتلال كل اجزاء المملكة مع احتلال بلدان اخرى أيضا ، وستتوفر لدي القدرات حين أعود ، فأتمكن من الاستيلاء على امبراطورية القسطنطينية ، وفي ذلك ستنال مساعدة كبرى ، كما أنني سأمنحك جزيرة قبرص التي سبق لي الاستيلاء عليها ، ذلك أن الملك غي لم يسدد لي مجمل ثمنها ، ومازال مدينا لي بمبلغ أربعين الف دينار ، وانني سأطارده وسألاحقه ، ولن يفلت أبدا من يدي حتى يعيد الي جزيرة قبرص ».

وبناء عليه وافق الكونت هنري على الزواج المقترح من السيدة ، واحتفل بزواجه من السيدة (في الخامس من أيار سنة ١١٩٢ في مدينة صور) وقيل ان غالبية الشعب ونخبة الناس في المملكة اقسموا متعهدين أنهم سيجعلون ذويه ، أي أبناءه سادة القدس وملوكها ، وكان هؤلاء الذين تعهدوا بهذا للكونت هنري ممن لم يتفاهم مع الماركيز ، ولم يرغبوا به ولابذريته .

وكان البيازنة الذين أقاموا في صور قد اشتكوا من الماركيز ، فقد كانوا قد اقرضوه أموالهم لشراء جزيرة قبرص ، لكن الماركيز لم يسدد لهم المال الذي استلفه منهم ، فما كان منهم الا أن بعثوا برسول خاص من قبلهم الى الملك غي ليأتي الى المملكة ليسلموه صور ، غير ان الملك رتشارد فاجأه ، لأن اغتيال الماركيز وقع يوم الثلاثاء ، وفي يوم الخميس تزوجت ايزابيل من الكونت ، وبناء عليه بعث الملك رتشارد رسولا الى الملك غي ليحضره اليه ، ولكن الملك غي أعلم الرسول بتمنعه من الاستجابة والذهاب معه .

-٣٩٤٦-

كيف أغاث ملك انكلترا يافا التي هـاجمها صـلاح الدين وكاد ان يحتلها :

علم صلاح الدين أن الملك رتشارد قد سافر من يافا ووصـل الى عكا ، فما كان منه الا أن حشد قواته وحاصر يافا ، ونصب أمامها المجانيق وأخذ يقذفها ، وركز رمـاياته على القلعـة حتـى أن الذين كانوا في داخلها لم يعرفوا الراحة ليلا ولانهارا .

وذكر أنه تعاون تعاونا تاما مع مقدم الحشيشية حتى يرسل بعض رجاله للفتك بملك فرنسا ، ولاندري مدى صحة هذا الخبر ، المهم أن ملك فرنسا قد اطلع على هذا الامر ، فما كان منه بعدما سمع بهذا الخبر حتى شدد الحراسة حول نفسه ، ولزمن طويل لم يسمح لرجل غريب أو أجنبي من الاقتراب منه .

ووجه اخرون الاتهام واللوم الى الملك غي للاهانة التي وجهت اليه عندما جاء ومعه الملكة سيبل من طرابلس ، ووقفا امام مدينة صور فمنعهما الماركيز من الدخول اليها

وعندما تأكد ملك انكلترا من صحة خبر وفاة الماركيز ، استدعى بارونات مملكة القدس للتشاور معهم بشأن مدينة صور واصطحب معه الكونت هنري ليزوجه من ايزابيل أرملة الماركيز ، وبعدما فاتحه الملك رتشارد بهذا الموضوع قال له الكونت :« ان السيدة هذه التي تريد ان تزوجني منها حامل من الماركيز ، واذا ولدت ولدا ذكرا فهو الذي سيرث المملكة ، ثم استطرد يقول : وسأكون وقتها مزعوجا من السيدة ، وأنت تعلم شخصيا السبب الذي يجعلني غير قادر على الذهاب الى شامبين ، فقال له الملك :« سأعطيك مايلزم من مساعدة للذهاب الى شامبين ، وأعدك أيضا اذا مكنني الرب من الذهاب الى انكلترا ، سأجهز جيشا أقدم على رأسه لاساعدك به على احتلال كل اجزاء المملكة واستردادها مع احتلال بلدان أخرى ايضا ، وستتوفر لدي القدرات حين أعود فأتمكن من الاستيلاء على امبراطورية القسطنطينية ، وفي ذلك ستنال مساعدة كبرى ، كما أنني سأمنحك جزيرة قبرص التي سبق واحتللتها ، ذلك أن الملك غي لم يسدد لي مجمل ثمنها ومازال مدينا لي بمبلغ اربعين الف دينار ، وانني سأطارده وسألاحقه ولن يفلت أبدا من يدي حتى يعيد الي جزيرة قبرص ».

ولهذا وافق الكونت هنري على الزواج المقترح ، واحتفل بزواجه من السيدة (في الخامس من أيار سنة ١١٩٢) وذلك في مدينة

صور) وقيل ان غالبية الشعب ونخبة الناس في المملكة أقسموا له متعهدين أنهم سيجعلون ذويه اي أبناءه سادة القدس وملوكها ، وكان هؤلاء الذين تعهدوا بهذا الكونت هنري ممن لم يتفاهم مع الماركيز ولم يرغبوا به ولا بذريته .

١٣٩ ـ وكان البيازنه الذين اقاموا في صور قد اشتكوا من الماركيز ، فقد كانوا قد أقرضوه أموالهم لشراء جزيرة قبرص ، لكن الماركيز لم يرد لهم المال الذي استلفه منهم ، فما كان منهم الا أن بعثوا برسول خاص الى الملك غي ليأتي الى المملكة ليسلموه صور .

غير ان الملك رتشارد فاجاه ، لأن قتل الماركيز وقع يوم الثلاثاء ويوم الخميس تزوجت ايزابيل من الكونت .

وعند ذلك بعثوا برسالة الى الملك رتشارد يخبروه فيها أن القلعة التي كان قد حصنها واقعة الآن تحت حصار صلاح الدين الشديد ، واستدعى الملك رتشارد الصليبيين وأعيان الرجال في عكا ، واخبرهم أن صلاح الدين قائم على حصار قلعة يافا ، واراد أن يعرف مدى رغبتهم واستعدادهم وارادتهم في تقديم المساعدة والنجدة ، فأجابوه جميعا انهم على استعداد للسير معه في سبيل خدمة مصالح المسيحيين ، ثم اتفقوا فيما بينهم على أن يذهب الملك بحرا ، ويزحف الفرسان برا ، وقد سار على رأس المقدمة هيو صاحب طبرية وبلدوين صاحب بيسان ، وسار في المؤخرة بالين دي ابلين ، ووليم صاحب طبرية ، وترامى الى مسامع المسلمين بأن الملك رتشارد قادم لنجدة يافا ، فزادوا من ضغطهم على القلعة وشددوا الهجمات عليها ، وعندما رأى المحاصرون داخل القلعة انفسهم وقد اشتد عليهم الحصار ولامخرج امامهم راسلوا صلاح الدين يعرضون عليه الاستسلام مقابل التامين على حياتهم .

وكان صلاح الدين قد علم من مخبريه أن المسيحيين قادمين لنجدة يافا ، فشدد حصاره على القلعة وزاد ضغطه عليها حتى يستولي عليها قبل وصول المسيحيين ، وفيما هذا يحدث في يافا كان الملك رتشارد قد غادر عكا مساء ومعه سفنه فوصل الى يافا عند الفجر ، وعندما وصل الى المرفأ سمع صراخ الناس وضجة عظيمة ، فسأل رجلا كان واقفا فوق السور عما يجري ، فأجابه هذا الرجل : ان المسلمين قد استولوا على القلعة واقتادوا المسيحيين

الى السجون ، فاقسم يمينا بحق القديس جاك بأنه لن يسمح بذلك ، فما كان منه الا أن لبس سلاحه وحمل سيفه بيده ونزل الى الأرض وتبعه رجاله فصعدوا جميعا الى القلعة ، فأنجدوا المسيحيين ، وهكذا حافظ جيدا على قسمه .

وبناء عليه بعث الملك رتشارد رسولا الى الملك غي ليحضره اليه ، ولكن الملك غي أعلم الرسول برفضه الاستجابة والذهاب معه .

وعلم صلاح الدين أن الملك رتشارد قد سافر من يافا ووصل الى عكا ، فما كان منه الا ان حشد قواته وحاصر يافا ، ونصب امامها المجانيق وشرع يقذفها ، وقد ركز رماياته على القلعة حتى أن الذين كانوا في داخلها لم يعرفوا الراحة ليلا ولانهارا .

وعند ذلك بعثوا برسالة الى الملك رتشارد يخبروه فيها أن القلعة التي كان قد حصنها واقعة الآن تحت الحصار ، من قبل صلاح الدين ، وهو حصار شديد جدا ، ودعا الملك رتشارد الى اجتماع عام لأعيان عكا ، وأراد أن يعلم عن مدى استعدادهم للسير معه وتقديم المساعدة له خدمة لمصالح المسيحيين ، فأجابوا جميعا بالموافقة على السير معه خدمة لمصالح المسيحيين ، ثم اتفقوا فيما بينهم أن يسافر الملك بحرا ، ويزحف في الوقت نفسه الفرسان برا ، وقد سار على رأس المقدمة هيو صاحب طبرية وبلدوين صاحب بيسان ، وسار في المؤخرة بالين دي ابلين ووليم صاحب طبرية ، وترامى الى مسامع المسلمين أن الملك رتشارد قادم لنجدة يافا ، فزادوا من ضغطهم على القلعة وشددوا الهجمات عليها ، وعندما رأى المحاصرون في القلعة انفسهم وقد اشتد عليهم الحصار ، ولامخرج أمامهم راسلوا صلاح الدين يعرضون عليه الاستسلام مقابل التامين على حياتهم ، وكان الذي فاوض صلاح الدين باسمهم راندولف أسقف بيت لحم وشخص آخر اسمه اوبري دي رايذس .

وكان الملك رتشارد قد غادر عكا مساء ، واقلع ومعه سفنه فوصل الى يافا عند الفجر ، وكان رجال صلاح الدين قد دخلوا القلعة وانتشر رجال المسلمين في المدينة ، وثارت هناك جلبة كبيرة وضجة وعمت الفوضى ، وعندما وصل الملك رتشارد الى ميناء يافا ، وسمع

الصراخ ، سأل رجلا كان واقفا فوق السور عما يجري ، فأجابه هذا الرجل ان المسلمين قد استولوا على القلعة ، واقتادوا المسيحيين الى السجون فبادر الى حمل سلاحه وأقسم بأنه لن يسمح بسقوط القلعة ، وشهر سيفه ونزل الى اليابسة . ولحق به رجاله ، فصعدوا جميعا الى القلعة ، فأسعفوا المسيحيين واستنقذوا الأسرى ، وبذلك حافظ الملك على قسمه .

أمر الملك ركاب السفن بأن يضعوا أشجارا وأوتادا وحواجز أمام القلعة لصد هجمات المسلمين ، ونفذت أوامره تنفيذا كاملا ، وهاجم المسلمون رجالنا حتى اشتبكوا معهم بالأيدي داخل ساحة القلعة ، ودافع المسيحيون عن أنفسهم بشدة وقوة ، وكان عندما يدخل المسلمون من جهة يخرجهم المسيحيون بالقوة من جهة أخرى ، وقاتل الملك بكل شجاعة ، وكسر في يده السيف ، فدافع عن نفسه بسيف آخر ، وظل يقاتل حتى حقق هدفه ، وآنذاك ألقى ما عليه من سلاح الى الأرض .

وعاد المسلمون الى مواقعهم ، واثر ذلك سألهم صلاح الدين فيما اذا كانوا قد استولوا على القلعة ، فأجابه هؤلاء : ان ملك انكلترا قد وصل وأغاثهم ، وهنا سأل سيف الدين أخو صلاح الدين : وأين هو الملك ، وأين هو واقف ؟ فأشار له أحدهم وأوضح أنه واقف وسط رجاله على هضبة هناك ، وعند ذلك قال سيف الدين : هذا شيء مستحيل ، ومن غير المعقول أن يكون الملك واقف على قدميه بين رجاله ، فما كان منه الا أن أمر باسراج حصان ولجمه بمقود ، ثم أرسله مع أحد الجنود ، وكلفه ان يقول للملك : انه شيء غير مناسب ان يحارب الملك واقفا على قدميه ، ولاحظ الملك الخدعة ، وأدرك أن الحصان فيه شرك للايقاع به وأسره ، فما كان منه الا أن أعاده الى الرسول وقال له :« شكرا لمولاك لارساله الحصان ، وقل له انه لم يرسل هذا الحصان لمحبة بيني وبينه ، ولكنه أرسله من أجل هلاكي » وعاد الرسول وقاد الحصان

الى سيده وقال له : ان الملك قد اكتشف الخدعة ، وخجل سيف الدين ، ثم عاد وأرسل له حصانا آخر مع الرسول نفسه الذي كان قد قاد اليه الحصان الاول ، وامتطى الملك صهوة الحصان ، وكان سلاحه عجيبا ، وفي اليوم التالي وصل الجيش والفرسان الى يافا ، وحارب صلاح الدين بشدة ومداومة ، وقد تألم كثيرا لسوء المعاملة التي تلقاها راندولف اسقف بيت لحم ، وأوبري دي رايذس اللذان ماتا في السجن .

١٤٠ ـ أمر الملك ركاب السفن بأن يضعوا أشجارا وأوتادا وحواجز أمام القلعة لصد هجمات المسلمين ، ونفذت أوامره تنفيذا كاملا ، وهاجم المسلمون رجالنا حتى اشتبكوا معهم بالايدي داخل ساحة القلعة ، ودافع المسيحيون عن أنفسهم بشدة وقوة ، وكان عندما يدخل المسلمون من جهة يخرجهم المسيحيون بالقوة من جهة أخرى ، وقاتل الملك بكل شجاعة ، وكسر في يده سيفه ، فدافع عن نفسه بسيف آخر ، وظل يقاتل حتى حقق هدفه ، وانذاك ألقى ماعليه من سلاح الى الارض .

وعاد المسلمون الى مواقعهم ، واثر ذلك سألهم صلاح الدين فيما اذا كانوا قد استولوا على القلعة ، فأجابه هؤلاء : ان ملك انكلترا قد وصل وأغاثهم ، وهنا سأل سيف الدين أخو صلاح الدين : وأين هو الملك ، وأين هو واقف؟ فأشار له أحدهم وأوضح أنه واقف وسط رجاله على هضبة هناك ، وعند ذلك قال سيف الدين : هذا شيء مستحيل ، ومن غير المعقول ان يكون الملك واقف على قدميه بين رجاله فما كان منه الا أن أمر باسراج حصان ولجمه بمقود ، ثم أرسله مع أحد الجنود ، وكلفه أن يقول للملك : انه شيء غير مناسب أن يحارب الملك واقفا على قدميه ، ولاحظ الملك الخدعة ، وأدرك أن الحصان فيه شرك للايقاع به وأسره ، فما كان منه الا أن أعاده الى الرسول وقال له :« شكرا لمولاك لارساله الحصان ، وقل له إنه لم يرسل هذا الحصان لمحبة بيني وبينه ، ولكنه أرسله من أجل هلاكي » وعاد الرسول وقاد الحصان الى سيده وقال له : ان الملك قد اكتشف الخدعة ، وخجل سيف الدين ، ثم عاد وأرسل له حصانا آخر مع الرسول نفسه الذي كان قد قاد اليه الحصان الاول ، وامتطى الملك صهوة الحصان ، وكان سلاحه عجيبا ، وفي اليوم التالي وصل الجيش والفرسان الى يافا وحارب صلاح الدين بشدة ومداومة ، وقد تألم كثيرا لسوء المعاملة التي تلقاها راندولف أسقف بيت لحم ، وأوبري دي رايذس اللذان ماتا في السجن .

١٤١ ـ وبعدما وصل الملك والجيش الى يافا لانجادها نشب

خلاف حاد جدا بين صلاح الدين وأمراء جيشه ، ولم يلاحظ رجالنا ذلك ، حتى انسحب المسلمون من أمام يافا ، وذهبوا للتمركز بين اللد ورام الله ، وذهب الملك وجنوده للاقامة في قلعة السهول (قرب يازور) وسمع صلاح الدين أن الملك يلاحقه ، وفي الوقت نفسه ارتاب صلاح الدين بأخيه سيف الدين وببقية الأمراء ، لذلك لم يقم في معسكره ولم ينتظر وصول الملك بل توجه الى سورية الجافة حتى يقوم بتحصين قلعتي الكرك والشوبك ، اللتان كان قد استولى عليهما منذ زمن قريب .

الملك رتشارد يستولي على قافلة اسلامية ثرية :

بعدما وصل الملك والجيش الى يافا لانجادها نشب خلاف حاد جدا بين صلاح الدين وأمراء جيشه ، ولم يلاحظ رجالنا ذلك ، حتى انسحب المسلمون من أمام يافا ، وذهبوا للتمركز بين اللد ورام الله ، وذهب الملك وجنوده للاقامة في قلعة السهول (قرب يازور) وسمع صلاح الدين أن الملك يلاحقه ، وفي الوقت نفسه ارتاب صلاح الدين بأخيه سيف الدين وببقية الأمراء ، لذلك لم يقم في معسكره ولم ينتظر وصول الملك ، بل توجه الى سورية الجافة حتى يقوم بتحصين قلعتي الكرك والشوبك ، اللتان كان قد استولى عليهما منذ زمن قريب .

وذهب الملك وجنوده ليتمركزوا قرب قلعة الفرسان الداوية في النطرون وهناك وصل اليه اثنان من البدو ، وأخذا من الملك الامان والثقة ، واقسما له يمينا تعهدا به بأنهما سيخدماه باخلاص وسيطلعاه على كمائن جيش صلاح الدين ، وعن كل مايدور حول صلاح الدين وجميع أهل البلاد وسمع عدد من مماليك أمراء صلاح الدين الاحاديث التي راجت حول كرم الملك وسماحته وحسناته ، فصار كل من غضب من مولاه يفر اليه هاربا ، ويلتحق به ويصبح تحت حماية ملك انكلترا ، وتزايد عدد هؤلاء المماليك حتى

وصل الى ثلاثمائة مملوك ، ويذكر انه عندما غادر الملك سورية عائدا الى بلاد ماوراء البحار اصطحب معه من هؤلاء المماليك مائة وعشرين مملوكا .

وتجسس البدويان لصالح الملك وراقبا الطرق فاطلعا على خبر قافلة كبيرة وغنية كانت قادمة من مصر الى دمشق ، فتوجها الى الملك وأطلعاه على خبر هذه القافلة الكبيرة التي ستعبر قريبا من هناك ، وهي قد قدمت من مصر تريد دمشق للشعور بالأمان وأن صلاح الدين قد استولى على يافا وأن القوات المسلمة مسيطرة على المنطقة ، ثم ان ملك فرنسا والفرنسيين كانوا قد عادوا الى بلادهم منذ زمن طويل ، ولم يكن لدى الملك رتشارد عدد كبير من الرجال حتى يضطروا الى العبور في الممرات الجبلية ، وكانوا مطلعين اطلاعا جيدا على الخلافات الحاصلة في معسكر صلاح الدين ويعرفون واقع حال الملك رتشارد ، وأرسل اليهم صلاح الدين اربعين رجلا مسلحا حتى يقودوهم الى الغور .

وطلب الملك رتشارد من البدويين اللذان نقلا له هذا الخبر أن يتوليا مراقبة القافلة والتعرف من أي الممرات يمكن أن تمر بسهولة ، فأخبراه أنهما يعملان بجد ويبذلان كل مابوسعهما حتى يمكناه من الاستيلاء على القافلة ، ولم يشك الملك بهما أبدا ، وقد أغرقهما بالهدايا الكثيرة ، ومنحهما عددا وافرا من قطع النقود الذهبية ، وسافر هذان البدويان وهما يتباهيان بالهدايا والنقود التي منحها لهما الملك ، ولهذا بذل البداة الآخرون غاية جهودهم لمراقبة حركات القافلة مع تحركات أهالي البلاد لاطلاع الملك عليها ، وبذلك بات الملك على اطلاع ومعرفة بجميع حركات اهالي البلاد .

وراقب البدويان سير القافلة حتى وصلت الى مكان قريب من مكان اقامة الملك ، وعندما أطلعاه على الخبر غمرهما بالهدايا والاعطيات ، وما أن تأكد من أن القافلة قد باتت قريبة منه حتى

تسلح هو وفرسانه وسيرجانتيته بالاسلحة الخفيفة ، ولم يصطحب معه أحدا من الجنود العاديين ، بل كانوا جميعا من الكونتات وكبار القادة ، وهؤلاء أيضا تسلحوا بالاسلحة الخفيفة ، وفيما بعد فقد الفرسان والسرجانتية خيولهم من جراء ما عانوه أثناء الحملة ومع ذلك ، بفضل الحرب تساعدوا على الاقدام ومعروف أنه في تلك الايام عندما كان الفارس يحمل سلاحا محدودا وثقيلا ، كان عندما يسقط عن حصانه لا يمكن لأحد مساعدته .

وتحرك الملك واتباعه من مكان تمركزهم مساء ، وساروا طوال الليل حتى وصلوا عند انبلاج الفجر الى موقع « الصهريج الاحمر » فوجدوا هناك القافلة ومن فيها معسكرين ، وانقضوا عليها وعلى من فيها بسلاحهم ، ودافع رجال القافلة عن أنفسهم لكنهم لم ينجحوا ، فقد غلبهم الملك واستولى على القافلة وعلى ما كان فيها ، ويروى أن عددا كبيرا من المسلمين لا يقل عن الف ومائتي رجلا لاقوا حتفهم ، واقتاد الملك القافلة الى يافا ، وعاد ومعه اتباعه بسلام وفقد المسيحيون ستين رجلا ، ومع هذا لم يحقق المسيحيون قط مثل هذا النصر ، ولم يحصلوا أبدا على مثل هذه المرابح ، وبعدما رجع الملك الى يافا أعطى مما ربحه من القافلة الى الفرسان والسيرجانتية ، واحتفظ لنفسه بمبلغ كبير من المال.

ثم غادر الملك يافا وتوجه الى عسقلان ليزيد من تحصيناتها ، ثم قصد غزة ففعل الشيء نفسه وأعادها الى فرسان الداوية ، ثم قصد الداروم فحصنها ، وعندما رأى صلاح الدين أن الملك رتشارد قد ضاعف قوته وزاد نشاطه ، جمع قواته وجاء ليقوم بحصار الداروم ، وكان في ذلك الحين بامكان الملك رتشارد مجابهة صلاح الدين على أرض المعركة . وحدث أنه .....

ونهب الملك وجنوده ليتمركزوا قرب قلعة الفرسان الداوية في النطرون وهناك وصل اليه إثنان من البدو ، واخذا من الملك الأمان والثقة ، واقسما له يمينا تعهدا به بأنهما سيخدماه باخلاص وسيطلعاه على كمائن جيش صلاح الدين ، وعن كل ما يدور حول صلاح الدين وجميع أهل البلاد ، وسمع عدد من مماليك أمراء صلاح الدين الاحاديث التي راجت حول كرم الملك وسماحته وحسناته ، فصار كل من غضب من مولاه يفر اليه هاربا ، ويلتحق به ويصبح تحت حماية ملك انكلترا ، وتزايد عدد هؤلاء المماليك حتى وصل الى ثلاثمائة مملوك ، ويذكر أنه عندما غادر الملك سورية عائدا الى بلاد ما وراء البحار اصطحب معه من هؤلاء المماليك مائة وعشرين مملوكا .

وتجسس البدويان لصالح الملك وراقبا الطرق فاطلعا على خبر قافلة كبيرة وغنية كانت قادمة من مصر الى دمشق ، فتوجها الى الملك وأطلعاه على خبر هذه القافلة الكبيرة التي ستعبر قريبا من هناك ، وهي قد قدمت من مصر تريد دمشق للشعور بالامان وأن صلاح قد استولى على يافا وأن القوات المسلمة مسيطرة على المنطقة ، ثم إن ملك فرنسا والفرنسيين كانوا قد عادوا الى بلادهم منذ زمن طويل ، ولم يكن لدى الملك رتشارد عدد كبير من الرجال حتى يضطروا الى العبور في الممرات الجبلية ، وكانوا مطلعين اطلاعا جيدا على الخلافات الحاصلة في معسكر صلاح الدين ويعرفون واقع حال الملك رتشارد ، وأرسل اليهم صلاح الدين أربعين رجلا مسلحا حتى يقودوهم الى الغور .

وطلب الملك رتشارد من البدويين اللذان نقلا له هذا الخبر أن يتوليا مراقبة القافلة والتعرف من أي الممرات يمكن أن تمر بسهولة ، فأخبراه انهما يعملان بجد ويبذلان كل ما بوسعهما حتى يمكناه من الاستيلاء على القافلة ، ولم يشك الملك بهما ابدا ، وقد أغرقهما بالهدايا الكثيرة ومنحهما عددا وافرا من قطع النقود الذهبية وسافر هذان البدويان وهما يتباهيان بالهدايا والنقود التي

منحها لهما الملك ، ولهذا بذل البداة الآخرون غاية جهودهم لمراقبة حركات القافلة مع تحركات أهالي البلاد لاطلاع الملك عليها ، وبذلك بات الملك على اطلاع ومعرفة بجميع حركات أهالي البلاد .

وراقب البدويان سير القافلة حتى وصلت الى مكان قريب من مكان اقامته وعندما أطلعاه على الخبر غمرهما بالهدايا والاعطيات ،و ما إن تأكد من أن القافلة باتت قريبة منه حتى تسلح هو وفرسانه وسيرجانتيته بالأسلحة الخفيفة ، ولم يصطحب معه أحدا من الجنود العاديين ، بل كانوا جميعا من الكونتات وكبار القادة ، وهؤلاء أيضا تسلحوا بالأسلحة الخفيفة ، وفيما بعد فقد الفرسان والسيرجانتية خيولهم من جراء ما عانوه أثناء هذه الحملة ، ومع ذلك بفضل الرب تساعدوا على الاقدام ، ومعروف أنه في تلك الأيام عندما كان الفارس يحمل سلاحا محدودا وثقيلا ، كان عندما يسقط عن حصانه لا يمكن لأحد مساعدته .

وتحرك الملك وأتباعه من مكان تمركزهم مساء ، وساروا طوال الليل حتى وصلوا عند انبلاج الفجر الى موقع « الصهريج الاحمر » فوجدوا هناك القافلة ومن فيها معسكرين ، وانقضوا عليها وعلى من فيها بسلاحهم ، ودافع رجال القافلة عن أنفسهم لكنهم لم ينجحوا ، فقد غلبهم الملك واستولى على القافلة وعلى ما كان فيها ، ويروى أن عددا كبيرا من المسلمين لا يقل عن ألف ومائتي رجلا لاقوا حتفهم ، واقتاد الملك القافلة الى يافا ، وعاد ومعه اتباعه بسلام ، وفقد المسيحيون ستين .

وجده في مكان فسيح فتحارب معه ومع جنوده وتمكن من الحاق الهزيمة به وبهم ، وبات المسلمون يخشون الآن من أن يتمكن الانكليز وملكهم من الاستيلاء على جميع المملكة ، وعظمت شهرة الملك رتشارد ، وصار اسمه يخيف المسلمين الى حد انه عندما كان طفل منهم يبكي كانت أمه تخيفه وتسكته باسم الملك رتشارد بأن تقول له « اخرس قبل ان يسمعك ملك انكلترا » ، وعندما يكون واحد من المسلمين يطوف على ظهر حصانه ، فيحرن ويتمنع من الحركة فيقول له : « مالك أتعتقد أن ملك انكلترا موجود في هذه الغابة »؟ واذا ما أراد أحد الجنود سقاية فرسه ، والفرس ترفض الشرب من الحوض فيقول لها : « مالك أتظنين أن ملك انكلترا موجود في الماء ».

كيف أراد صلاح الدين عقد هدنة مع الملك رتشارد ، لكنه رفض :

ولم يلبث صلاح الدين طويلا حتى بعث الى الملك رتشارد يسأله فيما اذا كان يريد العودة الى بلاده ، فإذا ما رغب بذلك انه على استعداد لعقد هدنة معه ، وأن يعيد اليه شطرا من المملكة التي استولى عليها وانتزعها من المسيحيين ، وأقدم صلاح الدين على تقديم هذا العرض لخشيته من أخيه سيف الدين ، لأن الملك رتشارد وعده أنه اذا أصبح مسيحيا سيزوجه أخته التي كانت ملكة صقلية ، وخاف صلاح الدين أنه اذا ما تم هذا الزواج فسيخسر كل فتوحاته وجميع البلاد التي استولى عليها ، وكان صلاح الدين حين قدم عرضه للملك رتشارد على استعداد للقبول بمنحه نصف مملكة القدس أو أكثر ، لكن الملك رفض هذا العرض وأخبر رجال الوفد الذين بعثهم صلاح الدين : إنه يريد مملكة القدس بأكملها ويريد أيضا كل ما انتزعه نور الدين من المسيحيين واستولى عليه في أيام الملك عموري ، وأنه اذا لم يشأ صلاح الدين أن يعيد اليه كل ما

يطلبه ، فإنه سيذهب للاقامة في مصر ، لا بل هو ذاهب الى هناك ، وسيرى من الذي سيدافع عن مصر *

وفي تلك الاثناء جاء الملك غي الى عكا وذلك بناء على طلب من الملك رتشارد ، ولم يجد الملك غي الملك رتشارد هناك ، لذلك أراد العودة الى قبرص ، غير أن الكونت هنري الذي كان يعرف سبب استدعائه ، طلب منه الانتظار ، وعلم الملك غي لماذا استدعاه الملك رتشارد ، فخاف الآن أنه إذا ما قال للكونت أنه لن ينتظره ، سيقدم على اعتقاله ، لذلك قال له إنه سيذهب إلى يافا حيث الملك رتشارد ، وذلك ليسمع أوامره وليمتثل لارادته ، فقال له : أنه سيرسل معه اثنين أو ثلاثة من رجاله على ظهر السفينة نفسها ، وفعل الكونت هذا ليحول بينه وبين الهرب ، لكن الملك غي تحدث الى البيازنة ـ أصحاب السفينة ـ ووعدهم بمنح كبيرة وكثيرة وبامتيازات هائلة في قبرص ، فهو سيحكمهم ب « أيوبرت ماريا » وسيجعلهم يحلون محله في حكم قبرص عندما يكون مسافرا في البحر ، واهتمم البيازية ب « أيوبرت » وهكذا أقسموا يمينا تعهدوا فيه باطاعة الملك غي عندما يكون خارج عكا .

وأقلع الملك غي من عكا ، وسافر معه على ظهر السفينة نفسها اثنان من فرسان الكونت وذلك بناء على توجيهه ، وعندما اقتربت السفينة من قبرص وجد هناك مركبا فأنزل اليه فارسي الكونت وقال لهما : أبلغا تحياتي الكونت وقولا له بأنني لاأستطيع الذهاب الى يافا ، وعاد الفارسان الى عكا ، ونزل الملك غي في قبرص ، وهنا لاتسألوا عن الكونت هنري وعن مدى ماشعر به من غضب نتيجة لما قام به الملك غي ، وماحاكه من خديعة .

....رجلا ، ومع هذا لم يحقق المسيحيون قط مثل هذا النصر ، ولم يحصلوا ابدا على مثل هذه المرابح ، وبعدما رجع الملك الى يافا أعطى مما ربحه من القافلة الى الفرسان والسيرجانتية ، واحتفظ لنفسه بمبلغ كبير من المال .

ثم سافر الملك من يافا الى عسقلان حتى تولى تحصينها ، ثم قصد غزة ففعل الشيء نفسه ثم أعادها الى فرسان الداوية ، وبعد هذا قصد الداروم فحصنها ، وعندما رأى صلاح الدين أن الملك رتشارد قد ضاعف قوته وزاد من نشاطه ، جمع قواته وجاء ليقوم بحصار الداروم ، وكان في ذلك الحين بامكان الملك رتشارد مجابهة صلاح الدين على أرض المعركة ، وحدث أنه وجده في مكان فسيح فتحارب معه ومع جنوده وتمكن من الحاق الهزيمة به وبهم ، وبات المسلمون يخشون الآن من أن يتمكن الانكليز وملكهم من الاستيلا على جميع المملكة ، وعظمت شهرة الملك رتشارد ، وصار اسمه يخيف المسلمين الى حد أنه عندما كان طفل منهم يبكي كانت امه تخيفه وتسكته باسم الملك رتشارد بأن تقول له : « اخرس قبل أن يسمعك ملك انكلترا » وعندما يكون واحد من المسلمين يطوف على ظهر حصانه ، فيحرن ويمتنع من الحركة فيقول له :«مالك اتعتقد أن ملك انكلترا موجود في هذه الغابة»؟ واذا ما أراد أحد الجنود سقاية فرسه والفرس ترفض الشرب من الحوض فيقول لها : « مالك اتظنين أن ملك انكلترا موجود في الماء ».

١٤٢ _ ولم يلبث صلاح الدين طويلا حتى بعث الى الملك رتشارد يسأله فيما اذا كان يريد العودة الى بلاده ، فإذا ما رغب بذلك فانه على استعداد لعقد هدنة معه ، وأن يعيد اليه شطرا من المملكة التي استولى عليها وانتزعها من المسيحيين ، وأقدم صلاح الدين على تقديم هذا العرض لخشيته من أخيه سيف الدين ، لأن الملك رتشارد وعده انه إذا أصبح مسيحيا سيزوجه أخته التي كانت ملكة صقلية ، وخاف صلاح الدين انه اذا ما تم هذا الزواج فسيخسر كل فتوحاته وجميع البلاد التي استولى عليها ، وكان صلاح الدين حين

قدم عرضه للملك رتشارد على استعداد للقبول بمنحة نصف مملكة القدس أو أكثر ، لكن الملك رفض هذا العرض وأخبر رجال الوفد الذين بعثهم صلاح الدين انه يريد مملكة القدس بأكملها ويريد أيضا كل ماانتزعه نور الدين من المسيحيين واستولى عليه في أيام الملك عموري ، وأنه إذا لم يشأ صلاح الدين أن يعيد اليه كل ما يطلبه ، فإنه سيذهب للاقامة في مصر ، لا بل هو ذاهب الى هناك ، وسيرى من الذي سيدافع عن مصر ، أو يدفعه عنها .

وفي تلك الأثناء جاء الملك غي الى عكا وذلك بناء على طلب من الملك رتشارد ، ولم يجد الملك غي الملك رتشارد هناك ، لذلك أراد العودة الى قبرص ، غير أن الكونت هنري الذي كان يعرف سبب استدعائه ، طلب منه الانتظار ، وعلم الملك غي لماذا استدعاه الملك رتشارد ، فخاف الآن أنه اذا ما قال للكونت إنه لن ينتظره ، سيقدم على اعتقاله ، لذلك قال له أنه سيذهب الى يافا حيث الملك رتشارد ، وذلك ليسمع أوامره وليمتثل لارادته ، فقال له أنه سيرسل معه اثنين أو ثلاثة من رجاله على ظهر السفينة نفسها ، وفعل الكونت هذا ليحول بينه وبين الهرب ، لكن الملك غي تحدث الى البيازنة اصحاب السفينة ، ووعدهم بمنح كبيرة وكثيرة وبامتيازات هائلة في قبرص ، فهو سيحكمهم ب « أيوبرت ماريا » وسيجعلهم يحلون محلة في حكم قبرص عندما يكون مسافرا في البحر ، واهتم البيازنة ب « أيوبرت ماريا » وهكذا أقسموا يمينا تعهدوا فيه باطاعة الملك غي عندما يكون خارج عكا .

- ٣٩٦٣ -

كيف عقد الملك رتشارد الهدنة مع صلاح الدين :

ووصلت رسائل ورسل الى الملك رتشارد أخبرته ان ملك فرنسا قد استولى على كل أراضيه وممتلكاته في فرنسا ، كما وقام أخوه يوحنا بانكلترا بالاستيلاء على جميع المدن والقلاع ، وأقسمت المملكة يمين الولاء له ، وعندما سمع بهذه الأخبار لم يكن مسرورا أبدا ، لهذا بادر بمراسلة صلاح الدين يعرض عليه التفاوض من أجل الهدنة ، لكن صلاح الدين أجابه أنه على غير استعداد لعقد الهدنة معه ، لأنه عندما قدم له مثل هذا العرض بالتهاون رفض ، وبعث رتشارد وفدا جديدا الى صلاح الدين ، وكان فيه بالين دي ابلين ، وقد طلب الملك من بالين أن يبذل جهده لعقد هدنة مع صلاح الدين ، وأخبر صلاح الدين بالين أنه لن يبرم اي هدنة مالم يتخل له الملك عن : غزة ، وعسقلان ، والداوم ، ويافا ، ذلك أن جواسيسه أطلعوه على الأخبار التي تلقاها الملك من بلاد ماوراء البحار ، وعاد بالين الى الملك وأخبره بما وجده عند صلاح الدين ، وغضب الملك لهذا السبب ، فهو كان على بينة بضعف أحوال سكان المملكة ، ولم يرغب بالذهاب بدون عقد هدنة ، لذلك أمر بالين بالذهاب ثانية الى صلاح الدين وليحاول أن يستثني يافا من الاعادة ، وذهب بالين وتمكن أخيرا من عقد هدنة مع صلاح الدين على أساس اعادة ، غزة وعسقلان والداروم انما بشرط الا يسكن أحد من المسلمين في عسقلان بل تهدم ، وبقيت يافا للمسيحيين ، وشملت الهدنة : قيسارية وأرسوف وحيفا ، وتنازل الملك عن عسقلان والمدن الأخرى ، واستدعى الملك الكونت وأعلمه أن مدة الهدنة عشر سنوات ، وأنه تنازل عن عسقلان وطلب منه أن يقسم على التمسك بالهدنة وهذا مافعل ، وهنا قال له الملك : « انه من الضروري بالنسبة لي أن أسافر ، وتأكد أنه اذا منحني الرب الحياة سأعود وأحضر لك رجالا استرد بهم لك عسقلان وجميع أجزاء المملكة وسأتوجك ملكا في القدس » ثم إنه شحن يافا بالرجال والعتاد والمؤن والسلاح ، ثم رافق الملك وعاد معه الى عكا .

وتحدث الملك غي الى البيازنة ـ أصحاب السفينة ـ ووعدهم بمنح وافرة وكثيرة وبامتيازات هائلة في قبرص ، فهو سيحكمهم ب « أيوبرت ماريا » وسيجعلهم يحلون محله في حكم قبرص عندما يكون مسافرا في البحر ، واهتم البيازنة ب « أيوبرت ماريا » وهكذا أقسموا يمينا تعهدوا فيه بطاعة الملك غي عندما يكون خارج عكا .

واقلع الملك غي من عكا ، وسافر معه على ظهر السفينة نفسها اثنان من فرسان الكونت وذلك بناء على توجيهه ، وعندما اقتربت السفينة من قبرص وجد هناك مركبا فأنزل اليه فارسي الكونت وقال لهما : أبلغا تحياتي الكونت وقولا له بأنني لا أستطيع الذهاب الى يافا ، وعاد الفارسان الى عكا ، ونزل الملك غي في قبرص ، وهنا لاتسألوا عن الكونت هنري وعن مدى ماشعر به من غضب نتيجة لما قام به الملك غي ، وما حاكه من خديعة .

١٤٣ ـ ووصلت رسائل ورسل الى الملك رتشارد وأخبرته أن ملك فرنسا قد استولى على كل أراضيه وممتلكاته في فرنسا ، كما وقام أخوه يوحنا بانكلترا بالاستيلاء على جميع المدن والقلاع ، واقسمت المملكة يمين الولاء له ، وعندما سمع بهذه الأخبار لم يكن مسرورا أبدا ، لهذا بادر بمراسلة صلاح الدين يعرض عليه التفاوض من أجل الهدنة ، لكن صلاح الدين أجابه أنه على غير استعداد لعقد الهدنة معه ، لانه عندما قدم له مثل هذا العرض بالتهادن رفض ، وبعث الملك رتشارد وفدا جديدا الى صلاح الدين ، وكان فيه بالين دي ابلين وقد طلب الملك من بالين أن يبذل جهده لعقد هدنة مع صلاح الدين ، وأخبر صلاح الدين بالين أنه لن يبرم أي هدنة مالم يتخل له الملك عن : غزة ، وعسقلان ، والداروم ويافا ذلك أن جوا سيسه أطلعوه على الأخبار التي تلقاها الملك من بلاد ماوراء البحار ، وعاد بالين الى الملك وأخبره بما وجده عند صلاح الدين ، وغضب الملك لهذا السبب ، فهو كان على بينة بضعف أحوال سكان المملكة ، ولم يرغب بالذهاب بدون عقد هدنة ، لذلك

أمر بالين بالذهاب ثانية الى صلاح الدين وليحاول أن يستثني يافا من الاعادة ، وذهب بالين وتمكن أخيرا من عقد الهدنة مع صلاح الدين على أساس اعادة : غزة وعسقلان والداروم انما بشرط الا يسكن أحد من المسلمين في عسقلان بل تهدم ، وبقيت يافا للمسيحيين ، وشملت الهدنة ، قيسارية وأرسوف وحيفا ، وتنازل الملك عن عسقلان والمدن الاخرى ، واستدعى الملك الكونت هنري ، وأعلمه أن مدة الهدنة عشر سنوات ، وأنه تنازل عن عسقلان وطلب منه أن يقسم على التمسك بالهدنة وهذا مافعل ، وهنا قال له الملك : « انه من الضروري بالنسبة لي أن أسافر ، وتأكد أنه اذا منحني الرب الحياة سأعود وأحضر لك رجالا استرد بهم لك عسقلان وجميع أجزاء المملكة وسأتوجك ملكا في القدس » ثم أنه شحن يافا بالرجال والعتاد والمؤن والسلاح ، ثم رافق الملك وعاد معه الى عكا وبرفقتهما أسقفها .

كيف ألقي القبض على ملك انكلترا عندما عاد الى بلاده :

بعدما حل الملك في عكا أعد شوانيه وحمل سفنه بالرجال وشحنها بالمؤن ، ثم أصعد الى السفن زوجته ، وزوجة ملك قبرص ــ وكان قد مات في سجنه ــ وكذلك ابنته ورجاله ، ثم طلب من مقدم الداوية أن يؤجره عددا من فرسانه والسيرجانتية ليرافقوه في سفره وعلل طلبه بقوله :« انني سمعت أن ملك فرنسا يراقبني وأخشى من أن يقبض علي ، وبوجود الفرسان معي يمكنني أن أتخفى كواحد منهم ، وبذلك أسافر كواحد من الفرسان الى بلادي ».

ووافق مقدم الداوية على طلبه وعمل وفق هواه ، وبعدما أكملوا الاستعدادات للسفر صعدوا الى الشواني والسفن ، وودعوا الكونت هنري وسكان البلاد ، وبعدما سافروا من عكا واصبحوا في وسط البحر ، فكر الملك بالانتقال من سفينة الى أخرى ، غير أنه وجد أنه لايستطيع القيام بذلك مالم يكن معه في السفينة قوة حراسة كافية له ، لذلك استأذن زوجته وطلب منها ومن حاشيتها الذهاب الى مرسيليا ، في حين ذهب هو والفرسان باتجاه آخر ، وعندما وصلوا الى أقويلي ، التي كانت أكبر مدينة في مدخل المانيا قريبة من بحر الاغريق ، اشتروا بعض الحاجيات ثم تابعوا طريقهم بالحال حتى وصلوا الى دوقية أوستريا (النمسا) وكان الدوق في أحدى قلاعه على مقربة منهم ، وجاء إليه فورا أحد الحراس وأخبره أن ملك انكلترا موجود في قلعته ويرغب في مقابلته اذا سمح بذلك .

وفرح الدوق بهذا الخبر فرحا كبيرا فهو يستطيع الآن أن يثأر للعار الذي لحقه في عكا ، لهذا أمر باغلاق أبواب القلعة ، وأن يحمل رجاله اسلحتهم ، ثم توجه نحو الملك حيث كان مقيما ، وصدرت أصوات مزعجة من هؤلاء الرجال الذين جاءوا لالقاء القبض على الملك ، لأنهم انفعلوا انفعالا كبيرا ، وأمام هذا

الحال يروى ان الملك دخل الى المطبخ فخلع ثيابه ، ثم ارتدى ملابس واحد من الخدم ، وتناول بعض الأطعمة ليعدها ثم أخذ يقوم بأعمال الشواء ، وجاء واحد من الحرس الى البيت وشرع يبحث عنه حتى وجده فقال له :« قف يامولاي ان الدوق يريد ان يتحدث اليك » .

وجاء رجال الدوق فساقوه امامهم حتى أوصلوه الى الدوق ، فأمر الاخير بوضعه في أحد الابراج وحراسته فيه ومعاملته بكرامة تليق بمكانته وذلك حتى يعلم الامبراطور بأمره ، وعندما علم الامبراطور بذلك اهتم كثيرا بالموضوع ، وطلب من الدوق ان يحضره اليه ، وحمله الدوق اليه ، وقام الامبراطور هنري (السادس) بالقائه بالسجن حيث بقي حتى تاريخ اخراجه منه .

وسأتحدث اليكم الآن عن اسباب العداوة التي قامت بين ملك انكلترا ودوق النمسا ، فقد حدث أنه عندما استردت عكا من المسلمين .

١٤٤ ـ وسأحدثكم الان عما حدث لملك انكلترا بعدما غادر مملكة القدس :

بعدما حل الملك في عكا أعد شوانيه وحمل سفنه بالرجال وشحنها بالمؤن ، ثم أصعد إلى السفن زوجته ، وزوجة ملك قبرص ـ وكان قد مات في سجنه ـ وكذلك ابنته ورجاله ثم طلب من مقدم الداوية أن يؤجره عددا من فرسانه والسير جانتيه ليرافقوه في سفره وعلل طلبه بقوله : « إنني سمعت أن ملك فرنسا يراقبني وأخشى من أن يقبض علي ، وبوجود الفرسان معي يمكنني أن أتخفى كواحد منهم ، وبذلك أسافر كواحد من الفرسان الى بلادي .

ووافق مقدم الداوية على طلبه وعمل وفق هواه ، وبعدما أكملوا الاستعدادات للسفر صعدوا الى الشواني والسفن ، وودعوا الكونت هنري وسكان البلاد ، وبعدما سافروا من عكا واصبحوا في وسط البحر ، فكر الملك بالانتقال من سفينة إلى أخرى ، غير أنه وجد أنه لايستطيع القيام بذلك ما لم يكن معه في السفينة قوة حراسة كافية له ، لذلك استأذن زوجته وطلب منها ومن حاشيتها الذهاب إلى مرسيليا في حين ذهب هو والفرسان باتجاه آخر ، وعندما وصلوا إلى أقويلي ، التي كانت أكبر مدينة في مدخل المانيا قريبة من بحر الاغريق ، اشتروا بعض الحاجيات ثم تابعوا طريقهم بالحال حتى وصلوا إلى دوقية أوستريا (النمسا) وكان الدوق في احدى قلاعه على مقربة منهم ، وجاء إليه فورا أحد الحراس واخبره أن ملك انكلترا موجود في قلعته ويرغب في مقابلته إذا سمح بذلك .

وفرح الدوق بهذا الخبر فرحا كبيرا فهو يستطيع الان ان يثأر العار الذي لحقه في عكا ، لهذا أمر بغلاق أبواب القلعة ، وأن يحمل رجاله أسلحتهم ، ثم توجه نحو الملك حيث كان مقيما ، وصدرت أصوات مزعجة من هؤلاء الرجال الذين جاءوا الالقاء القبض على الملك ، لأنهم انفعلوا انفعالا كبيرا ، وأمام هذا الحال يروى أن الملك دخل إلى المطبخ فخلع ثيابه ، ثم أرتدى ملابس واحد من الخدم ،

وتناول بعض الاطعمة ليعيدها ، ثم أخذ يقوم بأعمال الشواء ، وجاء واحد من الحرس إلى البيت وشرع يبحث عنه حتى وجده فقال له : « قف يامولاي إن الدوق يريد أن يتحدث اليك » .

١٤٥ وجاء رجال الدوق فساقوه أمامهم حتى أوصلوه إلى الدوق ، فأمر الاخير بوضعه في أحد الأبراج وحراسته فيه ومعاملته بكرامة تليق بمكانته وذلك حتى يعلم الامبراطور بأمره ، وعندما علم الامبراطور بذلك اهتم كثيرا بالموضوع ، وطلب من الدوق أن يحضره إليه ، وحمله الدوق إليه ، وقام الامبراطور هنري (السادس) بالقائه بالسجن حيث بقي حتى اخراجه منه ·

كان دوق النمسا مع غاليران دوق لامبروك قد دخلا الى عكا واقاما فيها ، وحينذاك جاء مارشال ملك انكلترا فهاجم مقر اقامتهما وطردهما منه بكل قسوة وعنف ، الامر الذي أزعجهما كثيرا ، ولذلك عندما واتتهما الفرصة ثار لكرامتهما ، وقد أثار هذا الحادث كثيرا من الحقد والحريب حيث هدمت ممالك عديدة من جراء ذلك .

وعندما علم ملك فرنسا أنه ألقي القبض على الملك رتشارد وأودع السجن في ألمانيا ، عمل على حماية الطرق ومراقبة المنافذ ثم جمع جنوده ودخل الى بلاد ملك انكلترا ، وقاتل هناك بشدة وشراسة ، واستولى على المدن والقلاع وبذلك توصل الى اسر كونت دي ليفاستري الذي أنابه الملك رتشارد في حكم نورماندي والدفاع عنها وعن البلاد الواقعة تحت حكمه فيما وراء البحر ، هذا ومكث الملك رتشارد زمنا طويلا في السجن ، وقد حدث هذا كله في سنة ١١٩٣ لتجسيد يسوع المسيح .

كيف اطلق سراح ملك انكلترا

بعث هذا الملك إلى انكلترا ليؤتى له بالمال حتى يتحرر من سجن

الامبراطور ، وكان قد أقسم له أن يدفع له الفدية في زمن حدده له ، وبذلك أطلق سراح الملك رتشارد ولم يتأخر الملك رتشارد في دفع الفدية فقد ساعده أصدقاؤه ورجاله مساعدة كبيرة ، وحين علم ملك فرنسا بذلك ، شدد الحراسة على طرق بلاده حتى لايدخل الملك رتشارد إليها ، وعندما وصل الملك رتشارد إلى انكلترا جمع مال فديته وقدره مائتي ألف مارك ، وأرسله إلى الامبراطور حتى يحرر شواطىء انكلترا والرهائن الذين أودعهم عنده ، وليدفذ القسم الذي تعهد به ، ويحكى أنه لم يبق كاسا أو مبخرة في الكنائس إلا وأعطاها للامبراطور مقابل فديته ، ونال الامبراطور من هذا المبلغ الجزء الاعظم واعطى جل البقية إلى الدوق ذلك أن ملك فرنسا قد نال شطرا من هذا المبلغ لأنه سمح بمرور هذا المال من أراضيه ، وبعد ذلك حشد ملك انكلترا جنوده وعبر البحر حيث تمكن من استعاده جزء من بلاده مما كان فيليب ملك فرنسا قد استولى عليه أثناء وجوده بالسجن ، وجعل من ابن عمه أوتو الذي كان ابن دوق سواسون كونت على بواتيه ، وبالوقت نفسه قاتل بشدة وعنف ضد ملك فرنسا .

وسأتحدث اليكم الان عن أسباب العداوة التي قامت بين ملك انكلترا ودوق النمسا ، فقد حدث أنه عندما استردت عكا من المسلمين كان دوق النمسا مع غاليران دوق لامبروك قد دخلوا إلى عكا واقاما فيها ، وحينذاك جاء مارشال ملك انكلترا فهاجم مقر اقامتهما وطردهما منه بكل قسوة وعنف ، الامر الذي أزعجهما كثيرا ، ولذلك عندما واتتهما الفرصة ثأرا لكرامتهما ، وقد أثار هذا الحادث كثيرا من الحقد والحروب حيث هدمت ممالك عديدة من جراء ذلك .

وعندما علم ملك فرنسا أنه القي القبض على الملك رتشارد وأودع السجن في المانيا ، عمل على حماية الطرق ومراقبة المنافذ ثم جمع جنوده ودخل إلى بلاد ملك انكلترا ، وقاتل هناك بشدة وشراسة واستولى على المدن والقلاع وبذلك توصل إلى اسر كونت دي ليفاستري الذي أنابه الملك رتشارد في حكم نورماندي والدفاع عنها وعن البلاد الواقعة تحت حكمه فيما وراء البحر ، هذا ومكث الملك رتشارد زمنا طويلا في السجن ، وقد حدث هذا كله في سنة ١١٩٣ ، لتجسيد يسوع المسيح .

١٤٦ ــ بعث هذا الملك الى انكلترا ليؤتي له بالمال حتى يتحرر من سجن الامبراطور ، وكان قد اقسم له أن يدفع له الفدية في زمن حدده له ، وبذلك أطلق سراح الملك رتشارد ولم يتأخر الملك رتشارد في دفع الفدية فقد ساعده أصدقاؤه ورجاله مساعدة كبيرة ، وحين علم ملك فرنسا بذلك ، شدد الحراسة على طرق بلاده حتى لايدخل الملك رتشارد اليها ، وعندما وصل الملك رتشارد الى انكلترا جمع مال فديته وقدره مائتي ألف مارك ، وأرسله الى الامبراطور حتى يحرر شواطىء انكلترا والرهائن الذين أودعهم عنده ، وليذفذ القسم الذي تعهد به ، ويحكى انه لم يبق كأسا أو منجزة في الكنائس الا وأعطاها للامبراطور مقابل فديته ونال الامبراطور من هذا المبلغ الجزء الأعظم وأعطى جل البقية الى الدوق ذلك أن ملك فرنسا قد نال شطرا من هذا المبلغ لأنه سمح بمرور هذا المال من أراضيه وبعد ذلك

-٣٩٧٢-
حشد ملك انكلترا جنوده وعبر البحر حيث تمكن من استعادة جـزء من بلاده مما كان فيليب ملك فرنسا قد اسـتولى عليه أثناء وجـوده بالسجن وجعل من ابن عمه أوتو الذي كان ابن دوق سوا سون كونتا على بواتيه ، وبالوقت نفسه قاتل بشدة وعنف ضد ملك فرنسا .

كيف مات الملك غي لوزنغنان ملك قبرص :

بعد سفر ملك انكلترا . علم الكونت هنري ان البيازنة استدعوا الملك غي للقدوم والاستيلاء على مدينة صور ، وقد أغضب هذا الكونت هنري المذكور ، وكان في تلك الآونة للبيازنة سلطة كبيرة في سورية ، حتى أنهم كانوا يكبدون الذين كانوا يقدمون الى سورية خاصة الجنويين خسائر عظيمة ، وكانت الشكاوى من الجنويين تصل كل يوم ضد أعمالهم هذه الى الكونت هنري ، مما دفعه الى طلب البيازنة المقيمين في عكا وقال لهم : ان ماتفعلوه في مدينة عكا هو عمل سيء جدا ، وعليكم أن تتوقفوا ومن ثم الامتناع عن هذه التصرفات ، غير أن هذا لم يفد ، بل تصرفوا ضد رغباته وتهديداته ، فغضب الكونت منهم ، وقرر طردهم ، وأمرهم باخلاء بلاده ، وهددهم أنه اذا وجد أحدا من زعمائهم في بلاده فسيمسك به من رقبته ويلقي به في السجن .

وحين فعل الكونت هنري ذلك احتج عليه ايمري لوزنغنان ــ كافل المملكة ــ أخو الملك غي وقال للكونت هنري :« انه أمر غير مقبول طرد أناس طيبين مثل البيازنة من عكا ، وغضب الكونت هنري ورد عليه بحنق قائلا :« كيف ؟ هل تريد أن تبقيهم ضد ارادتي لأنهم أرادوا أن يسلموا صور الى أخيك ؟ اعلم انك لن تفلت من يدي حتى يعيد لي أخوك قبرص ، واثر ذلك جاء اليه مقدم الفرسان الداوية مع مقدم الفرسان الاسبتارية وبارونات البلاد ولاموه على اعتقال هذا القائد الكبير الذي كان يعد من رجاله ، ويعد ايضا اعظم بارونات البلاد ، فرد عليهم الكونت مغضبا : انه لايعده واحدا من رجاله ، ولايعده ايضا قائدا كبيرا ولامن البارونات ، ولم يسلموا له وجادلوه مطولا وضغطوا عليه حتى افرج عنه وأخلى سبيله .

وبعد مضي ثلاثة أيام جاء القائد ايمري الى البلاط وأعلن للكونت عن تخليه عن وظيفته القيادية ، ثم ذهب من هناك الى قبرص حيث

منحه أخوه الملك غي ولاية يافا ، وبعد موت الملك غي تـرك يافـا ، بسبب أن أخاه جفري استدعي أولا لتسلم المملكة فرفض القدوم الى قبرص فما كان من سكان قبرص إلا أن وجدوا أنفسهم مرغمين على استدعاء أخيه ايمري لينصبوه ملكا، هذا من جانب ومن جانب آخـر أعطى الكونت هنري الوظيفة القيادية التي كان يشغلها ايمـري الى جون دي ابلين ، الذي كان اخا الملكة ايزابيل فاتفق هذا مع البيازنة واعطاهم ما يستحقونه وما يليق بمكانتهم.

١٤٧ ـ بعد سفر ملك انكلترا ، علم الكونت هنري أن البيازنة استدعوا الملك غي للقدوم والاستيلاء على مدينة صور ، وقد أغضب هذا الكونت هنري المذكور ، وكان في تلك الآونة للبيازنة سلطة كبيرة في سورية ، حتى أنهم كانوا يكبدون الذين كانوا يقدمون الى سورية خاصة الجنويين خسائر عظيمة ، وكانت الشكاوى من الجنويين تصل كل يوم ضد أعمالهم هذه الى الكونت هنري ، مما دفعه الى طلب البيازنة المقيمين في عكا وقال لهم : ان ماتفعلونه في مدينة عكا هو عمل سيء جدا ، وعليكم أن تتوقفوا ومن ثم الامتناع عن هذه التصرفات ، غير أن هذا لم يفد ، بل تصرفوا ضد رغباته وتهديداته ، فغضب الكونت منهم ، وقرر طردهم ، وأمرهم باخلاء بلاده ، وهددهم أنه اذا وجد أحدا من زعمائهم في بلاده فسيمسك به من رقبته ويلقي به في السجن .

وحين فعل الكونت هنري ذلك احتج عليه ايمري لوزنفنان ـ كافل المملكة ـ أخو الملك غي وقال للكونت هنري :« انه أمر غير مقبول طرد اناس طيبين مثل البيازنة من عكا»، وغضب الكونت هنري ورد عليه بحنق قائلا :« كيف ؟ هل تريد ان تبقيهم ضد ارادتي ، لأنهم أرادوا أن يسلموا صور الى أخيك ؟ اعلم انك لن تفلت من يدي حتى يعيد لي أخوك قبرص»، واثر ذلك جاء اليه مقدم الفرسان الداوية مع مقدم الفرسان الاسبتارية وبارونات البلاد ولاموه على اعتقال هذا القائد الكبير الذي كان يعد من رجاله ، ويعد ايضا أعظم بارونات البلاد ، فرد عليهم الكونت مغضبا : انه لايعده واحدا من رجاله ، ولايعده ايضا قائدا كبيرا ولا من البارونات ، ولم يسلموا له وجادلوه مطولا وضغطوا عليه حتى أفرج عنه وأخلى سبيله .

وبعد مضي ثلاثة أيام جاء القائد ايمري الى البلاط وأعلن للكونت عن تخليه عن وظيفته القيادية ، ثم ذهب من هناك الى قبرص ، حيث منحه أخوه الملك غي ولاية يافا ، وبعد موت الملك غي

رواية عما اقترفه هنري بحق رهبان الضريح المقدس :

في الايام التي كان الكونت هنري يحكم فيها في عكا ، مات هرقل الذي كان بطريركا للقدس ، واجتمع رهبان القبر المقدس فانتخبوا بطريركا جديدا ، وكان اسود البشره ، وكان من قبل رئيسا لاساقفة قيسارية ، وتمت عملية الانتخاب من دون اعلام الكونت ، ولهذا عندما علم بذلك غضب غضبا شديدا ، وقال : لقد جرت العادة من قبل عندما يموت بطريرك القدس يقوم الرهبان في الضريح المقدس بانتخاب اثنين ، ويرفعون اسميهما الى الكونت ليقوم باختيار واحد منهما فيكون بطريركا للقدس ، وقام الكونت هنري بالقاء القبض على رهبان الضريح المقدس ، والقى بهم بالسجن ، ولامهم كثيرا ، وانتقد تصرفهم وقال : إنهم يريدون ازالة سلطة ملوك القدس والصلاحيات التي تمتعوا بها في تقرير انتخاب البطريرك ، وأثار هذا الاجراء ضجة كبيرة وكان أشبه بفضيحة ضخمة ، ووجه رئيس الاساقفة جوسيه النقد الشديد للكونت ومثله فعل البارونات والسادة الآخرون ، ولاموه على فعلته ، وألحوا عليه حتى يطلق سراح رهبان الضريح المقدس ليعودوا الى منزلتهم ، وأخيرا وافق على عملية الانتخاب ، ثم منح ابن عمه المسمى غراشيان قلعة في منطقة عكا اسمها كفربولا ومنحه ثقته وألحقه بحاشيته .

وقرر الرهبان الذهاب الى روما ليعرضوا نتيجة عملية انتخابهم البطريرك على البابا ، وهناك حصلوا على الموافقة ، ثم أطلعوا البابا كلستين (الثالث) على ما فعله الكونت بحق رهبان الضريح المقدس ، وقد أزعجه هذا التصرف كثيرا ، وهكذا أوقف دور ملك القدس في انتخاب البطريرك ، وقرر أن يكون الرهبان لوحد هم هم الذين يتولون انتخاب بطريركهم .

ولا يعجبن أحد أو يدهش لهذا الشرف الذي حصل عليه ملك

القدس ، ذلك أنه منذ احتلال القدس وحتـى ذلك الحين ، قليلا مـا كان لكنيسة روما من رأي وتدخل ، لأنه عندما جاء الدوق غودفـري والبارونات الآخرون لاحتلال البلاد جـاء بمـوافقة البـابا أوربـان وكذلك بموافقة الملك هنري ، ثم فيما بعد من قبل البـابا الاسـكندر والامبراطور فردريك ، جد هـذا الذي أقـام بـالحكم سـبع عشرة سنة ، وحدث أن اثنان من البابوات ماتا ميتة مشـؤومة ، ومـامن أحد حمل الملك مسؤولية هذه العادة .

ترك يافا ، بسبب أن أخاه جفري استدعى أولا لتسلم المملكة ، فرفض القدوم الى قبرص ، فما كان من سكان قبرص إلا وأن وجدوا أنفسهم مرغمين على استدعاء أخيه ، ايمري لينصبوه ملكا ، هذا من جانب ومن جانب آخر أعطى الكونت هنري الوظيفة القيادية التي كان يشغلها ايمري الى جون دي ابلين ، الذي كان أخا للملكة ايزابيل ، فاتفق هذا مع البيازنة فعادوا الى عكا وأعطاهم ما يستحقونه وما يليق بمكانتهم، وقد حدث هذا في سنة ١١٩٣ (الصحيح ١١٩٤) لتجسيد المسيح .

١٤٨ ـ في الايام التي كان الكونت هنري يحكم فيها في عكا ، مات هرقل الذي كان بطريركا للقدس ، واجتمع رهبان القبر المقدس فانتخبوا بطريركا جديدا ، وكان أسود البشره ، وكان من قبل رئيسا لأساقفة قيسارية ، وتمت عملية الانتخاب من دون اعلام الكونت ، ولهذا عندما علم بذلك غضب غضبا شديدا ، وقال : لقد جرت العادة من قبل عندما يموت بطريرك القدس يقوم الرهبان في الضريح المقدس بانتخاب اثنين ، ويرفعون اسميهما الى الكونت ليقوم باختيار واحد منهما فيكون بطريركا للقدس ، وقام الكونت هنري بالقاء القبض على رهبان الضريح المقدس ، والقى بهم بالسجن ، ولامهم كثيرا ، وانتقد تصرفهم وقال : انهم يريدون ازالة سلطة ملوك القدس والصلاحيات التي تمتعوا بها في تقرير انتخاب البطريرك ، واثار هذا الاجراء ضجة كبيرة وكان أشبه بفضيحة ضخمة ووجه رئيس الأساقفة جوسيه النقد الشديد للكونت ومثله فعل البارونات والسادة الآخرون ، ولاموه على فعلته ، والحوا عليه حتى يطلق سراح رهبان الضريح المقدس ليعودوا الى منزلتهم ، وأخيرا وافق على عملية الانتخاب ثم منح ابن عمه المسمى غراشيان قلعة في منطقة عكا اسمها كفربولا ومنحه ثقته والحقه بحاشيته .

وقرر الرهبان الذهاب الى روما ليعرضوا نتيجة عملية انتخابهم

للبطريرك علي البابا ، وهناك حصلوا على الموافقة ، ثم أطلعوا البابا كلستين (الثالث) على ما فعله الكونت بحق رهبان الضريح المقدس ، وقد أزعجه هذا التصرف كثيرا ، وهكذا أوقف دور ملك القدس في انتخاب البطريرك ، وقرر أن يكون الرهبان لوحدهم هم الذين يتولون انتخاب بطريركهم .

- ٣٩٨٠ -

رجل مقترف للمساوىء في قبرص :

كان في الايام التي توج فيها ايمـري اوزنغنان ملكا على جـزيرة قبرص ، في هذه الجـزيرة رجـلا مقتـرفا للمســـاوىء يدعى كانا في ، وكان نشطا هناك منذ أيام الاغريق ، ولقد أساء في الجـزيرة كثيرا الى المسيحيين ، وعندما علم الملك ايمري بخبر هــذا الرجــل المسيء أمــر بــالقاء القبض عليه ، ووعد الذي يأتيه بــه بجـــائزة كبيرة ، وقد استهدف من القاء القبض عليه محاكمته ، وعندما علم ذلك الرجل بأن الملك يبحث عنه هرب من جزيرة قبرص ، وذهب الى غريغون في كليكية التي كان اســم حــاكمها اســحق ، وكان ســيدا لانطاكية القائمة على البحر التي كانت تعرف قديما باسم انطــاكية بيسيديا ، وقد وجـد الرجــل المسيء منقــذا كبيرا في شـــخص اسحق ، فقد استقبله السيد اسحق استقبالا طيبا واعتنى به لمعرفته أنه كان مكروها جدا من قبل المسيحيين ، ولانه هو نفسه كان أيضا مكروها من قبل المسيحيين ، وطلب هذا المدعو كانافي مــن اســحق تزويده بجيش حسن التسليح حتى يحــارب بـــه ضـــد رجـــال قبرص ، ووافق اسحق على طلبه بكل سرور .

وعندما تم ذلك توجه نحو جزيرة قبرص ، وعندما اقتــرب منهـــا وجد مركبا لجماعة من معارفه ، فســألهم عن أخبــار الملك ، وعن الاوضاع في جزيرة قبرص ، حتى يستطيع أن يقوم بعمل يزعج بـــه أهل قبرص ، وقد أخبره هؤلاء أن الملكة جاءت مع أولادها للاقـــامة

قرب البحر في منطقــة اســمها « الفــردوس » ، ذلك أن الملكة كانت متعبة ، فقد قــدمت الى هنا لتــرتاح ولتســتبدل هـــواء مملكة القــدس ، وحــالما علم كانافــــي أن الملكة كانت هناك ، نزل الى اليابسة ، وكذلك فعل اتباعه ، وكان هــذا الرجــل يعــرف مــداخل جزيرة قبرص ومخارجها ، وهكذا وصل عند الفجر الى المنطقة التي

كانت فيها الملكة ، وفاجأ الناس الذين كانوا مع الملكة ، فأخذها وأولادها واصطحبهم معه في سفينة .

وبعدما اصطحب معه الملكة ، ارتفع الصراخ في البلاد ، فوصل الخبر الى الملك ، وقد أزعجه هذا الخبر كثيرا ، وبادر بدون تأخير نحو المكان الذي كانت فيه ، ظانا أنه سيدركها قبل أن تحمل الى سطح البحر ، ولكنه لم يتمكن من الوصول في الوقت المناسب ، ولهذا تألم الملك كثيرا ، وكذلك تألم أهل المملكة والآخرون ، وأزعجهم هذا العار الذي لحق بهم في مملكة قبرص ، ووصل كاناقي الى سيده اسحق وهو يشعر انه حقق نصرا عظيما ، وذلك بسبب الصيد الثمين الذي أحضره له .

وعندما سمع لاون دي مونتايين ـ الذي كان سيد مملكة أرمينية بهذا الخبر ، غضب للعار الذي لحق بالملك ايمري وبالسيدة ، وذلك محبة له لأنه كان صديقه ، وحبا بالملك ايمري وحبا ببلدوين دي ابلين الذي كانت السيدة ابنته ، أرسل بالحال وفدا الى اسحق الذي كان عزيزا عليه يحبه حبه لحياته ، وعندما رأى اسحق رسالته أحضر السيدة وأولادها الى كورك.

ولا يعجبن أحد أو يدهش لهذا الشرف الذي حصل عليه ملك القدس ، ذلك أنه منذ احتلال القدس وحتى ذلك الحين ، قليلا ما كان لكنيسة روما من راي في البلاد وتدخل ، لأنه عندما جاء الدوق غودفري والبارونات الآخرون لاحتلال البلاد جاءوا بموافقة البابا أوربان وكذلك بموافقة الملك هنري ، ثم فيما بعد من قبل البابا الاسكندر والامبراطور فردريك ، جد هذا الذي أقام في الحكم سبع عشرة سنة ، وحدث أن اثنان من البابوات ماتا ميتة مشؤومة ، وما من أحد حمل الملك مسؤولية هذه العادة .

١٤٩ ـ كان في الأيام التي توج فيها ايمري لوزنغنان ملكا على جزيرة قبرص ، في هذه الجزيرة رجلا مقترفا للمساوىء يدعى كاناقي ، وكان نشطا هناك منذ أيام الاغريق ، ولقد أساء في الجزيرة كثيرا الى المسيحيين ، وعندما علم الملك ايمري بخبر هذا الرجل المسيء أمر بالقاء القبض عليه ، ووعد الذي يأتيه به بجائزة كبيرة ، وقد استهدف من القاء القبض عليه محاكمته ، وعندما علم ذلك الرجل بأن الملك يبحث عنه هرب من جزيرة قبرص ، وذهب الى غريغون في كليكية التي كان اسم حاكمها اسحق ، وكان سيدا لأنطاكية القائمة على البحر التي كانت تعرف قديما باسم انطاكية بيسيديا ، وقد وجد الرجل المسيء منقذا كبيرا في شخص اسحق ، فقد استقبله السيد اسحق استقبالا طيبا واعتنى به لمعرفته أنه كان مكروها جدا من قبل المسيحيين ، ولأنه هو نفسه كان ايضا مكروها من قبل المسيحيين ، وطلب هذا المدعو كاناقي من اسحق تزويده بجيش حسن التسليح حتى يحارب به ضد رجال قبرص ، ووافق اسحق على طلبه بكل سرور .

وعندما تم ذلك توجه نحو جزيرة قبرص ، وعندما اقترب منها وجد مركبا لجماعة من معارفه ، فسألهم عن أخبار الملك ، وعن الأوضاع في جزيرة قبرص ، حتى يستطيع أن يقوم بعمل يزعج به أهل قبرص ، وقد أخبره هؤلاء ان الملكة جاءت مع أولادها للاقامة قرب البحر في منطقة اسمها « الفردوس » ذلك أن الملكة كانت

متعبة ، فقد قـدمت الى هناك لتـرتاح ولتسـتبدل هـواء مملكة القـدس ، وحـالما علم كاناقـي أن الملكة كانت هناك ، نزل الى اليابسة ، وكذلك فعل اتباعه ، وكان هـذا الرجـل يعـرف مـداخل جزيرة قبرص ومخارجها ، وهكذا وصل عند الفجر الى المنطقة التي كانت فيها الملكة ، وفاجأ الناس الذين كانوا مـع الملكة ، فـأخذها وأولادها واصطحبهم معه في سفينة .

١٥٠ ـ وبعـدما اصـطحب معـه الملكة ، ارتفـع الصراخ في البلاد ، فوصل الخبر الى الملك ، وقـد أزعجـه هـذا الخبـر كثيرا ، وبادر بدون تأخير نحـو المكان الذي كانت فيه ، ظـانا أنه سيدركها قبل أن تحمل الى سـطح البحـر ، ولكنه لم يتمـكن مـن الوصول في الوقت المناسب ، ولهذا تـألم الملك كثيرا ، وكذلك تـألم اهل الملكة والآخرون وأزعجهم هذا العار الذي لحـق بهـم في مملكة قبرص ، ووصل كاناقي الى سيده اسحق وهو يشعر أنه حقق نصرا عظيما ، وذلك بسبب الصيد الثمين الذي احضره له .

وعندما سمع لاون دي مونتايين ، الذي كان سـيد أرمينية بهـذا الخبر ، غضب للعار الذي لحق بالملك ايمري وبالسيدة ، وذلك محبة له لأنه كان صديقه ، وحبا بالملك ايمـري وحبـا ببلدوين دي ابلين الذي كانت السيدة ابنته ، أرسل بالحال وفدا الى اسحق الذي كان عزيزا عليه يحبه حبه لحياته ، وعندما رأى اسحق رسـالته أحضر السيدة وأولادها الى كورك ، ومن ثم بعث برسالة الى الملك ايمـري لئلا يظل حزينا وأعلمه أنه حـرر السـيدة وأولادهـا مـن أيدي أعدائهم ، ولما سمع الملك ايمري هذه الأخبـار سر كثيرا ، وشـكر هذه الخدمة والعمل الصالح الذي قام به نحوه ، ثـم سـلح سـفنه واصطحب معه خيرة رجـاله وتـوجه الى ارمينية ، حيث اسـتقبل بحفاوة ، وقد ابتهج كثيرا عندمـا وجـد السـيدة وأولاده سـالمين اصحاء ، وحظي الملك لاون بمحبة الملك ايمري ومحبة أقارب السيدة للخدمة التي أسداها للسيدة ولأولادها ، واسـتعد الملك للعـودة الى

قبرص ، وعندما أكمل استعداداته أصعد السيدة وأولادها الى السفينة وكذلك صعد هو مع رجاله .

كيف اعتقل لاون سيد أرمينية أمير أنطاكية :

في أثناء حصار عكا ذهب بوهيموند امير انطاكية لمشاهدة كل من ملكي انكلترا وفرنسا ، لانهما كانا من اقربائه ، واغتنمت زوجته سيبل فرصة غيابه ، وكانت علاقتها به سيئة ، فاتصلت بلاون دي مونتايين سيد أرمينية ، وتآمرت معه لاعتقال زوجها ، ووعدها لاون بالزواج منها وباعتقال الامير وايداعه في سجنه من أجل اعطاءانطاكية الى وليم ابنها وجعله الوريث،ذلك أنه اراد حرمان ورثة الأمير .

وعندما جاء الامير ثانية الى انطاكية دعاه لاون لتناول الطعام معه قرب نبع بغراس (في سنة ١١٩٤) ووافق الأمير واستجاب لدعوته وذلك بسبب تشجيع الأميرة سيبل له ، وذهب الامير والأميرة الى نبع بغراس وقد اصطحبا معهما بارونات انطاكية ، وقائد قواتها راؤول دي مون ، ومارشال بيت لحم وأولفر الحاجب وريتشارد دي ارمنت وبقية الاتباع والاصحاب ، ولم يبق في انطاكية سوى البطريرك ايمري وريموند الابن البكر للأمير ، وعندما كان الأمير على نبع بغراس وجد لاون نفسه غير قادر على تنفيذ ماأراده فما كان منه الا أن طلب من الامير مصاحبته لزيارة قلعة بغراس ، حيث يمكنه من هناك رؤية البحيرة والتمتع هناك ، واستجاب الامير لدعوته وذهب معه الى القلعة ، وبعدما أكمل تناول طعامه ونال قسطا من الراحة ، أمر ان تسرج خيوله وتعد مراكبه للعودة الى أنطاكية ، ولم يكن احد قد أخبره ان جنوده وفرسانه ورجاله قد جرى اعتقالهم .

وشحن لاون القلعة بالرجال المسلحين وجعلهم على أهبة الاستعداد ثم

وعندما سمع لاون دي مونتايين ، الذي كان سيد مملكة أرمينية بهذا الخبر ، غضب للعار الذي لحق بالملك ايمري وبالسيدة ، وذلك محبة له لأنه كان صديقا له ، وحبا بالملك ايمري وحبا ببلدوين دي ابلين الذي كانت السيدة ابنته ، أرسل بالحال وفدا الى اسحق الذي كان عزيزا عليه يحبه حبه لحياته ، وعندما رأى اسحق رسالته أحضر السيدة وأولادها الى كورك ، اذ انصاع اسحق لاوامر سيد أرمينية ، ونفذ ما أراده منه فأرسلهم الى كورك بكل عناية واحترام ، وما ان عرف لاون بوصولهم حتى خف لاستقبالهم ، فاستقبلهم بكل حفاوة وترحاب كبير،حسبما يليق بهم فهذا كان مما يبعث السرور في نفسه كثيرا .

١٥١ ـ ولما وصلت السيدة الى كورك ارسل وفدا الى الملك ايمري ، حتى لايبقى حزينا مغضبا ، وأخبره أنه حرر السيدة وأولادها من سلطة أعدائهم ، وبعدما سمع الملك هذه الاخبار اعتلاه السرور ، وشكر للاون هذه الخدمة وهذا المعروف الذي اسداه له ، ثم مالبث ان أعد سفنه وسلحها ثم اصطحب معه خيرة رجاله وتوجه نحو أرمينية حيث استقبل بكل حفاوة وترحاب .

وابتهج الملك ايمري كثيرا عندما وجد السيدة مع أولاده بخير سالمين ، وبذلك ازدادت حظوة لاون دي مونتايين عند الملك ايمري وعظم حبه له ، وأبدى نحوه الشعور نفسه أقارب السيدة للخدمة التي قدمها لها ولأولادها ، وعندما شرعوا بالاستعداد للعودة الى قبرص سار معهم سيد أرمينية من كورك ، ثم سأل الملك أن يقبل دعوته لتناول الطعام معه هو وجميع رجاله ، فلبى الملك دعوته بكل سرور ، وبعدما جهزت الامور لياكلوا معا ، جاء ريموند دي بون دون ، الذي كان آمرا للاسطول ، الى الملك ايمري وقال له :« يامولاي اذا لم تسافروا الآن من أرمينية ستضطرون للبقاء فيها أكثر مما تريدون » وسأله الملك عن السبب ، فبين له أن الوقت قد تغير وتغيرت معه الانواء ، فصدقه الملك وأمر بصعود السيدة والأولاد الى السفن وكذلك فعل هو ورجاله حيث صعدوا ايضا .

وقد انزعج ملك أرمينية لسرعة رحيلهم ولأنه لم يستطيع أن يسرهم أكثر مما فعل ، وعندما وجد أن الملك ورجاله لن يستطيعوا تناول الطعام معه ، أمر بتحميل التجهيزات مع جميع أدوات الطعام في السفن ، وهكذا أقلعوا مسافرين من كورك حيث وصلوا الى شيرني ، ولما أبحروا ثانية هبت عليهم ريح شديدة وهاجت عاصفة كبيرة في البحر ، وتقاذفتهم الأمواج وأبعدتهم عن اليابسة ، وعندما صاروا وسط لجة البحر غرقوا وهلكوا .

١٥٢ ـ في أثناء حصار عكا ذهب بوهيموند أمير أنطاكية لمشاهدة كل من ملكي انكلترا وفرنسا لأنهما كانا من أقربائه ، واغتنمت زوجته سيبل فرصة غيابه وكانت علاقاتها به سيئة ، فاستعانت بلاون دي مونتايين سيد دولة أرمينية وحاكت معه خيوط مؤامرة يستقبل فيها زوجها ويعتقله ، والسبب الذي دفعها الى هذا التصرف ضده ، هو أن الأمير كان قد تزوج من قبل من سيدة أخرى ، ثم طلقها لأنه كان فقيرا ركبته الديون ، ووعدها لاون .

جاء الى عند الأمير ، وعندما اكتشف الأمير هـذه الخيانة قـال له :« ماهذا يا لاون هـل أنا الآن رهـن الاعتقـال »؟ فـأجابه: « نعم ، لانني أريد الحصـول على انطـاكية التـي وعدتني بهـا مرارا ، وأخذت مني في سبيلها أموالا طـائلة ، وعلاوة على ذلك الا تذكر كيف اعتقلت أخي روبين ، عندما دعوته لتناول الطعـام معـك ولدا فقتك الى مدينة انطاكية ، فهناك ألقيت القبض عليه وأودعته في سجنك ، وأخذت منه أموالا كثيرة ، ولم تخرجه من سـجنك حتـى سلمك البلاد الواقعة فيما بين نهـر جيحـان ومشـارف قلعـة بغراس (اعتقل بوهيموند الثالث روبين الثالث سنة ١١٨٢ وسيطر اثر ذلك على المنطقة الممتدة مابين قلعة بغراس ومصب نهر جيحان) لهذا السبب أريد ان تعيد لي انطاكية مع الاموال التي أخـذتها مـن اخي ، وبدون ذلك لايمكنك أن تفلت من يدي » .

ولما سمع الأمير هذا الكلام قال للاون :« كيف أعيد لك انطـاكية واسلمها وأنا سجين بين يديك ؟ لذلك دعني أذهب ومن ثم سأعيدها لك ، فقال له لاون :« لالن افعل ذلك قطعا ، عليك أن ترسل بعضـا من رجالك الذين هم الآن معـك حتـى يسـلموا أنطـاكية الى مبعوثي ، وبعد هذا الاجراء سـأطلق سراحـك وأدعك تـذهب حيث تريد ، ووافق الأمير على طلبه هذا واصدر أمـره الى رتشـارد دي ارمنت ومارشال بيت لحم أن يذهبا الى أنطـاكية ، ويسـلما المدينة ويضعاها تحت امرة لاون ، وأرسل لاون بـدوره رجـلا نبيلا مـن أرمينية العليا يدعى هيتوم دي سيسون ، وكان متزوجا من ماريا أم السن ابنة أخي لاون ، أي ابنة روبين التي كانت زوجة ريموند ابن الامير البكر ، ومنه انجبت روبين الذي صار أميرا لانطاكية .

بالزواج منها وباعتقال الامير وايداعه في سجنه من أجل إعطاء انطاكية الى وليم ابنها وجعله الوريث ، ذلك أنه أراد حرمان ورثة الامير .

وعندما جاء الامير ثانية الى أنطاكية دعاه لاون لتناول الطعام معه قرب نبع بغراس (١١٩٤) ووافق الامير واستجاب لدعوته وذلك بسبب تشجيع الاميرة سيبل له ، وذهب الامير والاميرة الى نبع بغراس وقد اصطحبا معهما بارونات انطاكية ، وقائد قواتها راؤول دي مون ، ومارشال بيت لحم وأولفر الحاجب ورتشارد دي أرمنت وبقية الاتباع والاصحاب ، ولم يبق في أنطاكية سوى البطريرك ايمري وريموند الابن البكر للامير ، وعندما كان الامير على نبع بغراس وجد لاون نفسه غير قادر على تنفيذ ماأراده ، فما كان منه الا أن طلب من الامير مصاحبته لزيارة قلعة بغراس ، حيث يمكنه من هناك رؤية البحيرة والتمتع هناك ، واستجاب الامير لدعوته وذهب معه الى القلعة ، وبعدما أكمل تناول طعامه ونال قسطا من الراحة ، أمر أن تسرج خيوله وتعد مراكبه للعودة الى انطاكية ، ولم يكن أحد قد أخبره أن جنوده وفرسانه ورجاله قد جرى اعتقالهم .

١٥٣ ـ وشحن لاون القلعة بالرجال المسلحين وجعلهم على أهبة الاستعداد ، ثم جاء الى عند الامير ، وعندما اكتشف الامير هذه الخيانة قال له :« ماهذا يالاون هل أنا الآن رهن الاعتقال »؟ فأجابه « نعم ، لانني أريد الحصول على أنطاكية التي وعدتني بها مرارا ، وأخذت مني في سبيلها أموالا طائلة ، وعلاوة على ذلك الا تتذكر كيف اعتقلت أخي روبين ، عندما دعوته لتناول الطعام معك ولمرافقتك الى مدينة أنطاكية ، فهناك ألقيت القبض عليه وأودعته في سجنك ، وأخذت منه أموالا كثيرة ، ولم تخرجه من سجنك حتى سلمك البلاد الواقعة فيما بين نهر جيجان ومشارف قلعة بغراس (اعتقل بوهيموند الثالث روبين الثالث

سنة ١١٨٢ وسيطر اثر ذلك على المنطقة الممتدة مابين قلعة بغراس ومصب نهر جيجان) لهذا السـبب أريد أن تعيد لي أنطـاكية مـع الاموال التي أخذتها من أخي ، وبدون ذلك لايمـكنك أن تفلت مـن يدي »

١٥٤ ـ ولما سمع الأمير هذا الكلام قـال للاون :« كيف أعيد لك انطاكية وأسلمها وأنا سجين بين يديك ؟ لذلك دعني أذهب ومن ثم سأعيدها لك ، فقـال له لاون : لالن أفعـل ذلك قـطعا ، عليك أن ترسل بعضا من رجالك الذين هم الآن معك حتى يسـلموا أنطـاكية الى مبعوثي ، وبعد هذا الاجراء سأطلق سراحك وأدعك تذهب حيث تريد ، ووافق الأمير على طلبه هذا واصدر أمـره الى رتشـارد دي ارمنت ، ومارشال بيت لحم أن يذهبا الى أنطاكية ، ويسلما المدينة ويضعاها تحت امرة لاون ، وأرسل لاون بـدوره رجـلا نبيلا مـن أرمينية العليا يدعى هيتوم دي سيسون ، وكان متزوجا من ماريا أم السن ابنة أخي لاون ، أي ابنة روبين ،

كيف تولت كومونة أنطاكية الحكم فيها:

وعندما توجه الفرسان الى انطاكية لتسليم المدينة واعطائها الى هيتوم ، طلب هيتوم من المارشال ومن رتشارد الذهاب أولا الى أنطاكية ، وأن يقيما في سانت جوليان الى أن يسلموه الابواب والقلعة وبقية الحصون ويضعوها تحت امرته ، ولما دخلوا الى المدينة استولوا على باب الجسر ، ثم قصدوا القصر ، ولما دخلوا الى قلب البلاط أخذ الرجل الذي أرسله هيتوم يستولي على ما فيه من أواني ، وشاهد هناك وراى بيعة صغيرة كان الامير ريموند قد بناها على اسم القديس هيلاري الصغير ، وبادر بعض رجال الحاشية الى حراسة البيعة ، فما كان من نائب هيتوم الا أن سأل أهل البلاط : ماهذا المبنى ؟ فقالوا له : انها بيعة هيلاري ، فما كان منه الا أن قال : نحن لانعرف قديسا اسمه هيلاري ولامايعنيه ، ولهذا سنعمدها من جديد ونعطيها اسم القديس سرجس

وعندما أنهى الرجل الذي أرسله هيتوم كلامه هذا ، تألم رجال الأمير الذي أشرنا اليه ، والذين كانوا هناك ، وانزعجوا لدى سماعهم لهذا الكلام المتعجرف ، وتجمع هذا مع الآلام التي شعروا بها نحو أميرهم ، ولشدة تأثرهم قام أحد الرجال الذين كانوا هناك مغضبا وصرخ بصوت مرتفع : « ايها السادة كيف تتحملون هذا العار ، وهذه النذالة ، كيف لكم أن تقبلوا بخروج انطاكية وانتزاعها من سلطة الامير وذويه ، وأن تؤول بالتالي الى سلطة أناس سفلة مثل هؤلاء الأرمن »؟! ومالبث أن تناول حجرة من كومة كانت هناك ، وقذف باحداها مندوب هيتوم ، وبهذه الضربة طرحه الى الأرض ميتا ، وصرخ الآخرون :« الى السلاح ، واحتشد كل أهالي المدينة بارادة واحدة وصوت واحد ، واندفعوا مسرعين نحو

باب الجسر ، فـاستولوا عليه ، وأسروا جميع الأرمـن النين كان هيدوم قد أرسلهم لاستلام انطاكية » ثم نظموا المدينة وأقاموا فيهـا كومونة قوية،وهذا أمر لم يحصل من قبل ودام منذ ذلك الحين.

ثم نهبوا الى ريموند الابن البكر للأمير ، وأخبروه أنهم قـرروا اختياره أميرا عليهم ، وذلك مثلما كان آباؤه من قبل .

التي كانت زوجة ريموند ابن الامير البكر ، ومنه انجبت روبين الذي صار أميرا لانطاكية (ريموند روبين أمير انطاكية ١٢١٦ ـ ١٢١٩) .

١٥٥ ـ وعندما توجه الفرسان الى انطاكية لتسليم المدينة واعطائها الى هيتوم ، طلب هيتوم من المارشال ومن رتشارد الذهاب أولا الى انطاكية ، وأن يقيما في سانت جوليان الى أن يسلموه الابواب والقلعة وبقية الحصون ويضعوها تحت امرته ، فبعدما يسلموها له سيدخل الى المدينة ، ولما دخلوا الى المدينة استولوا على باب الجسر ، ثم قصدوا القصر ، ولما دخلوا الى قلب البلاط أخذ الرجل الذي ارسله هيتوم ليستولي على مافيه من أواني ، وشاهد هناك ورأى بيعة صغيرة كان الامير ريموند قد بناها على اسم القديس هيلاري الصغير ، وبادر بعض رجال الحاشية الى حراسة البيعة ، فما كان من نائب هيتوم الا أن سأل أهل البلاط : ماهذا المبنى ؟ فقالوا له : انها بيعة هيلاري ، فما كان منه الا ان قال : نحن لانعرف قديسا اسمه هيلاري ولامايعنيه ، ولهذا سنعمدها من جديد ونعطيها اسم القديس سرجس (كان سرجس بطريركا للقسطنطينية من ٦١٠ حتى ٦٣٨ ، وقد وقف معارضا لكنيسة روما حتى أنه بات رمزا لاستقلال الكنائس الارثوذكسية).

١٥٦ ـ وعندما أنهى الرجل الذي أرسله هيتوم كلامه هذا ، تألم رجال الأمير الذي اشرنا اليه ، والذين كانوا هناك ، وانزعجوا لدى سماعهم لهذا الكلام المتعجرف ، وتجمع هذا مع الآلام التي شعروا بها نحو أميرهم ، ولشدة تأثرهم قام أحد الرجال الذين كانوا هناك مغضبا وصرخ بصوت مرتفع : « ايها السادة كيف تتحملون هذا العار ، وهذه النذالة ، كيف لكم أن تقبلوا بخروج انطاكية وانتزاعها من سلطة الامير وذويه ، وأن تؤول بالتالي الى سلطة أناس سفلة مثل هؤلاء الارمن » ؟!

ومالبث أن تناول حجرة من كومة كانت هناك ، وقذف باحداها مندوب هيتوم ، وبهذه الضربة طرحه الى الارض ميتا ، وصرخ الآخرون :« الى السلاح» واحتشد كل أهالي المدينة بارادة واحدة وصوت واحد ، واندفعوا مسرعين نحن باب الجسر ، فاستولوا عليه ، وأسروا جميع الأرمن الذين كان لاون قد أرسلهم لاستلام انطاكية ».

١٥٧ ــ وحينما اجتمعوا في الكنيسة الرئيسية لمدينة انطاكية ومعهم البطريرك ايمري تداولوا فيما بينهم ، وتوحدوا وهذا أمر لم يحصل من قبل ودام حتى يومنا هذا ، ثم ذهبوا الى ريموند الابن البكر للأمير ، وأخبروه أنهم قرروا اختياره أميرا عليهم بدلا من أبيه ، وذلك الى حين اطلاق سراح أبيه .

وعندما سمع هيتوم هذا الخبر ، وكان مقيما في سانت جوليان ، وعرف أن سكان انطاكية ثاروا ورفضوا أوامر الأمير واعتقلوا رجال لاون خاف على نفسه أن يعتقل ويؤخذ اسيرا عندما يعثر عليه ، فما كان منه الا ان بادر مسرعا بقدر ماأمكنه نحو بغراس حيث كان لاون مقيما ينتظره هناك .

ومان عرف هيتوم أن سكان أنطاكية قد ثاروا ورفضوا أوامر الامير ، واعتقلوا رجال لاون خاف على نفسه ان يعتقل ، أو يؤخذ اسيرا عندما يعثر عليه ، فما كان منه الا أن بادر مسرعا بقدر ماأمكنه نحو بغراس حيث كان لاون مقيما ، ولدى سماع لاون ماحدث مع هيتوم حمل الأمير ومن كان معه الى قلعة سيس وهناك عاملهم معاملة طيبة واحتفى بهم .

كيف جرى اطلاق سراح الأمير من سجن لاون :

وحينما اجتمعوا في الكنيسة الرئيسية لمدينة أنطاكية ومعهم البطريرك ايمري تداولوا فيما بينهم ، وتوحدوا ، وهذا أمر لم

يحصل من قبل ودام حتى يومنا هذا ، ثم ذهبوا الى ريموند الابن البكر للأمير ، واخبروه أنهم قرروا اختياره أميرا عليهم بدلا من أبيه ، وذلك الى حين اطلاق سراح أبيه .

وعندما سمع هيتوم هذا الخبر ، وكان مقيما في سانت جوليان ، وعرف ان سكان انطاكية ثاروا ورفضوا أوامر الأمير واعتقلوا رجال لاون خاف على نفسه أن يعتقل ويؤخذ اسيرا عندما يعثر عليه ، فما كان منه الا ان بادر مسرعا بقدر ماأمكنه نحو بغراس حيث كان لاون مقيما ينتظره هناك .

وحالما وصل هيتوم الى بغراس واطلع لاون على ماجرى معه ، قام لاون باقتياد الأمير وكل من كان معه ووضعهم جميعا في سجن قلعة سيس حيث عوملوا بكرامة ، وفق مايليق بمكانتهم ، وظلوا في السجن حتى ذهب الكونت هنري لتحريرهم .

وقام في عام ١١٢٣ لتجسيد المسيح ايمري بطريرك انطاكية وريموند وبوهيموند ولدا الأمير بمراسلة الكونت هنري وسألوه القدوم اليهم للمساعدة على اطلاق سراح والدهما من سجن لاون ، وبالحال لبى الكونت هنري الطلب الذي تلقاه لأنه كان ابن عمه ، وسافر من عكا فكان خلال عدة ايام في طرطوس ، وهنا كتب اليه مقدم الحشيشية وبعث اليه بوفد يرجوه بالتفضل بالمرور في أراضيه ، وأعلمه أنه سيكون له الشرف العظيم في أن يراه ويجالسه ذلك أنه يعده سيدا وصديقا له ، وسر الكونت هنري بهذا الطلب وتوجه نحوه وهو يشعر بالبهجة .

وعندما تحرك الكونت هنري من طرطوس جاء مقدم الحشيشية لاستقباله وقد تلقاه بكل حفاوة وترحاب ، ثم صحبه في جولة خلال بلاده وجعله يزور قلاعه وعندما وصلوا الى القلعة التي تدعى الرصافة ، وهي أعظم القلاع التي يمتلكها ، سأل الكونت قائلا : « هل يطيعك رجالك كما يطيعني رجالي »؟ فأجابه الكونت :

نعم فقال مقدم الحشيشية وسيدهم :« لكن رجالك لاينفذون أوامرك مثلما ينفذ رجالي أوامري ، وسأريك ذلك » ثم أمسك حربة بيده ، وأشار بها اليهم ، فما كان من الذين كانوا واقفين على ظهر القلعة الا أن القوا أنفسهم بالقناة فتحطمت أجسادهم ، فعندما رأى الأمير هنري ذلك ، رجاه الا يكرر هذا العمل ثانية ، فأشار اليهم فتوقفوا عن رمي انفسهم ، ثم دخلا الى القلعة ، وكان امام مدخلها حاجز حديدي ، فالتفت سيد الحشيشية نحو الكونت وقال له :« وسأريك ايضا كيف يطيعون أوامري » فألقى بملاءه كانت في يده ، كان قد أخذها من الرجال الواقفين أمام الباب ، فألقى ثلاثة أو أربعة من رجاله بأنفسهم خلفها ، وانقضوا عليها فماتوا ، فرجاه أيضا الكونت هنري بالتوقف وألا يفعل مافعله ثانية .

واقام الكونت هنري عنده فترة طويلة ، منحه خلالها سيد الحشيشية هدايا ثمينة ، وفوق كل ذلك أكرمه وأكرم من كان معه غاية الاكرام ، ومن هناك سافر الامير الى أنطاكية حيث استقبل استقبالا عظيما ، وهناك اجتمع الكونت بالبطريرك مع ولدي الأمير وتداولوا بشأن تحرير والدهم وبعد هذا الاجتماع سافر الكونت من انطاكية وقصد بلاد أرمينية ، فجاء لاون لاستقباله والترحيب به بكل حفاوة ، ثم اصطحبه معه الى مدينة سيس وهناك اتفق معه على اطلاق سراح الأمير من سجن لاون ، وعلى أن يتم الزواج فيما بين ابنة أخي لاون ، أي ابنة روبين وبين ريموند الابن البكر للأمير .

١٥٨ ـ وحالما وصل هيتوم الى بغراس واطلع لاون على ماجرى معه ، قام لاون باقتياد الأمير وكل من كان معه ووضعهم جميعا في سجن قلعة سيس ، حيث عوملوا بكرامة ، وفق مايليق بمكانتهم ، وظلوا في السجن حتى ذهب الكونت هنري لتحريرهم ،

١٥٩ ـ وقام في عام ١١٩٣ لتجسيد المسيح ايمري بطريرك انطاكية وريموند وبوهيموند ولدا الأمير بمراسلة الكونت هنري وسألوه القدوم اليهم للمساعدة على اطلاق سراح والدهما من سجن لاون ، وبالحال لبى الكونت هنري الطلب الذي تلقاه لأنه كان ابن عمه ، وسافر من عكا فكان خلال عدة ايام في طرطوس ، وهنا كتب اليه مقدم الحشيشية وبعث اليه بوفد يرجوه بالتفضل بالمرور في اراضيه ، وأعلمه أنه سيكون له الشرف العظيم في أن يراه ويجالسه ذلك أنه يعده سيدا وصديقا له ، وسر الكونت هنري بهذا الطلب وتوجه نحوه وهو يشعر بالبهجة .

وعندما تحرك الكونت هنري من طرطوس جاء مقدم الحشيشية لاستقباله ، وقد تلقاه بكل حفاوة وترحاب ، ثم صحبه في جولة خلال بلاده وجعله يزور قلاعه وعندما وصلوا الى القلعة التي تدعى الرصافة ، وهي أعظم القلاع التي يمتلكها سأل الكونت قائلا :« هل يطيعك رجالك كما يطيعني رجالي »؟ فأجابه الكونت : نعم ، فقال مقدم الحشيشية وسيدهم :« لكن رجالك لاينفذون أوامرك مثلما ينفذ رجالي ، وسأريك ذلك » ثم امسك حربة بيده ، وأشار بها اليهم ، فما كان من الذين كانوا واقفين على ظهر القلعة الا أن ألقوا أنفسهم بالقناة فتحطمت أجسادهم ، فعندما رأى الامير ذلك رجاه الا يكرر هذا العمل ثانية ، فأشار اليهم فتوقفوا عن رمي أنفسهم ، ثم دخلا الى القلعة ، وكان امام مدخلها حاجز حديدي ، فالتفت سيد الحشيشية نحو الكونت وقال له :« وسأريك أيضا كيف يطيعون أوامري » فالقى بملاءة كانت في يده ، كان قد أخذها من الرجال الواقفين أمام الباب فالقى ثلاثة أو أربعة من رجاله بأنفسهم خلفها ، وانقضوا عليها فماتوا ، فرجاه ايضا الكونت هنري بالتوقف والا يفعل مافعله ثانية .

١٦. ـ وأقام الكونت هنري عنده فترة طويلة ، منحه خلالها سيد الحشيشية هدايا ثمينة ، وفوق كل ذلك أكرمه وأكرم من كان معه غاية الاكرام ، ومن هناك سافر الأمير الى انطاكية حيث استقبل استقبالا عظيما ، وهناك اجتمع الكونت بالبطريرك مع ولدي الأمير وتداولوا بشأن تحرير والدهم ، وبعد هذا الاجتماع سافر الكونت من أنطاكية وقصد بلاد أرمينية ، فجاء لاون لاستقباله والترحيب به بكل حفاوة ، ثم اصطحبه معه الى مدينة سيس .

كيف مر الكونت هنري بقبرص وتصالح مع الملك ايمري

وكنا قد تحدثنا من قبل عن ذهاب الكونت هنري لاطلاق سراح الأمير بوهيموند بن بيتابين من سجن لاون دي مونتابين ، وأنه زوج ابنه روبين التي كانت ابنة أخي لاون من ريموند ابن أمير انطاكية ، ثم عاد للتوجه نحو عكا ، وقد نصحه بارونات مملكة القدس الذين كانوا بصحبته بأن يمر على الملك ايمري ، لأنه عندما كان ايمري كافلا لمملكة القدس جرى حديث بينه وبين الكونت هنري حول أمور تتعلق بسيادة المملكة ومسائل اخرى أيضا ، ويحكى أن الكونت هنري كان لا يدعم ايمري الذي انتخب بطريركا ، وذلك من اجل خاطر الملك ايمري ، ورأى بارونات المملكة ان العلاقات السيئة وفساد النوايا ليست مفيدة لمملكة القدس ، وأن حسن النوايا والارادة الطيبة من السيدين يمكن أن تكون مفيدة لهما معا ، هذا وكان البيازنة قد بذلوا جهودا كبيرة لاصلاح ذات البين بين الملك والكونت .

وادرك الكونت هنري ان هذا سيكون لصالحه ، فغادر أرمينية قاصدا جزيرة قبرص ، وعندما علم الملك ايمري أن الكونت قد وصل الى قبرص ، ذهب هذا الملك لاستقباله ، فاستقبله بكل حفاوة كما يليق به ، وجرت مصالحة بينهما ، وتمتنت أواصر السلام بينهما ومنذ ذلك الحين باتا أفضل أصدقاء ، وعند ذلك سعى بارونات مملكة القدس وبارونات مملكة قبرص لعقد زواج بين أبناء ملك قبرص وبين بنات الكونت هنري مع بنات ايزابيل زوجته والتي كانت ملكة لمملكة القدس ، وتمت مراسم الزواج وبموجبها دفع الملك ايمري الى الكونت ثمن جهاز جميع البنات ، أما الكونت هنري فقام نزولا عند رغبة زوجته ايزابيل وتحقيقا لارادتها ، بابتياع امارة يافا ، وقدمها هدية الى ابنته بمثابة جهاز وميراث ، ولكن الذي حدث فيما بعد هو أن ولدي الملك ايمري : غويتين وجوهانين قد

توفيا وهما في ريعان الشباب وبـذلك انتقلت وراثـة الملك الى هيوت الذي سمي فيما بعد باسم هيوج ، وهو الذي تزوج من اليس ابنة الكونت هنري .

وفاة صلاح الدين :

في سنة ١١٩٥ لتجسيد المسيح توفي صلاح الدين (التاريخ الصحيح ١١٩٣)

وبعد وفاته تمكن أخوه سيف الدين من استحواذ السلطة لنفسه ، والحكم بدلا من أبناء صلاح الدين ، فقد دس السم الى احدهم ، وكان سيدا لمدينة دمشق ، واسمه نور الدين ، وقد استدعى هذا الحكماء ، وشرح لهم كيف سممه عمه فساعدوه وقدموا له العلاج للتخلص من السم ، ثم هرب سيف الدين من القلعة وذهب الى

١٦١ ـ في سنة ١١٩٥ لتجسيد يسوع المسيح توفي الملك غي ، وقام أهالي مملكة قبرص بمراسلة جفري دي لوزنغنان أخي الملك المذكور ، وأعلموه بحادث الوفاة وبرغبتهم في استقباله في قبرص لتتويجه ملكا عليهم ، ولم يرغب جفري بالقدوم ، فقام أهالي قبرص بتتويج ايمري ملكا بدلا من أخيه .

وتوفي في السنة نفسها صلاح الدين (وفاة صلاح الدين كانت يوم ٤ ـ نيسان ١١٩٣) وقد تمكن أخوه سيف الدين من استحواذ السلطة لنفسه ، والتحكم بأبناء أخيه صلاح الدين ، ودس السم لأحدهم ، الذي كان سيدا لمدينة دمشق ، واسمه نور الدين .

١٦٢ ـ بعد وفاة صلاح الدين جاء سيف الدين الى دمشق ليضع ابن اخيه في سدة الحكم ، وجرت العادة أنه عندما كان البطريرك يتوج ملك القدس بتاج من ذهب ويمسحه يغدو ملكا ، وبالمقابل جرت العادة بين صفوف المسلمين أن يقوم أعظم الرجال مكانة بينهم فيحمل راية ويسيربها أمام الذي سيكون سلطانا جديدا ويبرزها عالية أمام الشعب وهو يقول لهم بأعلى صوته : « هذا هو سيدكم » فهذا ما فعله سيف الدين لابن أخيه ، حيث رفع راية سار بها أمامه وهو يعلن للشعب : « هذا هو سلطان دمشق ».

وكان سيف الدين هذا عظيم المكر كبير الحسد ، امتلك رغبة عارمة بالحصول على المملكة وانتزاعها من سلطان أبناء اخيه ، فعلى هذه الصورة خدم ابن اخيه وشرفه ، وتصرف ظاهريا حسبما توجب عليه أن يفعل ، لكن عندما عاد سيف الدين الى القلعة طلب من ابن اخيه احضار بعض التفاح ليأكل ، فجلب له التفاح ووضعه أمامه ، وبعدما اصبح التفاح أمام سيف الدين استل سكينا من وسطه ، كان قد وضع على رأسها سما ، ثم اخذ تفاحة وشطرها الى شطرين ، فأكل منها أولا ، ثم قطع قطعة من التفاحة نفسها ووضعها على رأس السكين ، وبكل أدب ولياقة تقدم من ابن اخيه وأعطاه هذه القطعة ، وأخذ ابن اخوه التفاحة وأكلها ، وبعدما

أكمل أكلها شعر حالا بأن السم سرى في جوفه ، فاستدعى الحكماء لمداواته وانقاذه من هذا السم الذي تناوله ، وقد شرح لهم كيف سممه عمه ، فساعدوه وقدموا له العلاج للتخلص من هذا السم .

ولما رأى سيف الدين أن ابن أخيه قد أكل التفاحة التي كانت مسممة تركه ثم هرب من دمشق بأسرع وقت ممكن ، وذهب الى بلاد ميديا ، أي الى بلاد الموصل والى تكريت ، اسكنى الأكراد في تلك المنطقة ، وحشد هناك حشدا كبيرا من الأكراد والتركمان والشعوب الأخرى ، وعاد على رأس هذا الحشد الى دمشق ، ولدى اقترابه منها سلمت اليه المدينة ، وعندما دخل الى المدينة ثم الى القلعة حيث كان ابن اخيه ، وكان في القلعة عددا من أمراء صلاح الدين ، فأقبل هؤلاء نحو ابن سيدهم ، وجردوه من سيفه الذي كان الى جنبه ، وكان معنى تجريده من السيف عزله من السيادة ، ومن ثم أعلنوا سيف الدين سيدا عليهم .

وبعدما استولى سيف الدين على حكم دمشق ، غادر ابن صلاح الدين الذي كان قبله سيدا عليها ـ المدينة ـ وذهب الى عند أخيه البكر الملك العزيز ، وكان سيدا في القاهرة ، وهذا الذي تحدثنا عنه كان اسمه الامير نور الدين علي ، وكان لقبه الذي شهر به « الملك الافضل ».

واثر استيلاء سيف الدين على دمشق ، سمع سلطان حلب الذي يدعى الملك الظاهر بن صلاح الدين ، بما اقترفه عمه من مساوىء تجاه أخيه ، فغضب كثيرا وتألم الى أبعد الحدود لما نال أخيه ، فأصدر أوامره الى قائد قواته بحشد جيشه للزحف ضد دمشق للثأر من عمه للأذى الذي الحقه بأخيه ، وهكذا تحرك من حلب مع قوة كبيرة ، وجاء ليحاصر دمشق وعمه الذي كان فيها ، وجاء من جهة ثانية نور الدين الذي كان سيد دمشق ، جاء على رأس القوات التي أعطاه اياها أخوه سلطان القاهرة مساعدة منه لاسترداد ملكه .

وقام سيف الدين في أثناء الحصار خفية بمراسلة قادة قوات ابني أخيه ووعدهم بالأموال والهدايا ، وجذب لهذه الوعود اليه القسم الاكبر من جيش ولدي أخيه ، وانزعج أهالي دمشق حيث خيل اليهم

أن مدينتهم ستؤخذ عنوة ، ولهذا قالوا لسيف الدين بأنهم سيسلمون المدينة مقابل حياتهم وسلامتهم ، فقال لهم سيف الدين « أيها السادة أعدوا انفسكم فانا على نية الزحف ضد مصر للاستيلاء على الحكم في القاهرة ».

وتابع سلطان حلب حصار دمشق ، غير انه ما لبث أن عرف أن عددا من قادة جيشه تخلوا عنه وتحولوا إلى عمه ، وعلى الرغم من معرفته بأمور هذه الخيانة التي قام بها القادة لصالح عمه ، شدد الحصار على دمشق مستهدفا الدخول اليها ، غير أنه عندما وجد أن رجاله قد تخلوا عنه ، أوقف الحصار وعاد الى حلب ، وكذلك عاد اخوه نحو القاهرة ، عندما أدرك أنه وأخوه لم يعد بمقدورهما متابعة حصار دمشق ، وانطلق سيف الدين خلفه ، وسار من دمشق يريد مصر ، وكان ينزل وراء ابن اخيه منزلا تلو الآخر حتى مصر .

وعندما وصل سيف الدين الى بلبيس كان الملك العزيز ـ ابن اخيه وسلطان القاهرة ـ في الصيد ، وبينما هو في الصيد تقنطر من على ظهر حصانه فاندقت رقبته ، وبسهولة سيطر سيف الدين على السلطنة في القاهرة ، وطرد ابن اخيه الذي كان سيد دمشق ، الذي سلف وتحدثنا عنه من قبل ، وهكذا استولى اذن سيف الدين على المملكة ، وبات منذ ذلك الحين يعرف بالملك العادل وما زال أولاده يحكمون البلاد .

وأرسل الكونت الذي كان داخل انطاكية الى سلطان حلب يطلب منه تقديم المساعدة ، لأن ملك أرمينية يريد حرمانه وانتزاع الامارة منه ، فأجابه سلطان حلب بأنه سيساعده في كل مرة يطلب منه المساعدة ، ذلك انه لم يكن يحب ملك أرمينية ووافق هذا امير انطاكية ، لأنه بدون ذلك ما كان بإمكانه المقاومة ضد ملك أرمينية وأن يحول بينه و بين السيطرة على البلاد ، ودامت هذه الحروب مدة سبع سنوات ، وأخيرا سلمت انطاكية الى ملك أرمينية عن طريق الخيانة .

وبعدما غادر الكونت هنري أرمينية وجاء الى قبرص واتفق مع الملك ايمري كما حدثتكم من قبل ، جاءته أخبار جديدة أفادت أن العادل قد استولى على مملكة باب اليون (القاهرة) ومملكة دمشق منتزعا اياهما من ولدي أخيه ، وأنه ـ أي العادل ـ قد خرق الهدنة التى أبرمها الملك رتشارد ، فانتشر المسلمون في البلاد وأحدثوا فيها أضرارا كبيرة ، ولهذا أسرع الكونت هنري وقدم الى ليماسول ومن هناك عبر الى عكا .

كيف حشد الامبراطور هنري أعداد كبيرة من الناس ليرسلهم الى سورية :

مات في ذلك الزمان ، والأحداث تتسارع هكذا في سورية ، وليم ملك صقلية بدون وريث فانتقلت المملكة الى عمته التي كانت تدعى كونستانس ، وكانت زوجة هنري ملك ألمانيا الذي كان ابن الامبراطور فريدريك الذي مات في أرمينية بينما كان ذاهبا الى سورية ، وكان لكونستانس أخ يدعى تانكرد ، وبعدما مات وليم استولى تانكرد على البلاد ، وتوج نفسه ملكا من دون ان يكون له الحق بذلك ، لأنه ـ كما قيل ـ ولد من زواج غير شرعي ، وبعد وفاة تانكرد هذا سيطر أولاده على المملكة من بعده .

- ٤٠٠٥ -

وبعدما وطد الملك هنري أموره في المانيا ولباريا والبلاد الاخرى التي كانت تتبعه ، استدعى جميع البارونات الذين تحت سلطانه ، وبعدما أمن شؤون الامبراطورية حشد جيشا كبيرا فدخل به الى ...

١٦٨ ـ في العـــــام ١١٩٥ لتســـــجيد مـــــــــولانا وميلاده (الصحيح ١٩٩١) توفي كليمنت الثالث الذي كان البابا في روما ، وقد انتخب خليفة له البابا كلستين الثالث ، وكما حكينا من قبل عن غرق الامبراطور فردريك لدى عبور نهر السن ، وكان أكبر أولاده يدعى هنري ، وهو الذي توجه ملكا على المانيا ، وزوجه من سيدة اسمها كونستانس ، وكانت عمة الملك وليم ملك صقلية ، وقد توفي وليم هذا بـدون وريث ، فـانتقلت مملكة صـقلية الى السـيدة كونستانس ، غير أن واحدا من أخوته واسمه تانكرد اسـتولى على المملكة وتوج نفسه سيدا عليها ، وقد قيل انه لم يكن له حـق بـذلك أبدا ، لأنه ولد من زواج غير شرعي ، وبعد وفاة تانكرد هذا سـيطر أولاده من بعده على المملكة .

وبعدما وطد الملك هنري أموره في المانيا ولباريا والبلاد الأخرى التي كانت تتبعه وبعدما أمن شؤون الامبراطورية ، سار على رأس جيش كبير ، فدخل به الى صقلية ، فاستولى على بلرم وعلى القصر فيها ، وكان في داخله أولاد تانكرد فقضى عليهم ، وكان للملك تانكرد ابنتين وقد تمكنتا من الفرار ، وقد تـزوجت احـداهما مـن الكونت غوتيير (الثالث) دي بـرن ، وتـزوجت الثـانية مـن كونت دي غريفين (بييرزياني دوج البندقية في ١٢٠٥) وأبـاد الملك هنري كثيرا من سكان بيولا مع سكان صقلية .

وحمـل في تلك الأونة دوق النمسا الملك رتشـارد ملك انكلتـرا واعطاه الى ملك المانيا ، وجمع هـذا الملك مبلغ المائتـي الف مـارك الذي أخذه فدية من الملك رتشـارد مـع المال الذي أخـذه مـن بيولا وصقلية ، ثم ذهب الى روما حيث توج امبراطورا ، فبهذا المال أقنع الرومان في أن يتوج بسلام وأمـان ، لأنه يقـال : أنه في اليوم الذي يستلم فيه الامبراطور تاج امبراطورية رومـا يجـب عليه أن يدفـع كثيرا من المال الى الرومان واذا لم يسـتطع أن يدفـع ذهبـا يدفـع دما ، لأنه في تتويج عدد كبير من الأباطرة عندما لم يدفـع للرومـان المال الكثير دفع لهم الدم الغزير الذي كان يسيل مثـل السـواقي في

وسط الشوارع ، وحدث في عدة مرات أثناء تتويج الامبراطور ان امتلأت كنيسة القديس بطرس بالدم ، هذا وتوج هنري هذا غداة انتخاب البابا كلستين .

١٦٩ ـ رأس الامبراطور فريدريك الذي تحدثنا عنه الامبراطورية في أيام حياته ، كما أمر أن يقسم له بأن تكون السيادة على الامبراطورية له وحده ، وهكذا ظل حتى تاريخ وفاته (في سنة ١٢٥٠) وغمرنا الرب بنعمه .

١٧٠ ـ بعدما أبرم الصلح بين الملك ايمري والكونت هنري حسبما تحدثنا من قبل ، استعد الكونت هنري للعودة الى عكا ، لكنه سمع أن الملك العادل الذي استولى على مملكة القاهرة بعدما انتزع الملك من أبناء أخيه قد أوقف العمل بالهدنة التي عقدها معه الملك رتشارد لذلك اسرع بالذهاب الى ليماسول ومن هناك ....

صقلية ، فاستولى على بلرم وعلى القصر فيها وكان في داخله أولاد تانكرد فقضى عليهم ، وكان للملك تانكرد ابنتين ، وقد تمكنتا من الفرار ، وقد تزوجت احداهما من الكونت غوتيير دي برن ، وتزوجت الثانية من كونت دي غريفين ، وأباد الملك هنري كثيرا من سكان بيولا مع سكان صقلية .

وحدث في هذه الفترة أن قبض دوق النمسا على الملك رتشارد ، وحمله الى الملك هنري ، وجمع هذا الملك الاموال التي حصل عليها من فدية رتشارد ومن بيولا ومن صقلية وجاء بها الى روما ، وطمأن الرومان فتوج امبراطورا .

وفي الحقيقة كان فردريك والده الذي تحدثنا عنه قد حكم المملكة واورثها حتى الثالث من أولاده .

وبعدما أنجز هنري امبراطور ألمانيا كل هذه الاعمال وبعدما توج امبراطورا ، عطف على مملكة القدس ، متذكرا العواطف التي أبداها والده نحوها وكيف أنه أراد أن يراها بحالة جيدة ولكنه لم يتمكن من ذلك ، فبعث (هنري) بوفود الى ألكس امبراطور القسطنطينية ، طالبا منه أن يعمل على تمهيد الطرق والسبل واعداد المرافىء حتى تتمكن قواته وسفنه من العبور والنجاح ، وأن يرسل ايضا رجاله الى مملكة القدس لينقذها من أيدي أعدائها . واذا لم ينفذ ذلك سيأتي بالفعل ليراه .

وجاءت الوفود الى الامبراطور ألكس وأبلغوه ما أوصاهم به سيدهم ، فانزعج من ذلك كثيرا ، ولم يرق له جل ما قالوه له ، لكنه في النهاية وافق على مطالب الامبراطور هنري ، وذلك نزولا عند مطالب رجاله واستجابة لنصائحهم .

عبر وجاء الى عكا ، فوجد أن المسلمين قد جاسوا خلال الديار حيث أحدثوا أضرارا جسيمة .

١٧١ ـ وكنا قد تحدثنا عن الامبراطور هنري الذي استولى على سالرنو وبلرم مع بقية أجزاء مملكة صقلية ثم توج امبراطورا ، لقد أشفق هذا الامبراطور كثيرا على مملكة القدس ، لهذا قام بأعمال كبيرة ، ثم أخذ هذا الامبراطور بارضاء الناس غير انه لم يستطع اتمام مابدأ به ، ولو أن الرب منحه حياة أطول لكان قد تمم ذلك ، فلقد طلب برجاء ، ثم أمر أمراء المانيا بحمل الصليب للذهاب لتحرير مملكة القدس ، فأجابوه انهم لن يمكنهم المغادرة قبل العودة الى مناطقهم واماراتهم لاكمال الاستعدادات لهذه الحملة ، فهم أرادوا العودة الى المانيا لتفقد قصورهم وقلاعهم ، فسمح لهم بذلك فعادوا الى المانيا واستعدوا للعبور بالطرق التي تناسبهم ، وقام الامبراطور باستعدادات كبيرة في بيولا حيث جهز السفن وشحنها بالمؤن والعتاد .

١٧٢ ـ وفي أثناء الاستعدادات التي قام بها الامبراطور هنري أوفد رسلا من قبله الى امبراطور القسطنطينية الذي كان يدعى الكسس ، حيث طلب منه اعداد الطرق والمرافىء التي سيعبر منها هو ورجاله وسفنه ، فقد كان هذا مما توجب عليهم القيام به ، وأن يرسل هذا الامبراطور نفسه بعضا من رجاله الى مملكة القدس لينجدها ضد أعداء الصليب ، واذا لم ينفذ مطالبه ويفعل ذلك ، سيأتي اليه ليزوره وهو يتحداه سلفا .

١٧٣ ـ وعندما جاء رسل الامبراطور هنري الى القسطنطينية استقبلهم الامبراطور الكسس بكل حفاوة وذلك تقديرا منه لسيدهم ، وأراد أن يظهر مجده وغناه أمام رسل امبراطور المانيا ، وقبل ان يطلع على مهمتهم ، زين قصره بالزينات الذهبية والحريرية ، وبعد ذلك استدعى اليه الرسل ، وعندما مثلوا في حضرته سألهم عن امبراطور المانيا وعن أملاك وثروات

- ٤٠١٠ -

سيدهم ، وعما أذا كان غنيا مثله ، وعما اذا كان لديه جواهر ثمينة مثله ، ولم يتردد الرسل الذين كانوا حـكماء



ومدربين في احسان الجواب ، فأجابوه ان سيدهم اغنى منه بعشر مرات ولديه ثروات اكبر بكثير مما رأوه في مملكة القسطنطينية ، وعند ذلك قال لهم: « هل لديه زينات وزخارف غنية مثلما ترون لدي»؟ فقالوا له

نعم يامولاي لديه أجمل وأثمن ، فقال الامبراطور :« بأي شيء هي أجمل »؟ فقالوا :« أولا لديه محبة رجاله ، وثانيا كل أرجاء الامبراطورية تحت امرته وسلطانه وهي : روما ، وتوسكانيا ، ولومبارديا ، والمانيا ، وبورغونيا ، وبيولا ، وصقلية ، ولذلك يطلب منك بوساطتنا أن تعد السفن والطرق حتى يتمكن هو ورجاله من القيام بمهام العمل الذي عزموا تنفيذه ،وهو يطلب منك أيضا أن تستعد أنت بدورك حتى تمضي معه الى مملكة القدس ،عندما سيمر بك للعبور ، واذا لم تنفذ ماطلبه منك بوساطتنا سيأتي لزيارتك في امبراطوريتك ، وآنذاك سيكون بامكانك أن ترى الزينات والزخارف الذهبية التي سميناها لك ».

١٧٤ ـ عندما سمع الكسس ، امبراطور القسطنطينية قول الرسل تأثر كثيرا ، وغضب غضبا شديدا ، لكنه لم يفقد شجاعته أو توازنه فقال للرسل :« أيها السادة، سمعت جيدا ماذقلتموه لي من سيدكم ، اذهبوا الآن واستريحوا ، وسأفكر ثم أجيبكم حسبما يترتب علي ».

وبعدما غادر الرسل حضرته ، استدعى اليه جميع الشيوخ المحنكين وأعيان القسطنطينية ، ولما اجتمعوا به قص على مسامعهم ماحمله له رسل امبراطور المانيا وأبلغوه به ، وكان يريد اظهار قدرته على اللامبالاة بامبراطور المانيا ، وكذلك أراد اهانة الرسل النين أبلغوه في امبراطوريته مثل هذه الرسالة ، لهذا قال مخاطبا الحضور :« انني جمعتكم هنا وأريد أن أستمع الى نصيحة كل واحد منكم ، وليخبرني كل واحد منكم بما يريده ». وقد وافقه بعض الشباب على توجيه الاهانة للرسل واذلالهم .

١٧٥ ــ ولكن انبعث من بين الحضور شـيخ اغريقـي مـن أيام الامبراطور مانويل ، فطلب من الامبراطور أن يسمح له بالتعبير عن رأيه فقال :« يامولاي هل تسمحون لي بـالتعبير عن رأيي ، ولعـل ماسأقوله هو الصحيح »؟ فقال الامبراطور :« أريد أن تقول ماتراه الافضل » فقال :« دعني أخبركم أن الملك وليم الذي كان جارا لكم قد خطب ابنة الامبراطور مانويل لتكون له زوجة ، فوافق أولا على طلبه ، ثم ندم على ذلك ، ولهذا حاربه الملك وليم بقسـوة حتـى أنه استولى على ثلث امبراطوريته وانتزعها منه و لو لم .

وقال الامبراطور الكسس لرسل الامبراطور هنري أنه كان سعيدا جدا لسماع أن الرب قد ألهم رجلا ساميا مثل امبراطور ألمانيا وملك صقلية للذهاب في سبيل انقاذ مدينة القدس المقدسة وللثأر للعار والاضرار التي سببها غير المؤمنين وانزلوها بحق شعب يسوع المسيح ، « وانني سأبذل كل مااستطيع وأقدم كل مساعدة ممكنة ، وتأكدوا أنه عندما سيعبر من هنا امبراطور ألمانيا سأكون قد هيأت كل مايروق له ولاتباعه » ثم أعطى هدايا جميلة وثمينة الى أعضاء الوفد ، واستأذنه هؤلاء ، وعادوا الى سيدهم في صقلية ونقلوا اليه الجواب الذي أعطاهم اياه الامبراطور الكسس .

وثانية حول هذا الموضوع :

وكان عندما ذهب الوفد الى القسطنطينية أن أرسل الامبراطور هنري الى ألمانيا لاستدعاء الأمراء والبارونات وحثهم على الذهاب الى مملكة القدس، وبعث كذلك الى الكرسي الرسولي المقدس في روما يطلب منه أن يرسل أسقفا الى ألمانيا ليبشر بالحروب الصليبية ، وليعلم الناس أن كل من يريد الذهاب الى بلاد سورية من فقراء أو أغنياء أنه سيقدم لهم الاموال والمساعدات لعبور كل منهم الى القدس أو سورية ، واستجاب كثير من الناس وأصبحوا صليبيين وقدموا الى بيولا حيث كان الامبراطور بانتظارهم وحيث كان قد أعد لهم مايلزم للعبور ، وعندما اجتمع الألمان والذين تقرر أن يرسلهم الامبراطور على نفقته كان بينهم ثلاثة آلاف من الفرسان واجتمع الى جانب هؤلاء عدد كبير جدا من الرجالة ، وكان في هذا الحشد كونراد رئيس اساقفة ميذس والقاصد الرسولي الممثل لروما ، وكونراد مستشار القصر الامبراطوري ، وأوصى الامبراطور هؤلاء المسافرين باطاعة أوامر المستشار ، وكان معهم أيضا هنري كونت بالادين وهنري دوق برابانت وعدد كبير آخر لايمكن عده ، وأوصاهم الامبراطور بألا يسافروا من بيولا الا

لخدمة يسوع المسيح ، ووعدهم بـــارسال المزيد مـــن القـــوات مـــع مساعدات عظيمة .

ولو لم يمت سريعا لكان انتـزع منه مـا تبقـى مـن امبراطوريته ، ولم يعوض عن ذلك منذ ذلك الحين حتى أصبح أخوك امبراطورا ، فعوضه بذكائه ، وقـد شـهدت أنت نفسـك قـدوم الامبراطور فردريك والد هذا ، للذهـاب الى مملكة القـدس ، على الرغم من أنه عندما أصبح أخوك امبراطور القسطنطينية ، لم يرغب في استقباله أو التجاوب معه ، وذلك الامبراطور لم تـكن له سـلطة قوية مثلما لهذا الامبراطور ، فهذا يتمتع بسلطة أكبر مما كان لذاك في مملكة صقلية ، وبناء عليه انني أنصحك بأن تجيب جوابا حسـنا على طلب الرسل ، وعند وفاة هـذا الامبـراطور يدبـر الرب مـا يريد ، حيث يحكى أن الألمان سيثورون ضده ، والاغريق غاضـبون عليه ، وعليه أنصحك ألا تنفعـل ولا تـظهر أنني غضـب تجـاه الرسل ، لأن هـؤلاء الرسل أبلغوك ما كلفهم به سيدهم .

وأصغى الامبراطور المذكور بكل عناية الى نصيحة هـذا الشـيخ النبيل ، ورأى أنه قد نصحه بشكل جيد وبكل اخلاص ، ثم دعا اليه رسل امبراطور ألمانيا وقال لهم : لقـد وجـد أن عليه الاجـابة على رسالة سيدهم الذي أرسلهم اليه ، لانه يحب مملكة القـدس ويرعى مصالح المسيحيين ، ولأنه يبذل جهـوده في سـبيل مصـلحة مـدينة القدس المقدسة ، وفي سبيل تحريرها ، وانه لأمر يبعث على السرور أن ألهم الرب ويسر للقيام بهذا العمل رجـل عظيم هـو امبـراطور ألمانيا وملك صقلية ، فجعله يقرر الذهاب كي يحرر مـدينة القـدس المقدسة ، وكي يثأر للعار الذي لحق بيسوع المسيح ، وبمشيئة الرب وعونه ، إنه سيفعل مثلما فعل أسلافه ، وبالنسبة لي إنه مثلما كان الامبراطور مانويل سيبذل جهده ويقدم مساعداته لتحـرير الأراضي المقدسة ، هكذا سأفعل ، فعندما سيمر الامبراطور من هنا سـأقوم باستعدادات ترضيه وترضي أصحابه ومن معه ، وبعـد ذلك أعطـى الرسل هدايا جميلة وثمينة ، فاستأذنه هؤلاء وسافروا الى صـقلية حيث وجدوا سيدهم امبـراطور ألمانيا ، فقـدموا له الجـواب الذي أعطاهم اياه امبراطور القسطنطينية .

١٧٦ ـ وبعدما عاد الرسل المشار اليهم من القسطنطينية ، وقدموا الجواب الى سيدهم ، كتب امبراطور آلمانيا حالا الى امراء آلمانيا والى بقية البارونات للحاق به ومن ثم التحرك للذهاب الى مملكة القدس ، وأخبرهم أنه سيقدم المساعدات والسفن الى جميع الذين سيذهبون للاسهام في بذل المساعدة على احتلال أراضي القدس ، وعلى هذا إن هذا التحرك لن يكلفهم شيئا من النفقات ، ولقد كان هذا هو التحرك الثاني للألمان في سبيل احتلال مملكة القدس .

-٤٠١٨-

كيف وصل الألمان الى عكا:

وصل قسم من الألمان الذين عبروا البحر الى قبرص ، ووصل القسم الآخر الى عكا ، وكان مع الذين وصلوا الى قبرص مستشار ألمانيا ، وعندما علم الملك ايمري بذلك ذهب الى استقباله ورحب به ترحيبا كبيرا ، وأعلمه أنه منذ أن كان عند الامبراطور توسل اليه للقدوم ، لأنه رغب في استلام البلاد من أيدي الامبراطور ، واتفق مع المستشار وأخبروه بأنه سيقوم بذلك لأنه استقبله ، ثم اصطحب معه فرسانه وذهب الى نيقوسيا وتوجه فيها وبعدما توجه ذهب الى سفينته وسافر وصحبه من قبرص ، هكذا وصلوا الى عكا بعدوصول الآخرين .

وعندما بات الألمان في عكا تعالوا على سكان البلاد واحتقروهم ، وبدأوا يسببون لهم ازعاجا عظيما ، ويلحقون بهم أضرار كبيرة لم يستطيعوا تحملها ولكن مولانا لم يكن يريد حصول مثل هذه المشاكل والاساءات بين المسيحيين حيث أن سادة الألمان عندما سمعوا بما يحصل أرسلوا اتباعهم ليتمركزوا على الشاطىء خارج المدينة .

١٧٧ ـ وكتب الامبراطور هنري الى بابا روما متوسلا اليه وطالبا منه أن يرسل الى المانيا ممثلا له ليبشر بالصليب ، واعلمه انه سيقدم ما يلزم من المساعدات والسفن الى جميع الذين سيذهبون لتقديم المساعدة في سبيل احتلال مملكة القدس ، وأن السفر لن يكلف أحدا شيئا من المال ، وأنه لن يتخلى عن قيادة هذه الحملة حتى تتحرر القدس ، ونتيجة لهذا الطلب والتحريض اجتمع عدد كبير من الفرسان والبارونات ، وذهبوا الى بيولا حيث كان الامبراطور بانتظارهم ، وهناك أسند الامبراطور قيادة الذين اجتمعوا الى مستشار مملكة المانيا ، فرحب هؤلاء بهذا القرار واستقبلوه بكل سرور ، وظل العدد الأكبر من المتطوعين والفرسان تحت امرة الامبراطور ، وشجع الامبراطور كل الذين باتوا تحت امرة المستشار وحثهم وطمأنهم ووعدهم انه لن يغادر بيولا قبل ان يصلوا الى بلاد ما وراء البحار وسيمدهم بالمال والرجال ماداموا في خدمة يسوع المسيح .

وتجهز الاسطول واحتشد الناس وأقلعوا وابحروا حتى وصلوا الى عكا ، وكان الذين عبروا عبارة عن ثلاثة كونتات مع ثلاثة الاف فارس ورجالة وسيرجانتية لا يمكن عدهم ، وكان في عداد هذه الحملة مندوب البابا دي لي اغليس دي روما وكونراد رئيس أساقفة دي مذس وكونراد مستشار القصر الامبراطوري ، وهنري كونت بالادين وهنري دوق برابانت ، وعدد كبير اخر ، يمكن أن يقال أشياء كثيرة حول اسم كل واحد منهم .

١٧٨ ـ وعندما وصلوا الى عكا جعلوا من هنري كونت بالادين قائد الجيش كله ، ومن دوق برابانت رئيس القضاة ، ذلك انه وصف بالنزاهة والشرف والعدل في القضاء ، ومنذ أن وصلوا الى مدينة عكا عاملوا سكان البلاد بازدراء حتى أنهم طردوهم من فنادقهم ، لا بل أكثر من ذلك ، عندما كان فرسان البلاد يخرجون بمهام خارج عكا ، كانوا يذهبون الى بيوتهم ويطردون نساءهم ويسكنون محلهم ، وقد أزعج هذا التصرف سكان البلاد ازعاجا

كبيرا ، فأطلعوا عليه الكونت هنري ، وعندما سمع الكونت بأمر هذه التعديات غضب كثيرا وتشاور مع اعيان المملكة واخبرهم انه سيتدخل لحسم الأمور ، فقال له السير هيو امير طبرية :إن هذه التعديات مما لا يمكن تحمله ابدا ، وهو يعرف شخصيا أن مثل هؤلاء الألمان اذا لم يواجهوا ببعض القسوة لا يمكن احتمالهم ، ثم قال : « لنضع نساءنا وأولادنا في داري فرسان الداوية وفرسان الاسبتارية ولنضع معهم بقية الناس ، فإذا انقضوا عليهم ، يمكن آنذاك التخلص من هذه المشاكل ، وهكذا بحث الأمر واتفق عليه ، ورفض سادتنا نشر اخبار هذه الاساءات بين أوساط المسيحيين ، وعندما سمع أشراف الألمان بأخبار هذه الاساءات نصحوا الألمان بالخروج من المدينة واتخاذ معسكراتهم قرب الشاطىء لئلا يلحق الضرر بأي انسان ، واستمعوا الى هذه النصيحة وخرجوا للسكن هناك .

وجمع العادل الذي استولى على مملكتي باب اليون (مصر) ودمشق وانتزعهما من ولدي أخيه ، عددا كبيرا من رجال السلاح وبذل كل جهوده ، ثم جاء الى عكا ، وبعدما علم الكونت هنري بذلك أعلم الالمان ، فحملوا أسلحتهم وزحفوا ضدهم ، وعندما رأى الالمان المسلمين قال لهم هيو صاحب طبرية : « أيها السادة ، انظروا هاهي مملكة بابليون ومملكة دمشق ومملكة القدس ، لا بل البلاد بمجملها أمامكم ، وبناء عليه فليبرهن من أراد منكم على فروسيته » ، ونشبت معركة قاسية خلال اليوم كله ، وفي النهاية تخاذل الالمان وانسحبوا أمام تفوق قوة المسلمين ، فقد قيل كانوا يتألفون من سبعين الف مقاتل مسلح ، ولذلك انسحب أكبر قسم منهم ومن سكان المملكة ، وأعلنوا أنهم اضطروا الى التراجع الى داخل عكا ، وتركوا باقي الناس تحت رحمة الرب .

وعندما علم هيو صاحب طبرية أنهم اضطروا الى التراجع مما شكل عارا على المسيحية ، توجه بالخطاب الى الكونت هنري قائلا : أحلفك بالرب يا مولاي ، لا تلحق هذا العار بك وبمملكة القدس ، وذلك بالتراجع والاستسلام ، ولكن أرسل الى عكا واستدع كل الذين يستطيعون حمل السلاح والقدوم الى نجدتكم » وبعث الكونت واحدا من فرسانه الى عكا لاستدعاء الناس الذين بقيوا داخل عكا ، ووصل في تلك الاثناء أعداد كبيرة من البيازنة والفلورنسيين ، وكانوا قد جاءوا متطوعين من بلادهم ، وكانت لهم مكانتهم الكبيرة في المسيحية ، كما أنهم كانوا مسلحين وفق طرائق بلادهم ، وبناء على نصيحة هيو صاحب طبرية وزع الكونت فيالقة ونظمها ، وعين الناس الذين سيقفون في المقدمة وأمرهم بعدم التحرك لأي سبب كان ، وتظاهر المسلمون الذين رأوا ذلك بأنهم زاحفون نحو رجالنا ، وزحف رجالنا نحوهم ، غير أن المسلمين قاموا بتحرك خاص متعمد ثم عادوا الى الوراء ، ومن ثم عاد رجالنا الى عكا ، وهكذا انقذ الرب في ذلك اليوم المسيحيين بنصيحةهيو صاحب طبرية ، وبعد ذلك رحل المسلمون من هنالك وذهبوا الى يافا .

١٧٩ - وفيما هؤلاء في معسكرهم على رمال الشاطىء ، قام العادل الذي استولى على مملكتي دمشق والقاهرة بعدما انتزعهما من ولدي أخيه صلاح الدين ، فحشد رجال جيشه مع جميع الذين كانوا تحت سلطانه وسيادته ، ودخل الى أراضي عكا ، وبعد دخولهم أطلع الكونت هنري دوق برابانت على الأمر وأخبره أن المسلمين باتوا على مقربة من عكا . فامتطى الفرسان خيولهم وحملوا أسلحتهم واستعدوا للاقاتهم فقال لهم هيو صاحب طبرية :« أيها السادة هاهي مملكة القدس ، ومملكة دمشق والبلاد كلها أمامكم » .

وعندما رأى الالمان قوات المسلمين كم هي عظيمة وكبيرة اعترتهم الدهشة لأنه قيل لهم أن العادل بالذات قد جاء ومعه سبعين الف رجل مسلح ، وواجه الالمان يوما قاسيا جدا ، حتى أن جل سكان المملكة والالمان اضطروا الى الانسحاب إلى داخل مدينة عكا ، وبقي الكونت في الخارج مع عدد قليل من الرجال علق مصيرهم بين أيدي الرب ، وعندما رأى هيو صاحب طبرية أن رجال امبراطورية المانيا مع رجال مملكة القدس اضطروا الى التراجع والانسحاب مرغمين وملحقين العار والخجل برجال المسيحية قال للكونت هنري :« كيف ؟ هل تريد أن تجلب العار والخجل لشعبك ولمملكة القدس »؟ فقال له :« بماذا تشير علي ياسيد هيو ، وماذا تريد مني أن أعمل ؟ الا ترى أن هؤلاء السادة قدحبطت أعمالهم » فرد عليه قائلا :« أشير عليك باستدعاء بقايا جيشك ليأتوا اليك ، ويقفوا معك لمساعدتك هنا ».

ودخل الى عكا وحرك رجال الدين وأثار الرهبان وسواهم من الناس ، ووصل في تلك الأثناء أعداد كبيرة من البيازنة والفلورنسيين ، فاستنفروا أنفسهم وخرجوا متطوعين للوقوف ضد المسلمين ، فقد كانوا يحبون المسيحيين كثيرا ، وهكذا وضعوا أنفسهم تحت امرة الكونت هنري ، وعندما فعلوا ذلك قالوا للعسقلانيين :« وانتم ، لماذا لاتذهبون لنجدة سيدكم »؟ فقال

الكونت :« بالنسبة لي إنهم لم يعودوا من أتباعي » وعندما وصلت النجدات الى الجيش ، قال هيو صاحب طبرية للكونت :« لقد رأى المسلمون أننا حصلنا على بعض النجدات ، ولا شك أنهم حسدونا على ذلك كثيرا ، وسيقدرون الموقف ، فاذا ماوجدوا أنهم مازالوا يستطيعون الانتصار علينا والحاق الهزيمة بنا فسيبقون ، لكن اذا قدروا أنهم ماعاد بامكانهم التغلب علينا والحاق الخسارة بنا ، فسيسافرون ويرتدون عنا ، على كل حال نظموا جيدا فرق فرسانكم وفرق سيرجانتيتكم ، ومروهم الا يخافوا أبدا من هجومهم عليهم ، لأنهم سيحاولون الآن اظهار كل مالديهم من قوة ».

١٨٠ ــ ووثق الكونت بكلام هيو صاحب طبرية ، وأمر بالحال بتنظيم فرق الجيش ، وحصل على عدد كبير من البيازنة والفلورنسيين المسلحين بشكل جيد وفق طرائق بلادهم ، فأمر بوضعهم في المقدمة أمام الفرسان ومعهم كثير من السيرجانتية الآخرين ، وأصدر الكونت أوامره اليهم في أن لايتحرك أي منهم الا بناء على أوامره هو وعندما أكمل الكونت تنظيم فرقه ، تظاهر المسلمون بالزحف نحو رجالنا .

كيف مات الكونت هنري :

بعدما عاد الكونت هنري الى عكا ، أرسل الملك ايمري واحدا من فرسانه ويدعى وليم برلياس ، وهو والد ايمري برلياس ، الى الكونت هنري يطالبه باسم سيده تسليمه يافا وفقا لما تم الاتفاق عليه .

وأعجب الكونت بهذا الطلب وقال للرسول عليك الذهاب للاستيلاء على المدينة ، وعليك أن تبذل الآن كل جهد ممكن وأن تقوم بانجاز مايحتاج الى سنة لانجازة في الأحوال العادية ، لأنني سمعت أن الملك العادل يريد محاصرتها ، واذا لم تنجح الآن ستعود منها خائبا ، وعليك أن تقوم مع رجالك وقواتك بحماية المدينة والدفاع عنها بشكل جيد .

وسافر هذا من عند الكونت ، وتوجه الى يافا ، لكنه لم يصنع شيئا مما قال له الكونت وأوصاه به ، بل اصطحب معه زوجته الى هناك .

وكانت ملكة هنغاريا ابنة الملك لويس ملك فرنسا ، خالة الكونت هنري ، وكان زوجها قد توفي بدون خلف ، فآلت المملكة الى أخيه ، وتملكت الملكة رغبة بالذهاب الى القدس لزيارة الضريح المقدس ، وحيث ان الامبراطور كان قد بعث بنجدة كبيرة ، فقد خيل اليها أنه

وعند ذلك قال هيو صاحب طبرية :« لنتظاهر بدورنا أننا متوجهون نحوهم » فقال الكونت : أحسنت كثيرا وأصبت الرأي ، وعندما رأى المسلمون ذلك عادوا الى مراكزهم ، ولم يحققوا هدفهم ، بل تراجعوا من هناك ، وهكذا خلص مولانا يسوع المسيح المسيحيين في ذلك اليوم وأنقذهم بوساطة نصيحة هيو صاحب طبرية .

١٨١ ـ وتخلى المسلمون عن المنطقة وسافروا من هناك الى يافا ، وفي تلك الاثناء عاد الكونت مع رجاله الى داخل عكا ، وفيما هو في عكا أرسل الملك ايمري رجلا واحدا من فرسان قبرص اسمه وليم برلياس ، وهو والد ايمري برلياس ، وذهب وليم الى الكونت هنري لاستلام يافا ، فبذلك كلفه الملك ، وفق ماكان متفقا عليه ، ولدى اطلاع الكونت على هذا التكليف وبعدما قرأ ماجاء في رسالة الملك سر كثيرا وقال لوليم :« اذهب الآن بدون تأخير الى يافا حتى تستولي عليها ، وتتصرف بها ، ولتبذل كل جهد ممكن للحفاظ عليها ، وعليك الآن ان تقوم بالأعمال التي قد تحتاج في الأحوال العادية الى سنة لانجازها ، فلقد بلغني ان الملك العادل في طريقه لحصار يافا ، لأنه اذا لم يحقق هناك نصرا على المسيحيين فسيعود الى مقر ملكه مخفقا مهزوما ، لذلك انني أدعوك لابل اكلفك ان تبادر بالذهاب الى يافا فتستولي عليها وتشحنها برجالك ، فاذا ماوصل اليها لن يستطيع الحاق اي ضرر بها ، لأنك ورجالك ستستطيعون الدفاع عنها » .

١٨٢ ـ وسافر الكونت وليم برلياس بدون تأخير ، وذهب ليستولي على يافا ولكن فعل مثلما فعل بيتابين ، وذلك انه لم يأخذ بنصيحة الكونت ولم ينفذ أوامره ، بل تصرف وفق ماأملاه عليه هواه ، ووثق كثيرا بنفسه ، وهكذا قصد يافا ومعه عدد صغير من المرافقين ، واثر دخوله الى يافا وصل الملك العادل ليقوم بمحاصرتها ، وعندما وجد سكان القلعة انفسهم تحت الحصار ، ولما رأى قائدها ان مالديه من رجال هو قليل بعث الى

الكونت هنري يطلب انجاده بالرجال والعتاد والا فأن القلعة ستدمر ، وستسقط مالم تحصل على النجدات السريعة .

١٨٣ ـ وعندما سمع الكونت بهذه الأخبار غضب غضبا شديدا ، وانفعل وتأثر كثيرا ، لكن الذي حدث ليس مدهشا ، فهو كان قد كلف وليم برلياس ونصحه بالتقيد بالاوامر في أن يشحن القلعة بالرجال والسلاح والعتاد وبكل ماتحتاجه من ضرورات ، لكنه اكتفى باصطحاب زوجته معه .

وفي الوقت الذي وصلت فيه هذه الأخبار الى الكونت ، علم أن الملكة مرغريب ابنة الملك لويس السابع ملك فرنسا وخاله الأمير هنري قد توفي زوجها ملك هنغاريا من دون وريث •

لابد من أن يتم نصره وانقاذ مملكة القدس ، ولذلك باعت هذه الملكة كل ماكانت تملكه الى أخي زوجها ، وحصلت على مبلغ من المال كبير ، وحملت شارة الصليب ، واصطحبت معها عددا مناسبا من الفرسان ، ثم قدمت مع الالمان الى سورية ، فوصلت الى صور ، واستقبلها الكونت هنري استقبالا مشرفا ، غير أنها لم تعش سوى سبعة ايام ثم ماتت ، وقد دفنت في ساحة كنيسة صور ، وقبل موتها اعطت كل أموالها الى الكونت هنري لأنه كان ابن اختها ، وعاد الكونت هنري الى عكا بعدما دفنت .

وبينما كان وليم برلياس في يافا جاء الملك العادل الى يافا وحاصرها ، وعاث هناك وضرب من كان بداخلها بكل قسوة ، وعندما رأى حاكم يافا هذا الوضع ارسل الى الكونت هنري يطلب ان ينجده بسرعة ، والا فان القلعة ستسقط ، وعندما سمع الكونت غضب غضبا عظيما ، ولم يكن الذي حدث مدهشا ، لان حاكم يافا لم يعمل شيئا مما أمره به الكونت ، واستدعى الكونت السيرجانتية ، والعساكر من الرجالة ليرسلهم الى يافا ، وعندما جاءوا ساحة القصر للاستعراض ، كان الكونت مستندا الى حافة النافذة ينظر الى الوادي ، فسقطت حافة النافذة وهوى الكونت الى الحفرة العميقة في الوادي ، وسقط واحد من خدمه ، وكان واقفا الى جانبه ، بعده من شدة الخوف والرعب ويقال لولا ان سقوط الخادم القزم جاء فوق جسمان الكونت لم يمت بسرعة ، وكان الكونت قد أمر مرارا عدة بتدعيم حافة النافذة ، ودفن بعد موته في كنيسة الصليب المقدس في عكا .

وتمكن المسلمون الذين كانوا أمام يافا من الاستيلاء عليها بالقوة ، واجتاحوا القلعة وأسروا جميع المسيحيين الذين كانوا في داخلها .

فانتقلت المملكة الى أخيه البارون ، وخططت الملكة للذهاب الى القدس لزيارة الضريح المقدس ، وحيث أن الامبراطور كان قد بعث بنجدة كبيرة ، فقد خيل اليها أنه لا بد من أن يتم انقاذ مملكة القدس ، ولذلك باعت هذه الملكة كل ما كانت تملكه الى البارون أخي زوجها ، وقبضت على مبلغ كبير جدا من المال ، فحملت شارة الصليب ، واصطحبت معها عددا مناسبا من الفرسان ثم قدمت مع الألمان الى سورية ، فوصلت أولا الى صور ، وكلها أمل أن قدوم الألمان سيمكن من استرداد مدينة القدس وانقاذها من أيدي المسلمين .

وذهب الكونت هنري من القدس لرؤية خالته ، فاستقبلته بحفاوة عظيمة ، غير أنها لم تعش بعد دخولها الى صور سوى سبعة أيام ، ثم ماتت ، فدفنت في ساحة كنيسة صور ، وقبل موتها أعطت مالها كله الى الكونت هنري لأنه كان ابن عمها وابن أختها بالوقت نفسه .

وبعدما دفنت الملكة عاد الكونت الى عكا وأمر باستدعاء السيرجانتية والجنود من رماة المجانيق لتجنيدهم ومن ثم ارسالهم الى يافا لمساعدتها ، وبعدما تم استدعاؤهم جاؤوا الى قصره ودخلوا الى ساحته حتى يقوم باستعراضهم ، وكان الكونت آنذاك متكئا على شرفة النافذة ينظر الى الوادي أمامه فسقطت الشرفة ، فوقع في احدى الحفر ، وسقط واحد من مرافقيه بعده ، أو رمى نفسه بعده خوفا عليه وألما ، ويقال ان مرافقه القزم لم يسقط بل جاء لينتشل جسده ، ولم يعش الكونت بل فارق الحياة على الفور ، ويوم وفاته أصيب المسيحيون في مملكة القدس بخسارة عظيمة ، لأنه كان رجلا شريفا وحكيما ، ووفر الراحة والمنفعة طيلة حياته لسكان المملكة ، وقد كانوا في أيام حياته يرتدون أفخر الملابس ، ولكن بعد وفاته استولى الرعب على من كان يدين بالطاعة له .

١٨٤ ـ وبعد وفاة الكونت هنري تمكن الملك العادل ، الذي كان يحاصر يافا ، من الاستلاء عليها ، ودخولها عنوة من جهة البحر ، من المنطقة التي كان البطريرك غيروت قد حصن برجها بشكل جيد ، ذلك انه كان أضعف مكان في القلعة وأسر المسلمون وليم برلياس مع زوجته ، ولجأ الناس الآخرون الذين كانوا في القلعة إلى كنيسة القديس بطرس ، لأنهم أملوا أن ينتظروا هناك وصول النجدة اليهم من عكا ، ولكن الذي كان عليه أن ينجدهم كان قد مات ، وهكذا تمكن المسلمون من التسلق الى ظهر الكنيسة فأسقطوا قبتها وسقفها فوقهم ، حتى أن العدد الأكبر منهم لاقى حتفه هناك ، وأما الذين نجوا فقد ألقي القبض عليهم ، ووقع اضطراب عظيم بين صفوف أهل يافا وأصيبت قلوبهم ونفوسهم بهلع عظيم ، فهم قد وقعوا في أسر المسلمين بعد الحصار الشديد مرتين : الاولى أيام صلاح الدين والثانية في أيام أخيه سيف الدين الذي كان يدعى العادل .



١٨٥ ـ بعد استيلاء المسلمين على يافا اجتمع الألمان بسكان المملكة للتشاور حول اعانة المسيحيين ، ثم غادر الألمان عكا ، وذهبوا لحصار قلعة الشقيف (في ٢٨ تشرين ثاني ١١٩٧) وأثناء حصارها ذهب رئيس الأساقفة ايمري دي ميانس الى أرمينية لتتويج لاون دي مونتايين ملكا على أرمينية (توج لاون الثاني ملكا من قبل بطريرك أرمينية غريغوري أبيراد بحضور رئيس الأساقفة ايمري دي ميانس وذلك في ٦ ـ كانون ثاني ١١٩٨) وفيما مستشار القصر الامبراطوري قائم على حصار الشقيف بعث برسالة الى بلاد ما وراء البحار ، الى الامبراطور هنري ، وعندما وصلته الرسالة وعلم أن رجاله يحاصرون الشقيف ، أزعجه ذلك كثيرا وغضب غضبا عظيما ، وليس هذا مدهشا (في الحقيقية توفي هنري السادس في ٢٨ ـ ايلول قبل حصار الشقيف) لأنه كان في تلك الأيام سيدا عالي المقام وقويا ، فقد اقترف رجاله خطأ كبيرا ، وخاب الأمل فيهم حين حاصروا هذه القلعة ، وسأل الامبراطور الرسل : « كيف حدث هذا ، أوليس هناك مدينة أخرى غير هذه القلعة حتى يحاصرونها »؟ فأجابه الرسل : « مولانا ليس هناك مدينةأخرى غير القدس ودمشق ، ونحن لم نمتلك مطلقا ما يكفي من الرجال للقيام بمثل هذا الحصار ، أوالقيام بهجوم ، ذلك أن عدد المسلمين كان كبيرا جدا في هذه المناطق ».

١٨٦ ـ وبعدما أرسلت الرسالة الى الامبراطور ، قام المحاصرون للشقيف بحفر مكان لغمين لنسف القلعة ، وعندما لاحظ الذين كانوا داخل القلعة خطورة الوضع لاشتداد الحصار ولوضع الألغام خافوا ورأوا أنهم لن يستطيعوا الحصول على أية نجدة من أية جهة كانت ، لذلك اجتمعوا فيما بينهم وتداولوا حول الوضع فوجدوا أنفسهم مضطرين لتسليم القلعة ، فبعثوا برسالة الى الألمان عرضوا فيها عليهم تسليم القلعة مقابل حياتهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن يطلقوا سراح غالبية الأسرى المسيحيين الذين في سجونهم ، وعندما سمع الألمان بعرض الاستسلام هذا تكبروا وتجبروا وركبوا رؤوسهم وتشددوا كثيرا ، وقال الرسل :

إنهم على غير استعداد لقبول استسلامهم على هــذه الصــورة ، إذ عليهم التنازل عن كل شيء والخضــوع لهــم ، وبعــدها أطلع الألمان رسل المسلمين على موضع اللغمين ، ثم قالوا لهم بعدما بينوا لهــم ما سيفعلوه : « كيف نمنحكم هذا الأمــان المطلوب وأنتــم الآن ملك أيدينا »؟ وبعد هذا أعطوهم مهلة للتفكير وسمحوا لهم بــالعودة الى القلعة .

١٨٧ ـ يثق الألمان كثيرا بقوتهم وبفضائلهم الخاطئة ، فهــم لم يشفقوا على الأسرى المسيحيين الذين سيعادون اليهم ، ولم يعرفوا ما يليق بهم من خير وشرف ، لأنهم لو تسلموا



القلعة وفق الشروط التي عرضها المسلمون ، لأعاد لهم المسلمون وقتها قلعة الشقيف القائمة في أرض صيدا مع بقية الحصون ، وهاجم الألمان القلعة برجالهم ومجانيقهم ، غير أن المسلمين دافعوا آنذاك بكل قوة وعزيمة ، وانهارت الأسوار الملغومة ، وأراد الألمان الدخول الى القلعة والاستيلاء عليها عنوة ، ولكنهم صدوا من قبل المسلمين ومنعوا من الدخول ، وعندما رأى المسلون شدة الهجوم خافوا من ان يستولي الألمان على القلعة ويقهروهم بالقوة ، فجددوا عرض الاستسلام وتسليميهم الرهائن ، وقال لهم الألمان : إن عليهم تسليم القلعة بما فيها من أموال ومقتنيات ، وسيتركونهم يخرجون بأشخاصهم فقط ، وتسلم المستشار الرهائن ، وأخبر المسلمين أنه لن يستطيع تسلم القلعة قبل الغد لأنها كانت ليلة الميلاد ، وكان عليه أن يحتفل بالعيد ، وبعدما أطلق المسلمون سراح الرهائن ز ندموا على ذلك ، لأنهم كانا يخشون من وحشية الألمان وقسوتهم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى كانوا قد ترامت الى اسماعهم بأن النجدات هي في طريقها اليهم من مصر ، فغيروا رغباتهم ومواقفهم وتوقفوا عن أطلاق سراح بقية الرهائن .

١٨٨ ـ وفيما الألمان ينتظرون استسلام قلعة الشقيف ، بلغهم ان الامبراطور هنري سيدهم قد توفي ، وأن النجدات من مصر في طريقها الى المقيمين داخل القلعة ، وعندما شاهدوا النجدات اجتمعوا واخذوا يتداولون فيما بينهم واضطربوا واستولى عليهم الرعب ، وفقدوا شجاعتهم وارادتهم وحزنوا وما عادوا يدرون ما سيفعلون بسبب وفاة سيدهم .

١٨٩ ـ وفي هذا الوقت بالذات حدث أن سلطان مصر ، وهو ابن صلاح الدين ، ذهب ذات يوم الى الصيد فسقط عن ظهر حصانه فاندقت رقبته ، وعندما سمع عمه الذي كان بدون مملكة ، بذلك استولى على البلاد وحصنها ، وأطلق سراح جميع الفرسان والاسيرجانتية وأعطاهم أموالا طائلة ، وعندما علم سلطان دمشق

بأمر الاستيلاء على يافا وأن أخاه قد مات ، وأن عمه قد سيطر على البلاد خاف كثيرا وانسحب الى دمشق ، وجمع رجاله لأنه كان يعلم ان عمه سيحرمه من كل ارث اذا استطاع وهذا ما فعله .

كيف تزوج الملك ايمري مـن ايزابيل أرملة الكونت هنري :

وبعدما مات الكونت هنري عقد سادة البلاد اجتماعا لانتخاب سيد للبلاد وتزويجه من أرملته ، وكان في البلاد رجلا عالي المقام ، عظيم المكانة اسمه هيو صاحب طبرية ، وكانت ابنته كونتسية قبرص وأخت السيدة زوجة له ، وكان له أخ اسمه راؤول ، وقد نصح بالزواج منها ، ووافق الجميع على ذلك ، ولكن فرسان الداوية مع فرسان الاسبتارية عارضوا ذلك ، وأعلنوا أنهم لن يوافقوا على ذلك مطلقا ، لأن المساعدات التي وصلت إلى الكونت من بلاد شامبين لن تمكنه من حكم البلاد ، ولأنه كان بشكل عام فقيرا ودوما بحاجة إلى المال ، وقالوا : كيف تعطي البلاد إلى رجل لايملك شيئا ، وكيف لهذه لساعدات التي حصل عليها أن تمكنه من حكم البلاد ؟ إننا سنجتمع ، وسنعطي ـ بمشيئة الرب ـ حكم البلاد إلى الرجل المناسب ثم اجتمعوا واتفقوا على أنه إذا رغب ملك قبرص بأخذ البلاد وتملكها فسيمنحونه إياها فقد قدروا أن هذا سيكون أفضل الحلول ، وآنذاك يمكن صيانة البلاد وانقاذها .

واتفقوا على هذا ، بناء على نصيحة مستشار المانيا جرى استدعاء ايمرى ملك قبرص واعطوه السيدة فتزوجها ، وأخذ التاج ، وصارت هي للمرة الاولى ملكة .

وبعدما مات الكونت هنري عقد سادة البلاد اجتماعا لانتخاب سيد للبلاد وتزويجه من ارملته ، وكان في البلاد رجلا عالي المقام ، عظيم المكانة اسمه هيو صاحب طبرية ، وكانت ابنته كونتيسة قبرص(١) واخت السيدة زوجة له ، وكان له اخ اسمه راؤول ، وقد نصح بالزواج منها ، ووافق الجميع على ذلك ، لكن فرسان الداوية مع فرسان الاسبتارية عارضوا ذلك ، وأعلنوا أنهم لن يوافقوا على ذلك مطلقا ، لأن المساعدات التي وصلت الى الكونت من بلاد شامبين لن تمكنه من حكم البلاد ، ولأنه كان بشكل عام فقيرا ودوما بحاجة الى المال ، وقالوا :كيف نعطي البلاد الى رجل لا يملك شيئا ، وكيف لهذه المساعدات التي حصل عليها ان تمكنه من حكم البلاد ؟ إننا سنجتمع وسنعطي ـ بمشيئة الرب ـ حكم البلاد الى الرجل المناسب » ثم اجتمعوا واتفقوا على أنه اذا رغب ملك قبرص بأخذ البلاد وتملكها فسيمنحونه اياها ، فقد قدوا أن هذا سيكون أفضل الحلول ، وآنذاك يمكن صيانة البلاد وانقاذها

واتفقوا على هذا ، وبناء على نصيحة مستشار المانيا جرى استدعاء ايمري ملك قبرص وأعطوه السيدة فتزوجها ، وأخذ التاج ، وصارت هي للمرة الأولى ملكة ٠

١ ـ هي ابنة كونت طرابلس ، هذا وكان ابن زوجة ريموند الثالث ، فهي قد انجبت في زواجها الاول هيو ، ووليم ، وراؤول ، واوتو ، وكان هيو متزوجا من مرغريت دي ابلين ابنة باليان ديمي ابلن من ماريا كومنينوس التي هي ام ايزابيل



الهوامش والحواشي

حواشي الدراسة ـ المدخل

(١) انظر على سبيل المثال كتاب ح براور ، تاريخ المملكة اللاتينية بالقدس (باريس ١٩٦٩) ص ٥٥١ الحاشية ، حيث وصف ارنولد كشخصية معروفة في بيت ابلين وكفارس يعمل في خدمة باليف الثاني .

(٢) تاريخ وليم الصوري . م سالوخ (لايبزغ ١٩٥٤)

(٣) تحقيق ل . دي . ماس لاترى باريس ١٨٧١

(٤) مخطوطات ب ف فر ٧٧٠ و ١٢٢٠

(٥)هناك في الوقت الحاضر من المخطوطات المتبقية ، ٥١ ، مخطوطا تحوي ترجمة لوليم مع نيول ذات اتساع اكبر او اصغر .، من الترجمة وحدها و١٣ من التواريخ الموجزة الثلاث (ومحسوبة معا) تشكل ٧٠ في المجموع .

(٦) مكتبة مدرسة الحقوق ـ السلسلة الخامسة ـ اعادة طباعة ، تاريخ ارنول وبرنارد الخازن ،

(٧) من ارشيف الشرق اللاتيني (١٨٨٠ ـ ١٨٨١)

(٨) أنظر ادناه ص ٣٤ ـ ٣٥ وفي الملحق الاول

(٩) من اجل مناقشة أوفى لهذا النص أنظر ادناه ص ٩ ـ ١١ ، وفقط مخطوط ب . ن . ف . فر ٧٧٠ يحتوي على نظام الفروسية .

(١٠) طبعت خطا كـ ٦٧٧ في م . ل . ص ٣٤ .

(١١) طبعت خطأ كـ ٩٠٠٦ في م ل ص ٤١

حواشي الفصل الاول

(١) راشيل ج ق ١ ق ٢
(٢) ر . ب . س هوغنس . قطعة من تاريخ وليم الصوري . لاتوموس ٢١ (١٩٦٢) ٨١١ - ٨٢٩
٣ - راشيل ج ١ ص ٩
(٤) انظر ما تقدم ص ٤ - ٦
(٥) مخطوط ز - الورقة ٤ ظ
(٦)مخطوط ز ورقة ٣٢ ظ العمود ٢
(٧) مخطوط ز ورقة ٣٩ ظ
(٨) مخطوط ز ورقة ٩١ ظ
(٩) انظر م . ل . ص ٣٦٥ الحاشيتان ٣ و ٤
(١٠) مخطوط ا ورقة ١٢٨ وعمود ١
(١١) طبعة ماس لاترى « تاريخ ارنول وبرنارد الخازن » باريس ١٨٧١
(١٢) مخطوط ب . ن . ف . فر ٧٧٠ ورقة ٣١٣ و
(١٣) ورقة ٣١٥ ظ
(١٤) انظر ف ورقة ٣٢٦ و - ٣٢٧ ظ وقارن م . ل . ص ٤٣ - ٤٥
(١٥) تحقيق وترجمة وليم موريس « نظام الفروسية » (هامر سميث ١١١٩)
(١٦)انا ممتنة للدكتور جاروسلاف فولدا في جامعة نورث كارولينا شابل هل لهذه المعلومات التي نقلت شفاكا
(١٧) انظر ايضا علي سبيل المثال قصة صلاح الدين معمدا نفسه وهو على فراش موته في نقول من منسترال دي ريمز ، تحقيق نولس دي وللي »
باريس ١٨٧٦ (٢١٢ - ١١١ - ١١٢)
(١٨) ورقة ٢٥٤ و
(١٩) صموبل دي لوز « السيد ستري دي لاغويت - تاريخ فتح مملكة القدس المسيحية من قبل صلاح الدين » (باريس ١٦٧٩)
(٢٠) انظر ايضا اثناه ١٦ - ١٧
(٢١) انظر اعلاه
(٢٢) م . ل . ب : ١١٦ راشيل : ٢ / ٦
(٢٣) هرقل : ٢٣ / ١ - ٣ (راشيل : ٢ / ١ - ٦)
(٢٤) راشيل : ٢ / ٥٨ حاشية ٤٤ وعدد لغر .
(٢٥) راشيل :٢ / ٨٢ حاشية ٤ انظر م . ل : ١٩٠ - ٢١٠
(٢٦) انظر ما تقدم
(٢٧) م . ل ب : ٢٣ « مزايا وخصائص وتوجهات مخطوط ليون »
(٢٨) يوجد مخطوط بلوتيوس ، ٦ - ١٠ في مكتبة لورانتيان في فلورنسا تكمله اخرى تصل بالرواية الى انتخاب فيكولاس الثالث في ١٢٧٧
(٢٩) راشيل : ٢ / ٤٨٩
(٣٠) انظر ماتقدم

حواشي الفصل الثاني

(١) مارينوس تورسلل « تحرير الاراضي المقدسة من الصليبيين » في بـونغار « يوميات صاحب اعمال الفرنجة » ج ٢ (هانوفر ١٦١١)
(٢) انظر مثلا قائمة اسماء الصليبيين في الصفحات ١٣١ ـ ١٣٢
(٣) مثلا سانيوتس ١٣١١ (ص ٢٠٨ فقرة 28...)

وهي ترجمة لتاريخ هرقل ٢٢ ، ١٣ ـ ١٤ راشيل ٢ ، ٣٣٤)

وايضا سانيوتس : ١١ ، ١٢ (ص ٢١٣ فقرة ١٠)

ترجمة لتاريخ هرقل · ٣٣ ، ١٦ راشيل : ٢ ، ٣٧١) ....
(٤) الكتابات الايطالية الوسطية تحقيق ل . م موراتوري (ميلانو ١٧٢٣ ـ ١٧٥١) مجلد ٧
(٥) المصدر نفسه ج ٧ عمود ٨٤٢
(٦)المصدر نفسه عمود ٧٤٦
(٧) م . ل . ص ١ ـ ١٤
(٨) المخطوطات الملكية ١٥ ـ إ ـ ١
(٩) وليم كاكستون ، تاريخ غودفري البويلوني وفتح بيت المقدس صححه هـ . هاليداي سبارلنغ أعيد طبعه من قبل وليم موريس مطبعة كلمسكوت هامر سميث نيسان ١٨٩٥
(١٠) وليم كاكستون غودفري البويلوني طبعة ماري كولفن (جمعية النصوص الانكليزية القديمة لندن ١٨٩٣
(١١) انظر اعلاه ص ١١ ص ١٣
(١٢) « دورية العلوم » ج٧ (امستراداام ١٦٧٩ ـ ١٦٨٠) ص ٨٠ . وايضا كتاب لبلوك مصادر تاريخ فرنسا تحقيق فيفرت دي فونتري (باريس ١٧٦٩) ص ١٤١
١٦٠ التي تنقل المقال .
(١٣) انظر اعلاه ص ١١
(١٤) مخطوط غ ج
(١٥) مارتيني وديوراند « المصنف المجموع » (باريس ١٧٢٩) ج ٥ الاعمدة ٥٨١ ـ ٧٥٨
(١٦) بارنيوس ورايناليي جوليات تحقيق باذسي (ليوك ١٧٤٧ ج ١ ص ٢٦٧
(١٧) دوكانج مسرد شارح للكلمات الوسيطة واللاتينية (باريس ١٦٧٨) ج ١ عمود ١٩١ .
(١٨) المصدر نفسه كاربنتيير (باريس ١٧٦٦) مجلد ٤ عمود ٨٢
(١٩) ليلونغ في المصدر نفسه تحقيق فونتيت مجلد ٢ ص ١٣٩ رقم ١٦٦٨ استروفيوس « مصادر تاريخية » تحقيق ج . غ موسيل (ليبزغ ١٧٨٦) مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٩٤
(٢٠) ميشو « مصادر الحروب الصليبية (باريس ١٨٢٢) ج ١ ص ٤٠٥ ...

(٢١) هذه المبينة في الجدول في ص ٧ ـ ٨ بواسطة المخطوطات ا ـ ب ـ أ ـ س ح ـ غ ح
(٢٢) من اجلها انظر اعلاه ص ١٣
(٢٣) ص ٧
(٢٤) ص ٦

(٢٥) ص ص ٣ ـ ٤
(٢٦) مكتبة كلية الحقوق ـ السلسلة الخامسة ج ١ ص ٣٨ ... و ١٤٠ ... واعيد طبعه بعنوان « تاريخ ارنول ووليم الخازن (باريس ١٨٧١)
(٢٧) راشيل ج٢ ص ٤
(٢٨) م . ل ص ٤٩٨ انظر ادناه الفصل الخامس
(٢٩) م . ل ص ٤٩٩
(٣٠) انظر على سبيل المثال قوله ، في ص ٥٠٩ « برنارد الخازن هو ليس الكاتب الشخصي لأحد التواريخ حسب مخطوطات برن وارسنال » ثم قارنه بقوله ص ٥٢٠ : « برنارد هو صاحب الملخص حتى سنة ١٢٢٧ وليس حتى سنة ١٢٣١ » .
(٣١) م . ل ـ ص ٥١٥ « توطئة للتاريخ »
(٣٢) ص ٥١٥
(٣٣) ص ٥٢٠ ـ ٥٢١
(٣٤) ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧
(٣٥) القديس أومر ٧٢٢ مخطوط ز .
(٣٦) غريفسوالد ١٨٦١
(٣٧) المصدر نفسه ص ٧
(٣٨) ص ١٩ ـ ٢٠
(٣٩) ص ٤٥
(٤٠) ص ٦٦ ـ ٧٠
(٤١) ص ٧٣
(٤٢) ص ٧٥
(٤٣) باريس ١٨٧١
(٤٤) ارسنال ٤٧٩٧ (مخطوط ا وبرن ٣٤٠)
(٤٥) م ـ ل . ص ٢٢ ج

(٤٦) المصدر نفسه ص ٢٥
(٤٧) انظر ادناه ص ٣٥
(٤٨) م . ل ص ٢٠ ج
(٤٩) ـ ب . باريس (محقق) « وليم الصوري ونيوله » (باريس ١٨٧٩ ـ ٨٠)
(٥٠) والمقدمة على اي حال ترتكب فيها بعض الاخطاء القديمة حول برنارد الخازن وهذا تقلب مدهش طالما ان باريس قد شجب هذا بوضوح في فهرسه للمكتبة الملكية قبل ذلك باربعين سنة انظر ب باريس المخطوطات الفرنسية في المكتبة الملكية (باريس ١٨٣٦) ج١ ص ٨١ المخطوطات المنسوبة لبرنارد الخازن .
(٥١) المصنف المجموع لراينت انظر اعلاه ص ٣
(٥٢) يمكن الان اجراء بعض التنقيحات رقم ٣٨ موجود الان في المتحف البريطاني رقم ١٢ من مجموعة بانتس تومبسون ارقام ٤٢ ، ٥٥ موجودة في بهو فنون والتوربلتيمور ماري لاند مصنف ١٣٧ و ١٤٢ على التوالي ويملك هذا البهو ايضا مخطوطين لم يدرجهما راينت يحملان ارقام مجموعتهما
(٥٣) م . بالوخ مصنف وليم الصوري اللاتيني « لا يبزغ ١٣٤)
(٥٤) سجلات كولومبيا (نيويورك ١٩٤٣) العدد ٣٥
(٥٥) انظر كامل القائمة في ثبت المراجع
(٥٦) بالاضافة فان الستر و . غ . غولدن من جامعة نورث ستافورد ـ شير يعمل في الترجمة

الفرنسية القيمة للتاريخ والدكتور ج فولدا من جامعة نورث كاروليا شابل هيل قدم حديثا في جامعة جونز هو يكنز بحثا في المنمنمات في مخطوطات كل من التاريخ والنصوص الفرنسية المرتبطة بها . (وقد تلطف كل منهما بالسماح لي باستعمال المعلومات المجموعة من قبلهم في مسار بحوثهم الخاصة وانا ممتنة جدا لمساعدتهم

(٥٧) م ل - ص ٢٤

(٥٨) رانيت رقم ١٦

(٥٩) م . ل - ص ٢٥

حواشي الفصل الثالث

(١) انظر مخطوط م . ل ص ١٤٩
(٢) راشيل – ج ٢ صطد
(٣) مخطوط ص ٢٢٢
(٤) المصدر نفسه ص ١٣٨ – ١٣٩
(٥) ص ١٢١ من ط . لندن ١٨٦٤

(٦) المصدر نفسه ص ٣٣٧
(٧) م . ل . ص ١٦٣ – ١٦٤ الهرقليات ٢٣٠ / ٣٦ راشيل ج ٢ ص ٥٣ – ٥٤ . النص الاساسي
ص ٥٤ – ٥٥ متباين
(٨) ماس لاتري ، تاريخ جزيرة قبرص ، ١٨٥٢ – ١٨٦١) وانظر أيضا ح١ ص ١٣٦ من اجل ملاحظات حول اسرة فيليب
(٩) انظر ادناه ص ١١٢ .
(١٠) كتاب فيليب دي نوفارو في راشيل – لوس ح١ ص ٥٢٥
(١١) راشيل ج ٢ ص ٣٩٩
(١٢) برن ٣٤٠ – ١٢٧ – و . ارسنال ٤٧٩٧ ، ١٢٨٩ – و ايضا .
(١٣) انظر ل . ليفللين ، انظمة ادلهارد ، العصور الوسطى السلسلة الثانية ج ٤ (١٩٠٠) ص ٣٢٣ .
ومن اجل الاشارة الى ورق الرق انظر ص ٣٥٢ وكال لدى مكتبة البودليان نسخة مكتوبة على الالة الكاتبة من النظام الاساسي مع كثير من الخرائط المفيدة ومخططات الدير معنونة النظم الاساسية القديمة لدير القديس بطرس في غوربي وبرقم ١١٠٧ – ب ٤ في الفهرس
(١٤) ج مابللون ، كتاب الدبلوماسية الملكية (باريس ١٧٠٩)
(١٥) ل . داسلي ، ابحاث في المكتبات القديمة في غوربي – مكتبة مدرسة الوثائق السلسلة الخامسة (١٨٦٠) و ٤٢٠ . انظر ايضا مقال مع ترجمات وافية حول هذا : ل . و . جون ، المخطوطات في غوربي ، سبكليلوم ١٢ (١٩٤٧) ١٩١ – ٢٠٤ و ٣٧٥ – ٣٩٤
(١٦) م . ل ص ٥١٠
(١٧) ب . باريس ووليم الصوري ونيوله ، ص ٠٨ والمراسيم غير محققة
(١٨) انظمة الرهبنة البندكتية – تحقيق بتلر (فريبرغ – ام – برسفو ١٩١٢) انظر بشكل خاص ح ٣٣ ، ٥٨ ، ٥٩ (ص ٦٤ – ٦٥ ، ١٠٣ – ١٠٥)
(١٩) م ل – ص ٥١٠
(٢٠) او . بيرلير ، اسر الرهبان البندكتيين في العصور الوسطى ، الاكاديمية الملكية البلجيكية – شعبة الاداب والمذكرات ، سلسلة ٢٩ (١٩٣٠ – ١٩٣٢) انظر بشكل خاص ١٢ ومايليها ، ومن اجل الوضع في غوربي في أيام ادلها رد – المصدر نفسه ص ٢٥
(٢١) ابوشير ، جمعية فيليب اغسطس الفرنسية ، (باريس ١٩٠٩) حيث يقدم مثالا عن دخول احدى الاسر المؤلفة من اب ، وابنة ، وجده الى الدير في ظل هذه الشروط
(٢٢) م . د ل انكلوذورمان في الاديرة (ادنبره ١٩٥٠) ص ٦ – ٧

حواشي الفصل الرابع

(١) من اجل استعمال اصطلاح ، المختصر ، في مواضع هذه الدراسة انظر اعلاه ص ٧ وجـدول المخطوطات ومن اجل وصف الروايتين اعلاه ص ١١ ــ ١٣

(٢) انظر اعلاه ص ٤٦

(٣) ص ٢٣ ــ ٢٤

(٤) مثل (ر عي . س) مجلد ٧ ، عمود ٧٩٢ و ٨٠١ و٨٤٢

(٥) مخطوط م . ل ــ ص ١٠، ٥٢٦

(٦) انظر اعلاه ص ٤٦

(٧) ريس ــ ج ٧ ، عمود ٧٦١

م ل ص ١٢ ــ ٢٣ . راشيل ح ظ ق ٢ ص ٧٩٤ ــ ٨١٣

(٨) اعني حتى عام ١١٨٣ . م . ل ــ ص ١١٦

(٩) ريس ــ ج ص ٨٤٦

(١٠) انظر اعلاه ص ١١ ــ ١٢

(١١)م ل ــ ص ٥٢٥

(١٢) انظر اعلاه ص ٤٧ ــ رقم ١٥

(١٣) ل و جون ــ المخطوطات في غوربي ــ سد كيلوم ٢٢ (١٩٤٧) ١٩٧ .

(١٤) م ل ص ٥١١

(١٥) المصدر نفسه ص ١٥

(١٦ المصدر نفسه ــ ص ٣٧ في وصفه لمخطوط س

حواشي الفصل الخامس

(١) انظر اعلاه ص ١٢ و ٤١
(٢) راشيل – ج٢ ص ٥
(٣) م . ل ص ٤٩٦ – ٤٩٨
(٤) مارتيني وديوارد – ج ٥ ، عمود ٥٤٣ ومايليه
(٥) سلسلة رولف ١٨٦٤ انظر اعلاه ص ٤٣ ورقم ٥
(٦) م . ل المقطع نفسه
(٧) امبرواز – تاريخ الاراضي المقدسة ، تحقيق غاستون باريس في وثائق تتعلق بتاريخ فرنسا ، (باريس ١٨٩٧) ومن أجل مشكلة الرحلة انظر المقدمة ص ٥٩ – ٧٦ .
(٨) ج١ غ ادوارد ، رحلة الملك رتشارد وتاريخ الاراضي المقدسة ، في بحث تاريخي نشر على شرف جيمس تيت (مادشستر ١٩٣٣) ص ٥٩ – ٧٧ .
(٩) ج . ل . لامونت مع م . هيوبرت ، صليبيةرتشارد قلب الاسد ، (سجلات الحضارة . نيويورك ١٩٤١)
(١٠) هـ . إ . ماير ، رحلة الحج ، الجمعية الالمانية للاثار التاريخية رقم ١٨ – ستوتغاريت ١٩٦٢ وبما ان طبعة ماير تحتوي على قطعة فقط ان جميع احالاتي على الرحلة هي على طبعة سلسلة رولس .
(١١) انظر على سبيل المثال وصف المجلس الاستشاري قبل حطين م ل ص ١٥٨ – ١٦٢ .
(١٢) الرحلة ص ١٣ (خديعة كونت طرابلس ١ و ١٢١ ، وموت جيرارد ص ٧٠
(١٣) الرحلة ص ٥ – ١٣٧
(١٤) التاريخ – ١٠ – ٢٣٨٧ – ٤٥٦٨
(١٥) التاريخ ١٠ – ٢٤٠١ – ٢٤٠٦ وايضا – ١٠ – ٢٧٤٣ – ٢٧٤٤ ، ٣٥٢٦ ، ٣٥٦٣ ، الخ
(١٦) المصدر نفسه ١٠ – ٢٥٣١
(١٧) الرحلة ص ١٤ – ١٦
(١٨) التاريخ ج٥ ص ٢٥٩٠
(١٩) الرحلة ص ٢٠ – ٢٣
(٢٠) م . ل ص ٢٥٢ – ٢٥٣ انظر ايضا الرحلة ص ٢٥ – ٢٦
(٢١) م . ل ص ٢٥٢ – ٢٥٣ انظر ايضا الرحلة ص ٢٥ – ٢٦
(٢٢) التاريخ ١٠ – ٢٦٥٧ – ٢٦٩٠
(٢٣) الرحلة ص ٢٣ – ٢٥ م . ل – ص ١٧٩ وما يليها
(٢٤) الرحلة ص ٢٦ م ل – ص ١٥٦ – ١٥٧ – ٢١٩ .
(٢٥) الرحلة ص ١٢١ . وانظر ماتقدم ص ند
(٦ب) الرحلة ص ١٢١ وانظر ماتقدم ص ٤٣
(٢٧) م ل – ص ٢٦٧
(٢٨) راشيل ج٢ ص ١٥١ – ١٥٤ ، النص الاساسي ، س ج و غ ج موافقات متعددة مع المختصر .
(٢٩) الرحلة ص ٦١ – ١٣٨ التاريخ ٢٧٢٩ – ٤٥٢٦
(٣٠) انظر تحليل متنوعات د ادناه ص ٨٩ وما يليها ، والفصل السابع
(٣١) الرحلة ص ١٧٥ – ١٧٦ وانظر ايضا ص ١٨٦ – ١٨٨ و ١٩٥ – ١٩٦ راشيل ج٢ ص ١٥٧ وما يليها ، وانظر ايضا م . ل ص ٢٧٠ وما يليها

(٣٢) راشيل ج٢ ص ١٦٠ الحاشية ب . وتشير الرحلة هنا الى « فنسوف » الذي اعتقد خطأ انه المؤلف

(٣٣) هرقل ج ٢٥ ص ٢٧ . راشيل ج٢ ص ١٦٩ الرحلة ج٢ ـ ٤٢ ص ٢٠٤ وما يليها .

(٣٤) الرحلة ص ٢١٤ ـ ٢١٥ و ٢٣١ ـ ٢٣٤

(٣٥) م . ل ـ ص ٢٧٤ ومايليها ، انظر ايضا راشيل ج٢ ص ١٧١ ومايليها ، قراءات مختلفة .

(٣٧) الرحلة ص ٣٣٩

(٣٨) راشيل ج٢ ص ١٩٧ النص نفسه . انظر الرحلة ص ٤١٩

(٣٩) م . ل ص ٢٨١ ـ ٢٨٢

(٤٠) راشيل ج٢ ص ١٩٥ ـ ١٩٦ و « د » يختلف

(٤١) المصدر نفسه ص ١٩٥

(٤٢) المصدر نفسه

(٤٣) انظر ماسياتي في الفصل المقبل

(٤٤) هذا صحيح الى حد معين حول كل روايات الهرقليات والموجز لدى ماير واقـواله ان ارنولد (التي يعني بها الموجز) تصور صلاح الدين في ضوء عاتم ، وهذا شائع في التواريخ التي تبدو غير ماهرة في التفسير ، وهو بالتأكيد مما يتعذر الدفاع عنه ، انظر ماير المقدمة ص ٨٤

حواشي الفصل السادس

(١) انظر الجدل العام في مدخله خاصة ص ٢٣ المصادر الفترة الأولى من الذيول
(٢) انظر اعلاه ص ٤١
(٣) رومانسية تريستان لتوماس تحقيق ج بدير (باريس ١٩٠٥) ومن اجل الطريقة التي تبناها انظر ج ٢ ص ١٨٨ ومايليها .
(٤) م . ل ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩
(٥) م . ل ص ٢٩٣
(٦) من اجل وصف كتابه انظر ما تقدم ص ١٦
(٧) انظر اعلاه ص ١٣ ـ ١٥
(٨) اعني النصوص : أ ، ب و س ج ، و د ، و غ ج
(٩) لعله مزج بين كلمة merce وكلمة fierce
(١٠) انظر اعلاه الفصل ٥ ، لاسيما ص ٦٥
(١١) راشيل ج٢ ص ٩٩ رقم ٤ غ متنوع ص ١٩٧ ـ ١٩٩ س متنوع . انظر ايضا م . ل ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤
(١٣) راشيل ج٢ ص ١٩٩.
(١٤) راشيل ج٢ ص ٢١٩ ـ ٢٢١ النص الرئيسي ، وس وغ متنوع وص ٢٢٠ ، ومتنوع . م . ل ـ ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧
(١٥) ومثال مشابه بشكل غريب ورد في ١٣٦٦ حول موت ولي عرش اسبانيا : وانا ممتنة

> . . . Sus hijos fuessen traidos a la seguridad de nuestra Ciudad y Alcaçar donde murio el Infante Don Pedro. Dizen algunos que de una ventana mui alta se cayó de los braços al ama que le tenia; la qual arrebatada del dolor se arrojó tras el. Cierto es que nuestra Ciudad celebró sus funerales con aparato y sentimiento conveniente . . .' Diego de Colmenares, *Historia de la Insigne Cuidad de Segovia, y conpendio de las Historias de Castilla* (Segovia, 1637), p. 283.

للدكتور ج . ب كروفت من الكلية الملكية في هولوي ـ لندن بلفتة انتباهي الى هذا النص .
(١٦) رومانس تريستان لتوماس ، ج . بدير (باريس ١٩٠٥) ج٢ ص ١٩٢
(١٧) راشيل ج٢ ص ٦٢ ومايليها
(١٨) المصدر نفسه ص ١٢١ ـ ١٢٣
(١٩) المصدر نفسه ص ٧٥ نص رئيسي ص ٧٦ متنوع عن د
(٢٠) المصدر نفسه ص ٦٧ ، النص الاساسي ، ص ٦٩ « د » مختلف متنوع ويمكن لهذا السياق في « د » ان يلقي ضوءا مفيدا على نص لخر ، وهو النيل اللاتيني للتاريخ الذي وجد في المتحف البريطاني . المخطوطات الملكية ١٤ س ١٠ ، وفيه وصف غريب لبعض الوقائع وفيه جرى قتل ارناط مرتين ، انظر م . سالوخ« النيل اللاتيني لتاريخ وليم الصوري » (ليبزغ ١٩٣٤) ص ١٢ من المقدمة وص ٧٩ ـ ٨٠ من النص ، ويبدو هنا مزج بين الفعلين الموصوفين في« د » والوحيد من كل التواريخ الاخرى ، ولدى النيل اللاتيني بكرة عن الهجومين ، ولكنهما في روايته يصبحان حدثين منفصلين تماما . وهكذا ينتج بشكل غير معقول موتان ، ومن الممكن أيضا أنه قد ، مزج بين شخصية رينودي شاتللون (ارناط) وريثو صاحب صيدا ، ومهما يكن من أمر هناك شيء ما خطأ في النص لأننا نعرض أن رينو صاحب صيدا لم يقتل من قبل صلاح الدين لا اثناء حصار الشوبك او في مكان لخر وعلى العكس نجده مازال حيا في سنة ١١٩٢ ، حيث تسلم من صلاح الدين نصف اراضي صيدا مع بلدة الصرفند ، وذلك تعويضا عن المعاملة التي تلقاها اثناء حصار الشوبك . انظر

راشيل ج٢ ص ١١٠ ــ ١١١ « د » متنوع و ص ١٩٩ النص الاساسي

(٢١) راشيل ج ٢ ــ ٤ متنوع ص ٨٤ ــ ٨٥

(٢٢) المصدر نفسه ص ٨٧ ــ ٨٨

(٢٣) المصدر نفسه ص ١٠٠ ــ ١٠١

(٢٤) المصدر نفسه ص ١٠٣ ــ ١٠٤

(٢٥) المصدر نفسه ص ١٠٨ ــ ١٠٩

(٢٦) المصدر نفسه ص ١٠٤ ــ ١٠٥

(٢٧) المصدر نفسه ص ١١٠ ــ ١١١

(٢٨) المصدر نفسه ص ١٠٨ ــ ١٠٩

: 'Cil des chastiaus [sc. Crac and Beauvoir] se furent tenus deus
ipres la terre perdue.'

(٢٩) راشيل النص الاساسي ص ١٨٧ ــ ١٨٨

(٣٠) المصدر نفسه ص ١٣٧ ــ ١٣٨

(٣١) المصدر نفسه ص ١١٧

(٣٢) المصدر نفسه ص ١٣٨

(٣٣) المختصر و س و غ ج لاتحوي ٢٤ ، ١٦ / ٢٥ ــ ٥ في الجميع

(٣٤) راشيل ج٢ ص ١٢٤ ، د متنوع

(٣٥) راشيل ج٢ ــ النص الاساسي ص ١٢٨

(٣٦) في الفصل السابع اعلاه

(٣٧) هناك فقرتان مرتا في ٣٠ / ١٠ من اجلها هذا ايضا صحيحا أعني ٢٧ / ٦ ــ ١١ و ١٤ ــ ١٦

(٣٨) م . ل ــ ص ٤٩٩

حواشي الفصل السابع

(١) راشيل ج٢ ص ١٠١ النص الرئيسي حاشية ٣٠ «د» متنوع
(٢) المصدر نفسه ص ١١٨ . النص نفسه و«د» متنوع ، بأحرف المائلة .
(٣) من أجل اصطلاح « بوليان» انظر الملحق الثاني .
(٤) راشيل ج٢ ص ٢١٠ .
(٥) راشيل ج٢ ، «د» متنوع ص ٢٢٢ .
(٦) المصدر نفسه ص ٢١٧ .
(٧) المصدر نفسه - ص ٢٢٢ (٨) المصدر نفسه -ص ٢٢١
(٩) راشيل - ج٢ - د متنوع ص ٦٣ .
(١٠) المصدر نفسه ص ٢١٩
(١١) المصدر نفسه ص ٢٠٣ - ٢٠٥
(١٢) المصدر نفسه ص ٦٤ - ٦٥
(١٣) راشيل ج٢ النص الأصلي ص ٧٥
(١٤) المصدر نفسه ص ٢٠٣ - ٢٠٥
(١٥) راشيل ج ٢ - د - متنوع ص ٧٦
(١٦) المصدر نفسه ص ٢٠٩ .
(١٧) المصدر نفسه ص ٢٠٢ - ٢٠٣
(١٨) المصدر نفسه ص ٢٠١ - ٢٠٢
(١٩) المصدر نفسه ص ١٩٣
(٢٠) انظر اعلاه ص ١٥
(٢١) انظر اعلاه ص ١٥
(٢٢) راشيل ج٢ - النص الاساس ص ٢٢٢ ، وانظر ايضا «د» متنوع ص ٢١٢ .
(٢٣) راشيل ج ٢ - د متنوع ص ٢١١
(٢٤) المصدر نفسه ص ١٩٦ - ١٩٧ انظر ايضا ملاحظات صلاح الدين حول اخيه - المصدر نفسه ص ٨٥ .
(٢٥) المصدر نفسه ص ٨٤ - ٨٥ ، انظر اعلاه ص ٩١
(٢٦) المصدر نفسه ص ١٨٨
(٢٧) المصدر نفسه ص ١٩٨ .
(٢٨) انظر اعلاه ص ٩٣
(٢٩) راشيل ج ٢ - ، متنوع ص ١٢٢ .
(٢٩) المصدر نفسه ص ١٢٣
(٣١) نشيد رولاند - تحقيق وايتهد (اكسفورد ١٩٥٧) ج ٢ - والعواطف نفسها خلال ذلك .
(٣٢) راشيل ج ٢ - متنوع ص ١٨٩ .
(٣٣) انظر اعلاه ب٨٠
(٣٤) انظر ادناه ، الفصل ٩ خاصة ص ١٦٣ - ١٦٨ .
(٣٥) راشيل ج ٢ ، د متنوع ص ١٢٣ . انظر يوحنا - ١٦ , ٢
(٣٦) المصدر نفسه ص ١٠٠ ، انظر الرثاء ١ , ١
(٣٧) المصدر نفسه ص ٢٠٣ - ٢٠٥ انظر اعلاه ص ١٠٠

(٣٨) انظر اعلاه ص ٤٥
(٣٩) انظر اعلاه ص ١٠٥
(٤٠) المصدر نفسه ص ١٠٠
(٤١) راشيل ج ٢«د» متنوع ص ٦٦ .
(٤٢) المصدر نفسه ص ٢١٠
(٤٣) المصدر نفسه ص ٢١٣ .
(٤٤) المصدر نفسه ص ١٦٥ ـ ١٦٧ .
(٤٥) المصدر نفسه ص ١٦٥ .
(٤٦) راشيل ج ٢ ص ٥٩ ، غ متنوع .
(٤٧) المصدر نفسه ص ١٠٠
(٤٨) انظر اعلاه ص ١٠٥
(٤٩) انظر اعلاه ص ١٠٩ ـ ١١٠ .
(٥٠) راشيل ج ٢ ص ٦٦ ـ ٦٧ «د» متنوع انظر ايضا ص ٦٧ ـ النص الاساس وحاشية رقم ٢ .
(٥١) انظر ماتقدم ص ١٠٨ .
(٥٢) انظر اعلاه ص ص ٩١ ـ ١٠٣
(٥٣) راشيل ج ٢ ، د متنوع ص ١٩٤
(٥٤) المصدر نفسه ص ١٩٩ :« كان الرسول بناء على طلب من الملك هو بالين دي ابلين » .
(٥٥) المصدر نفسه ص ٦٩
(٥٦) المصدر نفسه ص ١١١ .
(٥٧) المصدر نفسه ص ٢٠٦
(٥٨) المصدر نفسه ص ٢٠٧
(٥٩) المصدر نفسه ص ٢٢٢ .
(٦٠) انظر اعلاه ، ص ٩٨ ـ ١٠٧
(٦١) هو غوبوتشال « رسم المنمنمات في المملكة اللاتينية في القدس (اكسفورد ١٩٥٧) ص ٨٧ ومايليها .
(٦٢) إن نصوص « أوز » في الواقع متماثلين في هذا القسم المبكر .

حواشي الفصل الثامن

(١) م.ل – ص ١١٦ . انظر ايضا راشيل ج ٢ ص ٦ ، وبداية تاريخ هرقل : ٢٣ , ٤

(٢) بابكوك وكراي ، ص ٣٨ ومايليها

(٣) بابكوك وكراي ، ص ٣٨

(٤) المصدر نفسه ص ٤٠

(٥) معلومات نقلت شفاها

(٦) ف . اوست ، نيل تاريخ الحروب الصليبية لوليم الصوري (هيل ١٨٩٩)

(٧) روبرت دي سانت ريمي ، تاريخ القدس، الاعمدة ٦٦٧ – ٧٥٦ تاريخ القدس

(٨) س . ب . س هويغز ، وليم الصوري الطالب ،

(٩) تاريخ وليم الصوري – ترجمتي العربية ص ١٣٥

(١٠) م.ل – ص ٨٢ .

(١١) انظر ماتقدم .

(١٢) اشار في مكان آخر إشارة عابرة إلى فيليبي على انها مكان تاليف (كذا) الرسائل الانجيلية إلى أهل فيلبي انظر م.ل – ص ٩٥ ، وراشيل ج٢ ص ٢٣ .

(١٣) جميع الاشارات التوراتية هي الى الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، والمزامير واسفار الملوك معدة طبقا لذلك .

(١٤) م.ل – ب٦٩ . يوسيفوس – العصور القديمة كتاب ٢ – فصل ١٦

(١٥) م.ل – ص ٧٨ – ٧٩

(١٦) المصدر نفسه ص ٧١ حاشية ٩

(١٧) كل الاقتباسات من يوسيفوس هي من نص العصور القديمة والحرب اليهودية لفلافيوس ، يوسيفوس ، ترجمة وليم ويستون (لندن ١٩٦٣) .

(١٨) م.ل – ص ٧٢ .

(١٩) سفر الملوك الرابع ٦ , ٣٠ – ٣١ .م ل – ص ١١٠ الحروف المائلة من عندي .

(٢٠) م.ل – ص ٧٥ .

(٢١) موت امووري دي ناربون . تحقيق ح كوري دي باري (باريس ١٨٨٤) ج ٥ ص ٣٣٦١ – ٣

(٢٢) م.ل – ص ٧٦ – ٧٧ .

(٢٣) ايزودور الاشبيلي دراسة الكلمات الكتاب ١٢ الفصل ٤ القسم ٢ ، ١٠ ، ١١ , ١٢

(٢٤) جاك دي فينر – ، الكتاب الشرقي (دواي ١٥٩٧) ص ١٨٦ – ١٨٨

(٢٥) فيليب دي ثاؤون ، تحقيق ولبيرغ (لندن ١٩٠٠) ١٦١٥ ومايليها

(٢٦) هـ ميشلان وغ رينو ،رحلات وصف القدس بالفرنسية،(جنيف ١٨٨٢) ص ٢٣ ومايليها المقدمة ص ١٢ و ١٥ .

(٢٧) راشيل ج ١ ص ٩٤٢ . بابكوك وكراي ج٢ ص ٣٤٤ – ٣٤٥ م . ل – ص ١٨ .

(٢٨) م.ل – ص ١١٤ .

(٢٩) راشيل ج١ ص ٥٢٠ – ٥٢١ . بابكوك وكراي ج ١ ص ٥٢٤ – ٥٢٧ . م ل – ص ٧ – ٩ .

(٣٠) هـ . ميشلان وغ ريموند ، رحلات القدس ، ص ١٥ .

(٣١) راشيل ج ٢ ص ٥٠ ـ ٥٢

(٣٢) م .ل ص ٨٧

(٣٣) راشيل ج ٢ ص ٥٩ ـ ٦١ النص الاساس ص ٦٠ ـ ١ غ متنوع .

(٣٤) راشيل ج٢ ص ٦١ .

(٣٥) المصدر نفسه ص ١٦ ـ ٢٥ انظر ايضا م . ل ـ ص ٩٥ ـ ٩٦ و ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٣٦) انظر ماتقدم ص ١٠١ .

(٣٧) م .ل ص ١٢٣ ، ١٢٦ ـ ١٢٧ . وانظر راشيل ج ٢ ص ١١ ، ١٥١٤ .

(٣٨) راشيل ج ط ص ١٤ ـ ١٥ .

(٣٩) انظر ماتقدم ص ١٢٨ ـ ١٢٩

(٤٠) انا شاكرة للسيدس . ر سندون من سانت ادموندهول في اكسفورد لاقتراحه امكانيه التـوراة العكاوية .

(٤١) كتاب فيليب دي نافار ـ فصل ٤٩ راشيل ـ لوس ١ ص ٥٢٥

(٤٢) ـ م .ل ـ ص ٥٠٠

(٤٣) تاريخ هرقل ٣٣ ، ٣٠٣ راشيل ج٢ ص ٣٩٩ .

(٤٣) تاريخ هرقل ٣٣ ، ٣٣ . راشيل ج٢ ص ٣٩٩ .

(٤٤) انظر البحث حول النصوص الباقية .

(٤٥) م .ل ـ ص ٤٩٥ « خلافا لشروط سداد الدين »

(٤٦) انظر ماتقدم

(٤٧) انظر رنسمان ، مجلد ٣ ملحق ٢ الحياة الفكرية في بلاد ما وراء البحار .

(٤٨) راشيل ج ٢ ص ٢٢٤ ـ ٣٠٤

(٤٩) المصدر نفسه ص ٢٢٨ ـ ٢٣١ ـ « س ، غ و د » متنوع

(٥٠) ـ المصدر نفسه من ص ٢٠٧ ومايليها

(٥١) انظر مخطط ص ٩٦

(٥٢) المصدر نفسه ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧ ، النص الأصلي ومتنوع

(٥٣) المصدر نفسه ص ٢٣٤ ـ ٢٣٨ ، النص الأصلي ومتنوع

(٥٤) المصدر نفسه ص ٣٠٤ بداية تاريخ هرقل . ٣٠ ، ١١ .

(٥٥) انظر اعلاه ص ٢٣٨

(٥٥) انظر اعلاه ص ١٣٨ ـ ١٣٩

(٥٦) انظر اعلاه ص ٩٦

(٥٩) انظر اعلاه ص ٨٦ ـ ٨٨

(٦٠) ص ١٣٩ اعلاه . ٦١ ـ ١٤٠ ٦٢ ـ ص ١٤١ .

(٦٣) بشكل المقطع موضوع السؤال نهاية الفصل ٤٠ مع جميع الفصل ٤١

(٦٤) راشيل : ٢ ، ٣٠٤

(٦٥) ـ م . ل ص ٤٠٦

(٦٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ ، متنوع

(٦٧) انظر اعلاه ص ٢٠

(٦٨) راشيل ج ٢ ص ٣٧٨

(٦٩) انظر اعلاه ص ١٤٢ والمخطط ص ١٤٠

(٧٠) راشيل ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٧١) ريس ج ٧ – عمود ٨٤٦

حواشي الفصل التاسع

(١) رودلف برومر : « ظهور النثر في الادب الرومانسي للغات الدارجة (برلين ١٩٤٨) ج ١ ص ٢٦ .

(٢) على سبيل المثال ـ التاريخ ٩ / ٩ . (راشيل ج ١ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧) بابكوك وكراي ج ١ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ . انظر ايضا : كتاب جين دي ابلن ـ راشيل ـ لوس ج ١ ص ٢٢ ، وبير دي بوفياس « الاولمبياد » مخطوط وورقة ٤ ـ ظ ومخطوط البودليان ٧٧ هاتون ـ ورقة ٣٩٣ .

(٣) برنتولاتيني « كتب تيسو » تحقيق ب تشايللي (باريس ١٨٦٣) .

(٤) ب . م سكون « دراسة لنشوء النثر الفرنسي » (فرانكفورت ١٩٦٠) (انادلتا رومانسيا ٨)

(٥) تاريخ وليم ترجمتي العربية ص ٢٩٧ . راشيل ج ١ ص ١٩١ .

(٦) راشيل ج ١ ص ١٩١ .

(٧) راشيل ج ٢ ص ١٧ . مخطوط أورقة ٣١٣ ومخطوط ب ـ ورقة ٢٤٨ ظ .

(٨) مخطوط « د » ورقة ٢٩٠ و . مخطوط « غ ج » الشيء نفسه .

(٩) وقراءة اخرى من قراءات كثيرة لم تلاحظ من قبل ستريت(انظر أعلاه ص ٣٤ ومابعدها) ، ولكنها تدعم تفضيله « غ ج » على « ب » وهذه القراءة هي ايضا واحدة من كثير تدل على تفوق « د » على «أ» و«ب» في الاقسام المشتركة بينها .

(١٠) م .ل ـ ص ١٩٠ ـ ٢١٠ .

(١١) مخطوط ب ن . ف فر ٧٧٠ ـ ورقة ٣٣٠ و ، وعمود ٣ . انظر أيضا م . ل ـ ص ٦٥ .

(١٢) راشيل ج ٢ ص ٤٨٩ ومايليها وانظر أيضا ماتقدم ص ٢٠

(١٣) راشيل ج ١ ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ . التاريخ ٩ / ٢٢ . بابكول وكراي ج ١ ص ٤١٣ .

(١٤) تاريخ جوسلين أوف بريكلوند تحقيق هـ إبتلر (لندن ١٩٤٩) ص ٣٩ ـ ٤٠

(١٥) انظر أعلاه ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(١٦) راشيل ج ٢ ص ١٦٢ .

(١٧) المصدر نفسه ص ١٧٠ . م ل ـ ص ٢٧٣

(١٧) المصدر نفسه ص ١٧٠ . م .ل ـ ص ٢٧٣

(١٨) راشيل ج ٢ . « د » متنوع ١٦٩ .

(١٩) تاريخ هرقل : ٣٣ / ٥٩ ـ ٦٠ . راشيل ج٢ ص ٨٨ ـ ٩٣ . انظر أيضا م .ل ـ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .

(٢٠) انظر أعلاه ص ١٦١

(٢١) راشيل ج ٢ ص ١٨٨ ـ ١٩٠ . « د» متنوع .

(٢٢) For 'qu'il la teigne toute' (*RHC* ii, 188) read 'qu'il la doigne toute' (MS *d*, f. 330a) Also in this passage, for 'perdue . . . il fu mort' (*RHC* ii, 190) read 'perdue. Car il fu mort' etc. (MS *d*, loc. cit.).

(٢٣) راشيل ح٢ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ . «د» متنوع .

(٢٤) انظر أعلاه ص ٤٤ ـ ٤٥ و ١١٤

(٢٥) راشيل ج٢ ص ١٩٠ «د» متنوع

(٢٦) المصدر نفسه ص ١٨٨

(٢٧) نشيد رولاند تحقيق وايتهد ـ الأبيات ٣٧٦٢ ـ ٣٧٦٤ .

(٢٨) ومثل صغير لغر ، العبارة التي استعملها ريدو دي سيتي ويحتمل انه الآن سنويا بين كل

أنواع (راشيل ج ٢ ص ١١١ ـ « د» متنوع) التورية في اللغة الفرنسية القديمة .
(٢٩) مخطوط «د» ورقة ٣١٦ و ، عمود ١ وانظر أيضا راشيل ج٢ ص ١٢٦ «د» متنوع .
(٣٠) راشيل ج٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٤ .«د» متنوع
(٣١) المصدر نفسه ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢
(٣٢) المصدر نفسه ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ .
(٣٣) المصدر نفسه ص ٢٢٠
(٣٤) ب .م سكون ـ المصدر نفسه ص ١٣٤ وماليها .
(٣٥) م .ل ص ٥٠٠
(٣٦) انظر لاتوموس ٢١ (١٩٦٢) ٨٢٢ ـ ٨٢٤
(٣٧) راشيل ج ١ ص ١٥ . بابكول وكراي ج ١ ص ٥٦
(٣٨) راشيل ج١ ص ٣ ترجمتي إلى العربية ص ١٣٣ ـ ١٣٤
(٣٩) راشيل ج ١ ص ٤ ترجمتي ص ١٣٥
(٤٠) راشيل ج ١ ص ١١٣٢ ترجمتي ص ١٠٧٣ .
(٤١) التاريخ ٢١ ٧ راشيل ج ١ ص ١٠١٥ ترجمتي ص ٩٧٩ .

(٤٢) م ل ـ ص ٨٥ .
(٤٣) توقيت و .غ غولدن
(٤٤) المتحف البريطاني رويال ـ ١٥ ـ إ ـ ١ .
(٤٥) راشيل ج٢ ص ٤٣٦ وماليها
(٤٦) جين سيد جوانفيل ـ تاريخ القديس لويس ـ تحقيق ناتالي دي ويللي (باريس ١٨٧٤)

حواشي الفصل العاشر

(١) انظر المدخل
(٢) راشيل لوس ج١ ص ٧ ـ ٣٤٠
(٣) برور ـ بدايات وأسس الاقطاع في المملكة اللاتينية في القدس :
TIJIDS CHRIFT VOOR RECHTS GESCHIEDENIS XXII (1954)

(٤) انظر على سبيل المثال رذسمان ج٢ ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨ .
(٥) هناك استثناء واحد هام لهذه القاعدة ، سوف يناقش كاملا في هذا الفصل ، انظر ما سياتي من ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .
(٦) م . و بلدوين.ريموند الثالث صاحب طرابلس وسقوط القدس (برنر ستون ـ ن ج ١٩٣٦) ص ١٦٣ .
(٧) راشيل ج ٢ ـ ص ٢٤٣ ومايليها م .ل ـ ص ٣٣٦ ، فقرة ٢ ومايليها .
(٨) راشيل ج ٢ ص ٣٢٦ ومايليها ، النص الاساس ص ٣١٥ ومايليها ، متنوع ـ م . ل ، ص ٣١٣ ومايليها .
(٩) انظر على سبيل المثال ج ٣ ص ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ .

(١٠) راشيل ج٢ ص ١٦٣ ـ ١٦٩ . وانظر ماتقدم ص ٧٠ ومايليها .
(١١) راشيل ج ٢ ص ١٧٠ .م . ل ص ٢٧٣ .
(١٢) انظر ماتقدم ص ٩٦ .
(١٣) أعني كامل نص «أ» كما هو في طبعة ماس لاتري .
(١٤) في م . ل ص ٤٥٨ ، ٤٦٧ ، كل على حده .
(١٥) مقدمة للترتيب التزامي لهوميروس ـ بحث في زمان ومكان هوميروس (لندن ١٨٧٩) ص ٩ والاقتباس من عمله الحامل لعنوان :« دراسات عن هوميروس والعصر الهوميروسي (اكسفورد ١٨٥٨) ١٠ ص ٣٦ . انظر ايضا المناقشة في :
(لندن ١٨٦٩) ص ٧ ـ ٩) .
(١٦) انظر أعلاه ص ١٥٦ ـ ١٥٧
(١٧) انشطة الاستعمار في المملكة اللاتينية في القدس ـ في دورية اللغات والتاريخ ٢٩ (١٩٥١) ١٠٦٣ ـ ١١١٨

(١٨) راشيل ج١ ص ٥٠٠ . ترجمتي العربية ص ٥٦٠ .
(٢٠) رذسمان ج٢ ص ٤٧٧ .
(٢١) وكمثال على الاستعمال الصحيح للترجمة بهذه الطريقة ، انظر سميل ص ٧٦ ـ ٧٧ مع الحاشيتين ٨ ـ ٩ .
(٢٢) انظر ماتقدم ص ١٢١
(٢٣) انظر ماتقدم ص ٢٤ ـ ٢٥
(٢٤) انظر ماتقدم ١٤ ـ ١٥

حواشي الملاحق

(١) في اطروحة دكتوراه لم تنشر بعد
(٢) انظر مقدمة ميسلانت وريذو .
(٣) انظر بوخثال ، مذمنمات مرسومة ، ص ٨٧ ومايليها
(٤) م . ل . ٢٢



اهم المصادر والمراجع

Albert of Aix: *Historia Hierosolymitanae Expeditionis* In *RHC* iv.
Ambroise: *L'Estoire de la guerre sainte.* Ed. Gaston Paris, Paris, 1897. See also La Monte and Hubert.
Babcock (E.) and Krey (A C.): *A History of Deeds Done Beyond the Sea.* Records of Civilisation, 35. New York, 1943.
Baldus (D.) ed: *Enchiridion Locorum Sanctorum.* 2nd ed. Jerusalem, 1955.
Beha-Eddin: *Vita et Res Gesta Sultani Almalichi Alnasiri Saladini.* Ed. A Schultens. Lyons, 1732. See also Wilson (C.W.).
Beugnot (A.A.), ed.: *Assises de Jérusalem.* In *RHC Lois*, i and ii.
Bongars (J.): *Gesta Dei per Francos.* Hanover, 1611.
Brochardus: *L'Advis directif pour faire le saint voyage d'Oultremer, par le frère Brochard Lalemant. RHC Documents arméniens*, ii, contains the Latin text (*Directorium ad passagium faciendum*) with the French text below.
Butler (Cuthbert, O.S.B.), ed.: *Sancti Benedicti Regula Monachorum.* Friburg-im-Breisgau, 1912.
Caxton (W.): *Godeffroy of Boloyne, or the Siege and Conqueste of Jerusalem, by William Archbishop of Tyre, translated by William Caxton.* London, 1481. See also Colvin (M.) and Sparling (H.H.).
Chroust (A.), ed.: *Historia de Expeditione Friderici Imperatoris.* Monumenta Germaniae Historiae. Berlin, 1928.
Citry de la Guette (Samuel de Broë, Seigneur de): *Histoire de la conqueste du royaume de Jérusalem sur les Chrestiens par Saladin. Traduite d'un ancien manuscrit.* Paris, 1679.
Colmenares (Diego de): *Historia de la Insigne Ciudod de Segovia, y conpendio de las Historias de Castilla.* lst ed., Segovia, 1637.
Colvin (M.), ed.: *William Caxton: Godeffroy of Boloyne.* Early English Text Society, London, 1893.
Conder (R.E.): *The City of Jerusalem.* London, 1888. Palestine Pilgrims' Text Society, 6. See also Michelant and Raynaud.
Corbie. 'The Ancient Statutes of the Abbey of St. Peter of Corbie'. A typewritten transcription, with no name of author or date, numbered 1107 b.4. in the catalogue of the Bodleian Library.
Curzon (H de), ed.: *La Règle du Temple.* Paris, 1886.
Du Préau (G.): *L'Histoire de la Guerre Sainte.* Paris, 1573. An edition of the French translation of William of Tyre, with the continuation of Hérold.
Guizot (F.P.G.): *Collection des mémoires relatifs à l'histoire de France.* Paris, 1823-35.
Isidore of Seville: *Etymologiae.* In *PL* lxxxii.
Jacques de Vitry: *Epistola de Captione Damiatae.* Published by Iacobus Gretserus, S.J., Ingolstadt, 1610.
—— *Liber Orientalis, siue Hierosolymitanae* Douai, 1597. Also in Vol i of Bongars and Vol. xv of Guizot (qq.v.).
—— *Lettres.* Ed. R.B.C. Huygens. Leyden, 1960.

Jocelin of Brakelonde: *Chronica Jocelini de Brakelonda de rebus et gestis Samsonis Abbatis Monasterii Sancti Edmundi.* Ed. J.G. Rokewode, London 1840.

Josephus: *The Antiquities and The Jewish War of Flavius Josephus* Translated by William Whiston. London, 1963.

La Monte (J.L.) with Hubert (M.J.): *The Crusade of Richard the Lion Heart.* Records of Civilization, 34. New York, 1941. A translation of Ambroise (q.v.).

Lodeman (F.E.), ed.: *Le Pas Salhadin.* In *Modern Language Notes,* xii (Jan. 1897).

Martène (E.) and Durand (U.): *Veterum Scriptorum et Monumentorum Historicorum, Dogmaticorum, Moralium, Amplissima Collectio.* Paris, 1724-33.

Mas-Latrie (L. de), ed.: *La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier.* Paris, 1871.

Matthew of Edessa: *Chronicon.* In *RHC Documents Arméniens,* i.

Mayer (H.E.): *Das Itinerarium Peregrinorum* Stuttgart, 1962. See also Richard of London.

Michelant (H.) and Raynaud (G.), eds.: *Itinéraires à Jérusalem et descriptions de la Terre Sainte rédigés en français au XIe, XIIe et XIIIe siècles.* Publications de la Société de l'Orient Latin, série géographique, 3. Geneva, 1882.

Migne (J.-P.): *Patrologiae Cursus Completus. Series Latina.* Paris, 1844-55.

Morris (William), ed. and trans.: *L'Ordène de chevalerie.* Hammersmith, at the Kelmscott Press, 1893.

Muratori (L.A.), ed.: *Rerum Italicarum Scriptores* Milan, 1723-51.

Oliver of Paderborn: *De Captione Damiatae.* Ed. H. Hoogeweg, Tübingen, 1894. Also in Bongars, Vol. i (q.v.).

Paris (P.), ed.: *Guillaume de Tyr et ses continuateurs.* Paris, 1879-80. The French translation of William of Tyre only; the continuations were never published.

Philippe de Novare: *Mémoires 1218-1243.* Ed. Ch. Kohler, Paris, 1888.

— *Le Livre des plaits et des us et des costumes des assises d'outre-mer et de Jérusalem et de Chypre.* In *RHC Lois,* i under the title *Le Livre de Philippe de Navarre.*

Pierre de Beauvais: 'Les Olimpiades'. Unpublished. MSS Saint-Omer 722, Berne 41 and 113, and Bodleian Hatton 77.

Pipino (Francesco, O.P.): *Chronicon.* In *RIS* vii and ix.

Ralph of Coggeshalle: *Chronicon Anglicanum,* and the *De Expugnatione Terrae Sanctae per Saladinum Libellus,* doubtfully attributed to Ralph. Ed. J. Stevenson, Rolls Series, 66. London, 1875.

Raynaud (G.), ed.: *Les Gestes des Chiprois.* Publications de la Société de l'Orient Latin, série historique, 5. Geneva, 1887.

Richard of Devizes: *Chronicon de Rebus Gestis Ricardi Primi, Regis Angliae.* Ed. J. Stevenson, London 1838.

Richard of London: *Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi; auctore ut videtur Ricardo, Canonico Sanctae Trinitatis Londiniensis.* Ed. W. Stubbs, Rolls Series, 38, London, 1864. See also Mayer (H.E.)

Robert de Clari: *La Conquête de Constantinople.* Ed. P. Lauer, Paris, 1924.
Robert the Monk: *Historia Hierosolymitana.* In *RHC* iii.
Salloch (M.): *Die lateinische Fortsetzung Willelms von Tyrus.* Leipzig, 1934.
Sparling (H.H.): *William Caxton: The History of Godefrey of Boloyne and of the Conquest of Iherusalem.* Corrected by H. Halliday Sparling, printed by William Morris at the Kelmscott Press, Hammersmith, Apr. 1893.
Tobler (T.), ed.: *Descriptiones Terrae Sanctae ex saeculo VIII, IX, XII et XV.* Leipzig, 1874.
—— *Topographie von Jerusalem.* Berlin, 1854.
Tudeboeuf (Pierre) or Tudebodus: *Historia de Hierosolymitano Itinere.* In *RHC* iii.
Villehardouin (Geoffroi de): *La Conquête de Constantinople.* Ed. E. Faral, Paris, 1938.
Vincent de Beauvais: *Speculum Historiale.* Augsburg, 1474.
—— *Speculum Majus.* Venice, 1494.
Wailly (Natalis de), ed.: *Récits d'un menestrel de Reims.* Paris, 1876.
William of Newburgh: *Historia Rerum Anglicarum.* Ed. H.C. Hamilton, London, 1866.
William of Tyre: *Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum.* In *RHC* i. See also Babcock and Krey, Du Préau, and Paris.
Wilson (C.W.): *Saladin; or. What befell Sultan Yūsuf-Salāh-ed-Dīn.* Palestine Pilgrims' Text Society, 13. London, 1897. A translation of Beha-Eddin (q.v.).

Bibliographies

Becker (G.): *Catalogi Bibliothecarum Antiqui.* Bonn, 1885.
Carpentier (P.), ed.: *Glossarium Novum ad Scriptores Medii Aevi.* Paris, 1766. A supplement to Du Cange (q.v.).
Du Cange (Charles du Fresne, sieur): *Glossarium ad Scriptores Mediae et Infimae Latinitatis.* Paris, 1678. A revised edition of this work, by Carpentier (q.v.) and others, Niort, 1883-7.
Fabricius (J.A.): *Bibliotheca Latina mediae et infimae aetatis.* Hamburg, 1734-46.
Grober (G.): *Grundriss der romanischen Philologie.* Strassburg, 1886-1901. 2nd ed., Berlin, 1933.
James (M.R.): *A Descriptive Catalogue of Fifty Manuscripts in the Library of Henry Yates Thompson.* Cambridge, 1898.
Lelong (J.): *Bibliothèque historique de la France.* Paris, 1719.
Manitius (M.): *Geschichte der lateinischen Literatur des Mittelalters.* Munich, 1911.
Mayer (H.E.): *Bibliographie zur Geschichte der Kreuzzüge.* Hannover, 1960.
Meusel (J.G.): *Bibliotheca Historica.* Leipzig, 1782-1802.
Michaud (J.F.): *Bibliographie des croisades.* Paris, 1822.
Montfaucon (B. de): *Bibliotheca Bibliothecarum Manuscriptorum Nova.* Paris, 1739.

Paris (P.): *Les Manuscrits français de la Bibliothèque du Roi.* Paris, 1836.
Riant (P.): *Inventaire sommaire des manuscrits de l'Eracles.* In *Archives de l'Orient Latin*, i, 1881.
Woledge (B.) and Clive (H.P.): *Répertoire des plus anciens textes en prose française.* Geneva, 1964.

Secondary Sources

Alphandéry (P.): *La Chrétienté et l'idée de croisade.* Paris, 1954.
Archer (T.A.): *The Crusade of Richard I.* London, 1888.
Baldwin (M.W.): *Raymond III of Tripolis and the Fall of Jerusalem.* Princeton, N.J., 1936.
Beaunier (Dom) and Besse (J.M.): *Abbayes et prieurés de l'ancienne France.* Archives de la France Monastique. Paris, 1905.
Bourgeat (J.B.). *Études sur Vincent de Beauvais.* Paris 1856.
Brummer (R.): *Die erzahlende Prosadichtung in den romanischen Literaturen des dreizehnten Jahrhunderts.* Berlin, 1948.
Buchthal (Hugo): *Miniature Painting in the Latin Kingdom of Jerusalem.* Oxford, 1957.
Butler (Cuthbert, O.S.B.): *Benedictine Monachism.* London, 1924.
Cartellieri (A.): *Philipp II August, Konig von Frankreich.* Leipzig, 1899.
Chevalier (U.): *Répertoire des sources historiques du Moyen Âge.* 2nd ed., Paris, 1905-7
Cottineau (L.H.): *Répertoire topobibliographique des abbayes et prieurés.* Mâcon, 1935.
Cousin (Patrice, O.S.B.): *Précis d'histoire monastique.* Paris-Tournai, 1959.
Curtius (E.R.): *Europaische Literatur und lateinisches Mittelalter.* Berne, 1948.
Daniel (N.): *Islam and the West.* Edinburgh, 1960.
Daoust (J.) and Gaillard (L.), eds : *Corbie Abbaye Royale. Volume du XIIIe Centenaire.* Lille, 1963.
Delatte (Paul, O.S.B.): *The Rule of St. Benedict: a Commentary by Dom Paul Delatte.* Translated by Dom Justin McCann. London, 1921.
Donovan (J.P.): *Pelagius and the Fifth Crusade.* Philadelphia, Pa., 1950.
Du Cange (Charles du Fresne, sieur): *Les Familles d'Outremer.* Published by E.G. Rey. Paris, 1869.
Erdmann (C.): *Die Entstehung des Kreuzzugsgedankens.* Stuttgart, 1935.
Fuller (Thomas): *The Historie of the Holy Warre.* Cambridge, 1639.
Grousset (René): *L'Empire du Levant: histoire de la question d'Orient.* Paris, 1946.
— *Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem.* Paris, 1934-6.
Guérin (V.): *Description de la Palestine.* Paris, 1869.
Hackett (J.W.): 'Saladin's Campaign of 1188'. Oxford B.Litt. thesis, 1937.
Huygens (R.B.C.): *Latijn in Outremer.* Leiden, 1964.
Jenkins (C.): *The Monastic Chronicler and the Early School of St. Albans.* London, 1922.

Kestner (E.): *Der Kreuzzug Friedrichs II.* Göttingen, 1873.
Kohler (Charles): *Mélanges pour servir à l'histoire de l'Orient latin et des croisades.* Paris, 1900.
Laking (G.F.): *A Record of European Armour and Arms through Seven Centuries.* London, 1920.
Lane Poole (S.): *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem.* Heroes of the Nations, 24, London, 1898.
Longnon (J.): *Les Français d'Outremer au Moyen Âge* Paris, 1929.
—— *L'Empire latin de Constantinople et la principauté de Morée.* Paris, 1949.
Luchaire (A.): *La Société française au temps de Philippe-Auguste.* Paris, 1909.
Maimbourg (L.): *Histoire des croisades.* In *Les Histoires du sieur Maimbourg.* Paris, 1686.
Maître (L.): *Les Écoles épiscopales et monastiques en occident avant les universités.* Archives de la France Monastique, 26. Ligugé, 1924.
Mas-Latrie (L. de): *Histoire de l'île de Chypre.* Paris, 1852-61.
Mercuri (P.) and Bonnard (C.): *Costumes historiques du XIIIe XIVe et XVe siècles.* 2nd ed., Paris, 1860-1.
Michaud (J.F.): *Histoire des croisades.* Paris, 1841.
Montalembert (C.F.R.): *Les Moines d'Occident depuis S. Benoît jusqu'à S. Bernard.* Paris, 1860-77.
Ost (F.): *Die altfranzösische Ubersetzung der Geschichte der Kreuzzüge Wilhelms von Tyrus.* Halle, 1899.
Pihan (A.P.): *Glossaire des mots français tirés de l'arabe, du persan et du turc.* Paris, 1847.
Prawer (J.): *Histoire du royaume latin de Jérusalem.* French translation by G. Nahon, Paris, 1969.
Prutz (H.): *Kulturgeschichte der Kreuzzüge.* Berlin, 1883.
—— *Quellenbeiträge zur Geschichte der Kreuzzüge.* Danzig, 1876.
Richard (J.): *La Royaume latin de Jérusalem.* Paris, 1953.
Riley-Smith (J.S.C.): *The Knights of St. John in Jerusalem and Cyprus.* London, 1967.
Röhricht (R.): *Die Kreuzfahrt Kaiser Friedrich des Zweiten.* Berlin, 1872.
—— *Quellenbeiträge zur Geschichte der Kreuzzüge.* Berlin, 1875.
—— *Zusätze und Verbesserungen zu Du Cange: Les Familles d'Outremer.* Berlin, 1886.
—— *Studien zur Geschichte des funften Kreuzzuges.* Innsbruck, 1891.
—— (ed.): *Regesta regni Hierosolymitani.* Innsbruck, 1893.
—— *Geschichte des Königreichs Jerusalem 1100-1291.* Innsbruck, 1898.
Runciman (Sir Steven): *A History of the Crusades.* Cambridge, 1952-3.
—— *The Families of Outremer. The Feudal Nobility of the Crusader Kingdom of Jerusalem 1099-1291.* Creighton Lecture, London 1960.
Schon (P.M.): *Studien zum Stil der fruhen französischen Prosa.* Frankfurt, 1960.
Setton (K.M.), ed.: *A History of the Crusades.* Vol. i: *The First Hundred Years,* ed. M.W. Baldwin. Pennsylvania, Pa., 1955. Vol. ii: *The Later Crusades,* ed. R.L. Wolff and H.W. Hazard. Pennsylvania, Pa., 1962.

Smail (R.C.): *Crusading Warfare, 1097-1193.* Cambridge, 1956.
Smalley (B.): *The Study of the Bible in the Middle Ages.* 2nd ed., Oxford, 1952.
Southern (R.W.): *Western Views of Islam in the Middle Ages.* Cambridge, Mass., 1962.
Streit (L.): *De rerum transmarinarum qui Guilelmum Tyrium excepisse fertur Gallico auctore specimen.* Greifswald, 1861.
Vasiliev (A.A.): *History of the Byzantine Empire, 324-1453.* 2nd English ed., Oxford 1952.

Articles

Archer (T.A.): 'On the Accession Dates of the Early Kings of Jerusalem', *English Historical Review*, iv (1889).
Cahen (C.): 'Indigènes et Croisés; quelques mots à propos d'un médecin d'Amaury et de Saladin', *Syria*, xv (1934).
Delisle (L.): 'Recherches sur l'ancienne bibliothèque de Corbie', *Bibliothèque de l'École des Chartes*, 5th Ser. i (1860).
Duval (A.): 'Auteur anonyme de l'Ordène de chevalerie', *HLF* xviii (1835).
Edwards (J.C.): 'The *Itinerarium Regis Ricardi* and the *Estoire de la guerre sainte*'. In *Historical Essays in Honour of James Tait.* Manchester, 1933.
Giry (A.): 'Les Châtelains de Saint-Omer 1042-1386', *Bibliothèque de l'École des Chartes*, xxxv (1874).
Hellweg (M.): 'Die ritterliche Welt in der Geschichtschreibung des vierten Kreuzzugs', *Romanische Forschungen* lii (1938).
Huygens (R.B.C.): 'La Tradition manuscrite de Guillaume de Tyr', *Studi Medievali*, 3e série, v, 1 (June 1964).
— 'Guillaume de Tyr étudiant. Un chapitre (XIX, 12) de son "Histoire" retrouvé', *Latomus*, xxi (1962).
Jones (L.W.): 'The Scriptorium at Corbie', *Speculum*, xxii (1947).
Kohler (E.): 'Zur Entstehung der altfranzosischen Prosaromans', *Wissenschaftliche Zeitschrift der Friedrich-Schiller-Universitat Jena*, v (1955-6).
Krey (A.C.): 'William of Tyre: the Making of a Historian in the Middle Ages'. *Speculum*, xvi (1941).
La Monte (J.L.) and Downs (N.): 'The Lords of Bethsan in the Kingdoms of Jerusalem and Cyprus', *Medievalia et Humanistica*, vi (1950).
La Monte (J.L.): 'John d'Ibelin, the Old Lord of Beirut, 1177-1236', *Byzantion*, xii (1937).
— 'The Lords of Caesarea in the Period of the Crusades', *Speculum*, xxii (1947).
Lesne (E.): 'L'Économie domestique d'un monastère au IXe siècle d'après les statuts d'Adalhard, abbé de Corbie' In *Mélanges Offerts à F. Lot* Paris, 1925.
Levillain (L.): 'Les Statuts d'Adalhard', *Le Moyen Âge*, 2e Sér. iv (1900).
Manzoni (L.): 'Frate Francesco Pipino da Bologna dei pp. Predicatori, geografo, storico e viaggiatore', *Atti e Memorie della R. Deputazione di Storia Patria per le Provincie di Romagna. Terza serie*, xiii (Bologna, 1896).

Mayer (H.E.): 'Zum Tode Wilhelms von Tyrus', *Archiv fur Diplomatik*, v-vi (1959-60).
Mayer (P.): 'Notice et extraits du MS 8336 de la Bibliothèque de Sir Thomas Phillips à Cheltenham', *Romania*, xiii (1884). See especially p. 530 on the *Ordene de Chevalerie*.
—— 'Les MSS français de Cambridge', *Romania*, viii (1879) and xv (1886). See especially description of MS GG 6.28 of the University Library.
Munro (D.C.): 'The Western Attitude towards Islam during the Crusades', *Speculum* vi (1931).
Ohly (F.): Vom geistigen Sinn des Wortes im Mittelalter', *Zeitschrift für deutsches Altertum*, lxxxix (1958).
Ortroy (F. van): S. François d'Assise et son voyagé en Orient', *Analecta Bollandiana*, xxxi (1912).
Paris (G.): 'La Légende de Saladin', *Journal des Savants* May to August inclusive, 1893. Ostensibly a review of Fioravanti: *Il Saladino nelle legende del medioevo*. Reggio-Calabria, 1891.
Paris (P.): Untitled article on *Histoire d'Outremer* in a collection under the general heading of 'Chroniques'. In *HLF* xxi (1847), 679-85.
Pastouret (E.C.J.P.): 'Guillaume de Tyr. Sa Vie', *HLF* xiv (1817).
Petit-Radel (L.C.F.): 'Bernard, dit le Trésorier, traducteur et continuateur de Guillaume de Tyr', *HLF* xviii (1835).
Prawer (J.): 'Assise de Teneure et Assise de Vente: a Study of Landed Property in the Latin Kingdom', *Economic History Review*, 2nd Ser. iv (1951-2).
—— 'The Settlements of the Latins in Jerusalem', *Speculum*, xxvii (1952).
—— 'Colonization Activities in the Latin Kingdom of Jerusalem', *Revue Belge de Philologie et Histoire*, xxix. 2 (1951).
—— 'La Noblesse et le régime féodal du royaume latin de Jérusalem', *Le Moyen Âge*, 4e série, xiv (1959).
—— 'La Bataille de Hattin', *Israel Exploration Journal*, xiv (1964).
—— 'Les Premiers Temps de la féodalité dans le royaume latin de Jérusalem—une réconsidération', *Tijdschrift voor Rechtsgeschiedenis*, xxii (1954).
Prutz (H.): 'Studien uber Wilhelm von Tyrus', *Neues Archiv der Gesellschaft fur ältere deutsche Geschichtskunde*, viii (1883)
Richard (J.): 'An Account of the Battle of Hattin referring to the Frankish Mercenaries in Oriental Moslem Sates', *Speculum*, xxvii (1952).
Smail (R.C.): 'Crusaders' Castles of the Twelfth Century', *Cambridge Historical Journal*, x (1951).
Woledge (B.): 'La Légende de Troie et les débuts de la prose française.' In *Mélanges Offerts à Mario Roques*. Paris, 1950.
Wolff (R.L.): 'Baldwin of Flanders and Hainault', *Speculum*, xxvii (1952).



المحتوى











